



رواية

العاصمة المعلنة

أوركون أوشان
براق تورنا

ترجمة

محمد مولود فاقي

علي هولا



منه كتاب وكتاب هدية دورة الشباب .. مشروع "دورة المعرفة للجميع"

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

regac

العاصفة الملعنية الحرب الأمريكية - التركية

اسم الكتاب: العاصفة المعدنية
الحرب الأمريكية - التركية
اسم المؤلفان: أوركون أوشار - براق تورنا

حقوق الطبع محفوظة

٢٠٠٦/١٠٠٠



للدراسات والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص ب ٧٩١٧

تلفاكس: +٩٦٣ ١١ ٥١٣٦٥٢٦

[E-mail:](mailto:ninawa@scs-net.org)

لا يجوز نقل، أو اقتباس، أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب بأية
وسيلة كانت من دون إذن خطى مسبق من الناشر.

العمليات الفنية التtipid والإخراج والطباعة

دار نينوى - دمشق

أوركون أوشار - براق تورنا

العاصفة المعنوية

العرب الأمريكية - التركية

ترجمة : محمد مولود فافي

رواية

ماركات أصلية

استبدال مجاني

توصيل مجاني

الدفع نقداً عن الإستلام

نمنسي



توصيل مجاني لباب بيتك

منتجات أصلية 100 %

تخفيضات كبيرة وعروض مميزة

وسائل دفع متعددة منها الدفع عند الإستلام

استبدال مجاني خلال 14 يوم

أضغط هنا للدخول إلى الموقع

القسم الأول

العرب تبدأ

٢٣ أيار ٢٠٠٧ - الساعة ١٢،١٠ الثانية عشرة وعشرون دقيقة ليلاً

شمال شرق صحراء كركوك

كان الظلام قد تحول إلى غطاء للطبيعة. حتى أصوات الحشرات الليلية لم تكن تسمع داخل هذا الصمت المطبق. كان هذا المكان يقع على حدود المنطقة الجبلية من شمال العراق. وكان تنتهي فيه الصحراء وتبدأ الأراضي السهلة المزروعة ببعض المحاصيل. وكانت منطقة الجبال على خط الأفق يتراوح على شكل أخيلة داخل الظلام.. والسهل المتراوحة الأطراف كانت تقطعها بين مسافة وأخرى بعض التلال الصغيرة. وكانت منطقة جفادية صعبة بالنسبة للتراب والإنسان. وكانت لاحة حبلى بكثير من الأشياء لم تكن تظهر، ولكنها كانت تستر المشاكل المستقبلية التي كانت تهدىها في أعماقها.

هذه اللحظة الجامدة.. انتهكت بداية من رجفة مهولة ثم سمعت أصوات بعض الصخور تدرج فوق التربة من بين تلك الصخور الضخمة التي كانت على حدود الصحراء والمنطقة الجبلية.. ثم سمعت أصوات الأحذية العسكرية. خرج الجنود بسرعة من التجويف الصخري الذي كانوا فيه.

ونزلوا بسرعة أيضاً من التلة نحو الأسفل. كانت وجوههم وأيديهم مغطاة بالوحول الأسود.. كانوا مرهقين.. لأنهم منذ يومين لم يتناولوا إلا النذر اليسير من الطعام. كانوا يحاولون البقاء على قيد الحياة. والآن كانوا مجبرين على الجري السريع. وكل واحد منهم يحمل على ظهره أكثر من أربعين كيلوغراماً من الأشياء والأغراض. وحظهم الوحيد كان جريهم نحو الأسفل. دون أن يظهروا

أنفسهم للجنود الغربياء الذين كانوا على بعد كيلو مترين اثنين.

كان الملازم الأول /أبلر/ قد نزل جرياً نحو الأسفل. والذي كان يرأس فصلاً من الاستطلاع يتكون من اثنين عشر جندياً. ومن خلفه نزل الجنود قافزين نحو الأسفل. كانوا لا يرون حتى من مئة متر وليس من كيلو مترين - انزلقت الأخيلة داخل الظلام من رأس التلة نحو الأسفل بسرعة كبيرة. وتم الجري بعض الوقت على السهل أيضاً كانوا قد راقبوا من بين الصخور مركز القيادة لإحدى القطع العسكرية القوية. إذ كانوا قد أحسوا بهم حتماً سيتم ضربهم ولا شك في ذلك أبداً. وبعد جري على مدى عشرين دقيقة اصطفوا خلف بعضهم البعض واستروا أنفسهم خلف صخرة كبيرة. وكان حامل الرشاش، وهو أضخمهم قد سدد رشاشه نحو الجهة التي قدموا منها.

كان الملازم الأول /أبلر/ قد نزل وركَّز نفسه فوق إحدى ركبيه اقترب منه الجندي الذي يحمل جهاز اللاسلكي وفتح خط الرسائل "من النسر إلى البويم.. تمام".

كان الملازم الأول قد بدأ فقدان صبره:

- "من البويم إلى النسر.. أكملوا.. تمام"
- "تفيدكم علمًا.. بأنه قد ظهرت لنا إحداثيات مركز قيادة الوحدة العسكرية على بعد خمسة عشر كيلو متراً شمال شرق كركوك."
- وإنه قد تمت ملاحظة بعض التحركات العسكرية داخل هذه الوحدة"
- من البويم.. إلى النسر.. أدامكم الله... تمام"
- فهمنا الأمر.. تمام".

انتقل /أبلر/ زحفاً إلى مكان وجود الجندي المفاوير /أويفار/. الذي كان يراقب مركز القيادة بالمنظار. عندما مد /أويفار/ المنظار إلى قائده أشار بيده إلى نقطتين. كانت ثمة شاحنة بيضاء صغيرة قد مررت من باب مركز القيادة دون تأخير. وكانت تتجه نحو الخيمة.

و قبل أن تدخل إليها صعدت إلى الشاحنة مجموعة من المسلحين المفطين رؤوسهم.

قال أويفار: "أقطع رأسي إذا لم يكونوا من /البشمرغة/".
لم يجده البر. كانت المجمات قد زادت كثيراً على المناصر غير الكردية في كركوك في الآونة الأخيرة. ولم تكن التحذيرات الصادرة من /أنقرة/ تلقي صدى لا ضمن الحكومة الكردية ولا الحكومة الأميركيّة. وكان الحكومة الأميركيّة قد وقعت كلّياً بيد اللوبي اليهودي واليوناني والأرمني. والتوتُّر كان يتصاعد حول موضوع قبرص الشماليّ أيضاً.

كان ابتداء التوتُّر في شمال العراق وظهور بوادر خطر تفريح التركمان من مضمونهم كلّياً هناك كانت تصعد وتحقق من اشتراك الأتراك في العملية العسكريّة التي رفضوا الدخول فيها سابقاً جبراً وقسراً. إلى جانب كلّ هذه التطورات كانت التقارير الاستخبارية تؤكّد بأنّ الجيش الأميركي قد تهيّأ تماماً في الدخول إلى سوريا.. حيث كانت حكومة الأسد في موقف صعب جداً. وأجل هذا السبب. كان المعلقون السياسيون والعسكريون يرون في صمت الأميركيّين عندما دخلت القوات التركية إلى شمال العراق نابعاً من هذا السبب. كانت أذن الجنود المعتادة على الصمت قد لقطت أصوات قادمة من الأعماق. كانت هذه عبارة عن هزّات وارتجاجات تزداد قوتها بشكل نظامي. فهم الملازم الأول /البر/ ماهية الصوت بعد ثوانٍ قليلة. كانت طائرة مروحيّة /هيلوكبتر/ وكان من الواضح جداً أنها كانت تحوم على شكل دائري في نقطة لا تبعد كثيراً من مكان وجودهم. ولكنهم لم يروا شيئاً لا بريقاً من الضوء ولا لمعة من شرارة. راقبوا الظلام على مدى دقائق. كانوا قد أخذوا وضعية (التحندق) الدفاع تماماً. ولكن لم يكن ثمة هدف في الأطراف حتى يسدّدوا بنادقهم نحوه. ابتعد الصوت بعد وقت قصير. ولكن ثمة أصوات أخرى بدأت أكثر بعداً تصطدم في أذنهم. أيقظ الملازم الأول (البر) حامل الرشاش كي يأخذ مكاناً مناسباً للطلق.

حيث تحرك سردار) سريعاً وابتعد عن زملائه عشرة أمتار تقريباً وركّز نفسه خلف صخرة أقل ارتفاعاً. كانا على وشك أن يتبدلا الإشارات بالأيدي. وإذا بضوء قوي يظهر بين (الخدفين) وكأنها لمعة برق قوية. كان جنود فصيل المشاة للبحرية

التركية قد دهشوا من الذي حصل لهم.

كانت عيونهم قد عُميّت. والأصوات التي كانت تصل إلى أذنهم كانها صادرة من قطعة معدن مخروطي الشكل. لم يعد أحد منهم يعرف ما الذي حصل لهم. كان ثمة انفجار قوي قد حدث بين (سردار) حامل الرشاش والجنود الآخرين. بعد الانفجار مباشرة بدأت القذائف تهطل فوقهم من على بعد مئات الأمتار ومن عدة جهات. وكانت القذائف أو الرصاصات التي ترك أثراً كانت تمزق ستارة الصمت في ظلام الليل.

فتح (البر) عينيه.. كان على بعد عدة أمتار من النقطة التي يجب أن يكون فيها. الثياب التي كان يرتديها احترقت وتمزقت إلى أشلاء. كان يحسن بأن ثمة دماءً تنزف من جسده. ولم يكن يحس بأي شيء غير ذلك. على بعد أمتار منه لاحظ عدداً من الأخيله.. بعضها كانت لا تتحرك والبقية كانت تعطي رذات فعل عن أجسادهم.. حاول التحرك في مكانه ولكنه لم يقدر كانت رؤية الأطراف من حوله صعبةً جداً الآن ولكنه كان يستطيع رؤية مكان خروج القذائف. فكر قليلاً:

"يجب أن تكون الحوامة التي جاءت قبل قليل قد أحضرت جنوداً ويبدو أنهم كثيرون جداً."

كانت أصوات الحوامات قد عاودت هديرها ثانيةً. في هذه المرة كانت الأصوات أكثر من المرة الأولى. ارتفع الملازم الأول فجأة.

كان ثمة هدير مخيف قد حدث على بعد أمتار منه. تقلب على نفسه وتحرك من مكانه.. كان (سردار) الذي يسترنفسه خلف الصخرة. قد بدأ الإطلاق من رشاشه، كانت يده تضفط على الزناد دون توقف. كان يرسل بعشرات القذائف نحو المناطق التي تصدر منها القذائف المضاءة. نظر (سردار) نحوه فجأة.. تقابلت عيونهما ونظراتهما.. ابتسما.

عيّر (البر) رشاشة (G-2) على الرش وأفرغ عدة مخازن نحو الجهة المقابلة.. وانبعط على الأرض.. كانت نيران العدو قد انقطعت لفترة وجيزة.. استفاد من هذه اللحظات، وانتقل زحفاً إلى العنصر الذي يحمل جهاز اللاسلكي.. نظر إلى هذا

العنصر.. ولست يداه شيئاً ما.. انسحب ثانية.. كان وضعه سيئاً إلى حد كبير.. حيث كانت الشظايا قد قطعت عنقه.. ولم يكن يعرف هل هو على قيد الحياة أم لا؟

أخذ جهاز اللاسلكي وابتعد من هناك.. في هذه الحال.. كانت النيران العادمة تتجه نحو سردار كي تقتله.. احتار الملازم الأول ولم يدر ماذا يفعل وبما أن خندق (سردار) كان سليماً لم تصبه لا رصاصة ولا شظية.. ولكن الرصاصات العادمة كانت تحول المكان إلى جهنم.. حاول تشغيل اللاسلكي.. لم يكن فيه أي عطل.. ولكن الأصوات الإنكليزية كانت تمتزج بالهزازات الصوتية الصادرة عنه، كان الملازم الأول قد عرف أن عناصر القوات الأمريكية في حالة من الانفعال الشديد كانوا على الدوام يصرخون عبر اللاسلكي.

Takenout – Takenout

حاول الملازم (أبلر) الاتصال بالمركز.. بعد فترة قصيرة وصله جواب ضعيف من الأعماق.

"من اليوم إلى النسر أعلمونا بحالكم"

من النسر إلى اليوم نحن الآن على بعد كيلو مترين اثنين إلى الجنوب الشرقي من الإحداثيات التي أعطيتها لكم قبل قليل ونواجه بنيران كثيفة جداً.. إن الأمريكيين يطلقون النار من كل الجهات.. ومعظم جنودي قد استشهدوا يا سيدى.. نسمع أصوات حوامات.. وفي كل لحظة اترقب هجوماً بالصواريخ.. نحاول أن نتماسك.

كان صوت الملازم الأول (أبلر) يخرج من جهاز اللاسلكي في الطرف الآخر محبطاً وينعكس على شكل أصوات مزينة بقلة الأمل.. كان قواد لواء المشاة البحرية التركية المتمركزة بالقرب من (كركوك) قد وقفوا على أقدامهم بحدة وغضب.. كانوا يحاولون فهم الذي حصل مع فصيل الاستطلاع المتقدم.. ما هو السبب الذي دعا الأمريكيين بالتصوف الهمجي مع هذا الفصيل المتقدم ودون أن تصدر منهم أية حركة عدائية نحوهم.. حيث كان وجود القوات التركية في شمال العراق يشكل منعاً للتوتر القائم وخاصة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق.. حتى إن

الحادثة التي تعرف بفضيحة الشوالات (الأكياس) حيث قبضت القوات الأمريكية على مجموعة كبيرة من قوة الاستخبارات العسكرية التركية وألقت رؤوسهم أكياساً كي لا يروا شيئاً (هذه الحادثة حقيقة وجرت في عام ٢٠٠٣ بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وترك لها أصوات كبيرة بين الأتراك وما تزال صداتها تواصل حتى العام ٢٠٠٥ (المترجم)).

كانت هذه الحادثة قد صعدت من التوتر الشديد بين الطرفين ولكن لم تكن قد وصلت بعد إلى مثل هذا المستوى من التشنج بين الطرفين.

كان الطرفان يتصرفان بحذر شديد. والآن لماذا حصل هذا الاعتداء السافر؟ كانت السيطرة على قادة الطابور في اللواء صعبة جداً. كانوا عقداء وعداء وكان كل واحد منهم يحمل بندقية (كلاشينكوف) وكانوا يودون الذهاب إلى تلك النقطة شخصياً وبمفردهم وكان قائد اللواء الفريق (إحسان أر) يحاول الاتصال مع قيادة الأركان العامة.

كانت الاختلالات الإلكترونية تتسبب بقطع الاتصال بين وقت وآخر. وبعد فترة قصيرة يعود الاتصال ثانيةً. كان جو الخيمة مشحوناً بدخان السجائر كان الضباط الصغار قد أخرجوا من الخيمة. بعد أن أخذوا أمر الاستعداد (استعد) وكان لواء مشاة البحرية التركية بمثابة بوّيَّ عين الجيش التركي ومن أهم القطع الجاهزة للحرب والتي تضم عشرين ألف عسكري وتساندها الحوّامات من طراز (آباتشي).

قال الفريق: (إحسان باشا) إنهم يقتلون جنودنا.. ماذا سنفعل؟

أجابه أحد الضباط وهو قائد إحدى الكتائب برتبة نقيب:
لنسرع إلى نجدهم يا سيدى.

قال العميد معاون قائد اللواء: "نعم.. يجب لا نُضيّع الوقت"

- ورئيس الأركان؟

كان قائد اللواء (الجنرال إحسان) مضطرباً وقلقاً إلى حد كبير وحزناً في إصدار أوامره لأنها من الممكن أن تسبب بسلسلة من الأحداث لا يمكن معرفة عواقبها فيما بعد. وكان الأمريكيون قد افتقروا منهم كثيراً وكأنهم يريدون

هذا التوتر قصداً عندما تقترب القوات الكبيرة من بعضها يكون عدم التناوش أمر مستحيلاً وبهذا التصرف العادي تكون هذه الفرقة الأمريكية قد تصرفت بشكل أثيم مظيرة العداوة والبغضاء.

تحدث النقيب (حقي سويان) بحدة وهو قائد الكتيبة الأولى.

"نحن الذين تحت الاعتداء أو الهجمات وليس رئيس الأركان يا سيدي" قال ذلك ونظراته كأنها تتقبل الأشياء من حوله. وكانت إفادة مخيفة قد تركزت على وجهه من جراء الوحل الذي غطى به وجهه. في الوقت الذي كانت فيه المحادلات تجري داخل الخيمة. كان قد أعطى أمراً لتجهيز وحدة مكونة من عشرين جندياً يرأسهم ملازم وصف ضابطاً. بسرعة مع رشاشات وقاذفات صواريخ حيث أصبحت جاهزة أمام الخيمة بعد خمس دقائق فقط.

اسمح لي يا سيدي أن أقود هذه الوحدة. إن تجهيز اللواء أو الكتيبة يأخذ وقتاً طويلاً. وتضيق خسائرنا.. أنا أفكّر أن ينتقل اللواء إلى وضعية الدفاع مباشرة.. ويظل معنا على اتصال دائم. والإحداثيات معروفة.

ربما يطلبون تفطية جوية لتكامل المنطقة:

كان الجنرال إحسان يُحسّ بالفخر والفرور بهذا النقيب. كان مهووساً ومفكراً مثل أي جنرال.

تمام يا نقيب.. هيا تحركوا مباشرة وخلصوا جنودنا الباقيين. أريد منك أن ترد الأمريكيين من هناك. ونحن سنأخذ وضعية الدفاع وننتظر أوامر رئاسة الأركان العامة. وإذا احتاج الأمر سنهاجم عليهم بكل طاقتنا. سمعاً وطاعة يا سيدي.

كان صوت النقيب (حقي سويان) قد رجَّ غشاء طبل أذن كل الموجودين داخل الخيمة. وعندما أنهى كلامه خرج بسرعة واتجه جرياً نحو الشاحنة التي كانت تنتظره. والجنود أيضاً صعدوا إلى شاحنتين بسرعة البرق واتجهوا إلى منتصف المعركة. كان مركز المعركة يبعد عنهم حوالي خمساً وأربعين دقيقة كان مركز قيادة اللواء قد بنيت بين التلال. وفي الوقت الذي كانوا فيه يسيرون نحو المعركة لاحظوا أن جنود الكتائب والسرايا تنتشر هنا وهناك آخذين وضعية

الدفاع. وهم يحفرون الخنادق ويفطون جوهرهم بالوحش.

كان النقيب (حقي) في الشاحنة يجلس إلى جانب السائق.

وكانت يده على الزناد دائمًا. وبسبب هذا الانفعال المسيطر على الأجواء.. كان الضابط الشاب والجنود لم يدركو كييف وصل الموقف إلى هذا الحد. كانوا يفكرون بأنهم ذاهبون إلى طرد مجموعة من الإرهابيين ورد الاعتداء الأثيم عليهم. بعد أن مرت ثلاثون دقيقة بدأوا بسماع صوت الرشاشات والانفجارات. كانت ثمة إفادة غريبة مركزة في وجه النقيب. إفادة لا معنى لها تماماً. كانت شفاته تحرر كأن كانت الأصوات قد جعلت من الجنود مضطربين.. كان ثمة أصوات كثيرة في الأجواء إلى أي نوع من المعركة كانوا يذهبون؟

والحقيقة كان الملازم الأول (البر) في حيرة من أمرهم كيف بقوا على قيد الحياة حتى الآن. كان ثلاثة من عناصره قد وعوا إلى أنفسهم وبدأوا بإطلاق النار وكلهم غاطسون في بحر من الدماء. ولكنهم كانوا يرسلون حمم بنادقهم نحو مصادر النيران المقابلة ودون أن يتحدثوا مع بعضهم كانوا في حالة وكأنهم خارج الزمن. كان جهاز اللاسلكي مفتوحاً لم يكن ثمة كلمات يقولونها للأخرين. القوات المعادية قوية ومن غير الممكن أن يقفوا في وجهها.. بعد قليل ستهي مراميمهم وسيسقطون شهيداً تلو الآخر. وكان قد اتضح كليةً أنهم لن يدعونهم إلى الاستسلام لأن هجومهم حصل دون إنذاريهذا الإحساس أو بهذه الفكرة أحس الملازم الأول (البر) بالراحة. تذكر ابنه وزوجته.. وفكّر بأمه التي كانت تعيش بمفردها في المدينة. كل هذه الوجوه كانت تحول إلى صور غير مرئية في عقله.. يا ترى هل هم كانوا يفنون أم هو الذي كان يغنى. لم يستطع أن يحدد جواب هذا السؤال. نظر إلى يديه.. اللتين لستا عائلته. هاتان اليدين اللتان كانتا تلمساهم بحب ورأفة. هما الآن غارقتان في الدم والتراب. هاتان اليدين لن تستطعا أن تلمسهما بعد الآن. كان يعرف أنه لا فائدة ولا معنى من إطلاق النار ولكنهم كانوا يقاتلون وكأنهم سيربحون هذه المعركة.

- "كيف الوضع معك يا جيم؟"

تحدث مع العسكري الذي كان يبتعد عنه بضعة أمتار وهو من إسطنبول.

كان صوته قد خرج على شكل صراغ نصفي ومخرخر.
إننا نُخسّرُهم يا سيدِي.

كان الجندي الإسطنبولي مشحوناً بجو المعركة. كان يظن أن الرصاصات التي كان يرميها رشاً ودون (نيشان) تصل إلى أهدافها ولكن الرصاصات المخططة التي كانت تظهر في سماء المنطقة.. كان تأثيرها أقل بكثير من تأثير حشرات الليل. نظر الملائم الأول (البر) ذو الوجه المقطع إلى جماد العجارة نظر إلى وجه الجندي الجميل الذي كان يضفط على الزناد بقوة. من يدري كم هم عدد الذين ينتظرون عودته إلى البيت؟ حبيبته وجهها الندي يشبه وجهه الطفولي وأمه المبتسمة ووالده وآخرون غيرهم. أما هو.. على هاوية الموت.. غائب عن نفسه يحاول البقاء حياً دون أمل.

حدث انفجار قوي آخر.. كانت القنبلة قد أصدرت ضوءاً سماوياً لاماً. الجنديان اللذان كانوا قد عادا إلى وعيهما قبل فترة بدأ بالصراخ والعويل.. كان أحدهما (أويفار) أما اسم الثاني كان قد نسيه. كان ذهن (البر) يعطي ردات فعل غريبة. كان قد بدأ بنسيان تفاصيل بعض جوانب حياته.. كانت الشظايا قد ملأت أجساد الجنود الرافدين على الأرض. لم يستطع أن يفعل شيئاً غير النظر إليهم.. لم يستطع أن يتحرك. كان الملائم الأول يتلوى على الأرض ويدأت أذنه (تطنطنان) وربما سيكون عندهم بعد عدة دقائق.. هو بعد الآن جندي شهيد. أحس بأمن المكان الذي تمر منه الحياة قبل أن تحيا عليها. وتفاعل مع الموت دفعة واحدة. ربما يكون الموت آلة أو فزاعة للخوف ليس إلا مع العلم إذا ما تم فتح بابه سيلتقي أماناً وسكون بلا نهاية. أحس (البر) بأن الدماء تتزلف من أذنيه.

كان الطنين الذي يحس به قبل قليل.. قد ازداد قوة. كان صوتاً آخر.. كالنضاوي (النضوة) التي تضرب الأرض وكان مجموعة من الفرسان قد حللت من الصخور قادمةً نحوه.

اعطي النقيب (حقي) إيماناً كي يُوقف سائق الشاحنة "قف" كانوا قد مرؤوا لتهُم من زاوية إحدى الصخور العالية. فوق الصخور ثمة نباتات ضعيفة. أما السهل.. كان متعرجاً ولم يحس بالحيرة والدهشة لتحمل مجموعة صغيرة من

الجنود كل هذا الوقت وضمن معركة قوية. (لتضاريس المكان) لم يكن يشاهد بعد أرض المعركة ولكنكه كان يعرف أنه خلف هذه الصخور (أو هذه المنطقة الصخرية). قفز من الشاحنة.. وأشار بيده إلى الجنود كي ينزلوا.. بسرعة البرق غادر الجنود العشرون الشاحنة طلب النقيب نزول السائقين أيضاً كان يظن بأنهم لن يحتاجوا ثانية إلى هاتين الشاحتين بعد ذلك. ركض بسرعة ووقف خلف الصخرة ومدَ رأسه كان الجنود الآخرون قد اصطفوا خلفه على خط واحد. فتح النقيب عينيه بدهشة كبيرة.. ارتجف جسده.. أصابته رعشة.. عند ذلك اقترب منه الجنود وشدوا أيديهم على الأسلحة بشكل غير عادي.

أخرج النقيب خرخة من حنجرته وهو يقول: "يا إلهي" جاء الملائم قائد الفصيل الآخر واقترب منه ومدَ رأسه. هو الآخر كان وجهه قد صار مثل لباسه.

صعب على الإنسان أن يصف منظر اللوحة التي كانت تجري أمامهم، مئات من الأحزمة الضوئية كانت تهطل فوق مكان ضيق جداً.. وتحفي هناك كانت هذه البقعة المستهدفة تذكّرهم بمراحل إذابة الحديد. عندما تقترب الأحزمة الضوئية من بعضها كانت تأخذ شكل نار مستعرة على الدوام. عندما شاهد النقيب والملائم بعض الرصاصات المخططة تخرج من مكان تسُرُّ النار بدأت الدموع تسيل من عينيهما بفرازة ما زال هناك بعض الجنود الأحياء وربما يستشهدون في آية لحظة كان مكان تواجدهم يوازي نقطة المعركة كانوا على مسافة واحدة من الطرفين. جمع النقيب جنوده حوله وقال لهم:

- أولادي الأعزاء.. نحن لا نستطيع الخروج من هنا أحياء. إذا كان بينكم من يريد العودة ليقفز إلى الشاحنة ويعود إلى المركز. أنا لا أستطيع أن أحتمل هذه المسؤولية.

- كانت عيون الجنود قد امتلأت بالدموع. لا أحد يتحدث. كانت أصوات هدير الحوامات بينما بدا بالازدياد. كانوا سيرسلون الصواريخ إلى ذلك الجيب الدفاعي الصغير وينهوا العملية.

صرخ أحد الجنود بحدة: "مستحيل يا سيدى أو غير ممكن يا سيدى واشتراك الآخرون معه. كانت عيونهم فارغةً من الأمل ولكنهم كانوا ينظرون إلى قائدتهم

مثل الحديد، فتحوا جميعاً زر الأمان وعيروا بنادقهم على وضعية الرش.
كان معهم خمسة رشاشات آلية.. وجنديان كانوا سيستعملان راجمات
الصواريخ.

سنطلق قذائفنا إلى منبع الرصاصات المخططة دفعة واحدة. أما الصواريخ
أرسلوها نحو مصدر صوت الحوامات. وإذا ما رأيتم أي خيال أو حركة أطلقوا
نحوه.. وأنتم أحرار بعد ذلك.. وسأحاول جاهداً بكل ما أتاني الله من قوة أن أسرع
لمساعدة أي واحد منكم. افتحوا النار نحو هؤلاء القذرين.
أجابوه دفعة واحدة: "سمعاً وطاعة يا سيدى".

حمل النقيب جهاز اللاسلكي وفتح الخط مع مركز قيادة اللواء.
إلى اليوم.. هذه رسالتنا الأخيرة لكم. نحن الآن قرب جنودنا المدافعين عن
أنفسهم ونحن على أهبة الاستعداد لهاجمة عناصر الأعداء.. النيران كثيفة جداً..
عودتنا أحياء معجزة كبيرة.

احموا أنفسكم! هذه القوة الجبارة ربما نهاجمكم بعد قليل.. ليكن الله في
عونكم.

وأغلق الجهاز دون انتظار الجواب. تنفس الجميع الصعداء.
كانوا يعرفون ما الذي سيفعلونه. ولكن لم تكن عندهم أية فكرة عن
النهاية. لكن اليقين الوحيد أن هذا المكان سيتحول بعد قليل إلى بحيرة من الدم.
كانوا مجبورين لخداع العدو وتتنزيل أكبر الخسائر في صفوفهم. إذا فعلوا هذا
الشيء ربما يخلّصون أنفسهم أيضاً.

تفحص النقيب الأطراف بمنظار سلاحه /٨٨-١٦/، هو الذي كان سيبدأ
بطلاق النار قبل الجميع. ثم ستقوم المعمدة الكبرى كان يستطيع رؤية جنود
الأمريكيين من منظار سلاحه. بكل وضوح. كانوا قد (تخندقوا) بشكل جيد.
المعركة الآن بالنسبة لهم نوع من التسلية.. هذه السمة كانت مزروعة في وجوههم.
وكأنهم لا يخافون من النيران التي كانت ستتصبّ على رؤوسهم بعد قليل. لم
تكن طلقات الجنود الأتراك المجرورين تزرع الخوف في الأمريكيين، ركّز
النقيب الرشاش تماماً كانت أكثرية الطلقات المخططة تخرج من رشاشة وكان

هـة جنديان آخران إلى جانب رامي الرشاش.. كانوا يطلقان النيران نحو الأعداء.. بين وقت وآخر، وأغمض النقيب حقي إحدى عينيه وقال (بسم الله): وضفت على الزناد. مع انفجار (٨٨ - ١٦). قامت القيامة. كانت أذن الجنود قد صُمت. وكأنهم قد دخلوا أو نزلوا إلى داخل بئر أو جُب عميق. كانوا قد طرحوا ذلك الجو النفسي المقيت أرضًا. فلا معنى بعد الآن لا للأصوات ولا لغيرها. وكان كل واحد منهم بمفرده.. الطلقات التي أرسلها النقيب هطلت كالأمطار فوق الجنود الأميركيين.. وسكت الرشاش الآلي مباشرة.. كان النقيب حقي يشاهد الجنود الأميركيين المطروحين على الأرض يتلوون من الألم فإذا لم يكونوا مخطئين.. فقد هذه الصراخات تأتي من عندهم.. وكان ثلاثة منهم من الذين كانوا يتخدرون خلف الصخور.. قد أصيّبوا ولكنهم لم يموتوا.. على الأقل آخر جوهم من المعركة.

سمع النقيب جنوده يطلقون النعرات عبر أفواههم والنيران عبر أسلتهم.. التفت ونظر إليهم. منظر مرعب جداً.. حتى إنه لا يقاس بأي شكل من الأشكال بأفلام الرعب. وكان جنوده العشرون يطلقون النار وبغزارة نحو المنطقة الصخرية التي كانت تبعد عنهم مئة متر تقريباً.. بعض الأحيان (ينشنون) وبعض الأحيان يمشطون المنطقة كلها. أما رماة الرشاشات كانوا قد حضروا رشاشاتهم البلجيكية من ماركة (PN) كان هذا السلاح سريعاً ومخيفاً إلى حد كبير.. كانوا الآن يصبون الحمم على القوات الأمريكية من مكان تواجدهم بين الصخور. كانت الصراخات قد بدأت تتعالى من الأرضيات النائمة تحت الظلام. كانت النيران المرسلة نحو الجنود المجرحين قد انقطعت يجب أن يكون الجنود التابعون للفرقة (١٠١) للإنزال الجوي قد حصلوا أنفسهم خلف الصخور تجنباً للخسائر. في هذه الأثناء أرسلت الصواريخ تاركة خلفها دخاناً كثيفاً ملأ حلقة الليل، واتجهت نحو الأعداء ثم اختفت عن الأنظار.

كانوا يرون تفتق الصخور وتبعثرها هنا وهناك. في مكان سقوط كل صاروخ كانت أشعة القمر تظهر الأخيلة البشرية براقة. يجب أن تكون الصواريخ من ماركة RPG قد جرحت الكثيرين من الجنود الأميركيين. كانت الصراخات

قد صارت أكثر حدة.

عندما كان الجنود يغيرون مخازنهم خفت وطأة النيران بعض الشيء، اختفى النقيب داخل الظلمة قافزاً مثل الغزال بين أنظار جنده، كانوا يستطيعون سماع صوت أقدامه، بدأوا ثانية بإرسال النار نحو نقط تواجد الأميركيين.

كانت الصواريخ قد أرسلت ثانية نحو تلك المنطقة. كان الموقف بالنسبة لجنود الفرق (١٠١) قد أخذت منحى أكثر جدية وخطورة كانت الصراخات المتضاغطة تذكّرهم بالسمفونية كانوا قد أخذوا على حين غرة من أمرهم وبشكل سيء جداً.

ظنَّ الملازم الأول (البر) أنه يشاهد حلماً.. يجب أن يكون على وشك الموت.. كانت دماغه ترسل له مشاهد مفعمة بالأمل. كانت النيران المنصبة فوقهم قد انقطعت كليةً أما الآن فالصراخات تتعالى من جهتهم ومن أماكن تواجدهم. للحظة أو لوهلة قصيرة تبرعمت حبة أمل في روحه. إلا أنه ردّها مباشرة.. هو منذ الآن فصاعداً يجهز نفسه إلى المكان الذي صار يتبع إليه (عائد إليه) لم يكن عنده وقت مثل هذه الأكاذيب. نظر نحو أطرافه.. كانت أجساد الجنود الذين استشهدوا للوهلة الأولى.. عبارة عن أشلاء مبعثرة هنا وهناك.. كانت القذائف المتتساقطة على الدوام.. تجدهم كيما تحرّكوا. فجأة رأى خيالاً ضخماً يقترب منه.. تبرّعمت ابتسامة في وجهه.

يجب أن يكون هذا أحد الأعداء (الجسوريين).. يريد أن يقبض أرواح المتبقيين منهم. مد يده نحو سلاحه.. كانت ساعده ضعيفة جداً، كان يفكّر على أخذ هذا الشجاع معه قبل أن يموت.

أنا تركي.. النقيب حقي.. لا تطلقوا النار يا أولادي.

وصل الصوت إلى آذانهم في الوقت المحدد تماماً. عندما كانت يده على الزناد.. تمدد (البر) طولاً وعرضًا.. جثم الظل فوقه. وانحنى أمامه.. وبما أن عينيه كانتا مملوءتين بالدماء.. لم يكن يرى بما فيه الكفاية. ولكنّه فهم أن الواحد صديق من حرارة يده التي لمسه.. ما معنى هذا وما الذي سيتغير؟

صدر صوت قوي من مكان تواجد الأميركيين.. كان قوياً جداً، وكأنه قد

خرج من فم أفعى. طارت حزمة كبيرة من الضوء واتجهت نحو الصخور التي غادرها النقيب حقي.. وانفجرت.. تأثرت الشظايا والشrapnells نحو كل الاتجاهات.. صدر صوت قوي من فم النقيب (يا الله).

كان المصاروخ قد انفجر على الصخور التي ترك فيها جنوده كانت النيران قد انقطعت من هناك. النيران الأمريكية التي كانت قد توقفت بدأت ثانيةً كان الأمريكيون قد رموا عن كاهم الحيرة والدهشة.

وبدأوا بإرسال النيران إلى النقطتين دفعة واحدة. في هذه اللحظة تماماً، ظهرت حواة من خلف الصخور التي كانت تبعد عنهم عدة مئات من الأمتار. كانت الحواة قد ظهرت بسرعة من خلف الصخور وبدأت تمطر النيران - إلى مكان تواجد الأتراك وذلك برشاش (٢٠ م) كانت مساحة المعركة ضيقة بحيث أن نيران الحواة كانت قد أضاعت أرض المعركة كلها. تقابلت نظرات النقيب مع نظرات بعض الجنود الأمريكيين الذين كانوا لا يبعدون عنه كثيراً.

تصادمت النظارات التي لا معنى لها.. توقفت نيران الحواة.. و مباشرة بدأت الحزم الضوئية الكبيرة تخرج من أسفل جناحيها.. فذيفة خلف أخرى.. كانت المنطقة الصخرية التي غادرها السيد حقي قبل قليل قد تحولت إلى جهنم.. لم يكن يريid أن يصدق أذنيه.. ولكن أصوات الجنود الأتراك المحروقين. كانت تصل إلى أذنيه.

لم يكن قد تحدث بعد مع الملائم الأول (البر)، عندما رأى تلك الفسحة القصيرة من الراحة على وجهه.. عرف النقيب (حقي) أنه قد قام بأداء واجبه خير قيام. كانا يسمعان أصوات الحركات الميكانيكية الصادرة من الحواة. هذه الآلة الحربية القاتلة كانت قد تحركت بسرعة واتجهت صوب النقطة التي هم فيها وكانت على وشك أن تفتح النيران.. وإذا بصاروخ يخرج من بين الصخور التي كانت تشتعل قبل قليل وتصيب الطائرة من أسفل ذنبها. وبدأت تدور وتدور وهي تخرج دخاناً أسوداً. وبعد لحظات كانت قد تحولت إلى كرة نارية ضخمة يستطيع المشاهد بعيد جداً أن يراها. وكانت في الوقت نفسه ضربة حاسمة للجنود الأمريكيين.

كان السيد حقي قد عاد من الموت. وهذا يعني إنه سيعيش بضعة دقائق أخرى. بدأ جنود (١٠١) بإطلاق النار ثانية.. كانت الرصاصات تمر فوق رؤوسهم مصدرة أزيزاً مزعجاً. كانوا قد التصقا بالأرض تماماً. وبعد قليل كانت الرصاصات المخططة ستجدهما.

كان البر قد أغمض عينيه ينصلت إلى الطنين الذي يولم رأسه، أما وجهه فكان يضحك كان يحس بأنه محشور ضمن عبة معدنية ضخمة وفي عالم آخر. كانت الأصوات تقترب وتزداد مع كل تقدم كانت الصرخات تختلف عن الصرخات التي قبلها. ثمة رؤية تشكلت أمام عيني (البر).. سواد يقترب نحوه من بعيد.. كان يكبر باضطراد وثمة انفجارات تسمع. ولكن السواد يتسع دون أن يُظهر تغييراً فيه ويقترب منه أكثر.. كان قد بدأ على تمييز الأصوات.. يسمع أصوات خيول. الآن كان يستمع إلى سمفونية ضخمة تعزفها آلاف من أصوات النضاوي إحساس الوحدة الذي كان في أعماقه ترك سيول النشوة تفجر من وجه السماء وتهطل فوقه كالأمطار. تزرع الأفراح في روحه. الآن يستطيع أن يميّز الخيول. وكأنها تجتاز الحاجز بأجنبتها.

صدر صوت من حلقومه (يا إلهي...) كان يراهم، نزلت الدموع من عينيه.. صرخ (هم!).. كان الجنود الأتراك يمطرون الخيول الطائرة.. يقدمو.. نظراتهم نحو الأمام. كان الملائم أول (البر) قد شُلَّ - لم يكن يقدر على الحراك. لم يكن يستطيع أن يُعرف السعادة التي في أعماقه.. كان يعلم بأن الإحساس الذي يعيشه خاص به فقط، لم يعش إنسان قبله في هذا العالم. فجأة أصبح وجهه مشاءً.. جفَّ حلقومه.. ثمة لمعة برق خرجت من ذهنه. وثمة صوت ملأ المكان كصدى الرعد. وقبل أن يعم الظلام في كل مكان.. التفت ونظر خلفه.

كان الصاروخ الذي انفجر.. قد قتل الجميع.. نظر السيد حقي إلى ساقيه الممزقتين. كلاماً ليس في مكانه.. ابتسם. سحب سلاحه وأطلق بعض الرصاصات نحو الجنود الذين كانوا يقتربون منه. اصطدمت بكتلة ضخمة من الحديد.. وبعد ذلك سرى في جسده خدر عميق لفَّ جسده.. كانت عيناه تتظران إلى التراب، وكان فمه قد ملئه به.. كان يحسُّ بهم.. تجمعوا حولهما. يراقبون المكان بدقة متناهية.. كانوا يطلقون النار على أجساد جنود الأتراك المستشهدين وعندما وصل الدور إلى النقيب توقفوا. كانوا قد أحسوا بأنه على قيد الحياة.. ثم سمع صوت انفجار واحد.

٢٣ آيار ٢٠٠٧ الساعة ١٤٠

مركز قيادة لواء المشاة البحرية المؤقت

شمال شرق سكركولك

كانت الأصوات الصادرة من جهاز اللاسلكي لا تتحمل أبداً قائد اللواء والضباط الذين اجتمعوا حول طاولة المقر.. كانوا في حالة من اليأس المطبق.. لا يدرؤن ماذا سيفعلون. يستمعون إلى صوت المعركة التي تدور رحاها قريباً منهم كل الجنود الذين ذهبوا إلى هناك لم يطلبوا عوناً من المركز وإنما كانوا قد فتحوا هذا الجهاز لغاية أخرى وكانوا يعرفون أن كل واحد منهم (أي كل جندي دخل إلى المعركة) سيقف وجهاً لوجه مع قدره. كانوا يموتون رويداً رويداً أمام شهادة عناصر مركز القيادة.

كانت الأصوات قد بدأت بالتقross. وفي كل الأحوال كانت بعض الطلقات تسمع بين حين وآخر عبر جهاز اللاسلكي الذي ظل مفتوحاً. كان جميع الضباط في مركز القيادة، حتى الفريق (إحسان) قائد اللواء، يبكون. كانت الدموع تنزل بغزارة من عيونهم. لم يكن باستطاعتهم فعل أي شيء كانت هيئة الأركان العامة قد سرت كثيراً لعدم دخول اللواء بأكمله إلى المعركة. كانوا لا يريدون أن تكون هذه الحادثة سبباً لحرب طاحنة بين الطرفين ولكن تحليل هذا الموقف كان سيأخذ وقتاً طويلاً.

"أعلمنا بال موقف الأخير للمعركة يا بوم تمام."

كانت كلمات رئيس الأركان العامة الجنرال (حكمت بارس) حادةً وأمرة.

انتهت المعركة يا نسر.. جنودنا استشهدوا.. تمام.

كانت كلمات (إحسان أر) تقيد وتعطي معاني كثيرة.. كان صوته قد ضاع بين حشرجات اللاسلكي.

- فهمنا يا بوم خذوا حذركم تماماً وحاولوا البقاء على قيد الحياة بكل

السبل والوسائل.. سنعمل كل شيء حتى نخرجكم من تلك الجهنم.. تمام.

- نسر.. ما هي أوضاع الوحدات الأخرى المتمركزة في شمال العراق؟ تمام..

- بوم.. الأمور ليست على ما يرام.. لواءان اثنان (محشوكان حشكأ). لا يقدروا على المناورة. إذا حاولا التحرك سيكون وضعهما كوضعكم تماماً.. تمام.

- ماذا نفعل؟

ابقوا في مجال الدفاع.. اتركوا الجنود ينتشرون بين الأرضي وليحفروا خنادق لأنفسهم.. دققوا على المضادات الجوية.. وإذا ما حاولت أية وحدة الاقتراب حاولوا بقدر المستطاع إبعادها عنكم. إننا نناقش إذا كان في مقدورنا إخراجكم من هناك بالحوامات.

- لا ضرورة لذلك.. إذا أمرتنا بالعودة إلى الوطن.. نعود.. لا ضرورة أو لا داعي لعرض الحوامات للخطر.. لا أحد يعرف كيف يتصرف هؤلاء الأوغاد. تمام.

- أنت محق يا باشا.. في هذه الحالة ابقوا حيث أنتم.. وتخندقوا على أكمل وجه.. انشروا الكتائب.. سرية.. سرية.. وجهزوا أنفسكم لمعركة (كوماندو) حقيقة.. تمام.

- فهمنا يا سيدي.. تمام.

اتجه الفريق (إحسان أر) نحو قادة الكتائب والسرايا. كان الخوف قد بدا جلياً في وجوه الجميع.. كان الموقف يسوء مع مرور كل دقيقة وثانية.. كانت خسائرهم استشهاد خمسة وثلاثين جندياً.. ولم يكن باستطاعتهم فعل أي شيء.

- اذهبوا يا أولادي على رأس وحداتكم.. وتخندقوا في الأمكنة التي خططت لكم.. خذوا حذركم جيداً وتخندقوا على أكمل وجه. وزعوا السرايا.. واتركوا مسافة ثلاثة متار بين كل سرية وأخرى.. ولتحفروا الخنادق.. ودعّوها ضد الهجمات الجوية. ربما سنبقى هنا بعض الوقت.

- هل دخلنا المعركة يا سيدي؟

كان في صوت النقيب قائد السرية نوع من الحزن وال慷慨.

هذا الإحساس ناتج من ترك أشياء ما في الخلف.

قال قائد اللواء الجنرال (إحسان أر) هازاً كتفه:

لا نعرف يا بني.. ولكن أعتقد أن معرفتنا لن تطول لحظات.
غادر الضباط الخيمة بسرعة وركبوا سياراتهم (الجيب). لأنهم مسؤولون عن
جنودهم.. كانوا لا يقدرون على تسمية العدو الذي أمامهم.. أعداء.. وليس من شك
في قوتهم.. وكانوا يستعملون هذه القوة دون تردد.

CNN انترشيوナル - معركة في شمال العراق مات ١٢ جندياً أمريكياً وجرح
٣٠ جندياً.. وقد صرخ المسؤول العسكري الأمريكي بأن القوات الأمريكية قد
قتلت ٢٥ جندياً تركية لأنهم هجموا على قواتنا.

أعلن المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض بأن الحكومة الأمريكية قد
أبطلت المحادثات الثانية التي كانت قد قررت سابقاً بسبب التصرفات العدائية.
قال الرئيس: إننا ندين وبكل شدة تصرفات الجيش التركي العدائي. لأنها
جاءت في مرحلة كنا نود فيها حل مشاكلنا مع الحكومة السورية وسنقوم بكل
ما هو مطلوب.

واعتباراً من هذا اليوم تحركت القوات الأمريكية ودخلت من الحدود ولا زالت
تقدما نحو العمق السوري.. وقالت وزيرة الخارجية كونداليزرايس: إن مرحلة
الأسد على وشك أن تنتهي، والشرق الأوسط تأخذ شكله النهائي بسرعة كبيرة.
كانت الحكومة الأمريكية قد نددت بالحكومة التركية لأنها قد زادت من
تواجدها العسكري في شمال قبرص إلى أكثر من ستين ألف جندي وقال المتحدث
الرسمي باسم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية:

منذ أن قطعت الحكومة التركية علاقتها مع الاتحاد الأوروبي. بدأت تنزلق
نحو المعسكر الآخر.. ضد المدينة والحضارة.

وكانت الحكومة التركية قد سحبت سفيرها من واشنطن لإجراء المشاورات..
بعد مناقشة الكونجرس الأمريكي لقانون إبادة الأرض في تركيا.

٢٣ أيار ٢٠٠٧ على ساعة السرق الأوسط ٠٢٠٠
على ساعة أمريكا - بنراسكا ٢٢ أيار ١٤٤٠
أوفوت - نبراسكا - الجيش الأمريكي
مقر القيادة الإستراتيجية

كان مجموعة من القادة العسكريين المتميزين الأمريكيين يعملون في رسم الخطوط الأولية للعملية التي ذكرناها آنفاً. ويتصلون مباشرة بـ CENTCOM القيادة المركزية ويجتمعون مع بعضهم اجتماعات قصيرة. يقع هذا المقر قرباً من أوفوت في ولاية بنراسكا الواقعة في منتصف الولايات المتحدة الأمريكية.

كان أربعة من الضباط الكبار وكلهم جنرالات قد اجتمعوا في غرفة صغيرة من الطابق الأرضي من البناء التي فيها مقر القيادة الإستراتيجية.. كانوا يتناقشون وبحرارة فوق مجموعة من المخطوطات (الخرائط) المنشورة فوق إحدى الطاولات.

بالأصل هذا المكان يستخدم لتحليل العمليات الحاصلة بنظرية ثانية.. وكان هؤلاء الجنرالات الأربعة من أبرز الجنرالات في الجيش الأمريكي ومن أكثرهم استشارة في المواضيع السياسية.

- "في الوقت الذي ندخل فيه إلى الأراضي السورية يجب لا توقف أبداً هذه حركة صاعقة.. وتوقيتها مهم جداً. يجب أن نبدأ بداية حسنة.. في الوقت الذي نبدأ فيه بالحركة يجب أن تُصنف شمال العراق من كل العناصر الغريبة. في هذا الوقت بالذات يجب أن تدخل الوحدات إلى سوريا.. وتتقدم دون أن تقطع من سرعتها في هذه الأثناء يجب أن تتجهز القوات الجوية والبحرية والطائرات البحرية.. لتطلع طلعاتها المسلية".

- "كم من الوقت نحتاجه كي تُصنف شمال العراق من العناصر الغريبة؟ - خلال يوم أو يومين.. تنظف تلك المنطقة في هذه الأثناء تقدم القوات الرئيسة نحو أهدافها. في الوقت نفسه تكون قوات الاستطلاع قد وصلت إلى الحدود.

والاحتمال الأكبر لن يجدوا مقاومة هناك.

- وماذا ستفعل سوريا؟

- طبعاً.. لا شيء. تم الاتفاق مع الأسد حول كل الأمور ستسحب القوات السورية لفترة من الوقت إلى ثكناتها أصلًا إذا لم يقبلوا هذه الخطة.. سيحفرون قبورهم مكان الثكنات.

- نعم يا جنرال.. يجب أن نطبق عملية (العاصفة المعدنية) بشكل سريع حتى تكون عملية الضغط الخاصة (CENTCOM) مؤثرة بشكل كبير.

- يجب ألا يبقى أمامنا قطعة عسكرية نظامية واحدة.

- جنرال.. هل قلت قطعة عسكرية نظامية؟ إذا وضعنا نصب أعيننا القنابل التي سنرميها.. بأعدادها وقوتها أعدك بأنه لن يظل أمامنا حتى كلمة النظام بمفردها.

- لن يبقى أي شيء على الإطلاق.

- هذه عملية تاريخية.

وكما قال الجنرال ستريك. يجب أن نحارب كل منهم على حدة وغير ذلك لن نربح المعركة. يجب أن نهدم كل الصور والمخططات القابعة في أذهانهم حتى لا يفكروا بالمقاومة.

- بدأ الجيش التركي يفقد صبره.. إنهم يحسون بشيء ما.

- نعم إنهم يحسون وسيعودون إلى مقاومتنا.. يا إلهي.. كم هو جميل أن يظل في هذا العالم جيش مثل جيشنا.. وليس عندنا أقل شئ بأنهم سيحاولون الدفاع عن أنفسهم.

- سنستطيع رؤية قوتنا الحقيقة.. فكروا .. جيش لن يتقهقر لن يتراجع ولن يستسلم.. ويعرف ماهية المعركة سيكون أمامنا جيش من الأبطال.. منذ وقت طويل وأنا أتخيل ذلك.

- لا تظنو أن من السهل القبض على مركز التوازنات العملية. هناك ستتقابل مع أشياء لا نعرفها.. والحقيقة إن ما يقلل من راحتي أو يزعجني هو أن نرى أنفسنا مرتاحين على الدوام.

- هل نعرف أحداً لا يعرف قوة قنابل **R slaye** ؟

- يا إلهي.. إن مجرد التفكير به مخيف. عندما تتفجر هذه القنبلة تحس بضغطها من على بعد كيلو مترات.. لا تترك شيئاً أبداً على مساحة كيلو متر واحد.. ثم فكروا بالجنود المستهدفين.

- وبـ **BO2 وB2** ؟

- كل شيء جاهز كل شيء.

- تماماً عشرة أيام نعم عشرة أيام لن يتوقف القذف أبداً ستنفذ كل مكان حتى الأمكنة التي لا تخطر على بالكم.. لن تتوقف الطائرات أبداً.. لا أحد يفكر بتخفيف الضربات بأي شكل من الأشكال.

- عندما تتوقف الغارات.. ماذا سيفعل البشر. اترك حمل السلام إنهم لن يتحملوا حتى انفجار كيس من البلاستيك. يجب أن نهدم نفسية الشعب التركي من أساسه.

أثناء الاجتماع طرق الباب.. ودخل جندي ووضع ظرفاً فوق الطاولة دون أن يقول للموجودين شيئاً، ثم ضرب تحية وخرج من الغرفة بسرعة.. قام أحد الجنرالات.. وفتح الطرف ودقق ما بداخله. وابتسم.. وألقى الملف الأسود فوق الطاولة وقال:

- إن حركتنا قد بدأت أيها الزملاء أعطيناهم الخسائر الأولى.. وكل وسائل الإعلام العالمية صار لديها علم بذلك. والأتراك هجموا على قواتنا بشكل سافر في شمال العراق. ولكنهم لم يصلوا إلى النهاية التي كانوا يتوقعونها.. ثم قتل خمسة وثلاثون جندياً من المعدين.. لقد بدأت عملية العاصفة المعدنية.

٢٣ آيار ٢٠٠٧ الشرق الأوسط

الولايات المتحدة الأمريكية الشاطئ الشرقي ٢٢ آيار ١٤٥٠

البيت الأبيض - واشنطن

كان الرئيس واحد مستشاريه ويدعى (جاك أرغوسيان) يدققان التقارير الأولية الصادرة حول العملية. وعلى التلفاز المفتوح ذي الصوت الضعيف كان المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض السيد (سيتوراث موغان) يقرأ المتن المجهز قبل ساعات من الآن بصوته المؤثر ذي (الطنونج) العالي. كان يندد بالعملية العدائية التي نفذها الجيش التركي ضد الجيش الأمريكي دون مراعاة الصدقة الموجودة بين حكومتي أنقرة وواشنطن.

دخل وزير الدفاع السيد (رونالد رامسفيلد) إلى الغرفة.. كان مضطرباً ومحائراً. وكان ثمة أشياء يجب أن يتحدث عنها مع الرئيس. وضع الرئيس يديه على رقبته من الخلف وتراجع نحو الوراء وقال:

- كيف حال الموقف الآن.. هيا اشرح ما عندك؟

- سيدى الرئيس إن (هوارد) في طريقه إلينا. سيعطيكم شرحاً خاصاً .Prifing

أشار (رامسفيلد) بيده إلى الشخص الواقف على الباب.. وهو من قوات الأمن المدينة. أدخل الموظفون الآلة التي تسمى barkovizyon وجهزواها مباشرة.. الظاهر أن رئيس الأركان السيد (هوارد ستريك) سيعطي شرحاً ملخصاً وسريعاً بعض التطورات.. راقب الرئيس ومستشاره (أرغوسيان) التجهيزات الحاصلة أمامه بحركات لا معنى لها.. بعد أن أنهى الموظفون المدنيون أعمالهم غادروا الغرفة سريعاً كانت ثمة خطوات قوية تسمع في الكورidor.. صاحب هذه الخطوات يجب أن يكون قوي البنية والقلب.. ظهر هوارد ستريك على الباب كان على وجهه إفادة

حالكة.. وبعد أن حيَا الموجودين تحية عسكرية قوية برأسه. انتقل إلى أمام الشاشة.. وقام بتشغيل الجهاز. لم يكن في الغرفة سوى أربعتهم:

- سيدى الرئيس إن عملية (العاصفة المعدنية) قد بدأت اعتباراً من هذه اللحظة.

ثمة ابتسامة خفيفة ظهرت على وجه الرئيس.. الأمور تسير على ما يرام. إن ابتداء هذه العملية معناه نهايتها أيضاً والموقف الدولي والعالمي لن يكون أحسن مما عليه الآن. الاتحاد الأوروبي يحاول تمزيق نفسه. والروس منشغلون بالأحداث الجارية في أوكرانيا وقفقاسيا. الشيء الوحيد الذي كان يخشاه هو المعارضة الداخلية.. ولكنها هي الحواجز قد رفعت تماماً..

ليس أمامه الآن سوى الأتراك.

- إن فرقة الخيالة الأولى قد دخلت وبكل عناصرها إلى الأراضي السورية وخلال يومين ستقطع نهر الفرات وتتوجه نحو الحدود التركية.

- وأعتقد أنها ستصل غداً على محاذاة (لواء إسكندرон) هاتاي.

اتجهت نظراته نحو الموجودين في الغرفة. لكنها أُقتلت في عيون الرئيس الذي ينتظر منه المستحيل. كان سيقوم بمهامته. دون أن يفكر بنتائجها.

- سيدى الرئيس.. هذه الفرقة ليس الوحيدة التي ستتحرك نحو الحدود.. سيتم إزالت عناصر الفرقة الخاصة بالإنزال الجوي ٨٢ بالحوامات والطائرات قريباً من لواء إسكندرон وسيعودون إلى تركيز أنفسهم خلال يومين ثم بعد ذلك سيتحركون نحو الأهداف الأخرى يا سيدى.

- يعني؟

- هدفهم الوحيد هو إسطنبول.

كان (هوارد ستريك) يتحدث وكأنه لا يتفسّر أبداً..

- ثم إن فوق الخيالة الثالث المدرع سينشر مدرعاته إلى يمين الفرقة الخيالة الأولى.. المقابلة للحدود التركية على شكل قوس ثم سيعمد إلى التقدم نحو الأراضي التركية.. أي أنهم سيحملون أجنحة الوحدات الأخرى يجب لا ننسى تاريخ الجيش التركي.. أي فراغ سيحصل في الأجنحة.. معناه نهاية أولادنا هناك.

- اترك الآن هذه النفمة السوداوية وأخبرنا.. ماذا سيحصل في العراق.
- والحقيقة كان الرئيس يتحدث مازحاً. ولكن ثمة تعبيرات أخرى أكثر جدية كانت ترتسم على وجهه الوسيم. الرأي العام لم يره إلا مبتسماً حتى في أسوأ الأوقات.. عندما كان يبتسم كان يذكر الإنسان بوجه متهر خظير.
- أكمل هوارد ستريك كلامه دون أن يصدر منه رد فعل لهذه المزحة:
- العمل في العراق، ستحله (الفرقة ١٠١) للانزال الجوي. وطبعاً...
- نعم أحببت هذه النقطة.
- ستعمد الطائرات من طراز ١٢٠ - C إلى رمي قنابل (سلايلر) ذات الخمسة عشر طناً. هذه القنابل تتفجر فوق سطح الأرض بقليل هذه القنابل ستromي فوق الألوية والقيادات. ولا ننتظر أن يظل شيء ما هناك.
- والموقف في البحر الأبيض المتوسط؟
- يتدخل (رامسفيلد) بالحديث وكأن الخطة المرعبة التي سمعها قبل قليل لم تؤثر عليه:
- خمس حاملات طائرات وعشرون (داستورير) وفرقاطة وثمة غواصتان حاملتان صواريخ نووية.. تدوران على شكل دورية.
- وهل ننتظر ردًا نووياً؟
- بالأصل.. أحضرنا تلك الرؤوس النووية بعد انتهاء الحرب الباردة، وفككناها والرؤوس الموجودة بيد الأتراك أعتقد أنهم قد سيطروا على الموقف قبل شهور وأفتوها. ولكن إذا كانوا يملكون رؤوساً دون علمنا وإذا أعطونا ردًا بهذه الرؤوس فهم يعرفون أننا سنخاطبهم باللغة نفسها.. ولا يملكون صواريخ عبرة للقارب والمحيطات.
- وإذا بقينا في موضوع العراق؟
- بعد قليل ستتحرك الحوامات الضاربة. وستضرب لواء البحرية المشاة التركي.
- في هذه الأثناء ستتحرك الدبابات التابعة لفرقة المشاة الرابعة وستهاجم مركز قيادة اللواء الخاص والكتائب المنتشرة حولها في منطقة (هكارى) وستعتمد إلى بعضهم في الأرضي. والاحتمال الأكبر أنهم يتبعثرون الآن هنا وهناك. أما دبابات

فوج المدرع الثالث فستهاجم اللواء العشرين المدرع التركي وستبيد كل دباباته..
طبعاً بإسناد من الحوّامات.

- وماذا عن عملية الشفق القدس؟

هذا السؤال جاءه من (ارغوسیان) مستشار الرئيس لأنهم كانوا في نهاية مرحلة التحقق **diasporas** من المشكلة الأرمنية. أكمل هوارد ستريك دون أن يبالي بكلمات مستشار الرئيس: هذا الشيء نفعله لأول مرة. إننا نفرق بين حروب البر والجو والقذف الجوي ستبداً أيضاً مع بداية التحرّكات والمعارك البرية ولكن القذف الجوي ستكون داعمة للحرب النفسية أكثر.

توقف وأخذ نفساً طويلاً. الآن كان يجمع بعض المعلومات الأخرى في ساحة أخرى من ساحات دماغه.. عاد ثانية والتعم مع خريطة تركية التي كانت أمامه.
- كل الذي تحدثنا عنه حتى الآن خاص بالمناطق الغربية والوسطى والشرقية.

ولكن الهدف الأكبر. مدينة واحدة وهي الشريان الحيوي للدولة.
نظر رئيس الأركان وبذقة شديدة إلى وجوه الموجودين في الفرففة: هذه المدينة تستطيع أن نسميها أيضاً /قلب العالم النابض/ وهي إسطنبول.

أحسْ (رونالد رامسفيلد) بتحرك شعرات جسده. وكأنهم يتحدثون عن مكان مقدس والحقيقة لم يكن يعرف سبب هذا الإحساس الذي انتابه.
وكان شعوراً سرياً مرتبطاً بنقطة ما في ذاكرته ونائماً في أعماق جينات جسده. جعل من ذلك الإحساس يعيش في داخله.. وهو أن إسطانبول عائد له.. وملك له وكلمة إسطانبول بمفردها تعني له الكثير. وأكثر من كل شيء تذكر (روما) ورموزها والهيئات الرسمية لدولته. كان يشعر الذي كان يحس به كان بتقارب طبيعي بينه وبين إسطانبول.

- عند ضرينا لهذه المدينة يجب أن نتصرف بدقة شديدة يجب لا تقابلنا أية قوة على الإطلاق.. نحن مجبورون على قصف هذه المدينة بكل ما نملكه من الأسلحة.. حتى /الإنزال الجوي ٨٢/ هدفه إسطانبول أيضاً والفرقة ١٠١ وبعد أن تهوي عملها في أنقرة يجب أن تتجه نحو إسطانبول أيضاً. في هذه الأثناء نريد أن نرسل المشاة البحرية إلى هناك عن طريق البحر.. ولكن لا أدرى.. وكما تعرفون أنتم مضيق

(جنة قلعة)*

وقف الرئيس على قدميه وقال: لقد تم تجهيز مكان خاص لمراقبة هذه العملية في CENTCOM الآن سنذهب إلى ذلك المركز.. ما في نوم حتى انتهاء هذه العملية يا (دون). (يقصد رونالد رامسفيلد) وكأنه لا يريد أن يسمع المزيد من هوارد ستريك. وفي الوقت الذي كان يأخذ فيه الملف من فوق الطاولة.. قال موجهاً كلامه لمستشاره (أرغوسيان):

- ليبق ديك في واشنطن بعد عودته من أستراليا.

كان يريد مراقبة المعركة من مركز CENTCOM الموجود في ولاية فلوريدا.

اتصل الرئيس من (ايروفورس أون) إلى (أدريان الثالث ليناما) في شيكاغو. كان هذا الشخص غير المعروف من قبل الرأي العام. يُعد من أقوى الشخصيات العالمية. وهو أحد الشركاء الأربعة السررين للشركة التي تعمل في مجال الطاقة والمعادن وهي شركة متوسطة.. فاعليتها في هذه الأيام قليلة وتسمى Orineon أورينكون كما وأنه من أكبر المترعين للكنيسة التي ينتمي إليها الرئيس وهي كنيسة آفان غاليس (آفان غاليس).

ويُعد هذا الشخص أيضاً أي (ليناما) من أهم المخططين السررين للحرب على تركية.. ويجب أن تصل إليه الأخبار أولاً بأول ولا ننسى أن هذا الشخص هو من أكبر الداعمين للرئيس من الناحية المادية. ثم إنه كان ينتظر هذه المعركة منذ أكثر من أربع سنوات.. ويقال إنه أقسم أو حلف بأنه سيعمد إلى بناء كنيسة ضخمة في إسطنبول من كنائس Evangalist.

وكان يردد دائمًا هذه الكلمات:

"لا تنسى نحن نريد هذه الأرضي وليس الذين يعيشون فوقها".

*

* يعبر عن خشتيه من تلك النقطة وربما تذكر معركة جنة قلعة المشهور بين الأتراك والإنكلير - المترجم.

كان رئيس الأركان العامة لا يفارق جهاز اللاسلكي المفتوح في مقر القيادة أبداً.. كانت الأخبار تأتيه تباعاً من قيادة لواء المشاة البحري المتمركز في شمال العراق. حول العمليات والمعارك التي كانت تدار الآن هناك.. كانت القيادة قد أعطت (الإنذار الأحمر) حتى تجتمع الحكومة لتوها. كان رئيس الوزراء (طيب أردوغان) وأعضاء المجلس الوزاري المتواجدون في أنقرة. كانوا سيحضرون إلى مقر القيادة العامة. حتى إن وزير الخارجية (عبد الله غول) كان قد توجه فوراً إلى واشنطن مع هيئة مكونة من ستة أشخاص. كانت الأخبار قد انقطعت في الدقائق القليلة الماضية. آخر الأخبار كانت تشير إلى استشهاد خمسة وثلاثين جندياً.. كانت الأخبار تتواتر من الوحدات المتقدمة إلى القيادة الأولية ومنها إلى مقر القيادة العامة في أنقرة. الأجواء مضطربة ولكن الأمور على أرض الواقع تُشير إلى عكس ذلك. لأن المعلومات التي كانت تأتي من عموم أنحاء تركية عن طريق (شبكات الخطوط العusive الفiber) تهطل على الشاشات ومحطة التحليل المباشرة.

انقل حكمت باشا من الغرفة المخصصة لل الاجتماعات إلى غرفة صغيرة مجاورة. في هذه الغرفة ثمة طاولة وعليها خرائط كل من سوريا والعراق وتركيا. وقف أمام الطاولة وركَّ نظراته على الخرائط.. بدأت الأضواء تضيء على الخرائط كانت المعلومات تتنقل وتتجمع على الخرائط عن طريق بعض الترتيبات الإلكترونية كانت الوحدات التركية والأمريكية قد حددت على الخريطة.. نظر إلى العراق.. كان المشهد مخيفاً بالنسبة إلى رئيس الأركان الجنرال (حكمت بارس). كانت الوحدات قريبة من بعضها كثيراً.. قبل فترة قصيرة كانت قد حصلت معركة شديدة بين الطرفين وكانت من نتيجتها موت عدد كبير من

الجنود الأتراك. كان يستطيع الرؤية بأن هذه المنطقة ستتحول خلال فترة قصيرة إلى إطار من الدم.

مررت الدفائق بسرعة.. كانت ثمة معطيات متواترة كثيرة تسيل أو تتدفق من المنطقة. القوات الأمريكية المستحكمة على الحدود السورية.. قد اجتازته وصارت ضمن الأراضي السورية وتتقدم بشكل سريع دون آية مقاومة والحوامات التابعة للإنزال الجوي ٨٢ كانت تنقل آلاف الجنود إلى داخل الأراضي السورية. الجيش الأمريكي هو جدأ. وليس من المستحيل أن تقوم القوات الأمريكية بالهجوم على تركيا وسوريا في وقت واحد. ولكن ذلك صعب جداً. لم يكن حكمت باشا يفهم حتى الآن. لماذا هذا التصرف الغريب من قبل صديق قديم وعلى مدى عشرات الأعوام وبشكل لا يرحم أبداً.. هذه الأفكار ربما لن يُصرح بها إلى أحد.. ولكن ربما يتتحول الأمر إلى وضع أسوأ. إذا تطورت الأمور إلى معركة شاملة.. فهذا يعني أن كل الإنجازات التي حققتها الجمهورية طارت هكذا وصارت هباءً منثوراً.

وهذا الشيء لن يأذن به حكمت باشا.. ولكن كيف؟ كانت القنوات التلفازية العالمية قد قطعت برامجها.. كانوا يعرضون تفاصيل هذه الحادثة.. و摩وجة من الانفعالات قد لفت العالم والأتراك الذين كانوا يعيشون في كل مكان من العالم قد خرجوا إلى الشوارع لا يقدرون الصبر على هذا الظلم. لا أحد يفعل شيئاً ولكن الخطوط الهاتفية الدولية كانت قد أغلقت.

كانت وكالات الأنباء العالمية قد بدأت تنقل خبراً مفاده أن روسيا قد دعت الأمم المتحدة كي تعقد اجتماعاً استثنائياً ومستعجلأً. في الوقت الذي كان فيه الجميع يظنون أن العملية العسكرية الأمريكية ستكون ضمن نطاق الأراضي السورية فقط.. ومع توافر الأنباء عن التدخل التركي، قد تحركت وبقوة مراكز القوى العالمية الأخرى. لم يكن أحد ينتظر مثل هذه التطورات.. عنصر المفاجأة قد استعمل بشكل حاد جداً. وكانت المجتمعات تعقد على الدوام وفي آية ساعة. كان الوضع في العاصمة السياسية الأخرى خطراً إلى أبعد الحدود.

كان قادة القوات العسكرية قد اجتمعوا في مقر القيادة العامة. كان وارتدى الجميع ألبستهم العسكرية الحربية.. كلهم جديون وديناميكيون (أو هكذا

كانوا يتراءون) ومعنىاتهم عالية جداً وكل واحد منهم جهز نفسه وكأنه سيدخل المعركة في آية لحظة. كانوا يحاولون إعطاء بعض الراحة لأنفسهم في غرفة الخرائط مع الثنائي: الشاي والسيجارة! حتى الذين كانوا أعداءً مع السجائر في حياتهم الطبيعية (العادية) قد اشعلوا سيجارة.. قال حكمت باشا وهو ينظر إلى قادة القوات:

- ولنت بمماذا تفكرون؟
- الوضع سيء يا سيدى.. أنا شخصياً اقترح سحب قواتنا من العراق وبأسرع وقت..
- عند ذلك نكون نحن من بدأ بالحرب.
- إذا لم نبدأ بالانسحاب.. وإذا لم نخترق القوات الأمريكية من وسطها فمعنى ذلك أن الويتنا الثلاثة ستتبادل عن بكرة أبيها.
- هذا كمين خائن هذه الألوية من أفضل ما عندنا. وربما لا تنجح في الانسحاب.. لأن القوات الأمريكية قوية ومتحركة في المنطقة.
- لا تستطيع القوات الجوية المساعدة؟
- تستطيع المساعدة.. ولكن هذه أيضاً تفجر المعركة.
- لنترك هذا الشيء الآن.. ماذا نستطيع أن نفعل بالقوات الجوية؟
نستطيع أن نفتح لنا طريقاً بضرب العناصر الأرضية. وإما..؟
- نعم.
- إذا كان هذا العمل ذاهباً إلى المعركة.. يجب أن تتحرك مباشرة مع القوات الجوية ونحن مجبورون على ذلك.. إذا تأخرنا فقواتنا الجوية ستتسرّع كثيراً.
- يعني تتحدث عن ضربة جوية شاملة؟
نعم يا سيدى.. نهجم على تلك المنطقة بكل طاقتنا. وتعقبها هجوم بالقوات البرية.. وبفضل هذه الحركة تتشرّد القوات الأمريكية ويُصيّبها الضعف ونحن ننسحب إلى حدودنا.. ونقابل هجماتهم هناك.

- هل تعرف معنى هذا يا باشا؟

أعرف يا سيدي.. وأعرف ما يدور في عقلكم وذهنكم من إفادة وجهكم..
الوضع سيء جداً.. هذه هي الخطوات الأولى لنكون أو لا نكون.

نظر حكمت باشا إلى قادة قواته. كلهم يعرفون أن ابن قائدتهم (اركان) موجود على رأس الألوية الموجودة في العراق.

- هذا القرار لا نعطيه نحن. بل الاقتدار السياسي.. الحادثة هي مسألة بقاء
النظام أو عدمه.

- يجب أن نكون سريعين يا سيدي.

اشتعل ضوء جديد على الطرف اليساري للطاولة. الأخبار الواردة كانت تقييد
وتظهر بأن الوحدات التابعة للفرقة ٨٢ للإنزال الجوي قد تم إنزالها على منطقة
الحدود القريبة من لواء إسكندرون. وعشرات من الحوامات من طراز (آباتشي) ٦٤
- AH قد بدأت تحوم في سماء تلك المنطقة، هذا تقدم سريع لا يصدقه العقل..
وبعد المناوشات التي حصلت بين الأتراك والأمريكيين كانت ثمة قوة كبيرة تنزل
قريباً من الحدود.

والفرقة الخيالة الأولى. فعلت الحركة نفسها. وتقدمت بأقصى سرعتها كانت
هذه الفرقة ستتوقف للتزويد بالوقود إلا أنها لم تفعل ذلك وبقيت مئات الدبابات
والعربات المدرعة من طراز M1A2 تتقدم بشكل سريع داخل الأراضي السورية
وهي تقيم الدنيا ولا تهدئها.

- ثمة إحساس في أعماقي. بأن هذه الحرب ليست من الحروب العادية التي
نعرفها.

نظر قادة القوات إلى وجه رئيس الأركان نظرات فيها حدة ودهشة.. المنظر
الذي تشكل في رؤوسهم لم يكن جميلاً دخل نقيب إلى الغرفة وهمش بأذن
حكمت باشا الخبر الذي كان ينتظره.

- يقولون إن السيد رئيس الوزراء قادم إلى هنا.
عندما أخذ كل من رئيس الوزراء (رجب طيب أرogan) ووزير الدفاع ووزير

الداخلية أماكنهم. وقف حكمت بارس وأخذ وضعيه وكأنه يريد أن يخاطب لهذه المجموعة الصغيرة.. كانت حركاته سريعة وعلى الدوام يراقب وجوه الجالسين أمامه.. أما الإفادة التي كانت مرسومة في وجوههم فكانت تشرح ماهية الأخبار السريعة التي كانت تصل إليهم لحظة بعد لحظة.

الاجتماع مقابل طاولة الاجتماع.. ثمة شاشة عملاقة معلقة على الجدار.. حمل (حكمت بارس) مشيراً من الليزر ووقف على قدميه وأشار برأسه إلى الضابط الذي كان يعمل على الحاسوب. كي يُشفل الألوية المرتبطة به. وإذا بخارطة عملاقة للشرق الأوسط قد ظهرت على الشاشة.. كانت خريطة مفصلة تفصيلاً دقيقاً تظهر حتى الأنهر الصغيرة والشقوق الأرضية.. جاء باشا مفكراً ووقف أمام الخريطة وأشار إلى بعض المناطق القريبة من الحدود في كل من سوريا والعراق.. العسكري الذي يختار الكرافيكات في الحاسوب.. ضغط على زر وإذا بمربيعات حمراء قد ظهرت على هذه النقاط.

- هذه هي الوحدات التابعة للجيش الأمريكي.

سمع صوت آخر في الآلة، وفي هذه المرة ظهرت مربيعات خضراء.

- وهذه وحداتنا المتمركزة بين بغداد وشمال العراق.

في الوقت الذي كان فيه أعضاء الحكومة يراقبون الخطوط البيانية على الشاشة العملاقة بدقة وحيرة كانت وجوه العسكري عادية لم تتغير أبداً.. كانوا يظهرون وكأن لهم علمًا بكل شيء.

- وكما ترون إن القوات الأمريكية قد تمركزت قريباً جداً من الويتنا الموجودة في شمال العراق.. على بعد عدة كيلومترات من اللواء المشاة البحري.. تمركزت فرقة الإنزال الجوي ١٠١ وقريباً من اللواء الجبلي للوحدات الخاصة المتمركزة قرب هكاري.. تمركز فرقة الرابعة للمشاة التابعة للجيش الأمريكي.. وقريباً من اللواء المدرع ٢٠ تمركز فرقة الفوج المدرع الثالث.. توقف رئيس الأركان وأغمض عينيه وكأنه يريد تجميع أفكاره ثم نظر ثانية إلى الخريطة وقال:

- هذا المشهد العسكري يعطي معندين أو مفزيين إما نبني خطأ دفاعياً

مشتركاً مع الوحدات الأمريكية.. وبكل صراحة ليس عندنا مثل هذه الخطة وإنما إن وحداتنا تُحاصر.

لوهلة قصيرة فكر (حكومة بارس) بالجنود الخمسة والثلاثين الذين ماتوا أثناء القتال الذي حصل قبل فترة يشير إلى أن الأمر ليس محصوراً بالحصار فحسب يا سيد رئيس الوزراء.. وإن هنا نعانتنا المشتركة هي: إن الهجمات التي تقوم بها الولايات المتحدة نحننا تشكل تهديداً مباشراً لنا. ونحن بالأصل كنا ننتظر هذا الشيء نظرياً منذ وقت طويل ولكن الشيء الذي أخطئنا فيه هو تحديد الوقت إنهم خدعونا تماماً. وقواتنا الموجودة الآن في العراق تحت تهديد كبير وإذا ما عاد القتال ثانية كما حصل قبل فترة فإن خسائرنا ستكون كبيرة ضمن الويتنا الثلاثة.

- من وجهة نظرك، ماذا نفعل يا باشا؟

- أنا شخصياً اقترح سحب قواتنا من هناك.. وتبقي طائرتنا في تلك الأجواء.. تحمي قواتنا عند الانسحاب.

- إذا كنت تسمح لنا يا باشا فإننا سنطرق أولاً أبواب الدبلوماسية لأن وزير الخارجية في طريقه إليهم وأنا أيضاً هدفي سحب قواتنا ولكن في الوقت الذي نفعل فيه هذا الشيء يجب أن نبقى بعيدين عن كل حركة تشعل فتيل الأزمة والمعركة. كان (حكومة بارس) ينظر الآن مباشرة في عيون رئيس الوزراء كأن على عتبة إعطاء قرار مهم جداً. كل تجارب السنين الطويلة والتعلم والبحث والتدقيق كانت من أجل هذه اللحظة الحاسمة. الجميع يعرفون أنه قد اختير رئيساً للأركان لدهائه وعلمه في الأمور الاستراتيجية كانت تلك اللحظة قد جاءت كي يضع دهاءه الاستراتيجي في صلب هذا الموضوع.

- السيد رئيس الوزراء.. أعتقد أنكم على حق.. إذا أشعلنا فتيل الأزمة في هذا الظرف سنكون محقوقين.. ونصبح في موقف صعب أفضل شيء انتظار عودة السيد (عبد الله غول). قال رئيس الوزراء: وربما يكون أفضل إذا تحدثت مع الرئيس مباشرة.

ولكن الأمور أو العلاقات لم تكون بخير بين الدولتين بسبب المسألة الأرمنية

والقبرصية. كان الرئيس يقود ضد تركيا، ومن عام مضى سياسة باردة. في هذه الأثناء وقف أحد الضباط الموجودين في الاجتماع، على رجله وكان يستمع إلى الحديث الدائر بصمت. كان هذا الضابط قوي البنية مهيب الطاعة.. يتراءى وكأنه شاب صغير. وبقامته الطويلة كان يملأ مكان الاجتماع. كان يضع على رأسه سيدارة حمراء. ولم يكن في جسمه غرام من الشحم هو الجنرال (سلامي ديك باش) قائد العمليات الخاصة في العراق. جاء ووقف أمام الخريطة وقال:

- هناك نقطة مهمة يا سيدى لم نتطرق إليها حتى الآن وأعتقد أنها ستزيد من همتنا وغمتنا.

- أكمل.

- إذا كان علينا أن نفك بالأسوأ.. ليس من زاوية قواتنا الموجودة في العراق فإنه يجب أن ننظر إلى المسألة من زاوية قواتنا الموجودة في شمال قبرص أيضاً. لدينا قوة ضاربة كبيرة هناك: أكثر من ستين ألف عسكري والمنطقة بين البر والجزيرة تقع بالسفن الأمريكية. وكما تعرفون.. حصلت سياسات خيالية سلبية بالنسبة لقبرص في الأيام الأخيرة. وكان القتال والسياسة تظهران على شكل متوازن تقريباً يظهرون على الدوام أن تركيا غير محققة بالنسبة لمسألة القبرصية وهذه صارت قاعدة أساسية للضغط على الرأي العام الدولي من الناحية النفسية. هذ كل الموجودين رؤوسهم: الباشوات (الجنرالات) وأعضاء الحكومة. كان (سلامي ديك باشا) معقلاً في كل ما قاله. نعم كانت تركيا قد وضعت أكثر من ستين ألف من خيرة مقاتليها في قبرص.. وبسبب الموقع الاستراتيجي لمكان تواجد هذه القوات.. نحن محاصرون بشكل مربع. حيث وقف الأمiral البحري (تحسين يوجا سون) وجاء أمام الخريطة وسند يده إلى الطاولة وأشار إلى البحر الأبيض المتوسط.

- هنا بين الجزيرة ومدينة أنطاليا (مدمرتان) تستطيع قذف صاروخ (توماهوك).

وسائله رئيس الأركان: "وحاملات الطائرات؟".

- نعم يا سيدى.. حاملات الطائرات إلى الجنوب من الجزيرة. الساحة السورية والتركية ضمن مجال ضريها و تستطيع أن تتركز قوتها الرئيسة حول أنقرة و شرقها أما الحاملتان الموجودتان على المياه الكريتية هي (أندبندىن و كيتي) صواريخ هاتين الحاملتين تصل إلى مدينة أزمير و ضواحيها.

- وهل هناك تغيير في تحركاتها؟

- إننا نراقبها على الدوام. وجواباً لسؤالك نعم.. إنها تتحرك على الدوام.
- في هذه الحالة معناه أننا أمام قذف جوي قوي ومن عدة اتجاهات وعدة مجالات؟

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الطائرات الموجودة في العراق تصل عدد الطائرات الأمريكية الموجودة في المنطقة إلى ألف طائرة، أما القوات الموجودة في (أذربيجان) لن يستعملوها كيلا تصير أيام حساسية مع روسيا وعلى جانب ذلك ست حاملات طائرات ومعها السفن وفرقاطة كبيرة موجودة وجاهزة في عرض البحر؛ تتضرر المعركة وعدد الطائرات الموجودة على الحاملات تصل إلى أربعين وخمسين طائرة.. وإلى جانب ذلك كله ثمة أنباء تتوارد إلينا ثمة أعداد كبيرة من الفواصات في البحر الأبيض المتوسط وقربياً من مدينة أزمير لقد زدنا من بحثنا ولكن هذه أيضاً تشكل خطورة.

تمتم رئيس الوزراء: خمس فرق قوية. كان عقله قد ظل في قبرص. كان يفكر بالفخ ويفهم نتائجه وتأثيره وكبره يعني أن خمس فرق تركية أو ما يعادل خمسة عشر لواءً من خيرة جنودهم قد بقيت محاصرة في قبرص والعراق وإذا لم يقوموا بفعل شيء ما في هذه اللحظات فإنهم سيغدون عن بكرة أبيهم.

قال (حكمت بارس) السيد رئيس الوزراء محق. ثمة نقاط كثيرة يجب أن يفكروا بها ويستغلوا الوقت على أكمل وجه.. إذا ما أخطئوا في التوقيت فهذا يعني أن الآلاف من الجنود سيموتون.

تدخل قائد القوات البرية الجنرال (فخري سرت) بالحديث كانت نظراته تشبه نظرات النمر الذي يجهز نفسه للانقضاض على عنق فريسته:

- هل قررنا انتظار نتائج مباحثات السيد وزير الخارجية يا سيدى؟

- نحن مجبورون على ذلك.. وهذا هو الصواب. وإذا كان لابد من الحرب.. يجب أن نبدأ بها ونحن على حق.. إذا قبضوا على ساعدنا هذا يُظهر كوننا معتدلين.

- يعني يا سيدى.. حتى إذا خسرنا هذه الفرق الخمس أليس كذلك؟ يا سيادة الجنرال لم يقل لنا أحد إننا عملنا شيئاً حسناً إذا كانت مصلحة الوطن تقتضي هذا الشيء.. معناه (نعمل اللي علينا) أو نقدم أفضل ما عندنا. كان الجنرال سلامي ديك باشا قد بدأ بالحديث: إذا كنت تاذن لي يا سيدى سأنزل بقعة صاعقة إلى قلب الجيش الأمريكي.. عند هذه المعمدة تعمد قواتنا إلى الانسحاب نحو حدودنا بسرعة وفي هذه الحالة. تتخلص قواتنا الثقيلة من المخطر. تجمعت الدموع في عيني حكمت باشا وقال:

- هذا اقتراح يتحلى بالبطولة.. ولكن ربما تحتاجك هنا يا جنرال! لمعت عينا قائد القوات الخاصة الجنرال (سلامي ديك باش) لم ينس حتى بكلمة واحدة كان قد فهم تماماً ما تطوي عليه كلمات رئيس الأركان.. ولم يعد هناك مجال للمناقشة.. وكانت مهمته قد حددت إلى حد ما لأول مرة ومنذ تأسيس هذه القوة تعطي أنقرة حمايتها لها.

كان رئيس الوزراء قد بدأ يفقد صبره. لم يجدوا مخرجاً لأزمتهم هذه وربما الانتظار هو الشيء الوحيد الذي يجب أن يفعلوه.. يجب أن يدافع الجيش عن نفسه في مكانه وإذا لم يتم أي اعتداء يجب أن لا يتحرك أبداً وربما تكون القوات الأمريكية تحاصرهم حتى يقوموا بعمل ما أو حتى يجعلوهم يقعون في الخطأ.

- أيها الزملاء أنا شخصياً أقترح الانتظار ولنهرب من كل الحركات غير الضرورية. إذا لم نستعن بالصبر ففتح لأنفسنا كثيراً من المشاكل.

- أنا معك في كل ما تقوله يا سيد رئيس الوزراء.

هذا ما قاله (حكمت بارس) مؤيداً رئيس الوزراء لم يكن قادة القوات مسرورين من هذا القرار، أو هكذا كانوا يظهرون وخاصة بأنهم سينزعجون كثيراً عندما يعطون جنودهم أمر الانتظار. وكانوا يعرفون نفسية الجنود المحاصرين خلف الخطوط الأمريكية.. ويجب أن يكونوا في حالة نفسية سيئة جداً

كي يتخلصوا من الحصار والكمين الذي وقعوا فيه مع إن القرار الذي صدر من الاجتماع هو أمر الانتظار.

ولكن عندما ينتظرون يجب أن يقوموا بأشياء كثيرة.. كانوا سيعمدون إلى التعليم والتدريب سراً من الأعداء ولكن كم كانت ستة؟ لا أحد يدري ولكن كل ثانية بالنسبة إليهم هي نوع من الحياة.

كان الاجتماع قد انتهى، خرج رئيس الوزراء والأعضاء الذين معه من رئاسة الأركان واتجهوا إلى رئاسة مجلس الوزراء كي يوجهوا أعضاء الحكومة الآخرين.. إلى جانب التجهيزات العسكرية يجب أن تكون التجهيزات المدنية في أعلى مراتبها. كانت ثمة مخازن أسلحة سرية كثيرة منتشرة في عموم أنحاء تركيا. تحسباً لـكل احتمال خارجي وكانت هذه الأسلحة متوزعة للجيش الشعبي والمدنيين الآخرين. كان رئيس الوزراء سيخبر الوزراء الآخرين عن هذه المعلومات كي يتصرفوا على الواقع العملي. وكان من الصعب جداً جعل السرية قائمة بين الفئات المدنية. المعلومات ترشح مباشرة إلى الأميركيين حيث يسرعون في العمل الذي يفكرون فيه قبل فوات الأوان.

نظر (حكمت باريس) إلى الخريطة وأغمض عينيه بقوة وهو يقول: نحن حزينون جداً من أجل قبرص وشمال العراق. ولكن إذا ما بدأ هؤلاء الأوغاد بالعملية لن يبقوا هناك كان همة ظل أسود قد سقط على وجهه.

٢٣ أيار ٢٠٠٧ الساعة ٠٣:٣٠

- مطار بغداد -

كانت الحركة في مطار بغداد على أشدها. كانت الطائرات الموجودة على الساحة تقلع من المطار محملة بالقنابل والصواريخ FA-18 سوبر هورنر - F 16 و F 15 كلها كانت تقلع من المطار والقنابل والصواريخ الموجهة قد علقت أسفل جناحيها.. واحدة إثر أخرى وتتجه نحو المجهول.. على الطرف الشمالي من المطار.. التي وصلت إلى المطار في الآونة الأخيرة كانت تتبع طائرات C 120 - المعبدة.

وبعد أن تم تعديلها صار اسمها (القاتل) كانت تدخل إلى المدرج بالدور.. وكانت تقلع بشكل ثقيل جداً.. كانت هذه الطائرات تذكر الإنسان بالطائرات الروسية العملاقة الثقيلة.. مظهرها الخارجي كانت تؤمن على أنها تحمل حملاً ثقيلاً.

سيعطي الضلام الحماية الكافية لهذه الطائرات. الهدف الأول هو الوحدات البرية المتمركزة على أطراف شمال العراق. لم يكن أحد يتوقع أن هذه الوحدات الأرضية ستخلق أية مشاكل لهذه الطائرات. ولكن مقابل كل الاحتمالات كانت الطائرات من طراز F 16 - تشارك الأسراب الأخرى كي تقفل شبكات الرادار عن الوحدات الأرضية. ولم تحكن الطائرات C-130 بحاجة إلى حماية لأنها صارت وبعد تعديلها ترمي حمولتها من ارتفاعات خالية.

كانت الأخبار قد بدأت تصل إلى المطار. وبعد مضي وقت قصير كان العراق يشتعل. كانت السموات والأرض تهتز بقوة وكان الناس قد رموا بأنفسهم إلى الملاجئ وهم يتحدثون عن أن القوات الأمريكية قد دخلت الأراضي السورية وأنها تتشبك مع القوات التركية في شمال العراق.

كان المسؤولون العراقيون قد اجتمعوا في مكان واحد يأخذون الأخبار من

الإذاعات والتلفازات كان صوت معلق إذاعة بغداد يرتجف. وكان المعارك الشديدة التي تقام على أرضهم قد هزّته من أعماقه.. والتصريحات الشديدة كانت تأتي تباعاً من واشنطن.

كان المسؤولون العراقيون يدعون الله من أعماقهم كي تعمد القوات التركية إلى ضرب القوات التي تحتل أرضهم، وكانت الوحدات التركية قد طُمرت بالصمت. فقط ضوء القنابل المتفجرة، والتي تصبح جهنم من بعيد، كان يمنحهم شيئاً من الضياء. صمت هادر، كاسح وهادم!.

٢٣ - الساعة ٤:٤٥ - ٢٠٠٧ أيار

شمال العراق - مركز قيادة اللواء التركي

كان مركز قيادة لواء مشاة البحرية التركى يسبح في الظلام كلياً. وكان عناصر مشاة البحرية، قد انتشروا على أرض مساحتها أربعة كيلو مترات.. على شكل مناقل.. وحفروا خنادق عميقه جداً وستروا أنفسهم فيها كما أمروا الأسلحة المضادة للطائرات التي كانت جاهزة على أتم استعداد أن تمشط الجو على الدوام الجنود لا يتجدثون لا حول موضوع واحد. وهو المعركة التي حصلت قبل فترة قصيرة كاهم كانوا يمرون بان همة شيئاً ما سيحصل.

كانت رياح الباردة تلف الجنود قبل بزوع الفجر بوقت طويل، كان عناصر المشاة البحرية قد ارتدوا الواقعيات المطرية السميكة. كان الجو غائماً. ولكن سرعة الرياح كانت تزيح الغيوم من فوقهم ويظهر القمر والنجوم بين وقت وآخر. وفي ثلات نقاط من المخندق كان بعض العناصر يراقبون سماء الأفق البعيد بأشعة تحت الحمراء وذلك بكمامات خاصة.. ويخبرون المركز بكل ما يرون.

هذه المعلومات.. كانت تصل إلى رئاسة الأركان العامة.. حيث يراها الضباط الكبار على الشاشة.

أما المدرعات العائدة للمشاة البحرية من طراز ZMA تمت تقطيعتها بشباك خاصة لعدم وجود إمكانية أخرى للحفاظ عليها أما عناصرها لم يخرجوا منها. كانوا جاهزين للمعركة، في كل لحظة ينظرون إلى الخارج عبر نقطة التسديد. كانت ثمة رؤية غامضة أمامهم وبوساطة مناظر الأشعة تحت الحمراء كانوا يستطيعون رؤية الخنادق المنتشرة على الأرض الواسعة. آلاف من الجنود كانوا صاروا قطعة من الأرض.

مع مرور كل دقيقة كان اضطراب الجنود وقلقه داخل الخنادق يزداد رويداً

رويداً كان ثمة إحساسٌ غريب قد غطى الجميع. كانوا على علم بالذى سيحصل لهم.. وكان هذا الانتظار يزيد الثقل على اكتافهم - أكثرية الجنود كانوا قد أسلدوا أنفسهم على أسلحتهم، وعيونهم النصف الناعسة كانت تراقب خارج الخندق.. شفاء بعضهم تتحرك وبعضهم قد راح في نوم عميق عناداً لهذا الموقف الذي وقعا فيه.. في وجوههم أقنعة من التراب والدهان يمزحون مع بعضهم كي يفلبوا الزمن ولكنهم كانوا على علم بقيمة كل ثانية تمر من عمرهم.

الوضع في المركز أو القيادة لم يكن يختلف كثيراً عن وضع الجنود كان الفريق (إحسان آر) على اتصال دائم مع رئيس الأركان حيث يتداول معه الأفكار حول المسألة ولكن بعد وقت قصير كان عليهم أن يقطعوا الاتصال غصباً عنهم. كانت الأوامر الصادرة تمنعهم من استعمال اللاسلكي إلا للحالات الطارئة جداً. خرج الفريق (إحسان آر) من الخيمة.. العساكر الموجودون على الباب وقفوا باستعداد.. أشرف لهم البasha بيده للراحة. كان يلبس بلوزة حديدية. وكان قد علق بارودته الرشاشة من طراز ١٦-٨٨ على كتفه الأيسر وعلى ظهره مسدسه ومجموعة كبيرة من المخازن والشيء الذي كان يجذب الانتباه إليه هو سكينه المعلقة على ساقه الأيسر، وعلى رأسه خوذة، ورتبتها لا تظهر على كتفه، هو الآخر كان محارباً، بدأ يسير بين الخنادق، كان الجنود يسرعون بالوقوف تحية له.. مرّ بينهم وهو يبتسم للجميع. كان ثمة جنديان يسيران خلفه.. وهما ضابطان أحدهما برتبة نقيب والأخر صفت ضابط.. ومهما حماية الفريق كانت ثيابهما رمادية قريبة من الأسود ومسلحين على أكمل وجه.. وكل واحد كان يعلق على رقبته منظاراً للرؤيا في الظلمة. وإلى جانب رشاشيهما المعلقين على ظهرهما كانوا يحملان بارودتين صغيرتين للقتال القريب من طراز MP10 والمسدس على ظهريهما أيضاً والسكينان معلقتان على ساقيهما.

كان رئيس الأركان قد أعطى الفريق أمراً بالانتظار قبل قطع الاتصال اللاسلكي وكان قد أخذ معلومات عن كل من الواثنين الموجودين في شمال العراق، لواء المدرعات ٢٠ ولواء الكوماندو الجبلي والخاصة في (هكاري) كان هذا اللواء يقع على بعد ثلاثين كيلو متراً من الناحية الغربية أما لواء المدرعات ٢٠

فكان متمركزاً على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً من الناحية الجنوبية الشرقية كان الفريق قد عمد إلى البحث والتقصي لوقف هذين اللوائين في حال وقوع معركة.. وكانت نتيجة البحث قد أظهرت أن الوضع أسوأ كثيراً مما كانوا يتوقعونه.. ثم إذا ما بدأت المعركة.. ستعمد القوات الأمريكية للدخول بين هذه الألوية الثلاثة.. هذه الأرضي الفارغة الواقعة بين الألوية.. ربما تحول إلى منشأة للموت. بالأصل لم يكن وضع تلك الوحدات مختلفاً كثيراً عن وضع لواء المشاة البحري.. كان اللواء الجبلي الخاص (الكوماندو) قد انتشر على الأرضي كلياً.. ولكنهم لم يدخلوا الخنادق كي يدافعوا بقوة عن أنفسهم، أما لواء المدرعات ٢٠ لم يكن في يدهم أي شيء عند بدء المعركة كانت الحوامات المعادية ستهاجمهم بقوة.

كان القائد يفكر بالليل. كانت أحاسيس المحارب تُحذره كي يبقى على الحذر. كان ثمة إحساس قد ملاً أعماقه بأن هذا الليل مملوء بالعجب والغرائب. وكان عليه أن يصدق هذا الإحساس الذي أشرق في أعماقه كان الأمريكيون قد بدأوا حركتهم ضد سوريا وكان على يقين تام بأنهم لن يتركوا تلك المعركة التي حصلت قبل ساعات في حال سببها وكأنها حركات قد خططت مسبقاً وبكل دقة. كان الهواء مزعجاً وضاغطاً وثمة طاقة قد لفت الأجواء. كان الجنود في الخنادق ينظرون إلى الشفق كي ينتهيوا من هذه الليلة الطويلة. ماذا كانوا يفعلون ضمن هذه الأترة الرمادية؟

دون آية حركة؟

- تعال ولك ابني صباح الدين
- لا يا أبي.. أنا بدبي نام
- تعال ولك لأقدم سيجارة
- يسلموا يا حضرة الرقيب.. أنا نمسان.. ما جاي عالي أطلع من هون.
- آه لو تشوفك أملك يا تقبل.
- الله يرضى عليك لا تذكري بأمي
- شو بدك تساوي ولك عندما ترجع إلى (ملاطيا) (مدينة في وسط تركيا)؟

- والله أول شي يا حضرة الرقيب بدبي نام أسبوع.. وأنت شو بيدك تساوي يا حضرة الرقيب؟

- بدبي أصعد على تلة يا صباح الدين.. وسأصرخ وأصرخ وأصرخ أنا جيت أنا جيت.. كل المدينة ستسمع بعوادي.

- إن شاء الله يا حضرة الرقيب إن شاء الله

- أيه وبعد ما تشبع نوم شو بدو يصير؟

- شو عرفني.. أبدأ العمل في مكان ما شو يا حضرة الرقيب هل تنتهي العسكرية عندما تأخذ ورقة التسريح مرة أخرى نحن جنود.. نحن جنود.

كان الجنود الواقفون على المنادب يمدون عيونهم على الظلام وعلى المشاهد الخضراء التي كانت تأتيهم تباعاً عبر جهاز أشعة تحت الحمراء كانت أعينهم قد شُدّت تماماً من الانتظار ولكن أي انتظار؟ وانتظار من؟ كانوا قد أصبحوا أشباحاً غير مرئية داخل الظلام وبقوا بأنفسهم بمفردتهم.. وكان جنود لواء مشاة البحرية جاهزين.. وجاهدين.. حتى أيديهم كانت جامدة على زناد الأسلحة من كثرة الأوامر التي جاءتهم للاستعداد والحضر والتلقيظ.. دون أن يتحدثوا مع بعضهم.. الشيء الوحيد الذي يعرفونه هو أنهن سيبقون في هذه الخنادق مدة من الوقت.. ثم عودتهم إلى الوطن بعد انتهاء التوترات في (كركوك) الأكثرية منهم لم يسمعوا بالمعركة التي حصلت في منتصف هذه الليلة.

بدأت الفيوم تشارك الظلمة.. هذه الفيوم كانت سوداء.. يجب أن تأتي بالأمطار حتماً.. تحدث الجنود مع بعضهم بعضاً وهم ينظرون نحو السماء كي يعبروا عن عدم سعادتهم.. اللوحة التي أمامهم سوداء وضبابية.. وبين وقت وأخر تتحول اللوحة إلى مشاهد (مزارية) (قبيرية).

سمع الجنود المتخندقون في أقصى الشمال أصواتاً بين واضحة وغير واضحة فتحرکوا مباشرة كي يعرفوا ماهية هذا الصوت الذي يسمعونه، كان هذا صوتاً بسيطاً ودون تفاصيل لم يكونوا واثقين من ماهيته فيما إذا كان طبيعياً أم غير ذلك.. ربما هي أصوات الفيوم السوداء وهي تتحدث مع بعضها وقفوا صامتين

وأنصتوا للسماء كان هذا الصوت يزداد قوة وبشكل مضطرب ولكنهم لم يعرفوا كنهه وما هيته.. وخاصة أنه كان قد انقطع بعد فترة قصيرة.
تنفس الجنود الصعداء ولكن بقوا في مراقبة الأفق المشدود من الجهة التي جاءت منها الأصوات.

مررت فترة مع هذا القلق.. كانت القطرات المتجمعة على الفيوم السوداء قد بدأت تنزل فوق وجوه الجنود.. كانت تزعجهم ولكنها لم تكن تحول إلى أمطار غزيرة.. وسمعت الأصوات ثانية هذه المرة كانت مختلفة.. المعدن الذي يخرج من الصوت (كلانك.. كلانك) أحسوا بهذا الاختلاف بسهولة تامة.. اسرعوا إلى أسلحتهم ومشطوا الأفق عبر التسديد.. ومع أنهم كانوا لا يرون شيئاً ولكنهم كانوا يحسون بأن ثمة شيئاً في عمق هذه الظلمة.

كان عليهم أن يخبروا القيادة باللاسلكي:

- مركز.. نسمع أصواتاً؟
- ما هي هذه الأصوات؟
- أصوات معدنية يا سيدى
- هل ترون شيئاً؟
- لا يا سيدى
- ظلوا في المراقبة
- سمعاً وطاعة يا سيدى

أخذ المسارك وضعية الرمي داخل خنادقهم وال العسكري الذي كان يستخدم الرشاش الآلي من طراز ٥٠ كارييليك سحب مقبض الأمان ووقف فاشار الملازم الموجود إلى الجنود الآخرين كي ينتبهوا إلى أنفسهم.. وخرج من داخل الخندق وتقدم بضع خطوات فلتحق به عسكريان.

- لا تذهب يا سيدى.. يحفظكم الله.
- شو بدوي صير ولوك؟ في شي قذارة.. شوف يا محمد... كأن الظلام يتحرك والأصوات تزداد باضطراد؟

اسرع الملازم الأول والجنود ودخلوا إلى الخندق. وجددوا إعطاء الخبر للقيادة بأنهم يرون حركات مشبوهة على الأرض وطلبوا أن يفتحوا النار دفعة واحدة.. فجاء الجواب بالموافقة.

أعطى الملازم الأول التعليمات إلى الجنود كي يجهزوا أنفسهم لفتح النار: نار!! في لحظة واحدة بدأت الرصاصات الخطاطفة تتجه نحو عمق الظلام من جميع أشكال الأسلحة. تعمق الليل دون هدف وتجمع في نقطة واحدة أما صوت الرشاش من طراز (٥٠ كاريبيك) كان قد جعل من الجنود الذين في أقصى طرف الخنادق.. يرمون بأنفسهم نحو الخارج من شدة الصوت.. بدت تحركات هنا وهناك بين الخنادق وانتقل الجنود إلى أماكن جديدة لضرورة المعركة.. كانت أصوات تبادل الأشياء داخل الخنادق تُسمع بوضوح. كانوا يطلبون ما يلزمهم من الخنادق الأخرى.. إذا كان معهم يركضون كي يأخذوا طلباتهم ويرجعون إلى خنادقهم ثانية.

صرخ الملازم الأول:

- أوقف إطلاق النار:

صمتت الأسلحة وتوجهت الآذان نحو الظلام.. وكما أن الأصوات المعدنية (الميكانيكية) لم تخف كانت التحركات قد زادت أيضاً. انقطعت الأصوات فجأة مشهد الملازم الأول الأفق بكميرا الأشعة تحت الحمراء وأخبر المسارك الذين كانوا إلى جانبه عن الأشياء السوداء التي رأها.

ثمة عربات ضخمة تصطدم بنظراتي بين تلك الهضاب الصغيرة والكبيرة. كان الضابط الشاب قد تحول إلى آلة من الدقة الشديدة ولكنكه لا يعرف ما الذي سيفعله من شدة الهيجان، ولكنه تحدث مع العسكري إلى جانبه:

أخبر المركز بأنه ثمة دبابات أمامنا...

لم يصدق العسكري أذنيه.. ونقل المعلومة فوراً إلى القيادة. في هذه الأثناء سمع صوت يشبه صوت الرعد.. ظهرت كرة من النار من الجهة التي كانوا يرمون نحوها.. كانت قذيفة كبيرة تاركة خلفها ذيلاً ضخماً من الأدخنة والنار.. أصابت النقطة التي خرج منها القذف أول مرة.. من منتصف الخندق. كانت القذيفة قد

(ذرت) الجنود نحو الفضاء ومعهم الملازم الأول.. الذي لم يسمع له حتى صوت خفيف. كانت رؤية كرة النار وانفجارها كأنها حصلت في لحظة واحدة.. ضغط مرعب و摩جة من الحرارة.. حملت الجنود من داخل الخنادق إلى أماكن بعيدة أحس الملازم الأول وهو يطير في الهواء بأنه تلقى من أحاسيسه كلها.. كان قد أحس بأن جسمه لم يعد قطعة واحدة.. لم يكن يحس بالألم ولكن ثمة حرارة كاوية كانت تقليل كل جسده.. كانت ملايين من الألوان قد امتزجت في عينيه.

- إنهم يهاجمون يا سيدى.. إنهم يهاجمون.

خرج صوت العسكري في اللاسلكي على شكل صدى داخل القيادة خرج البasha حكمت من خيمته بسرعة البرق.. ومن خلفه خرج مرافقا وال العسكري الذي يحمل جهاز اللاسلكي، كانوا يستطيعون رؤية الانفجارات في الأفق البعيد. كانت الخنادق الموجودة في الشمال والشمال الغربي.. قد تحولت إلى ما يشبه جهنم نظر حكمت باشا بمنظاره إلى الخنادق الأمامية.. كان يستطيع رؤية الجنود وهم يخرجون من خنادقهم ويفرون نحو كل الاتجاهات كانت نيران الدبابات قوية إلى بعد الحدود.. دون أي توقف.. في لحظة واحدة سكت كل شيء وقبل أن تبتعد أصوات القنابل.. بدأ القذف الثانية.. كانت النيران تأتي من الأعلى، في هذه اللحظات فهم حكمت باشا أن الجنود قد تدخلت أيضاً في المعركة.

كانوا يعيشون الدقائق الأولى من هجوم كبير وكاسح.. صعدت دقات قلوبهم إلى ضعف ما كانت عليه.. أسرع مباشرة إلى داخل الخيمة.. كان بعض قادة الكتائب والسرايا موجودين هناك أيضاً.. كان الجري السريع بين الموت والحياة قد بدأ والعالم الخارجي صار أكثر غرابة، لم يكن أحد يستطيع أن يستقبل هذه الأحداث بهدوء وروية.. كما كان الحال قبل دقائق من الآن.. صرخ إحسان باشا:

- أسرعوا.. أسرعوا يا أولادي لتبدأ المدفعية بإطلاق النار.. ليكن الله في عوننا جميعاً.

وفي الوقت نفسه كانوا يحاولون الاتصال مع رئيس الأركان باللاسلكي كانت الرصاصات (الهوجائية) قد بدأت بالمرور من فوق الخيمة ويجب أن تكون

هذه القذائف من الحوامات من طراز (آباتشي) ٦٤ - AH ومن رشاش ٣٠ مم. كان إحسان باشا قد استطاع الوصول أو الاتصال برئيس الأركان. ولكنه لم يكن اتصالاً واضحاً من كثرة الاختلاطات الهوائية وأصوات المدفع والرشاشات أخبر العسكري هناك بتفاصيل الهجوم وطلب دعماً جوياً. وبهذا الصدد لم يكن عنده قناعة بمحبة هذا الدعم بأي شكل من الأشكال. هذا الشيء الذي بدأ كان شيئاً مختلفاً كانت أصوات النيران الماطلة كالمطر قد تباينت وتتواءمت أكثر كانت قوات فرقة الإنزال الجوي ١٠١ تستعمل جميع أنواع الأسلحة لضرب الخنادق. نيران الدبابات لا تتوقف أبداً.. وكانت الحوامات تخرج من خلف التل الموجودة هناك.. تقدّف ثم تعود إلى الاختفاء والتستر آلاف من الطقات كانت تتطاير فوق مكان تواجد لواء المشاة البحري التركي.

عناصر هذا اللواء لم يقدعوا مكتوفة الأيدي أمام هذه الهجمة القوية كانوا يردون على النيران بكل استطاعتهم. كانوا يطلقون النار وبكل راحة من داخل الخنادق العميقية. ولهذا السبب كانت الحوامات لا تستطيع الاقتراب منهم. ولا لكان الوضع قد صار أكثر خطراً وخسارة. اهتزت أجسام الجنود على وقع الانفجارات الضخمة.. كانت مدفع الهاون والمدفع المتحركة من عيار ١٠٥ مم قد بدأت بإطلاق النار قريباً من خيمة القيادة حيث بدأت الانفجارات تتواتي فوق التل المقابلة. ولكن النيران المعادية لم تكن تخاف بأي شكل من الأشكال.

كانت النيران المعادية تتغير في كل ثانية من جهة أخرى وبشكل كثيف وكانت فرقة المشاة الرابعة التابعة للجيش الأمريكي.. قد وصلت لدعم فرقة الإنزال الجوي ١٠١ وبسبب نيران الدبابات من طراز M1A2 الكثيفة على الخنادق الأمامية.. كانت قد تحولت إلى مقابر جماعية.

- يا باشا أعلمونا عن حالكم الأصوات الواصلة من عندكم.. مصيبة؟ كان صوت رئيس الأركان مشوشًا ولكنه قوياً هو الآخر كان يتحدث وكأنه قد غرق في بحر من الانفعالات.

- إنها مصيبة يا سيدى مصيبة بكل معنى الكلمة.. إنهم يهاجموننا من عدة اتجاهات وبشكل كامل.

إلى جانب أصوات الانفجارات كانت الأصوات الأخرى من أجهزة أخرى تختلط بحديث رئيس الأركان عبر اللاسلكي.. وبشكل مزعج جداً لا يستطيع المرء أن يتحملها. كان يصرخ طالباً الدعم والمساعدة وأن العناصر يحترقون تحت نيران قوية واستشهد منهم الكثير وكانت طلبات النجدة تهال إلى القيادة من الخنادق الأمامية التابعة للواء.

- ماذا نفعل يا سيدى هل نعود؟

من المستحيل أن يظل رئيس الأركان مكتوف الأيدي أمام هذه الطلبات الملحة للنجدة. كان سيرمي جانباً كل الحسابات الدبلوماسية التي كانوا يناقشونها قبل فترة.

- أعرف يا سيدى.. سنحاول التحمل أكثر ولكنهم يهاجمونا بأسلحة ثقيلة هذه الليلة نستطيع أن نقضيها ولكن لا أدرى ماذا سنفعل غداً.

- إذا أردت يا سيدى لنعرفهم.

- هل بدأت الحرب يا سيدى؟

- لا أدرى يا إحسان باشا لا أدرى.. من الظاهر هكذا.

- انتظروا الصباح يا سيدى.. لأرد على هذه الهجمة الصاعنة صاعين.

- كيف حال بقية الألوية؟

لم يكن حال الآخرين جيداً أيضاً.. وربما كان وضعهم أسوأ كان اللواء الجبلي الخاص (كوماندو).. قد انتشر على الأراضي بعد أن توزع إلى سرايا وفصائل. العناصر التي بقيت على الأراضي السهلة.. حصلت بينهم وبين الأمريكيين معارك درامية كثيرة، وكان الآخرون قد هربوا نحو الجبال حيث خلصوا أنفسهم من الموت المحقق والإبادة الكاملة. ولكن الاتصالات قد قطعت بينهم. كانت كل سرية وكتيبة تدافع عن نفسها بإكتفاء ذاتي وإذا كان الحظ قد حالفهم في الدفاع عن أنفسهم. كانوا يحاولون البقاء على قيد الحياة، فوق تلك الأرضي الصعبة والمليئة بالعصابات وكل أنواع السوء. متوزعين إلى مجموعات صغيرة عشرة... عشرة أو أقل.

أما الاخبار لم تكن تصل عن لواء المدرعات ٢٠ يجب أن تكون دباببة القيادة

قد ضربت حيث انتهت مناقشاتهم اللاسلكية نهاية سيئة.
انقطع الخط اللاسلكي بين رئاسة الأركان ولواء المشاة البحري، كان على
احسان باشا أن يرد هذا الهجوم حتى صباح الفد وبعد ذلك تتدخل السياسة في حل
هذه المشكلة.

كان الجيش التركي لا يريد تصديق دخول الجيش الأمريكي إلى هذه
الحرب. من غير المستحيل أن تقوم هذه القوات بعملية لا منطقية هكذا.
كانت النيران الأمريكية تقíّر من مراكزها على الدوام وكانهم يجريون
حظهم. كانوا قد بدأوا بإرسال النيران إلى ما بعد خطوط اللواء من الخلف.. ربما
كانوا يريدون ضرب القيادة أو إسكات المدفع.

خرجت قذيفة من إحدى الدبابات المعادية مرتقاً المساء ووُقعت على بعد مئة متر
من القيادة ومن خلفها جاءت قذائف أخرى وكانهم قد عرفوا مكان تواجد
المدفع.. فهم إحسان باشا الموقف مباشرة حيث أمر بوقف النار وأعطى أمراً آخر:
- لغير مدافع الهalon أماكنها وتبدأ بالقذف.

حمل الجنود العاملين على مدافع الهalon عددهم وغيروا أماكنهم وبدأوا ثانية
بالقذف في تلك اللحظة تماماً سقطت قذيفة دبابة فوق بطارية المدفع تماماً حيث
حصل انفجار مرعب في الوقت الذي كانت فيه الشظايا المعدنية تتوزع على
الأطراف. كانت الصراحات الصادرة من الجنود قد لفت كل مكان. وفي الوقت
الذي خرج فيه الجنود لمساعدة زملائهم الجرحى.. وإذا بعده انفجارات تحصل خلف
بعضها بعضاً داخل طابور المدفعية. كان مستودع المهمات قد بدأ الاحتراق.
وانتشرت آلاف الشظايا بسرعة الرصاص على الأطراف. وأصيب نتاجه لذلك
الجنود الذين كانوا قد خرجموا من خنادقهم لمساعدة إخوانهم الجرحى. وبعضهم
سقط صريعاً على الأرض.. كان الأمريكيون قد فهموا قيمة هذا المكان أو
أهمية.. والقذائف التي كانت تنزل واحدة إثر أخرى تدل على ذلك كانت قذائف
الدبابات قد تركت على تلك المنطقة، وتحول مكان وجود بطارية المدفع إلى
حفرة من النيران. كان الجنود الموجودون قريباً من البطارية لا يرفعون رؤسهم من
الخنادق خوفاً من الشظايا المتاثرة.. كانت رائحة الدم والدخان والبارود قد غطت

الأجواء هناك كان الجرحى لا يعرفون أين سيتجهون وأين سيدنهم. امتنأ سواد الليل بالصراخات التي كانت تمزق القلوب والأعماق. ثمة ظل كان يحاول الوقوف على رجليه كانت أعضاؤه الداخلية قد فرقت من أعماقه لم يكن أحد يقترب من الجرحى.

في هذه الأثناء كان القتال قد اندلع ثانية في الخنادق الأمامية كانت الحوامات من طراز (اباتشي). قد تشجعت أكثر وبدأت تضرب بقوة ولكن بدل هذه الشيء كانت إحدى الحوامات قد غطست فوق اللواء.. وبدأت ترمي صواريخها نحو مجموعة من الجنود الفارين.. مجموعة كبيرة من الجنود استشهدوا في تلك الهجمة. أما الحوامة فقد تحطم في الهواء إثر إطلاق صاروخ مجهول الهوية والمكان. هذه العملية كانت تشبه عملية انتحارية. ولكنها أعطت خسائر كبيرة. سمع نداء من إحدى الأجهزة اللاسلكية من الخنادق الأمامية.. كان المتحدث لا يذكر اسمه.

- الدبابات تحاول الاقتراب.. سنبدأ بالقتال الغريب مع طاقمي.

بعد فترة قصيرة سمع انفجار كبير قريباً من ذلك الخندق. كان قائد تلك الوحدة أو السرية الملائم الأول.. قد وزع على عناصره قذائف أو صواريخ مضادة للدبابات.. وكانت العناصر قد استفادت من تعرج الأرض وأخذت أماكن لها. كان الجنود قد أطلقوا صواريخهم واحداً إثر آخر حيث أصابوا دبابة عملاقة من طراز M1A2.

كانت في المقدمة ولكن أماكنهم كانت قد كُشفت.. حيث بدأت الرشاشات من عيار 12.7 مم الموجودة على الدبابات ترمي الطاقم بسيل عارم من النيران. فاستشهدوا جميعاً.. كانت الدبابات قد تراجعت ثانية. خوفاً من الإصابات.. لو تقدموا لم يكن أمامهم حاجز على الإطلاق.

كان أكثر من عشرة جنود يلتقطون حول إحسان باشا الآن. يد وكل واحد منهم يذكر الإنسان بمخزن الأسلحة. كانوا يتراوون على شكل وحش داخل الظلمة.. كان الفريق ينتقل من خندق إلى آخر يحاول رفع معنويات عناصره.. كان الجنود

في الخنادق الأمامية لم ينتشروا بعد ولكن خطهم كان ضعيفاً لأن نار الأعداء كانت أقوى مما ترقبوه وأكثر إصابة للأهداف. وبين وقت وآخر كان صوت الأمريكيةين يختلط بالجهاز اللاسلكي كانت المحادثات الجارية بينهم منفعلة وذات حرارة عالية على الأقل كما هي لدى الأتراك الآن.

كانت خنادق اللواء قد تهدمت إلى حد ما كان الجنود قد استخدموها قطع الحديد الناجمة عن الانفجارات أخطية لرؤوسهم، كان طابور المدفعية الأمريكية التي جاءت تدعم الفرقة ١٠١ لا توقف قذف مدافعتها حتى تجعل المعركة حامية على الدوام ولكن الشدة كانت قد ضعفت.

- إنهم يتوقفون يا سيدى؟

كان النقيب (أوميت) قد قال هذه الكلمات بصوت قوي إلى حد ما. هز إحسان باشا رأسه. هذا الخبرجيد في هذا الوقت. إذن كانوا قد ردوا الهجمة الأولى.. ولكن لم يريحوا شيئاً.. سوى تدمير دبابة وإسقاط مروحية.. لم يكن إحسان باشا يعلم شيئاً عما دار في الطرف المقابل، كانت عشرات من الطائرات المروحية قد أصيبت بالرشاشات والصواريخ المضادة للدبابات وكلها كانت بحاجة إلى تصليح وتممير لم يكن أحد قد عرف شدة المعارك التي حصلت غير الشهداء والجرحى.

تحدد إحسان باشا بصوت لا قرار فيه:

- ربما يعودون بعد قليل.. ما رأيكم لو نضع الغاماً على الخنادق؟

- إن مجال حركتنا يضيق يا سيدى.. الألغام توقفنا أيضاً.

قال ذلك قائد إحدى الكتائب.

هز إحسان باشا رأسه وكأنه يقول: أنت محق.. كان عليه أن يجمع جنوده ويدعم الخنادق عندما تشرق الشمس.

قال العقيد البحري (هاشم آر ألب) وهو قائد كتيبة: أعطوني إذناً يا سيدى.

- ولماذا يا ابني؟

الآن نملك خمسة وعشرين مدربةً يا سيدى وتسع دبابات كي تقوم بهجوم

مضادة.

كان إحسان باشا قد احتار في أمره. ولكن بعض الأحيان يتطلب جو المعركة مثل هذه البطولات، حيث قال له:

- هذا نوع من الانتحار يا ولدي!

- حتى إذا لم نفعل ذلك يا سيدي. سُتُّضرِّبُ هذه العربات في الجمة القادمة.. فكر إحسان باشا بعض الشيء.. كان العقيد يقول الصواب. لأن كل سلاح يملكونه ولا يستعملونه في أقرب فرصة.. معناه أنهم لن يستعملوه أبداً كان على دراية جيدة بالجيش الأمريكي. بكل تأكيد عرفوا مكان هذه الدبابات.. وفي آية غارة جوية يستطيعون إبادتها كلياً.

- طيب يا ابني.. استغلوا هذه الراحة.. أبداً الهجوم مباشره! هذه عملية بطولية بكل معنى الكلمة. ليرض الله عنكم جميعاً.

امتلأت علينا العقيدة بالدموع.. حيا قائده وغادر الخيمة.

طيب.. نحن أيضاً يجب أن ندعم هذا الهجوم حتى يأخذ مدى أكبر ويكون تأثيره مباشراً.. هيا أحضروا مدافع الهالون وضعوها في الصفوف الأمامية.. عندما تبدأ الدبابات بالتقدم.. سنعمد على قذف خنادقهم بالهالون والمدفع المضادة للطائرات.

صرخ الضابط: سمعاً وطاعة يا سيدي ثم خرجوا من الخيمة وذهبوا إلى وحداتهم.. كان الجنود قد انطمروا داخل الخنادق.. ومن غير المستحيل أن يراهم أحد في هذه الظلمة. تقدمت العربات المدرعة رويداً رويداً نحو الصفوف الأمامية.. كانت ثمة أرض متعرجة تعريجة خفيفة أمامهم.. تعد هذه الأرض سهلة بالنسبة للعربات المدرعة.

كانوا سيهجمون وهم منتشرون.. وكانوا يفكرون بيازاحة الصيف الأمامي نحو الخلف.

العربات المدرعة التي بدأت بالتحرك.. قد وقعت فوراً على شبكة رadar طائرات جستار الأمريكية.. وكان من الصعب التخلص من شبكة هذه الطائرات التي كانت تتلقّط حتى العربات الصغيرة.

ولم يكن للدبابات علم بهذه الطائرات.. حتى ولو علموا كانوا لا يستطيعون فعل أي شيء على الإطلاق.. كانت المعلومات تنتقل فوراً إلى العناصر الموجودة في البر والجو. كان الأميركيون يخبرون بعضهم بهذا الهجوم وهم متغطون كانوا قد شاهدوا مثل هذه الحركات المضادة والمقاومة القوية أثناء الحرب العراقية. كان الجنود الذين هم في مواقف صعبة يطبقون الأوامر عن ظهر قلب.. ولكن النتاجية تكون دراماتيكية.

كان العقيد (هاشم آر آلب) في مقدمة الدبابات.. أعطى أمراً باللاسلكي تقدمت المدرعات بسرعة نحو الأمام ومرروا من فوق الخنادق المقذوفة أو المضروبة.. كما تقفز الأحصنة فوق الحاجز والدبابات من خلفها.. تقدموا حوالي مئة مترون ان تقع أية مشكلة. عندما تقدمت المدرعات إلى مسافة معنية بدأ القذف بمدافع الهاون والمدفع المضادة للطائرات إلى جانب ذلك بدأت المدرعات والدبابات بالقذف أيضاً.. أضيئت التل المقابلة.. كانت مدرعات لواء المشاة البحري.. تضرب كل شيء أمامها بالمدافع.. لكن الجهة المقابلة كانت صامتة.

بعد وقت قصير وإذا بأشعة على شكل خط مستقيم تصطدم بالمدرعة التي فيها العقيد.. تبعثرت العربة إلى أشلاء.. بدأت الصراخات تعلو بألم من خطوط الأجهزة اللاسلكية التي كانت في العربات الأخرى. كان قائد اللواء إحسان باشا في الخطوط الأمامية. وهو يحمل بندقيته الآوتوماتيكية لا يختلف شيئاً عن الجنود الآخرين.. أحاطه الجنود من كل طرف إلا أنه بإشارة من يده فرق الجميع.. كانوا يشكلون هدفاً وهذا غير ضروري الآن.. كانوا يستطيعون مشاهدة الأهداف في الطرف الآخر والنيران الشديدة من المدرعات والدبابات تصوب عليها. بدأت عربات ZMA تقترب نحو الطرف الآخر وهي ترسم (الزيكزاك) بحركاتها السريعة. أما دبابات M 60 كانت تخفف من حركتها عندما تطلق النار. ثم تقدم كانت هذه هجمة مضادة كلاسيكية. ولكنها كانت تقدم الوقت. لهم وهذا كل ما يستطيعون فعله. أما مدفع الهاون.. فالظاهر أن تأثيرها كان قوياً إلى حد ما لأن الطلقات التي كانت تخرج من الطرف الآخر ضعيفة. أحس إحسان باشا ببعض الأمل: ونادي قادة الكتائب والسرايا:

- يا ترى هل نستطيع صدهم وردهم إذا دعمناهم بعناصر اللواء؟
نظر الضابط في عيون بعضهم.. كانت عيونهم قد تحولت إلى طبق من الدم من التعب الشديد والبرد. كانوا لا يعرفون شيئاً. كان صعباً عليهم وهم الشباب الصغار قراءة هذه المعركة قراءة حكيمة. لو كان أمامهم عدوًّا بسيطاً.. لربما ولكن الاعداء هم الأميركيون.. لا يفكرون بالرجوع حتى ولو بمثابة تحكيم عادي وكان صعباً على هذه المدرعات إجبارهم على التقهقر نحو الخلف.
تدخل النقيب فوزي بالموضوع حيث قال: أريد إذنًا كي أهاجمهم بطريقتي إذا لحقنا بالدبابات يزداد حظنا بالنصر. دار إحسان باشا ونظر ثانية نحو الطرف الآخر. كانت الدبابات قد اقتربت كثيراً ومن مكان تواجد الأميركيين أو من الخط الأمامي دون مقاومة تذكر.

- تماماً يا بنى.. كن حذراً.

كانت الكتيبة التي يرأسها النقيب فوزي قد اجتمعت خلال خمس دقائق وعددها مئتان وثلاثة وأربعون جندياً.. وكان الجميع يشبهون بعضهم بعضاً كانوا عبارة عن ظلال داخل الظلام وأو هكذا كانوا يتراوغون حتى لو كانت هناك أشعة شمس لا يختلف شيئاً كانوا الآن يحسون بالفخ الذي وقعوا فيه وفهموا أنهم لا يستطيعون الخروج من هنا بسهولة كانت ثمة دخان كثيف يتعالى فوق الجزر النارية الملتقطة الناتجة عن الانفجارات الشديدة قد حولت المكان إلى قطعة من جهنم.. وربما كانوا يحسون بالفضب الشديد لما يحصل. أحسوا بأنهم جاهزون لكل شيء للانتقام وتخرير نشوة أيامهم

وقف النقيب فوزي أمام الكتيبة.. كان عليهم أن يتحركوا بسرعة شديدة.. الفصائل يجب أن تفترق عن بعضها بعضاً. أعطيت الأوامر لقادة السرايا فاستعدوا جميعاً في هذه الأثناء كانت المدرعات تتلقى المزيد من القذف. كان ثمة شيء غريب يتحكم في دوزان المدرعات وكأنهم لا يصدون.. كانت القذائف تطير نحو الأعلى.. وليس على الأهداف. بعد دقيقة كانوا سيعرفون سبب هذا الشيء.. تقدم النقيب فوزي دون أن يقول شيئاً فنزل من فوق الخنادق واحتفى داخل الظلام.. وعناصره من خلفه.

راقت إحسان باشا جنوده الذين كانوا يرمون بأنفسهم إلى بحر الظلام والدموع تملأ عينيه. أمر رماة الماون. حيث بدأوا بالقذف ثانية كانوا يرمون القذائف دون أن يفكروا هل كانت ستكتفيهم أم لا.

ليسو بحاجة للتفكير. بدأت قنابل الماون تنزل على التلل المقابلة وتضيئها. كانوا يستطيعون رؤية الظلام على أضواء الانفجارات التي كانت تحدث في الطرف الثاني.. الأمريكان كانوا هناك ولكنهم لا يحبون النار بالنار. ماذا كانوا سيفعلون يا ترى؟

في الوقت الذي كان فيه هذا السؤال يخريش الرؤوس.. جاء الجواب سريعاً جداً كان سبب الفوضى الحاصلة في المدرعات وقد اندفعها التي كانت تذهب سدى هنا وهناك. كانت المدرعات التركية قد لاحظت المروحيات التي كانت تهاجم ولهذا السبب كانوا قد بدأوا بالدفاع عن أنفسهم ضدها. إلى الغرب من الطريق الذي كانت تسير فيه المدرعات وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات.. كانت بعض الإشعاعات قد بدأت بالهطول فوق المدرعات وذلك من منبع لا يبعد عنهم كثيراً، بعد عدة ثوانٍ فقط.. بدأت الانفجارات تتواتي في المدرعات والدبابات التي تحولت إلى كتلة ملتهبة من النيران. والأصوات التي كانت تملأ جهاز إحسان باشا كانت تخطئ أبداً.. كانت هذه الأصوات هي أصوات الجنود تصدر من الدبابات والمدرعات المحروقة. كانت الشهادة تأخذهم رويداً رويداً.

كانت المدرعات قد غرّرت في أماكنها ولا تصدر منها نيران نحو الأعداء. كان المشهد الأخضر الذي كان يظهر على كاميرا التسليد في المدرعات. يفلج الإنسان ثمّة أسطول ضخم في البعيد وفي مكان مرتفع إلى حد ما كان يبيت الموت دون توقف. وثمة نقاط سوداء كانت تظهر على السماء.. هذا المشهد أو المنظر لا يراه سوى الموجودين داخل المدرعات والدبابات.. كانت عشرات المروحيات من طراز (آباتشي) تصداهم بسهولة.. في كل دقيقة كانت تُضرب عدة عربات دفعية واحدة.

كانت الهجمة المضادة قد انتهت منذ وقت طويل.. بدأ الجنود بمغادرة عرباتهم. لا يستطيعون فعل أي شيء كان عليهم ترك العربات والرجوع إلى الخنادق فوراً

عندما شاهد الجنود الذين نزلوا من المدرعات زملاءهم جنود المشاة على بعد عدة أمتار منهم. ذهلوا واحتاروا.

كان أكثر من مئتين وثلاثة وأربعين جندياً من المشاة قد انتشروا في الأرضي يقتربون منهم رويداً رويداً.. في بداية الأمر لم يصدقوا عيونهم ولكن عندما اقترب الجنود منهم. عرروا الحقيقة.

ماذا تفعلون هنا هل جنتم؟

تقدمن من بين عساكر المشاة ملازمٌ وصرخ في وجه ذاك العسكري الذي سألهم قبل قليل.

- أنتم ماذا تفعلون.. هيا اصعدوا إلى دباباتكم.. هذه هجمة مضادة.

- ماذا تقول يا سيدى؟ على رأس الهضبة المقابلة عشرات المروحيات. إنهم قادمون بشكل كثيف وربما يصلون الآن.

قبل أن تنتهي هذه المناقشة امتلأت الأطراف بالشرارات. كانت القذائف من طراز ۲۰مم قد امتلأت داخل الدبابات وتسبّب في احتراقها نظر الجنود بقلق إلى الدبابة المحترقة. وقبل أن يفكروا في عمل شيء ما.. انفجرت بقوة.. وتسارعت الشظايا نحو كل الجهات فجرح العديد منهم.. كان المشاة البحري يفرون بسرعة من أطراف الدبابة المنفجرة - عندما رفعوا رؤوسهم وهم يفرون شاهدوا مجموعة من اللهب تتطاير فوق رؤوسهم على ارتفاع عدة أمتار فقط. وبعد ثانية واحدة بدأت هذه القطع اللهبية تساقط فوق رؤوسهم كانت المروحيات ترسم خطأً واسعاً حول الساحة تفتح النار على الأهداف الأرضية وهي ترسم هذا الإطار الدائري. كان الجنود الأتراك قد بقوا داخل جبهتين من النار دون وقاية ولا حماية. ورفعوا بنادقهم من طراز (G-3) دون أمل وأطلقوا النار على المروحيات.. ومن جهة أخرى بدأت الدبابات الأمريكية بفتح نيرانها عليهم. وببدأت الدبابات العملاقة من طراز (MaA2) تهجم وبقوة على القوات التركية التي كانت تقوم بالهجوم المضادة. كانت هذه الدبابات قد بدأت على صعيد المدرعات التركية التي لم ترها المروحيات. كان الجو قد تحول إلى جهنم بكل معنى الكلمة.

كان إحسان باشا يراقب المعركة وهو على الخطوط التركية.. وصرخ بقوة:

ماذا فعلنا لك يا رب؟ كانت آذانهم تتنبأ بقوة من صوت الدبابات العملاقة - التي تذكر الإنسان بصوت الرعد رموا أنفسهم على الأرض - ينظرون إلى أطرافهم.. كانوا لا يرون سوى أجساد زملائهم المستشهدين وعلى ضوء الانفجارات المتالية كانت المدرعات تحترق قريراً منهم.

أسرع المشاة البحرية ورموا بأنفسهم إلى الخنادق.. في هذه الأثناء كانت المروحيات قد اقتربت منهم كثيراً، والفووضى تعيث فساداً وموتاً بين عناصر لواء مشاة البحرية. كانوا يرمون المروحيات والدبابات بكل الأسلحة التي كانت معهم والحقيقة كان عملاً لا يفيد شيئاً. وفي النهاية.. هذا ليس سوى لواء مشاة خفيف لم يكن أحد يفكر بالظفر أو النصر أمام فرقه كبيرة ومدعومة إلى حد كبير. كان إحسان باشا يقرأ الموقف تماماً. وأن الأمور تسير نحو الأسوأ كان البقاء في الخنادق الأمامية قد صار خطراً.

وبالأصل فإن الخطوط الأمامية للواء ضعيف.. كانت قد اختلطت بيمنها من ضراوة النيران وانهارت إلى حد كبير.

كان الضباط الذين معه يريدونه أن يتراجع إلى الخلف. ولكن من الصعوبة بمكان أن يجعلوه يتراجع. كان في حالة هستيرية وكأنه قد ضيّع نفسه.. كان الضباط يخشون من أن يقوم برمي بنفسه إلى وسط المعركة.

والحقيقة لم يكونوا مخطئين في تقديرهم.. كانت أعماقه تغلي من الألم. وكان على وشك أن يفقد عقله. كان الجنود الذين أمرهم بالقتال قد وقعوا تحت مغالب الموت.. نظر إلى الجنود الذين كانوا يجررون نحوه. كانت الرصاصات تمزقهم.. كل هذا ولا يستطيع أن يفعل شيئاً كان من غير الممكن أو هكذا يتراءى.. فتح النار من اللواء.. وإنزال الخسائر بالقوات الأمريكية ولو إلى حد خفيف.. أمام هذه الهجمات الثقيلة التي كانوا يتعرضون لها. لأن الدعم لن يأتيهم والعلاقات مقطوعة بينهم وبين اللوائين الآخرين ولا يعرف شيئاً عنهم وفي أي وضع هم.

فكَّر إحسان باشا في نفسه: إننا نموت رويداً رويداً يا إلهي. تحول شعر جسده إلى ما يشبه الأشواك ولكن إذا أظهر أحاسيسه لعنصره تكون السيطرة عليهم

مستحيلة. لم يكن ينظر إلى مشاهد المنطقة التي قتل فيها عناصر الجماعة المضادة.. الساحة كلها مليئة بأجساد الشهداء. كانت الرياح الباردة.. تجلب إلى أذنيه صراخهم وأنين جراحهم. كانت بعض الجيوب الصغيرة ما زالت تفتح النار على الأعداء هنا وهناك من أرجاء تلك الساحة. لم يكن إحسان باشا يريد أن يفكر بهذا الشيء. كان الجنود هناك يقدمون أرواحهم فداء لزملائهم. كان يعرف ماهية البطولات التي قدموها. كانوا يجاهدون الدبابات والمروحيات بأجسادهم.

في هذه الأثناء انفجرت دبابة ضخمة من طراز (M1A2) بصوت مدوٍ في وسط الساحة عندما شاهد إحسان باشا هذا المنظر لم يستطع أن يتمالك نفسه حيث بدأ بالبكاء كان هذا أكبر دليل يقدمه لبسالة الجنود وتضحیتهم.

- امسك الجرح يا صباح الدين امسك الجرح.. إنه ينزف كثيراً.

- وقف.. وقف أهداً يا حضرة الرقيب إبراهيم لا تخفا كل شيء سيكون بخير.

نظر صباح الدين إلى الدم الذي كان يسيل من بطن الرقيب. كان المكان الذي وطأت فيه قدمه قد تحول إلى وحل من الدماء. وكان رصاصة كبيرة قد أخذت قطعة من بطنه وراحت. كان الرقيب إبراهيم على وشك الموت من نزيف الدم. كان هو وزملاؤه الأربع الآخرون يقاومون العدو بعد أن شكلوا لأنفسهم جيباً صغيراً داخل حفرة عميقية بين صخرتين مغروزتين بالأرض. كانوا بعيدين عن خطهم. ويعلمون أنهم لن يعودوا أبداً، كانت الدبابات الأمريكية تدور في الساحة وتطلق النار بالرشاش ٢٠ مم إلى كل جيب تصدر منه مقاومة ويطيرونه في الهواء وبعض الأحيان تمر من فوقهم.

في هذه الأثناء يعمد الجنود على إطلاق النار على الدبابة المارة من فوقهم فتصطدم الرصاصة بالحديد السميك وتمود إليهم وتجرحهم.. ثم أصوات تحطم العظام.. وصممت دائم.

كانت الصواريخ من طراز RPG على وشك أن تتفذ من صباح الدين.. ومن جهة أخرى كان يشد على جرح الرقيب إبراهيم ومن طرف يحاول عد الرصاصات المتبقية معه. كان معه أربعة صواريخ ورصاصات (G-3) كانت قد انتهت. لكن

المسدس الذي كان على ظهره مليء بالرصاص.

كان قد خباء للوهلة الأخيرة.. ولم يكن قد قرر بعد كيفية استعماله. لم يكن عنده نية للوقوع أسيراً للأعداء.. كان قد بدأ يرى نفسه شهيداً منذ الآن. سكت الجنود الآخرون، فجأة نظروا إليه وإلى الرقيب إبراهيم. قال أحدهم: (انتهى). لم يكن بالإمكان فهم أحاسيسه.

هزَ صباح الدين رأسه.. كانت الرصاصات قد انتهت.. لم يفكروا بانتظار إحدى دبابات الأعداء لتنقضي عليهم. ولم يكن أحد يفكر بتسلیم نفسه.. هذا هو السؤال الوحيد الذي كانوا يذكرون. إلى متى كانوا سيظلون يتحملون هذا المنظر الذي أمامهم؟ ومتى سيستشهدون إذن، الإنسان يتحول إلى مخلوق آخر عندما يكون الموت حتمياً. ثمة سعادة أبدية تملأ أعماقه. الخوف من الموت الذي هو الجرح العميق لوجود الإنسان.. يغادر البدن في تلك اللحظة. ويجد الإنسان نفسه في ساحة للمرور بين العالمين.. وعند ذلك لا يهمه شيء على الإطلاق. حتى لا أهمية لشكل الموت أيضاً.

بقي الجنود ينظرون في عيون بعضهم.. كانت عينا الرقيب إبراهيم تتظاران إلى نقطة مجھولة. في البداية كان ثمة كلمات لا معنى لها تخرج من بين شفتيه المرتحفين ثم بدأ يوازن نفسه وكلماته. كان يردد كلمات الشهادة. وفي لحظة واحدة ارتسم الضياء في وجهه.

وبدأ ينظر نحو السماء شدّ جسده. وكأنه يريد التحرك من مكانه لم يفهم صباح الدين ما حصل له.رأى ردة الفعل التي لا معنى لها من إنسان يموت. كانت إحدى الدبابات التي تقترب منهم قد بدأت تمطر الأطراف بالرشاش الآوتوماتيكي. لم يكن باستطاعتهم إخراج رؤوسهم من الحفرة إنما أرادت الدبابة، كان بمقدورها إبادتهم بقذيفة مدفع واحد - ولكنها لم تكن تشتعل بذلك.

ففهموا أنها ستختار من فوق الحفرة. نظروا إلى بعضهم بنشوة. كان الرقيب إبراهيم قد مد ساعديه نحو السماء.. كان يستعمل طاقته الأخيرة. لم يكن أحد قد فهم معنى حركته هذه.. وما الذي كان يريد؟ كان إبراهيم يحاول مدعديه لأحد ما.. كانت دموعه قد رسمت خطأ أثراً في وجهه الضبابي.. مسح صباح الدين

الوح الذي كان يغطي وجهه. لم يكن الرقيب ينظر نحوه.. وكأنه قد قطع علاقته مع الدنيا. مرت ثوانٍ.. وترك نفسه وقد ارتسمت السعادة والغرور على وجهه. نظر صباح الدين إلى العساكر الذين معه.. كانوا ينتظرون هكذا. فهم أنهم لم يضيقوا أنفسهم بفضل الأدعية التي كانت تتسلكب من شفاهם والأمن غير الممكن أن يبقوا هناك بهذا الشكل. كانوا في حالة صممٍ كاملٍ من هدير وضوضاء الدبابة التي كانت تقترب منهم. اهتز صباح الدين من تمازج صوت غريب بصوت (زنجر) الدبابة. ثمة طنين قادم من بعيد.. بدأ يعلو ويعلو.. وضوء غريب معلق فوق الساحة قد جاء لتوه أيضاً.. ربط الصواريخ الأربع التي كانت معه على ظهره بعد أن وضع إبرتها للتججير. كان الجنود الآخرون قد فهموا ما الذي يفعله صباح الدين.. وبعجالٍ ربطوا القنابل اليدوية على أجسامهم وعلقوا أصابعهم على حلقاتها..

كانوا قد صاروا كميناً.. لفما ونظروا بشفقة إلى الدبابة التي كانت تقترب منهم. كانوا قد تحولوا إلى (آنتي دبابة) بأربعة صواريخ وعشرين قنبلة يدوية. كان صباح الدين ينظر مرة إلى الدبابة المقتربة، ومرة نحو السماء كان الجنود الآخرون يفعلون الحركة نفسها. عندما فهموا ذلك تشابكت أيديهم ببعضها وكانوا يعرفون أن الصوت نفسه كان في آذانهم والضوء نفسه في عيونهم. زاد الطنين باضطراد.. كان صوت الدبابة قد بدأ يعلو على صوت (زناجيرها) تمددوا داخل الحفرة. كانت أنفاسهم قد سكنت ولكن ماضيهم لم يكن يُغادر عيونهم كان بحر من الخيال يسيل من الأعلى.. همس أحدهم (يا الله) شدوا على أيديهم بقوة.. صعدت الدبابة على المرتفع الصغير أو البسيط أمام الحفرة. وفي الوقت الذي سقطت فيه بقوة فوق العساكر.. حصل انفجار قوي.. في لحظة واحدة تحولت الدبابة إلى كتلة من اللهب من أثر الثقب الذي سببه الانفجار الشديد من أسفلها هذه هي اللوحة التي رأها إحسان باشا.

كانت الشمس على وشك أن تشرق. والمعركة تدور بكل شدتها كان جميع الجنود الموجودين بالساحة قد استشهدوا وكانت ثمة طلقات فردية خفيفة تصعد من هنا وهناك في الخطوط الأمامية للواء. كانت المناورة التي تطبقها فرقـة الإنزال

الجوي (١٠١) قد بدأت بالاتساع والانتشار. كانت المروحيات تجلب المزيد من الجنود وتقلّلهم إلى جنوب تواجد اللواء. كانوا يتحرّكون بحرية تامة.. كانوا قد فهموا أن الوحدة الموجودة أمامهم لم تكن تملك من القوة كي توقفهم عند حدّهم؛ بالأصل كانوا قد خسروا كل شيء.. مدرعاتهم ووحداتهم ولكن ما زالوا خطيرين.. يقابلهم آلاف الجنود. كانوا يريدون إنهاء هذه المهمة بعد شروق الشمس مباشرة وكانوا قلقين من ردة فعل الأتراك إذا ما تم حصارهم تماماً.

كانت الحركة الالتفافية التي طبقها الأميركيون قد أفلقت اللواء فضيّقوا من ساحة انتشارهم كي يسهل لهم الدفاع عن أنفسهم عندما رأى الأميركيون هذه الحركة أرسلوا وحدة صغيرة من المدرعات حتى تتم هذه الحركة بسرعة. كانوا يريدون حصار اللواء التركي في مكان ضيق. والذي أرادوه كان على وشك أن يتحقق، كانوا يطبقون الاستراتيجية نفسها التي طبقوها مع الوحدات الأخرى. وبما أنهم قد بدأوا الحرب أولاً يجب أن يكون النصر الأول لهم أيضاً. كانت الفرقة الرابعة للمشاة الميكانيكية الأمريكية الملقبة (بالحصان الحديدي) قد نظمت هجوماً قوياً على اللواء الجبلي للقوة الخاصة. كان هذا اللواء التركي قد دافع عن نفسه بعض الوقت ولكنهم عندما عرفوا أنهم لن يقدروا على وقف هجومهم. صعدوا إلى الجبال. كانت الفرقة الأمريكية الرابعة قد لاقت مقاومة لم تترقبها فخسرت تسعة دبابات وخمس عشرة عربة مدرعة. كان غضبُ القادة الأميركيين يظهر عبر الخطوط اللاسلكية. لم يستطعوا فهم مفزي هذه الخسائر الكبيرة ومن هجمة صغيرة. تقع المسؤولية الكبرى على عاتق القوات الخاصة التي كانت تتوحد مع الطبيعة بشكل رائع وتضع الكمامات المتفجرة على الأرضي في هذه الأثناء كانت القوات الخاصة التركية تتعرض على الدوام لهجمات جوية عبر المروحيات الأمريكية، ولكنها لم تكن تخسر كثيراً. ولكن قابلية تحركاتهم كانت قد نزلت إلى الصفر لأنه في الوقت الذي يبدأون فيه بالمناورة والحركة كانت المروحيات تهاجمهم بقوة بالصواريخ التي كانت تهطل عليهم كالمطر. ولهذا السبب كان الآلاف منهم محاصرين في مكان ضيق بين الجبال والتجاويف التي فتحوها بأيديهم.. يمطرون النار لكل عدو يحاول الاقتراب

منهم.

والحقيقة لم يكن أحد يعرف مقدار الزمن الذي ستدوم فيه هذه الحالة كان اللواء التركي الميكانيكي في أسوأ وضع بين الألوية التركية الأخرى معدرات وأخرى مشاة.. وقد تم الهجوم عليه من قبل الفرقة الخيالة الأمريكية الثالثة. حيث حصلت معارك طاحنة بالدبابات والمدرعات. وأن اللواء قد خسر كل قواته.

وأن قائده قد وقع شهيداً.. هذه المعلومات لم تكن موثوقة. وربما مع شروع الشمس تتضح كل تفاصيلها.. وكان السبب الرئيس في القضاء عليه وجوده في مكان ضيق غير قابل للمناورة والتحرك. كانت هذه الوحدات قد وقعت تحت نيران المروحيات الحديثة من طراز أباتشي AH-64E كانت القوات الأمريكية تستعمل هذه المروحيات أول مرة وأن من السهل جداً قذف الدبابات أشلاء الليل. كانت المروحيات قد انتهت مهمتها ومهام الدبابات الأمريكية في آن واحد. وكان من أسباب هذه الخسائر السريعة هو استعمال الأتراك الدبابات القديمة من طراز M-60 كان هذا السبب قد سهل من مهمة الأمريكيين كثيراً كانت الصواريخ الأمريكية تطلق من الدبابات مدعاومة باليورانيوم، ولهذا السبب كانت المدرعات التركية تصاب بعدة قذائف وتحترق فوراً.

جمع الفريق إحسان باشا ضباطه إلى أطراfe، كانت الشمس قد أظهرت نفسها تماماً.. كان الجو هادئاً ولكنهم كانوا يستطعون رؤية تحركات الفرقة 101 للإنزال الجوي إلى الجنوب منهم. لم تكن إفاده النصر قد رسمت بعد على الإطلاق. هكذا فكر إحسان باشا.. كان مصمماً على المقاومة حتى آخر عسكري في وحده. وكانوا يخططون لإنزال أشد الخسائر بالقوات المعادية، كان الجنود سيعمدون قبل موتهم إلى تقديم كل ما يمكن تقديمها للوطن وعزته الوطن.

- قراري هذا قطعي يا أولاد. إذا هجم الأعداء علينا بشكل كثيف سنعمد إلى ربط كل المتفجرات التي نملّكتها على أجسادنا. وسندخل داخل كل ثقب وتجويف وحرة وننزل بهم أقسى الخسائر. لن نعطي إذناً للعالم كي يقولوا إن الأمريكيين قد انتصروا بسهولة أليس كذلك؟ لن نخون مجدهنا الغابر لأن الجيش

التركي وعلى مدى مئات الأعوام. قد كتب عزته وغروره بالدم.

- أنت محق يا سيدى.. لترحم علينا الحياة إذا لم نقتل على الأقل فرداً واحداً من الأعداء ولترحم علينا التخلص من هذا الفخ أيضاً.

تمت الضباط الآخرون دفعة واحدة: آمين.

دخل أحد الجنود الذي كان يعمل بالاستخبارات من باب الخيمة بسرعة.. كان منفعلاً جداً.. كان يقف وكأنه سيقول شيئاً مهماً:

- إنهم ينسحبون يا سيدى.

فتحت عيون الجنود من الدهشة والحيرة. هذا الخبر ليس صحيحاً بل مستحيلاً.. لماذا تسحب هذه القوة الكبيرة من أمام لواء صغير.. هذا مستحيل خرج إحسان باشا من الخيمة وأسرع جرياً يبحث عن نقطة مرتفعة ليراقب القوات الأمريكية. ومن خلفه الضباط الآخرون.. في هذه اللحظة بالذات شاهدوا الوجه الحقيقي للمعركة التي صارت في الليل ومن خلال عيون الضوء والنهار.. كانت وجوه جنودهم ملبدة بالغبار والوحول. وثياب بعضهم كانت مقطأة بدماء زملائهم.. وحال الخنادق كانت سيئة جداً لا تستطيع أن تسميها خنادق، أما الساحة التي صارت فيها المعركة الليلية. تذكر الإنسان بالمقابر. الدبابات والعربات المدرعة والجنود المحروقون.. كانت قد دامت على مدى ساعات طويلة.. كانت الكتيبة قد قاتلت حتى نفسها الأخير.. ولم تتراجع.. وأفنت نفسها بنفسها.

كان إحسان باشا يحاول أن يمسك نفسه والدموع الغزيرة قد بدأت تسيل من عينيه.. لم يكن يريد النظر إلى وجوه جنوده الذين كانوا يتخدقون.. متعبين.. منتهين. كان يحس أن الابتسامة التي على وجهه لن تعطيهم المعنوية. وليس من الضرورة أن ينظر المرء إلى المرأة كي يعرف ذلك. كان قد أعطى أمراً واحداً.. ونتيجة لهذا الأمر كانت أجساد مئتين وثلاثة وأربعين جندياً متمددين على الأرض.. محروقين كان قد أرسلهم بيديه إلى هناك ولا يدري كييف كان سيتحمل كل هذا العذاب. كانت الكتيبة قد منعت تمزق خطوط اللواء. وإذا كان الخبر الذي جاءه صحيحاً الآن - كان عليهم أن يقيموا نصبًا تذكارياً لشهداء الكتيبة في تلك الساحة.

بدأ إحسان باشا والضباط الآخرون بمراقبة القوات المعادية وتحركاتها من موقع متقدم إلى حد كبير. أما الجنود الأميركيون الذين تم انزالهم في ساعات الصباح.. فكأنوا يذهبون ثانية وبالروحيات نفسها. كانت الجهة الجنوبية قد صارت مكشوفة إلى حد ما. إذا كانوا قد أرادوا الفرار من هنا.. كان بإمكانهم ذلك وبسهولة كبيرة.

حتى القوات الرئيسة الموجودة في الشمال.. كانت قد بدأت بالتحرك أيضاً وكانت بعض المدرعات الأمريكية قد بدأت تخلی جثث جنودهم من داخل الدبابات التي احترقت في الليل.. وبسرعة كبيرة. وكان بعض الجنود الذين جاؤوا بسيارة إسعاف مدرعة.. قد بدأوا بنقل جثث الطيارين من داخل المروحية التي سقطت.

ماذا يحصل يا إلهي ! لم يكن إحسان باشا يستطيع تأويل وفهم كل هذه التحركات التي كانت تجري أمامه.. لماذا يا ترى فجرؤوا هذه الحرب القذرة؟ وربما استطاع السياسيون توقيفها، ترائي هذا الشيء أمام عينيه كاحتمال صغير. لو صار على عكس ذلك.. لصدقها.. من غير المعقول أن ينجو السياسيون في توقيف وإطفاء هذه النيران المتأججة.. احتمال ضعيف جداً.. جداً.

وإذا قلنا إن الأميركيين قد انسحبوا من شدة المقاومة.. هذا يكون نوعاً من التفاؤل الشديد. طيب.. لماذا لم يكن إحسان باشا قد أحب هذه العملية أبداً.. بالنسبة لمنطقة العسكري. يجب أن يبدأ القذف الجوي.. ومع هذا القذف تدخل القوات تزامناً مع الدعم الجوي. ربما هكذا، ولكن لم يكن عنده علم بأنواع كثيرة من الأسلحة وربما هذه اللامعرفة قد جعلته يغير من منطقة العسكري.. وهذا ما سيظهره الزمن القادم.

٢٣ أيار ٢٠٠٧ - الساعة ٠٨:٠٠

رئاسة الأركان العامة

كان مركز القيادة في رئاسة الأركان مزدحماً جداً.. والعساكر الذين كانوا ينتقلون من هنا إلى هناك.. يوصلون لقيادتهم التقارير أولاً بأول والعاملون أمام شاشات الحاسوب.. يأخذون المعلومات الواردة إليهم من مصادر الأخبار المنصبة عليهم من الحواسيب وخطوط الالسلكي ويحوّلونها على شكل تقارير.. كانت هذه العملية تدوم وتوصل الأخبار والمعطيات والمعلومات إلى القادة الكبار.. وكان بعض أعضاء الحكومة قد اجتمعوا في إحدى غرف مركز القيادة يتحدثون بالهاتف دون توقف.

كان الإعلاميون يبحثون عن رئيس الوزراء، ومراسلو CNN. يبحثون عن مئات الأجوبة للأسئلة التي كانوا قد جهزوها حتى يكشفوا عن الوجه الحقيقي للتحركات والهمسات التي كانت تخرج من هنا وهناك لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن العاصفة التي ظهرت في العراق. كانت بعض المعلومات الغربية ترد إليهم من المنابع الموجودة هناك.. ولكن عندما تضع الأخبار والمعلومات إلى جانب بعضها لا تستطيع الوصول إلى نتيجة واضحة..

كانت السفارة الأمريكية في تركيا قد ركنت إلى صمت مريب وغريب والمعلومات الواردة إليهم من بعض المدنيين القادمين من العراق. كانت تؤكد للإعلاميين بأن هناك قتالاً عنيفاً يدور رحاه بين الأمريكيين والأتراك.. ولكن المصادر لم تكن موثوقة.. وهذا الشيء لا يستطيعون الوصول إليه إلا من رئيس الوزراء نفسه.. طبعاً كان عليهم أن يجدوه قبل كل شيء ولكن هذا الأمر كان يتراهى من رابع المستحيلات وكان الأرض قد انشقت وابتلعته كان الصحفيون جاهزين على الدوام مثل هذه المواقف إذا أرادوا سماع كلامه وحديثه.. عليهم أن يحاصروه في نقطة ما عن طريق (المانشيتات) في الإذاعات والصحف.. عندما يرسل

رئيس الوزراء من خلفهم ويعطي لهم كل المعلومات التي يبحثون عنها. عندما وصلت عقارب الساعة إلى التاسعة من صباح ذلك اليوم كان احتياج الصحفيين لرئيس الوزراء قد تلاشى من تلقاء ذاته. كانت قناة الجزيرة الفضائية قد ذكرت في خبر عاجل لها بأنه ثمة معارك طاحنة تدور الآن بين القوات الأمريكية والتركية في العراق. هذا الخبر لم يتم تفهمه كلياً في وكالات الأنباء العالمية. وفسر الخبر على أنه نوع من المناورات المشتركة بين البلدين.. لم تكن المعلومات الواردة تتسم من إطار منطقي، ولهذا السبب كان الصحفيون ينتقلون من هنا إلى هناك والانفعالات والتوترات تتشكل.. وينتظرون الخبر الصحيح ثانية بعد أخرى. كانت الأخبار التي ترشح من الطرف الأمريكي تؤيد خبر قناة الجزيرة إلى حد كبير.

وحقيقة كانت ثمة أشياء جدية تحصل في العراق.. واحتمال أن يكون قتالاً عنيفاً تزداد مع مرور كل دقيقة وثانية.

أما الصحف التركية فكانت لا تزيد إذاعة هذه الأخبار إلا بعد أن ينطلق بها أحد الرسميين في الحكومة. ولكن التوصل إليهم كان بعيد المدى. الأخبار الواردة من خارج الوطن.. كانت ستنتشر بين الناس بسرعة كبيرة. وكان المسؤولون عن الخطوط الهاتفية يؤكدون بأن استعمال الهاتف قد زاد أضعافاً مضاعفة.. وكانت هذه أهم مراة لانتشار (جريدة المسميات) وكان على مسؤولي القنوات الفضائية إيراد هذا الخبر فوراً في نشرات الأخبار. وإنما فإن فوضى كبيرة تعم البلد بكل معنى الكلمة. وربما إخفاء هذا الخبر يكون أكثر خطراً من الإعلان عنه ونشره. كان رئيس الوزراء قد عاد إلى مقر القيادة بعد حدوث القتال في العراق. وبمجرد دخوله إلى المقر.. خلع سترته وربطة عنقه ورمها إلى إحدى الزوايا. وكان القادة العسكريون قد اجتمعوا حول طاولة كبيرة عليها خريطة الشرق الأوسط يتناقشون بحرارة ذهب رئيس الوزراء والوزراء إلى عندهم، حياً حكمت باشا وباقى أركان القيادة رئيس الحكومة وعادوا إلى عملهم ثانية ومن الطبيعي أن يكون رئيس الوزراء فرداً أصيلاً من أفراد طاقم الاجتماع أشار حكمت باشا إلى رئيس الوزراء إلى مناطق القتال التي كانت تدور في العراق:

- هذه النقطة.. وهذه النقطة وهذه النقطة.. هي مناطق القتال الجاري.. دام القتال الضاري طيلة الليلة الماضية. الوضع ربما يكون أسوأ مما نظن. الأخبار والمعلومات الواردة إلينا ليست موثوقة.. والاتصالات الحاصلة مع الويتـا ضعيفة. ولهذا لا ترددنا الأخبار بشكل دائم.

كان طيب أردوغان ينظر إلى وجه حكمـت باشا أكثر من الخريطة وكان ثمة عدم تصديق مرسوم في علامـات وجهـه:

لم يستطع أن يقول سـوى: هل دخلـنا الحرب يا باشا؟
ارتسمت عـلامة سوداء على وجهـ حكمـت باشا. هو كان عـسكرياً وجـيءـ به إلى هذا المنصب لمـثلـ هذه الأيام.. الحياة بالنسبةـ إليهـ لا تـشكلـ أهمـيـةـ ولكنـهـ كان يـحسـ بالـمـسـؤـولـيـةـ المـلـقاـةـ عـلـىـ عـاقـقـهـ.

التـفتـ (حكمـت باشا) نحو الضـبـاطـ وأـعـضـاءـ الـحـكـوـمـةـ. كانـ قدـ اـبـتـعدـ عـدـدـ خطـوـاتـ عنـ الطـاـوـلـةـ وـقـالـ:

- إذاـ كـنـاـ مـسـؤـولـيـنـ عـنـ اـسـتـشـاهـادـ الـآـلـافـ مـنـ جـنـوـدـنـاـ فـتـحـنـ قدـ دـخـلـناـ المـرـكـبةـ.

لمـ يـدرـ أـعـضـاءـ الـحـكـوـمـةـ بـالـذـيـ أـصـابـهـمـ بـعـدـ كـلـامـ رـئـيسـ الـأـرـكـانـ أوـ كـانـتـ الصـدـمـةـ قـدـ أـصـابـتـ أـعـضـاءـ الـحـكـوـمـةـ مـاـ سـمـعـوهـ مـنـ رـئـيسـ الـأـرـكـانـ. أـحـسـواـ كـانـهـمـ قـدـ ضـرـبـيـواـ فـيـ جـوـهـهـمـ.

تـحدـرـتـ وـجـوهـ بـعـضـهـمـ وـيـدـأـتـ قـلـوبـهـمـ تـبـضـ كـالـمـجـانـينـ.. وـبـدـأـ الـعـرـقـ الـبـارـدـ يـسـيلـ مـنـ ظـهـورـهـمـ.. فـظـهـرـ أـنـ الـجـمـيعـ لـمـ يـكـونـواـ عـلـىـ درـيـةـ بـالـأـمـورـ الـحـاـصـلـةـ وـلـاـ بـضـخـامـتـهـاـ. فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـوـاـ يـنـظـرـوـنـ فـيـ وـجـوهـ بـعـضـهـمـ.. كـانـ عـلـائـمـ الـذـيـوـلـ قـدـ لـفـتـهـاـ.

قالـ رـئـيسـ الـوزـراءـ وـهـوـ يـحبـسـ الـأـلـمـ فـيـ أـعـماـقـهـ: هلـ تـقـولـ بـالـآـلـافـ باـشاـ. تـحـدـثـواـ..
قولـواـ شـيـئـاـ مـنـ أـجـلـ عـزـةـ اللهـ. ماـذـاـ حـصـلـ هـنـاكـ؟ سـحـبـ حـكـمـتـ باـشاـ نـفـساـ طـوـيلـاـ
وـقـالـ: هـجمـواـ عـلـىـ لـوـاءـ الـمـدـرـعـاتـ، لـمـ يـبـقـ لـنـاـ دـبـابـةـ وـاحـدـةـ، يـقـولـونـ: إـنـ الـمـرـوحـيـاتـ
قـدـ أـغـارـتـ عـلـيـهـمـ طـوـالـ الـلـيـلـ.. وـبـالـأـصـلـ لـيـسـ عـنـهـمـ طـاقـةـ تـحـمـلـ لـكـلـ هـذـاـ. وـإـنـ
الـلـوـاءـ قـدـ أـبـيـدـ تـقـرـيـباـ.. وـلـاـ نـمـلـكـ مـعـلـومـاتـ عـنـ الـجـنـوـدـ الـذـيـنـ نـجـواـ بـأـنـفـسـهـمـ. وـالـآنـ لـاـ

نستطيع الاتصال مع أحد.

تحدث رئيس الوزراء وكأنه قد أحس بالمصيبة قد دخلت إلى دماغه وأحس بأن دمه قد نُشفَّت من جسده:

- يعني لا تستطيعون الاتصال مع أي أحد؟

- والآخرون كذلك.. الشيء نفسه.

- كلهم يا باشا..

- لا.. لواء مشاة البحرية حارب وقاوم طوال الليل.. وصار عندهم شهداء.. ولكنهم متمسكون بخطوتهم.. يخبروننا بأن القوات الأمريكية قد انسحبت.. ولا أحد يعلم سبب هذه الحركة. ويقولون: إن اللواء الجبلي للوحدات الخاصة قد حارب وبعد ذلك انهزم نحو الجبال.. ويستر نفسه في مكان ضيق. ربما هذا يُشكل خطراً عليهم في المستقبل.

- لا نقدر أن نتوقف بعد الآن يا باشا.

- طبعاً لا نستطيع أن نتوقف. الجيش مستقر الآن. ولكن يجب أن نحسب حساب كل خطوة قبل أن نخطوها لئلا تحصل مصيبة كبيرة.
يجب أن تكون أحاسيس حكمت باشا قاسية كالصخرة مقابل الألم الذي يقطع أعماقه. نعم استشهد الآلاف.. ولكن الآن يجب التفكير بمصير أمة كاملة.
قال طيب أردوغان: وصل السيد عبد الله غول وزير الخارجية إلى واشنطن هذا اليوم وسيعقد اجتماعاً مع نائب الرئيس (ديك تشيني) ونأمل أن نحل هذه المشكلة على الطاولة.

قال ذلك ولم يكن يعرف إن كان يصدق ما صدر منه.

- سيد رئيس الوزراء "خرجت هذه الكلمات من (حكمت باشا) وعروف وجهه كانت على وشك أن تتفجر من الغضب والانفعال الشديددين وأضاف دون أن يفهم الذي حصل: تفضلوا يا سيدى.

- اطلبوا وزير الحكومة الخارجية ليعود فوراً.

فهم الأعضاء مغزى كلماته مباشرة.. هل من المعقول أن يتحقق هذا الشيء؟
هل من المعقول أن يتعامل وزير خارجية دولة كبيرة مثل تركيا معاملة سيئة وفي

داخل أراضي الولايات المتحدة الأمريكية؟ بعد الذي صار في الآونة الأخيرة.. ربما يحدث كل شيء.

- في هذه الأثناء يا سيدى رئيس الوزراء وردتنا أخبار أن المدنيين (الروم) اليونانيين في قبرص بدؤوا بخلق توترات بين الجهتين وأن الكثيرين منهم قد أمطروا الجنود الأتراك بوابل من الأحجار، وأعطيتهم أمراً كي يكونوا حذرين وألا يفتحوا النار عليهم. وأرسلنا إلى الحدود الشبان اليمينيين واليساريين. وهكذا نتدارك الأمر بعض الشيء.. فتال صغير هناك يجعل النيران تستعر مباشرة. وشكنا بما يقوم به الأميركيون يتزايد ويُصبح حقيقة.

- عندنا في قبرص ستون ألف عسكري يا باشا إذا حصل شيء.

- لا تفك في هذا الموضوع يا سيدى.. وحداتنا هناك منتشرة بشكل خالي وإذا حصل هجوم أمريكي عليهم.. يستطيعون التحمل إلى حد كبير. وإلى جانب ذلك جاهزون لصد أي هجوم من قبل الروم.

- كم من القوت يتحملون؟ هذا السؤال المنطقي سأله وزير الداخلية كان عليهم التفكير جدياً في هذا الموضوع.. كيف على قوة كبيرة أن تدافع عن نفسها فوق جزيرة صغيرة.. ودائماً في حرب الجزر.. تكون نسبة نجاح الموجودين في الجزيرة حتى أقل من صفر إذا جاز الكلام. قال حكمت باشا لا أعرف.. والحقيقة من غير الممكن أنني أعرف جواب هذا السؤال.

في هذه الأثناء تماماً رنَّ جرس هاتف رئيس الوزراء. استمع لبعض الوقت وسأل الجميع!! كان الآخرون ينظرون إليه بفضول. عندما أغلق الهاتف.. كانت علام القلق تقرأ في وجهه وقال: لقد أفرغوا السفارة الأمريكية كلها ليس السفارة بل كل مكان يتواجد فيه الأميركيون ولم يتركوا في كل دائرة سوى خادم تركي واحد.

رفع رئيس الوزراء يديه نحو السماء بهذه الحركة أظهر ضعفه كلياً وقال:- أعتقد حان الوقت كي أفتح قلبي للصحفيين.

- نعم ولكن يجب أن نكون حذرين من الأسلوب.. يجب ألا نظهر وكأننا نحن الذين بدأنا بالحرب.

خرج رئيس الوزراء دون أن يقول شيئاً.. وأسرع الوزراء من خلفه أيضاً.. كان السيد طيب أرودغان يسبح في بحر من العرق. كانت في رأسه آلاف الأشياء.. كيف يجب عليه أن يتحدث؟ ما الذي كان سيفعله الآن؟ كانت أجوبة هذه الأسئلة تخترق رأسه بقوة عندما كان يخرج من الغرفة قال له حكمت باشا:

- إننا نتحرك بعد الآن يا سيدي وكأننا في حرب، في الساعة الرابعة من مساء هذا اليوم سيجتمع مجلس الأمن القومي في مقر القيادة، هرر رئيس الوزراء رأسه، يجب عليه أن يجمع حكومته.. وبعد اجتماع (مجلس الأمن القومي) مباشرة.. يجب أن يخبر المجلس بكل هذه التطورات.

عندما خرج رئيس الوزراء من باب رئاسة الأركان العامة. هجم عليه الصحفيون مباشرة. ولكن خفوا من سرعتهم وحركتهم عندما أحسوا بأنه سيتحدث معهم.. وبدوا بالتدافع فيما بينهم كي يأخذوا أماكن في الصفوف الأمامية.

- الأخوة الصحفيون الأعزاء.. لن أقول لكم الشيء الكثير. ولكن أستطيع أن أقول لكم: بأنه حصل في ليلة الأمس معارك شديدة بين قواتنا والقوات الأمريكية - ومازالتنا نتحقق في أسبابها نحن نريد أن نفكر بأن الحادثة قد بدأت على إثر سوء فهم، وزير خارجيتنا الآن في واشنطن، وسيعقد لقاء مع نائب الرئيس الأمريكي. وأرجو أن يساعد هذا الاجتماع على وقف كل المشاكل المعقده بين الطرفين.. أرجو من شعبي أن يكون واعياً ولا يقوم بأية فوضى ويكون ملائماً للتاريخ أمتة. هذا ما أريد أن أقوله الآن..

حاول رئيس الوزراء التقدم نحو الأمام إلا أن قطع السد الذي بناه الصحفيون لم يكن سهلاً.

- سيدي رئيس الوزراء.. هل عندنا خسائر؟

- يتحدثون عن وجود خسائر في الطرفين.. ولكن ما زال الوقت مبكراً لإعطاء كل التفصيلات.

هل صحيح أن السفير الأمريكي قد ذهب إلى بلده يا سيدي؟

- لا يوجد تعليق.

- هل دخلنا المعركة يا سيدي؟

- لا.. لسنا في المعركة.. مجلس الأمة سيجتمع هذا اليوم اجتماعاً ملقاً وسيقرر أو سيعلن ما الذي ستفعله وما الذي سنقوم به مقابل هذه الأحداث.

- هل سيكون هذا الرد عسكرياً يا سيدي الرئيس؟

- أيها الزملاء.. إن الكلام الكثير عن هذه الأحداث وفي هذا الوقت بالذات لا معنى له ولا مفزي ورجائي الحار لكم أن تكونوا حذرين وتحملوا أعباء المسؤولية الملقاة على عاتقكم ولنبعد عن كل شيء يطرح القلق والفوبي والخوف لدى شعبنا.

اجتاز السيد طيب السد بقوة. وبأذى النزول بسرعة على الدرج، كان قد صمّ أذنيه عن الأسئلة. كان يحاول رسم إفادة مريحة على وجهه ولكن عبثاً.

كان الصحفيون قد قرروا في وجهه علائم تفكير عميق. كان الناس قد أجبروا أنفسهم على الصمت. أسرع الصحفيون إلى مراكزهم وجلسوا أمام الهاتف ليخبروا جرائهم ومحطاتهم التلفزيونية وأرسلوا إلى مراكز الأخبار الأخرى التعليقات والأخبار الضرورية.

كان التأثير مخيفاً في الوقت الذي أعلن فيه رئيس الوزراء عن صدق خبر القتال.. كانت موجة من الانفعالات الشديدة قد بدأت لدىأتراك العالم كله. لم يكن أحد يستطيع الوقوف في مكانه لم يكن الجميع قد توصلوا بعد إلى فهم البعد الحقيقي لهذه الأحداث لو عرفوا نتائج القتال كيف كان سيكون الرد لدى الشعب التركي.

كان الأتراك الموجودون في الخارج قد جلسوا حول هواتفهم.. يتصلون بأهليهم وأقربائهم.. وكانت الخطوط قد أغلقت تماماً.

كانت عقول الجميع قد صارت بين حانا ومانا.. اختلطت المشاعر والأحساسين منذ وقت طويل كانت الأخبار تتوارد إليهم بشأن أمريكا وما تفعله للأتراك. كانوا قد استمعوا إلى هذه الأفكار كما يستمعون إلى سيناريو روایة ولكنهم لم يصدقوها.. وكانوا قد مسحوها من ذاكرتهم ولكن هذه الأفكار التي كانت غاطسة في أعماق وجاذبهم وضمائرهم وذاكرتهم. كانت قد بدأت بالظهور ثانية مثل شروق الشمس. وكانت تتسبب في تأسيس خوف حقيقي في أعماقهم موجة

غريبة من الانفعالات كانت قد لفت البشر والناس في كل مكان لم يكن أحد يريد العمل في محلات والمخازن. كانوا يحسون بأن ثمة شيئاً ما سيحصل. كانوا يريدون العودة إلى بيوتهم والبقاء مع أولادهم وعائلاتهم.. لم تكن المخازن (الماركتات) قد بدأت تتعرض لهجمات من الشراء الكثيف. ولكن كانت ثمة حركة خفيفة في الأسواق - البيع والشراء كان منصباً على المواد الغذائية فقط. لم يكن أحد يريد أن يظهر قلقه وخوفه للخارج.

٢٣ أيار ٢٠٠٧ - الساعة ١٦:٠٠

- شمال العراق-

الذي حصل أن أصوات المدافع التي كانت تُرمى من على بعد كيلو مترات بعيدة هي التي كانت تمزق الفضاء وتنتهك الصمت المطبق. كانت شظايا القذائف التي تقذف من مدفع عيار (١٥٥ مم) تهطل فوق الخنادق التي يخندق بها لواء مشاة البحرية التركى وفي مساحة ضيقة جداً. ومع الانفجارات الجديدة كانت أجساد الجنود الشهداء تظهر ثانية.. وتصل حتى الخنادق - والحقيقة كانت مقاومة لواء المشاة البحري رائعة بكل معنى الكلمة وهذه المقاومة كانت مدينة للانتشار والخندق الرئتين وإلى عناصر الطابور الذي قام بالهجوم المضاد ضد القوات الأمريكية ونجاهم ومقاومتهم الشديدة.

كانت الربيع تزيد من سرعتها باضطراد.. وكانت ثمة غيوم تتجمع وتكاثف فوق الأفق البعيدة. وعنابر معاير مشاة البحرية التركية.. كانوا قد بدؤوا بالخروج من خنادقهم وراحوا ينتقلون بين الخنادق على شكل سير سريع ويحملون رؤوسهم بالخوذات والقطع الحديدية الأخرى.

وكان فريق إحسان باشا واحداً منهم. لم تكن ثمة إشارة أو شيء يدل على رتبته الآن، كان قد خلفها وألقى بها.

وبندقيته الآوتوماتيكية على كتفه. كان يحاول رفع معنويات جنوده منقلأً بين الخنادق. والحقيقة أنهم كانوا بحاجة ماسة إلى هذه اللفتة كان الجنود الذين يشاهدون الفريق يلملمون أنفسهم وثيابهم ومظهرهم. وتبدأ جوهرهم بالضحك. كان الوحل يغطي أجساد الجميع. وكان كل الجنود تقريباً قد اشتركوا بالمعركة.

كانت قذائف المدفع لا تُخوّف إحسان باشا وخاصة أنها كانت لا تسقط داخل الخنادق. كان يفكّر على الدوام! أن في هذا الأمر سراً غريباً.. كان قد

جعل خط دماغه فوق مساحة ضيقة جداً. وكان قد طلب من عناصره أن يركزوا الأسلحة الثقيلة التي يملكونها في الصفوف الأمامية. كان معهم مدفع مضاد للطائرات من عيار ٣٥ مم. وكانوا قد استعملوا معظم القذائف التي كانت معهم في معركة ليلة أمس. أما مدرعاتهم فكانت قد أبيدت عن بكرة أبيها والصواريخ المضادة للدبابات كانت على وشك الانتهاء إذا هجموا عليهم ثانية ي تكون خلاصهم بمثابة معجزة. أمسك مسدسه بيديه كان سيسعمله كآخر شيء يمكن استعماله، وكان قد خبأ الرصاصة الأخيرة لنفسه، لا يريد الاستسلام. لا يريد أن يمنع مثل هذا الشرف للجنود الأمريكيين.

أبعد إحسان باشا مرافقيه عنه وجلس فوق إحدى الصخور.. صخرة باردة ورطبة. أشعل سيجارة.. كانت الحرارة على طرفها قد أدفأته عمماهه.. عقله كان مضطرباً.. لماذا صاروا طرفاً في داخل هذه المعممة القتالية؟ ماذا كان يريد الأمريكيون من تركيا؟ فكر بالوطن الأم. من يدري كيف كانت أحاسيس البشر هناك؟ وكيف كانوا يفكرون؟ ربما سمعوا أخبار القتال؟ فكر ليقهر الله هذا الزمن؟ الجيش مستقر وربما يخططون في تخليصهم من هنا.. تبرعمت بادرة أمل في أعماقه.. ولكن هذا الإحساس قد ابتعد عنه بسرعة. هذه الفكرة كانت تشبه السراب في الصحراء.. لأنه شخصياً كان قد طلب بعدم إرسال أية مساعدات لهم.

كان في حالة من التفكير الشديد. رفع رأسه.. كان ثمة جنود أمامه.. ضباط وأفراد.. كانت عيونهم تلمع كالنار. وكانهم على أهبة الاستعداد ليفعلوا شيئاً ما.
اقترب منه أحد الضباط وهو يقول له:

- سيد القائد.. نحن تناقشنا مع بعضنا وقررنا أن نخلصك من هذا الجهنم الذي أنتم فيه.

لم يستطع إحسان باشا التحمل أكثر فامتلأت عيناه بالدموع.. فشد على يده وجعل منها قبضة محاولاً السيطرة على نفسه. لم يكن يتحدث، هرّ رأسه بمعنى: لا.

- أنتم يا سيد مهمون جداً بالنسبة لتركيا.. وإذا ما صارت حرب شاملة

تركيبة ستحتاج لأمثالكم.

- هل تعرف ما الذي تقوله يا بني؟ إذا تركتكم هنا وذهبتم بمفردكم. لا
أستطيع أن أنظر بعد الآن إلى وجه أحد.
- سيدى القائد...

أسكت إحسان باشا الضابط بإشارة من يده.

- إنما الجميع وإنما لا.. وإذا كنا سنموم.. سنموم معاً بإذن الله.
حنى الجنود رؤوسهم نحو الأسفل.. وتفرقوا بصمت.. لم تكن قنابل المدفعية
تسقط فوقهم في هذه الدقائق.. كانت هذه عبارة عن قذف لشد أعصاب اللواء
التركي وفتح ثغرة بين الخطوط. ثمة ساعات عصيبة كانت تتظاهر هم
كان بعض الجنود قد وضعوا أيديهم فوق عيونهم.. ينظرون نحو البعيد.. هذه
الحركة جذبت انتباه إحسان باشا.. وذهب إليهم مباشرة. كانت ثمة نقطة صغيرة
في السماء.. هذه النقطة تقترب منهم رويداً رويداً. بدا إحسان باشا بمراقبة هذه
النقطة بمنظاره.. هذه طائرة.. ولكنها طائرة غير حربية.

كانت هذه الطائرة من طراز (C 120) تحلق على ارتفاع شاهق.. وتتجه نحو
اللواء. لم يأبه إحسان باشا بها.. هذه طائرة نقل عادية حتى إنها لم تكن تطير من
أجلهم ومع هذا أعطى أمراً للمدفع المضاد كي يكون جاهزاً.

لفَّ أعماق إحسان باشا قلق وحزن شديدان. كانت الطائرة تكبر باضطراد في
الأفق. ولأي سبب كان مشهد هذه الطائرة قد بدأ تضفت عليه وأحس بامتعاض
شديد لرؤيتها. وكلما اقتربت أكثر كان الاختلاف يظهر عليها.. هذه ليست من
طراز (C 120) هذه طائرة معدنة. كان إحسان باشا على اطلاع تام أن طائرات
النقل العملاقة قد جُهزت على حمل قنابل ضخمة.. وإغارة طائرة واحدة من هذا
النوع على اللواء هو نوع من العبث والسخرية. لأن اصطدامها يمكن سهلاً لأنها
كانت ستنزل على ارتفاع مناسب وكان الطائرة التي كانت تأتي نحوهم قد
عرفت هذا الشيء، ولهذا السبب كانت تطير على ارتفاع كبير. خارج مدى مدفع
المضادة للطائرات.

بدأ إحسان باشا والضباط الذين كانوا معه بتعقب الطائرة. عمدت إلى تطبيق

مناورة عندما أنزلت طرفها الأمامي نحو الأسفل... وبعد هذا الغطس مباشرة لاحظوا أن كتلة سوداء كبيرة قد افترقت عنها. وبعد أن تركت الطائرة هذه الكتلة الضخمة لفت نحو اليمين.. على شكل مناورة فاسية.. وأخذت اتجاهًا عكسيًا وبدأت بالابتعاد عنهم. في هذه الأثناء تماماً لاحظوا طائرات أخرى كثيرة.. كانت تقترب نحو الخنادق رويدًا رويدًا. كان الإحساس بالتشاؤم الذي أحس به إحسان باشا على وشك أن يتحقق.. كان يرى المکروه على قاب قوسين منهم، لم يكن أميناً من رؤية أحد غيره لهذا الشيء.

تحول شعر جسد إحسان باشا إلى أشواك. في الوقت الذي كانت فيها الكتلة السوداء المنفصلة عن الطائرة. تمزق الفضاء وهي تنزل نحو الأسفل. بدأت تصدر أصواتاً مخيفة. ولاحظ أنها تتجه نحو الساحة التي تنتشر فيها عناصر اللواء. كانت هذه الكتلة السوداء وكأنها تقاد من الأميركيين من قبل جهاز تحكم بعيد. كانت تتقدم وهي تغير من زاوية حركتها وقبل أن تسير على استقامة واحدة.. جاءت نحو اللواء وهي تنزلق من الفضاء. في لحظة واحدة فتحت أجنبتها الخلفية.. كان هذا الجسم يأخذ شكلًا مرعباً باضطراد.. عندما خففت من سرعتها زادت عندها قابلية الحركة. وبعد أن رسمت زاوية حادة تركت نفسها تنزل على الأرض.

في الوقت الذي صارت فيه الكتلة السوداء على ارتفاع عشرين متراً عن الأرض كشفت عن وجهها الحقيقي بالنسبة لوزنها وحجمها. ولكن بعد فوات الأوان. كان حجمها تقريباً مثل حجم حافلة سوداء على شكل كونيك مخروطي حيث انفجرت انفجاراً أزاحت الأسماع والأ بصار عن الوجود، كانت موجة الصوت التي أصدرتها قوية وثقيلة بحيث تستطيع صم جميع الموجودين في اللواء. والمساكر الموجودون داخل الخنادق وعلى أطراف المكان الذي انفجرت فيه القنبلة.. كانوا قد فتحوا أجنبיהם للرحيل الأبدي. أما المساكر الآخرون الذين كانوا خارج تأثيرها فقد جرحا أو استشهدوا من جراء القطع والشظايا التي نتجت من الانفجار الكابوس.. لقد تهدمت كلية الخنادق الموجودة على ساحة الانفجارات وأجساد الجنود والخنادق وكل شيء موجود هناك تحولوا إلى قطعة واحدة.

كان إحسان باشا والضباط الذين معه على الأرض في حالة شديدة من الفبن وعلى شكل سكارى من الدرجة الأولى. مدهوشين.. محترفين.. لا يعرفون ماذا يفعلون.. ولا يستطيعون الحراك. وبكلمة واحدة كان هذا السلاح إخلاً بقوانيين الحرب. لم يكن أحد في حالة تسمع له بالتفكير في هذا الأمر. يجب أن يكون هذا الانفجار الرهيب قد خرب، وبقساوة، نفسية الجنود الذين لم يؤثر عليهم. حاول إحسان باشا أن يعلم نفسه. فتح عينيه.. ووقف على رجليه لم يكن يرى شيئاً، كانت القنبلة قد سقطت على بعد سبعمئة متر عنهم.. والقطع المعدنية التي نشرتها قد وصلت إليهم وسببت الكثير من الجروح القانية على أجسام الجنود. أمر إحسان باشا الجنود القريبين منه بمساعدة الجرحى.. لم يكن أحد يستطيع التحرك بشكل منطقي.. وكان واضحاً أن هذه القنبلة لم تصمم فقط للتدمير الفيزيائي والجسدي.. كان صوتها يجعل الإنسان في شوق واندهاش ولا مبالاة. وتسبب في جذب انتباذه لنقطة واحدة فقط. وتجعله يسقط دفعة واحدة جسدياً ونفسياً.

كان إحسان باشا يحاول للمرة نفسه ولكن عبثاً.. كان العرق البارد قد تفاصد من جسده.. ورأسه يدور.. ويُحسّ بالغثيان.. في لحظة واحدة عادت إليه ذاكرته. وتذكر النقط السوداء التي رأها قبل قليل ونظر سريعاً إلى الجهة التي جاءت منها الطائرات.. كان يشاهد على الأقل ست نقاط سوداء، اثنان منها، قد وصلتا إلى المسافة نفسها التي رمت فيها الطائرة الأولى قنبلتها.

يجب أن يجد ميكروفوناً.. إذا بقوا في أماكنهم سيموتون. عندما فهم هذا الشيء هجمت مادة (الأندريالين) على جسده المشدود.. خلال لحظة واحدة صار القوس وبدأ يصرخ للجنود:

- انتشروا.. روحوا من هون.. روحوا..

كان الجنود في حالة وكأنهم لم يفهموا منه شيئاً.. كانوا يديرون أسلحتهم بلا مغزى نحو كل الأطراف ولكنهم لم يكونوا يطلقون النار.. لو بدؤوا بفتح النار.. كانوا سيصيبون بعضهم.

فتحت عينا إحسان باشا بخوف.. كانت الطائرتان اللتان وصلتا إلى المسافة

نفسها قد تركتا كتلتين سوداويتين أيضاً. ففهم أنهم وجهاً لوجه أمام سلاح لا علاقة لها بالإنسانية.

كانت القوات الأمريكية تستعمل سلاحاً وحشياً لأول مرة بمواجهة الجيش التركي.. وذلك بعد استعمالهم للقنبلة النووية. فانسحبت الدماء من جسده بعد أن بقي مع هذه الحقيقة وجهاً لوجه.

ولأنه عسكري.. عرف السياسة من داخلها وخارجها وفهم الأمور كما ينبغي أن يفهمها، وعندما نظر إلى المعركة بينهم وبين الأمريكيين من هذه الزاوية، اتضاع له أنه كان مخططاً في كل الحروف التي وضع فوقها النقاط.. لم يكن افتراضه من الأمريكيين عسكرياً. بل اقترب منهم من الناحية السياسية فقط.. كان عليه لا يُقْرَأْ وحدته محاصرة في هذه الساحة الضيقة.. أحسن أن حالته سيئة جداً. وفَكَرَ بأن شرفه العسكري وغوره الشخصي تلاشياً كلياً لأنه كان على رأس قوة بريمة معتبرة. الآلام التي كانت تتخرد مداركه.. كانت قد انتقلت إلى جسده.. تتفزز فيه كالسهام.. وبدأ الطنين يغزو أذنيه فجأة.. كانت ثمة اهتزازات قد بدأت على الأرض لم يفهم ماهيتها. أحس كأن الأرض تهتز.. الطنين الذي زاد مثمن قوته.. كان قد ملأ أذنيه. وخرّ فوق ركبتيه.. وفي اللحظة نفسها بالذات حصل انفجاران قويان خلف بعضهما بعضاً.. وبعد عدة ثوانٍ من الانفجارات السابقات. كانت الشظايا تمر من فوق رأس إحسان باشا بعده سنتمرات فقط. أحسن بهذا الشيء ولكن دماغه كانت مثل الجامد عن الحركة، كان قد توصل إلى حالة يفکر بأنه محاصر داخل غرفة مغلقة.. خارج الدنيا. وعلى أطرافه مشاهد الشهداء والراقددين فوق الأرض وأنين الجرحى والجنود الذين يجررون من هنا إلى هناك..

كان كل شيء قد ضيّع فحواه ومفراه ومعناه، فكرّكم هو قريب من الموت، وأذناه قد تحولتا إلى الصمم تقريباً وكان يفکر بأن حالة جنوده مثل حالته تماماً كان قد حصل ثلاثة انفجارات حتى الآن وكان يخمن بأن قوة هذه الانفجارات الثلاثة قد تخطت مساحة اللواء.

في تلك اللحظة حصل انفجار آخر.. يجب أن يكون في مكان أكثر قريراً لأن قوته رمت إحسان باشا عدة أمتار نحو الخلف. وكان يحس بالشظايا المفروزة في

جسده، رأى ضباطه الآخرين قادة الكتائب والسرايا على بعد قريب منه متمددين على الأرض والدماء تتزف منهم. اهتز من الأصوات التي جاءته من بعيد ومع أن أذنيه كانتا لا تسمعان فكيف بالإمكان سماع هذه الأصوات ثمة أنوار غريبة ظهرت ناحية قدوم الطائرات كانت تقترب نحوه.

- جماعتنا قادمون. انكبت هذه الكلمات من بين شفتيه. كان يراهم قادمين لمساعدتهم.

الحرارة التي انتشرت على جسده أدفأته أعمقه، كانت الأدخنة السوداء قد غطت كل الأطراف ومع أن عيونهم كانت عمياء.. كانوا يرونهم، ثم إن الخنادق والأشياء الأخرى كانت قد اختفت. في الوقت الذي رأه فيه سمع صوتاً.. ثمة انفجار علائق آخر قد حصل.. وقبل اقتراب موجاته الملعونة بالموت كان إحسان باشا قد التحق بأفواج الخيالة.. الخيالة الذين لا يعرف أحد من أين يأتيون وإلى أين يذهبون. المحاربون الذين يرجون الأرض بحوافر خيولهم: محاربو الحرية الأبطال. إنهم المدافعون الأشاؤس عن الأمة التركية الحرة.

كان قليل من الجنود الأميركيين الذين تخندقوا فوق التلال المقابلة وداخل خنادق عميقة، وكانهم يراقبون تفجير قنبلة نووية تجريبية يحتفلون أمام هذا المنظر والقنابل الضخمة تتفجر في الأعداء.. هذه القنابل التي لم يروها أبداً على مدى خدمتهم في الجيش الأميركي، وخاصة أن هذه الانفجارات تحصل أمامهم في آلاف من الجنود.. كانت مساحة عدة كيلو مترات من الأرض قد تغطت بالدخان الأسود الكثيف..

في هذه الأثناء كان ثمة شيء قد قرض عيونهم.. كانت ثمة حزم كبيرة من الأضواء قد سالت فوق الساحة وتلاشت ثانية. دُهش الجنود الأميركيون من هذا الشيء الذي تعرضوا له.. بدأت أجسادهم بالرجلان.. كانوا يسمعون أصواتاً.. لم يكونوا على درجة من فهم ماهية هذا الشيء. وكان جيشاً كبيراً من الفرسان يتوجه نحوهم. غيرت حزم الضوء اتجاهها وبدأت تقترب منهم، كانت الأحزمة الضوئية الملازمة لأصوات النضاوي قد أربعتهم وبما أنهم لم يدرروا ماذا يفعلون فقد بدؤوا بإطلاق نار بنادقهم نحو السماء. وللحظة واحدة عميت عيونهم من لمعة ضوء

مخيبة. ثم بعد قليل.. عادوا ثانية للرؤية. كانت قوة ركابهم قد تلاشت.. فتراجعوا بسرعة واتجهوا نحو الخطوط الخلفية. كانوا لا يعرفون ماهية هذا الشيء ولا شك في أنه شيء غريب، شيء فوق قوة البشر.

بعد فترة قصيرة تحركت العربة المدرعة التركية من طراز M2 نحو خنادق الأتراك ومن وسط الخنادق بدأت تتحرك رويداً رويداً نحو مقر القيادة.. في هذه الأثناء كان لسان الجندي الذي يراقب المنظر الذي أمامه من كوة الدبابة قد جمد تماماً. لم يكن يستطيع التحدث ولا الإجابة عن الأسئلة.. كان هذا الجندي الذي ينظر من بردسكوب الدبابة والذي كان قد شعر بالغثيان قد توقيف عن النظر إلى هذا المنظر. كان تأثير السلاح أكبر مما توقعوه.

كانت شمة قنابل كثيرة قد رُميت إلى هنا.. وقفزت العربية في مكان ما ونزل من داخلها عدد من الجنود كي يروا إذا كان بين الجثث أحيا يرزقون، كانت أحاسيسهم تؤكد أنه لا وجود لأحياء بين هؤلاء وبعد أن القوا نظراتهم هنا وهناك ركبوا دبابتهم وساروا من فوق الأشلاء المبعثرة.. راجعين نحو أماكنهم.. وعلائم الظلمة غشيت وجوههم.. كانت الكلمات أو الأصوات الصادرة من اللاسلكي توكل لهم أن الوحدات الأخرى أيضاً قد أصابها ما أصاب هذا اللواء. وأن الألوية الثلاثة التي كانت متمركزة في شمال العراق لم تعد موجودة جنود قليلون كانوا قد بقوا من هذه الإبادة الجماعية ولا أحد يعرف مكانهم أيضاً. كانت الأمور قد وصلت إلى النقطة التي لا رجمة عنها ولا أحد كان يدري ماذا سيحصل بعد الآن.

٢٢ - ٢٠٠٧ أيار - الساعة ١٩.٠٠

- تركيا -

كانت أخبار الإبادة الجماعية قد وصلت إلى الوطن منذ وقت طويل.. العالم كله كان ينتظر التصريحات التي ستأتي من تركيا، كان عموم الشعب التركي من سابعهم إلى سبعينهم، من رجالهم إلى نسائهم، من كهولهم إلى طفليهم كان الجميع قد تجمعوا حول شاشات التلفاز كي يعلموا بالذى حصل للجيش التركى. كانت بعض المجموعات قد بدأت بالتظاهر والتضليل بالأمرىكيين أمام السفارة الأمريكية التي كانت قد فرغت منذ وقت طويل.

أما الأتراك الموجودون في الخارج.. فقد بدؤوا بالحركة عندما ظهر رئيس الوزراء على درجات (مجلس الأمة) وتحولت المحطات التلفازية إلى النقل المباشر.
- أيها الأخوة الأعزاء.. أيها الشعب التركي العظيم.. أعتقد أنكم تحاولون معرفة المزيد عن هذه الأحداث التي عصفت بجيشنا.. وأعتقد أنكم سمعتم أشياء كثيرة عبر الإشاعات والهمس.. والشيء الظاهر أن الولايات المتحدة الأمريكية.. تحمل في نيتها السيئة آمالاً خائبة في بلدنا والمنطقة بشكل عام. منذ فترة وهي تحاول الهجوم علينا، وأخيراً حققت هذا الشيء بهجوم عاصف وخائن ضد قواتنا.. وبالقدر فقط. وقد تعرضت الويتا الثلاثة لهذا الهجوم الفادر وتمت إبادتها إبادة كاملة.

في هذه النقطة تماماً توقف رئيس الوزراء عن التصريح وبلغ ريقه بصعوبة. وكان شيئاً ما قد وقف في حلقته.. كانت عيناه قد امتلأت بالدموع. لم يكن يستطيع ستر أحاسيسه ومشاعره، كان يتذكر الصور التي أرسلت له من هناك كانت المربيات التي تتشكل في دماغه تتشكل عوائق في أعماقه.

- نحن كامة تركية.. دفينا المصائب والبلاء عنا على الدوام..
كان صوته قد بدأ بالارتفاع وكانت الدموع قد بدأت تتلاألأ في عيون بعض

أعضاء الحكومة الواقفين في خلفه.. وكان بعض الصحفيين المسنين قد بدؤوا بالبكاء لأنهم لم يقدروا أن يتمالكوا نفسهم:

هذه المرة أيضاً سندفع هذه المصيبة.. جيشنا الآن في تمام جاهزته وقيقظه.. ويجهز نفسه لكي يعطي لهذا العدو الخائن الجواب الذي يستحقه.. هذه الأرضي صارت مقبرة لكثير من الفرازة. وستكون مقبرة للجيش الأمريكي.. ورجائي منكم.. مهما حصل..

سمعت أصوات صفارات الإنذار تدوي. كانت هذه الإنذارات تقول أن ثمة غارة جوية كبيرة قد بدأت على جميع المراكز في تركيا، كان الصحفيون الذين يتبعبون حديث رئيس الوزراء قد دبت بينهم بعض الحركات.. كان الجميع قد بدأ النظر نحو السماء. ورئيس الوزراء أكمل حديثه.. وكأنه لم يحصل أي شيء.

- الأخبار التي جاءتنا أن الطائرات الأمريكية تتجه الآن نحونا وأنهم على وشك أن يقصفوا أراضينا، كونوا أقوىاء ولا تسوا شكر الله على مدى بقائنا على قيد الحياة.. لن يبقى عسكري واحد من الأعداء على قيد الحياة.
كانت ثمة حركة كبيرة قد بدأت هنا وهناك رفع رئيس الوزراء يديه نحو الأعلى وصرخ بالكلمات التي كان الجميع ينتظرونها.

- إن الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا قد دخلتا الحرب.. وتستطيع أمريكا أن تحتل تركيا. ولكنها ستفهم أننا لن تكون لقمة سائفة.
بعد انتهاء التصريح.. كانت ثمة فوضى عارمة على مدرجات مبنى رئاسة الوزراء. في الوقت الذي ركب فيه رئيس الوزراء سيارته المصفحة.. وجد رئيس الاستخبارات العامة **Mit** جالساً داخل السيارة وهو السيد (جتين قوتلو).

- خير إن شاء الله يا سيد جتين؟ قال ذلك وهو يضحك بمرارة: بس لا تكون جاي تخبرنا أن الولايات المتحدة الأمريكية ستهاجمنا. كان (جتين قوتلو) هذا سفيراً عادياً ولم يكن له وقت طويل معيناً كمستشار للاستخبارات التركية.

- أنت على حق يا سيد رئيس الوزراء.. وكما تعلمون أنا جديد في منصبي ولم أستطع حتى الآن أن أسيطر على كل الأمور الاستخبارية ولكن وجدت ملفاً مهماً جداً. كانوا قد أهملوه ورموه في إحدى الزوايا. تفضلوا يا سيد.

حمل رئيس الوزراء الملف ذا اللون الكريم وزنه بيديه.

- ما هذا؟

قال (جتين قوتلو) ساحباً أنفاسه:

- إنه ملف مهم جداً يا سيدي.. ورجائي منك أن تقرأه بتمعن.

فتح رئيس الوزراء الملف وبعد أن قرأ منه سطرين أحمر وجهه وكان هنا تقريراً يؤكد هجوم الولايات المتحدة على تركيا.

ومع أن شخصية رئيس الوزراء كانت شخصية متوازنة.. وقوية من الصعب جداً أن يفقد توازنه إلا أن جتين قوتلو أحسَّ بأنه قد ضيَّع توازنه الشخصي عندما قبض على بيده بقوة تاركاً آثار أظافره على يده.

كان الصمت المتواتر يسود جو السيارة المصفحة.. أغلق رئيس الوزراء الملف فجأة ونظر نحو السماء من الزجاج الخلفي للسيارة وقال:

- سأدق الملف جيداً يا سيد جتين والذى أرجوه منك أن تفعل المستحيل وتوصل إلى الشخص أو الأشخاص الذين أهملوا هذا الملف والمسؤولين عنه.

لم يقل السيد جتين سوى: أمرك يا سيدي.

القسم الثاني: الطاقم الرمادي

قبل أربعة شهور..

الثلاثاء في ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٧

منطقة فوازير القريبة من باريس - فرنسا

كان ذلك اليوم قد بدأ سينماً بالنسبة (لـ فرانك جونسال) عندما استيقظ على صوت المنبه.. نظر من نافذة غرفته إلى الحديقة وإذا بقطط أبيض قد غطى أرضها.. وهذا ما كان يشير أيضاً إلى أن طريق الكراچ مفطى أيضاً.

نظر إلى جسد زوجته (هيلين) الذي كان يكبر يوماً بعد يوم.. كانت الحياة تحول إلى جحيم في ذلك البيت الصغير الذي كانوا يعيشان فيه.. وذلك بسبب الفواتير التي كانت تأتي وراء بعضها بعضاً.. كانت المرأة قد تركت ومنذ سنوات طويلة تجهيز طعام الإفطار.. كانت رقبتها الضخمة تهتز على أنفاس شخيرها الآن..

كانت (هيلين) سويدية.. وقد تعرف إليها فرانك في (نيبال) حيث كان يحب السياحة كثيراً.. وتعلق بها بسبب عينيها اللاتين كأنها تشبهان قطرة الماء التي لا لون لها.. أما الآن فإن عينيها تذكرانه بعيون فرس البحر العملاقة - البشعة - التي يشتمئز منها الإنسان.. ومع إنهم كانوا يعيشان في فرنسا - فوازير وعلى مدى خمسة عشر عاماً فكانت لا تستطيع التحدث بالفرنسية إلا نادراً.. كان فرانك يقول عنها مازحاً، وذلك في الدعوات التي كانوا يذهبان إليها نادراً جداً:

إن هيلين قد خرّيت طريقة نطقى للكلام.

قلبت زوجته - التي لم تكن تعرف أنها مراقبة - على جنبها.. أحس فرانك بفرح عارم كونها لم تجرب له ولداً.

في الوقت الذي كان يلبس فيه ثيابه.. فكر ملياً إنه يعيش حياة لا يستسيغها

ولا يريدها. فكر ثانية.. إن التفكير بهذا الشيء وفي هذا الوقت بالذات وفي هذه الساعة الصباحية الباكرة.. ونصف المظلمة غير مواتية وليس في مكانه. بيت لا يريد، عائلة لا يريدها، عمل لا يريد. كان ثمة إنسان آخر قد حبس داخل هذا الجسد وهذه الحياة. في الأيام الأخيرة كان لا يجد نفسه إلا عندما يجلس من دون حركة. ينظر إلى نقطة في الفراغ. حتى الزمن كان يريد الانهزام منه. خرج من بيته دون أن يأخذ دوش حمام، وبدأ بفتح طريق الكراج المفتوح بالثلاثون. كان عليه ألا يتاخر وخاصة في هذا اليوم.

كان عنده امتحان في الحصة الأولى وفي (الكوليج) الداخلي. كان (الكوليج) صغيراً ولكنه كان يضم مجموعة كبيرة من أولاد السياسيين والبيروقراطيين الساكنين في باريس.. كل هؤلاء الأطفال كانوا مدللين وشياطين من الدرجة الأولى. كان المدير (فارسيه) لا يحمي المعلمين من الضغوطات التي كانت تأتيهم من أولياء الأمور. ولهذا السبب كان أقدم المدرسين لا تتجاوز خدمته في الكوليج سبعة أعوام. ولكن تصرفات فرانك الخاصة كانت تساعده بعض الشيء لأنه كان يحافظ على بقاء الطلبة مسرورين منه على الدوام. عندما ترك سيارته في حديقة المدرسة لاحظ أن الوقت ما زال مبكراً كان معه نصف ساعة على الأقل لبدء الدوام. ولهذا السبب فرح كثيراً ومشى نحو غرفته بعد أن أخذ فنجاناً من القهوة وكمعكة ساخنة.

على عكس كل المعلمين الآخرين كانت غرفة (فرانك جونسال) لا تحوي أية إكسسوارات أو لوحات أو أي شيء آخر. حتى الأشياء الشخصية. وكان ثمة كرسي واحد إلى جانب كرسيه الشخصي وكانت رجله على وشك أن تتكسر أي أنها كانت عرجاء كان يعرف أن الأولاد لا يحبون الضيوف ولهذا السبب كانت غرفته فارغة على عكس غرف المعلمين الآخرين.

في الوقت الذي كان فيه يعرض كعكته ألق نظرة إلى عنوان Mail كانت قد جاءته e-card من صديقه الموجود في (بون) واسمه otto كان قد أرسل له منظراً جميلاً من مناظر مدينة (روتردام) الهولندية: عزيزي فرانك. أتمنى ألا تكون قد نسيت عيد ميلاد صديقك (توماس) في ٢٦ كانون الثاني. و تستطيع أن تحصل

على المعلومات التي جهزناها لك من ذلك المكان نفسه.

وفي الوقت الذي كان سيأخذ فيه مخرج الرسالة وإذا بباب غرفته يفتح دون طرق وإذا كان بالداخل هو المدير (أنطون فارسيه) الذي قال له دون أن يلقي عليه التحية الصباحية: أراك هنا.. يجب أن أتحدث معك بسرعة يا مسيو جونسال.. هل تستطيع المجيء إلى غرفتي؟

إن تصرف المدير وطلبه له للمناقشة ليست إشارة لشيء فيه خير.. كان بإمكانه أن يطلب عن طريق سكرتيرته المدام (ماريا) لو كان غاضباً. وقدومه شخصياً يدل على أن للأمر أهمية أكبر.

بقي فرانك هادئاً لم يضطرب أبداً وبعد أن دفع طرف نظارته البلاستيكية بشكل أوتوماتيكي بيده قال: في الحصة الأولى سأعمل امتحاناً يا مسيو فارسيه بعد ذلك أستطيع الذهاب إلى غرفتك.

فكرة المدير لحظة.. ودار بجسده نحو الخلف قليلاً. كان فرانك بجسمه الأحذب وببناته القديمة التي كانت قد صارت لوحة للمزاج والسخرية هذه الصفات كانت توقظ لدى الإنسان إحساساً وكأنه يلمس غباراً ولهذا السبب عندما كان يتحدث لا ينظرون إليه.

- كويس إذن تعال بعد الامتحان مباشرة. سأنتظرك! الموضوع مهم جداً. وحتى ذلك الحين يكون السيد (رافارين بريفوست) وهو والد الطالبة (شانتال بريفوست) مستشار كبير في وزارة العدل.. قد جاء أيضاً. توجد شكوكاً مهمة بحقكم يا سيد (مسيو جونسال).

- عندما خرج المدير مغلقاً الباب خلفه بهدوء. أنهى فرانك كعكته بروية وارتشف آخر جرعة من قهوته.. كانت شاشة الحاسوب مازالت مفتوحة.. شد على حاجبيه ونظر إلى السماء ثم أعطى قراراً.. حيث تناول (الكلاسور) المسمى Fouinaur (الذي يدخل أنفه في كل شيء) وفتحه.

- كانت ثمة ثلاثة أسطر في الكلاسور المسمى (شانتال) في السطر الأخير ١٨ كانون الثاني الساعة ١٢.٤٥ CC3A هذا ما كان مسجلاً في نهاية السطر الثالث. ثم اتجه نحو خزانة الملفات.. ومن داخل الرف المسجل C تناول ظرفاً مسجل

C3A عليه ووضعه في جيب سترته واتجه نحو الصف.

بعد مرور ساعة ونصف تقرباً.. كان فرانك يجلس براحة على الكنبة في مكتب المدير.. كان المدير قد أشار إليه بالجلوس عندما دخل إلى مكتبه. وكان قد قال له وهو يحضر جداول الدورات الليلية: لنتظر بعد عدة دقائق سيأتي مسيو رافارين والأنسة شانتال

كانت قد مرت أكثر من عشرين دقيقة بعد هذه المناقشة الأخيرة وكان لا يُخرب الصمت سوى صوت عقارب الساعة وتنفس (فرانك وفارسيه) وبين وقت وأخر كانت مدام ماريا تأتي ببعض الأوراق والملفات للتوقيع وفي كل مرة كانت تتظر إلى فرانك بنظرات الشفقة والاستهزاء.

وأخيراً سمعت ضجة في الخارج عندها فهم فرانك بأن المستشار قد جاء وقبل أن تفتح مدام ماريا الباب دخل الغرفة رجل طويل عريض استقبل المدير المستشار مبتسماً وماداً يده للحفاوة به. لم يكن الرجل قد اهتم بوجود فرانك.. ولكن عندما رأه.. لاحظ فرانك الرجل. شد قبضته بقوة وأدخل يده في جيبه... كان منظر كاريكاتوريًا بالحدبة التي على ظهره ونظارته المنزلقة عن عينيه.. دفع النظارة بيده كي تجلس مكانها. ربما كان يُخمن التهمة التي ستوجه إليه. كانت شانتال قد كشفت أنوثتها باكراً بأسلحتها الإيجابية والسلبية.

ولكن عندما جاءت شانتال من صفها كانت تتراءى معصومة وتنتظر إليهم بهذه النظارات الآمنة والهدئة ثم أدعّت إنها إذا لم تلبي طلبات السيد فرانك فإنه سيعطيها الصفر وينزل من علامتها.

سألها المدير: وما هي هذه الطلبات يا ابنتي؟

كان وجهه قد احمر من الانفعال. كان يحاول جاهداً الظهور أمام هذا البيروقراطي الكبير أكثر غضباً وقسوة كي يخلص نفسه ومدرسته من هذه الفضيحة بخير وسلام.. عندما نظر إليها وهي تنظر إلى فرانك نظرات غاضبة وخائفة.. قام من مكانه واقترب منها ووضع يده على كتفها وقال:

- لا تخافي يا شانتال نحن هنا. لا يستطيع أحد أن يرسّبك هيا اشرح لي الأمور بالتفصيل.. ماذا حصل وكيف حصل؟

قدر فرانك طور الفتاة اللعوب كان شعرها المجد الأحمر المتموج والذي أخذته من أمها الإيرلندية وعيناها الخضروان وخداتها المرقطان تخلق فيها نوعاً من الجاذبية. بدأت شانتال تشرح وعيناها مركزان في المكان الذي اتحدت فيه يداها وركبتاها.

- في الدرس الصباحي من يوم الجمعة قال لي مسيو فرانك. تعالى وقابلني بعد تناولك طعام الفداء وعندما ذهبت إلى غرفته قال لي: إن كبر علامتك أو صغرها مرتبطة بما أقوله لك. وما يمكن أن تلبيه من أجلي.. لم أفهم ما الذي قصدته.. كنت أفكراً بأنني أدرس على ما يرام وامتحاناتي على ما يرام وعندما سأله ماذا يعني؟ عند ذلك قام من مكانه وأنزل بنطاله. أوه.. لا أستطيع أن أكمل... ما كنت أفكراً بشيء كهذا...

في هذه اللحظة حضنت الفتاة والدها وهي ترتجف.. في الوقت الذي كان فيه مسيو (رافارين) يسلّي ابنته ومن جهة أخرى كان يتحدث مع المدير:

- هل هناك ضرورة أكثر من هذا يا سيادة المدير؟ بالأصل ابنتي قد اهتزت من أعماقها.

ثم التفت نحو فرانك وقال:

- أما أنت ادع ريك. أنا أعمل في مكان يجب أن أكون فيه قدوة كي أطبق القانون ولا كنت أعرف ما الذي سأفعله وأقولها قطعاً أيضاً. أنس العمل في آية مدرسة من المدارس.

كان فرانك يُفكّر بأنه قد تحمل أكثر مما يجب هذه الكوميديا التي تمثل أمامه. قام بهدوء ووضع الظرف الذي أخرجه من جيبه فوق الطاولة كانت وقوته أمام المدير وقفه غير عادلة وكان المدير يراه أول مرة. وكان ثمة رجل غريب غير فرانك موجود داخل الغرفة.. كان فرانك المحدود الذي ينظر إلى أمامه على الدوام قد راح وجاء محله رجل آخر.

عندما فتح المدير الظرف.. سقط منه CD.

رجاءً افتحوه وشغلوه.. واقتحوا الشاشة.. وليشاهده مسيو رافارين وشانتال أيضاً. عندما عمل الجهاز.. ظهر باب من خلف رجل جالس فوق الطاولة كان التاريخ

مسجلاً على المشهد ١٩ gan ٢٠٠٧ الساعة ١٢،٥٠ دق الباب وسمع صوت فرانك
وهو يقول: (ادخل).

دخلت شانتال إلى الغرفة مبتسمة. وأغلقت الباب بهدوء لم تكن لها علاقة بهذه الفتاة التي تحضن والدها وتخاف من مدرّسها. وتظهر معصومة الوجه والجسم.. حيث جلست بكل جرأة فوق طاولة فرانك وفتحت ساقيها.

- مسيو فرانك لقد جئت إليك راجية منك تعديل علاماتي.

لوحظ أن فرانك قد تراجع نحو الخلف بكرسيه.

- لا تقدري أن تحصلني على شيء يا شانتال بهذه التصرفات إن عقلك في كل مكان عدا الدروس.. ومع الأسف ساعطيك علامة صغيرة. واتمنى أن تشدي على نفسك في باقي المواد حتى تعديلي من متوسط علامتك.

رمت شانتال نفسها فجأة بحضن فرانك.

- هيا يا مسيو فرانك.. أنت أيضاً رجل.. لا يستطيع أي ذكر أن يقول: لا لهذا العرض. وخاصة في هذا العمر. والشيء الذي ستفعله أن نرفع العلامة فقط.
أخذ عرضك حتى هذا الوقت بنية حسنة يا شانتال وأنت بالنسبة إلى لست سوى فتاة صغيرة طالبة للعلم.

كان فرانك يلاحظ أن حديثه وكلامه ليس إلا نوعاً من الغباء والسخرية ولكنك كأنك يعرف أنه يتحدث إليها وهو يعلم بالتسجيل.

كان المدير المستشار قد جلس على مقعدهما مثل عمودين جامدين . أما (شانتال) فكانت تتظر إلى فرانك نظرات قاتلة لأنها أزالت القناع عن وجهها.

شانتال التي في التسجيل وضعت يديها على خصرها وقالت بغضب: ماذا تظن نفسك؟ أستطيع أن أمسحك عن سطح الأرض إذا ذكرت أنك حاولت اغتصابي.. يطردك أبي من هنا مباشرة عادت الابتسامة ثانية إلى وجهها وصار وجهها نسائياً صغيراً. شوهد أن فرانك قد أبقى المسافة بينه وبينها واسعاً.

- رجاء يا شانتال.. اخرجني من هنا.. سأنسى هذه المقابلة. علاقتك لن تتغير..
ادرسي واجتهدي في الفصل الثاني وعلمي من موقفك.

الآن كان يدفعها نحو الخارج.. خرجت شانتال من الغرفة وهي تكرز بكلمات

لا يمكن لأي إنسان تلقيظها.

عندما انتهت المشاهد. كان الصمت يطبق على الغرفة.

- قالت شانتال هذا فخ.. هذه المشاهد مزيفة. قالت ذلك مدافعة عن نفسها إلا أن والدها أشار لها بالسكتوت.

كان فرانك يعرف أنه لا معنى ولا مغزى للشكوى بعد الآن. قال: إذا ذهبت من هنا سيكون خيراً يا مسيو (فارسيه) وأعتقد أنكم ستتحدون فيما بينكم. وفي الوقت الذي كان يخرج فيه من الباب التفت ثانية وأشار إلى المشهد الجامد على الحاسوب لتبقَ هذه النسخ معكم.. أنا معي نسخة ثانية.

كان يُخمن أن هذه الحادثة ستتطوي من أساسها.. وسيكون موقفه أمام المدير قوياً بعد الآن طبعاً هو الآخر كان سيفكر مليأً كيف بعميل يقوم بهذا الشيء حتى يخلص نفسه. عندما وصل إلى غرفته. أخذ مخرج الرسالة التي جاءته من (أوتوك).

الجمعة في كانون الثاني ٢٠٠٧
روتردام - هولندا

كانت السيارة ذات النمرة الفرنسية الزرقاء من طراز Renault Magane تسير بين مجموعة كبيرة من السيارات التي ازدحمت على الطريق العام بمناسبة العطلة الأسبوعية دون أن تجذب الأنظار إليها. وعندما وجدت مكاناً مناسباً إلى جانب الشارع توقفت.

تناول (فرانك) الظرف المفتوح من فوق المقعد اليميني الفارغ. كان يريد التتحقق للمرة الثانية من تعريف الهدف والمهمة. كان قد وصل إلى صندوق البريد الموضوع على اسم شخصية مزورة وهي (جان بول بافاي). كان قد مرّ إلى باريس قبل مجئه إلى روتردام لأخذه منذ الصباح كان يسير في الطريق وكان قد أخبر المدرسة أنه مريض.

نظر فرانك من خلال مرآة المراقبة إلى عينيه. لم تكن نظارته ذات العدسات السميكة على عينيه وبالأصل كان يضع عدسة لأن النظارة كانت تخرب عليه الرؤية.. أما الآن لا العدسة كانت موجودة ولا النظارة.. وكانت رؤيته جيدة جداً. كان قد خلع ذلك الطقم الذي يلبسه على الدوام. ولبس بنطالاً مريحاً وكنزة كشميرية وصدرة من الجلد. وحديّته كانت قد اختفت أيضاً. ولم يكن ينتعل ذلك الحذاء الذي يجعله يمشي مشية خاصة به. ولم يكن قد سرّح شعره من الجانب كان قد سرّح نحو الخلف.

عندما فتح الظرف وقعت عدة صور بحضنه.. صورة رجل بدین. أصلع الرأس من الأعلى ومسن إلى حر ما.. وصورة مأخوذة من نقطة بعيدة إلى حر ما.. وصورة أخرى وهو جالس في مكتبه. وصور أخرى وهو يتناول طعامه في المطعم الذي يتناول فيه طعامه على الدوام. وكانت زرقة غامقة تحت عينيه.. ونقاط حمراء في وجهه. فكر فرانك: هذا اللون الغامق تحت العين إما من مرض في الكبد أو في

القلب.

وإلى جانب الصور ثمة ورقة ذات لون (كريم) مسجل عليها اسم (آرمان بوغسيان) وهو تاجر سلاح أرمني الأصل.

وإلى جانب تجارتة بالأسلحة.. كان يتاجر بالمخدرات والتكنولوجيا ونادرًا كان يمارس تجارة النساء البيض. وعمله الظاهر هو (كومسيونجي البترول).

كانت روتردام بالأصل مشهورة بتجارة البترول. واثنان من ثلاثة من كمية البترول الداخل إلى أوروبا كانت تأتي عن طريق البحر وتحرج من هذا المرفأ. وحتى نصف المحاصيل الزراعية كانت تأتي منه أيضًا كانت الأموال الضخمة تتحرك في مكاتب صغيرة ليس فيها سوى طاولة وهاتف.. هذه الأموال بعض الأحيان تكون أكبر من ميزانية بعض الدول.

العمل في الساعة الرابعة تماماً. كانوا يريدون منه أن يلقي نظرة إلى الملفات التي تحمل تواريخ الأيام.

نزل من السيارة وسار نحو جسر (أرسموس) كان مكتب الرجل يقع بين الجسر وبرج (إيروماست) المشهور الذي يبلغ ارتفاعه مئة وخمسة وثمانين متراً. كان القسم الأكبر من مدينة (روterdam) قد أنشئ ثانية لعرضه لهجمات جوية الألمانية. في هذه الأثناء أيضاً كانت العمارة التجريبية قد أظهرت بناءات بأشكال غريبة.. كان فرانك قد زار Rotterdam قبل ذلك مع زوجته (هيلين) وزار فيها البيوت الكاسية ومتحفها المشهور (بواجمانس) الذي يضم بين أجصحتها بعض اللوحات المشهورة لرسامين مشهورين مثل (روبنس وبروغيل) وكان قد صعد إلى برج إيروماست وتناول الطعام في أحد مطاعمه.

في الوقت الذي وصل فيه أمام بناية (جان زويت) وهو العنوان المسجل على الورقة. كانت الساعة تشير إلى الثالثة وأربعين دقيقة. كان عنده عشرون دقيقة. أمضى عشر دقائق هنا وهناك وقرر الدخول إلى البناء. في هذه الأثناء لم يلاحظ السائح الألماني ذو الشعر المجدف وقد أنسد ظهره إلى عوارض الجسر يراقبه بالنظر.

رفع الألماني الهاتف النقال الذي معه وقال: "ابدؤوا" في الوقت الذي كان فيه

فرانك ينظر إلى الواجهات اقترب من سيارته (الـ رينو) أربعة من مستخدمي المدينة وهم يلبسون صدارات خضراء في الوقت الذي كان فيه الاثنان يراقبان الأطراف.. كان أحدهم قد فتح غطاء محرك السيارة ليساعد زميله الآخر.

في الوقت الذي كان فيه فرانك يدخل البناء.. كانت العبوة الناسفة من نوع C4 قد تم تركيزها في سيارته. ولم يكن أحد يشك بهذا الشيء من بين المئات الذين كانوا يمرون هناك.

تحدث أحدهم مع الألماني الشائب وذكر أنهم قد أنهوا المرحلة الأولى من مهمتهم وأنهم ينتظرون التعليمات لإتمام المرحلة الثانية عند الساعة الرابعة إلا عشر دقائق كان فرانك قد دخل البناء المسمى (جان إيزوت) كان (أرمان بوغسيان) في الطابق الرابع يعني في الطابق الأخير كانت الشقة المقابلة له فارغة. أما المكاتب الموجودة في الطوابق السفلية كانت قد أغلقت في ذلك اليوم باكراً لحسن حظه. عندما كان فرانك يصعد الدرج ليس قفازيه الجلدين (الكفان) وإذا ما سأله أحدهم عن سبب وجوده هناك.. كان قد أعدَ الكذبة منذ وقت طويل. كانت عيناه المجريتان تضخ حتى أصفر التفصيات على عقله أو ذهنه جلس القرفصاء أو على رجليه تحت السلم الحجري الضيق بعد أن فكَ المصباحين الآوتوماتيكين في الطابق الثالث والرابع.

ثمة ساحة ضيقة كانت موجودة بعد باب مكتب (أرoman بوغسيان) ثم كان الدرج يلف نحو الشمال. لم يكن هناك فراغ للمصعد الكهربائي. بدأ فرانك ينتظر خروج (أرoman بوغسيان) من باب مكتبه بصمت يشبه صمت الأموات. لم يكن يحمل أي سلاح وفي الوقت الذي يقرأ فيه كل المعلومات المتصلة بالرجل كان قد قرر ما الذي سيفعله.

في الساعة الرابعة تماماً فتح باب (بوغسيان) تورت الساحة الصغيرة أمام المكتب من جراء ضوء النهار القادم من نافذة غرفته. والرجل كما هو المتوقع، كان وحيداً.. كان يتنفس على شكل شخير. كان فرانك يتخيّل أن الرجل سيكبس على زر الكهرباء قبل إغلاقه الباب سمع كلاماً على شكل لفز أو شتيمة.. كانت هذه الشتيمة والسباب للزر الكهربائي والبناء القديمة.

أغلق الباب.. كان ثمة خط رفيع من الضياء يرشح من أسفل الباب تقدم أرمان نحو الدرج مثل الكفيف وهو يضع يده اليسرى على الدرج تحرك فرانك بسرعة من مكانه.. صرخ (أرمان بوغسيالن) بصوت خفيث بعد أن شاهد الظل الذي خلق أمامه فجأة في اللحظة نفسها أنزل فرانك عدة ضربات قوية أو قاسية على صدره وعندما أحس أن صدر الرجل قد ضاق.. قذفه بقوة نحو الدرج الذي حصل تم في ثانيةين أو ثلاثة.. وبقي فرانك جامداً كان لا يسمع سوى أنفاسه المنتظمة.. فانكب على جسد الرجل، كان الرجل قد مات كأنه مات بذبحة صدرية.

أخذ المفاتيح من جيب الرجل وفتح باب المكتب. وكما هي غرفة فرانك في المدرسة.. كانت هذه الغرفة أيضاً فارغة وخاوية من كل شيء. طاولة ومصباح ذو رأس أخضر. وخزانات خشبية وثلاث كراسٍ. اتجه نحو الخزائن ليلاقي نظرة إلى الملفات. كانت الخزائن من حيث الظاهر مليئة بالاتفاقات المعصومة. لم يكن عنده وقت لا للبحث فيها وتدقيقها ولا تصويرها. ولكن لم يصدق أو يشاهد ملفاً أو عقداً يهتم (يخص) به رئيسه بشكل مباشر.

تذكر فجأة المحفظة التي كانت موجودة تحت إبط (أرمان بوغسيان) أسرع إلى الجسد المتمدد على الدرج وأخذ المحفظة السوداء التي كانت قد بقيت تحته وعاد إلى المكتب ثانية.

إذا كان ثمة عقد مريوط أو تسويق جاري الآن.. يجب أن يكون العقد أو الملف معه أي في هذه المحفظة.

لم يخرج من المحفظة سوى ملف واحد. وعدة نصوص بالإنكليزية كان في أحد النصوص أسماء بعض المعادن. وعندما رأى كلمة (Turkey) فكر يجب أن يكون هذا هو الملف المقصود أو المطلوب فأخذته وأدخله في جيبيه ثم أخذ من الخزينة ملفاً آخر عليه تاريخ قريب من تاريخ الملف السابق ووضعه داخل المحفظة. في الوقت الذي كان يغلق فيه الباب كان أميناً على أنه لم يترك أي أثر هنا وهناك. شد لوحة الكهرباء في الطابق الرابع ثانية.. وجربتها إذا كانت تعمل أم لا.

في الوقت الذي كان ينزل عن الدرج وضع المحفظة تحت الجسد ثانية والمفاتيح في جيبه وخرج (أرمان بوغسيان) سباقى هنا على مدى يومين كاملين.

تقدّم فرانك عشرة أمتار عند خروجه من البناء مغطياً وجهه بشكل من الأشكال حتى لا يعرف شكله إذا ما كانت ثمة كاميرات تصوّره.

كان السائح الألماني المسن مازال ينتظر فوق الجسر. عندما رأى خروج فرانك يخرج من البناء، رفع النقال الذي معه وقال: لقد خرج الرجل.. تشاهدونه بعد خمس دقائق.

وعندما أخذ الجواب من الطرف الثاني.. مشى نحو الجهة التي سيمشي فيها فرانك.

وكان ثمة أناس يرددون ويجهّرون فوق الجسر وعلى كل الاتجاهين. عندما كان السائح الألماني يمر من أمام شابين يعزفان على (الفيتار) وضع بعض النقود الصغيرة داخل الصندوق الموجود أمام العازفين.

لم يكن فرانك قد أحس بأي ضيق عندما جاء إلى (روتردام) بعمريته الخاصة كان الناس هناك قد اعتادوا على رؤية السيارات ذات التمر الفرنسيّة ابتداءً من يوم الجمعة وخاصة السائرين الذين كانوا يأتون إلى أمستردام بسبب حرية المخدرات والتسليات المشهورة فيها وكانوا يسمونهم: "سياح نهاية الأسبوع". طبعاً كان بعض الهولنديين لا يعجبهم هذا الشيء.

كانت سياسة اليمين قد بدأت بالارتفاع منذ عدة سنوات في (أمستردام) وكان السيد (بيم فوريتون) المشهور بأحاديثه اليمينية المتطرفة قد فاز في الانتخابات التي جرت في عام ٢٠٠٢.. كانت هذه الحركة قد اجتمعت على مضمون ادعاءات (بيم فوريتون) ولكنها كانت في المرتبة الثانية من حيث الكبر في هولندا. كانت هذه الحركة هي المسؤولة عن الهجمات التي بدأت بضرب المسلمين والجواعنة في هولندا. وكانت بعض المجموعات التابعة لهذه الحركة تهاجم السيارات الفرنسيّة القادمة من أجل المخدرات والجنس.

في الوقت الذي كان فيه فرانك قد وصل إلى منتصف جسر (اراسموس) كانت مجموعة من الشباب قد بدأت بالاقتراب من سيارته.. أول من شاهد النمرة الفرنسيّة

هو الشاب الهولاندي الذي كان يعلق على أذنه وأنفه حلقة معدنية واسمه (رينه فان در) وكان الشبان الآخرون وعددهم أربعة قد علقوا على ظهورهم عصاً غليظة قصيرة، وكانوا يستعملون هذه العصي في قتال الشوارع والهجوم على السيارات. في الوقت الذي كانوا يريدون أكبر الضرر والخسائر لسيارة فرانك، كانت صديقاتهم أو حبيباتهم يقفن على بعد عدة أمتار يراقبن الوضع. كان (جارد ويرشتمان) في تلك اللحظة قد لفَ الزاوية التي يستطيع من خلالها مشاهدة السيارة بشكل جيد. وقال دون أن يعطي أهمية للكلمات القادمة إليه من الطرف الآخر: "ماذا يفعل هؤلاء الشباب؟".

فأجابه (الك): "هؤلاء من جماعة (بيم فوريتون) يا سيدى.

- شباب هولنديون تافهون.

فكَّر جيرارد ويرشتمان ثانيةً فقط وقال آمراً: بعد أن يلف الرجل الزاوية انتظر عدة ثوانٍ وفجر السيارة. ثم انتقل إلى الطرف الآخر للشارع ووقف في مكان يستطيع مشاهدة الوضع كما ينفي.

في الوقت الذي دخل فيه فرانك إلى الشارع الذي أوقف سيارته كان (رماريت فان رد) ينزل الضريبة الأولى للزجاج الأمامي للسيارة وفي الوقت الذي كان يحاول معرفة الذي كان يحصل كانت الضريبات قد بدأت تنزل فوق غطاء وزجاج السيارة، لم يستطع أن يقرِّر ما الذي سيفعله.. هل يذهب لمنع الشباب؟ أو ينتقل إلى الطرف الثاني للشارع؟

الاحتمال الأكبر أن التأمين يدفع ضرر السيارة. ولكن كذبته ستظهر في المدرسة لأنه كان قد قال لهم بأنه مريض.. وعندما يسمعون أن سيارته قد تعرضت للضرب.. معناه مشكلة كبيرة.

في هذه اللحظة تماماً انفجرت السيارة وأنهت فكرته التي لم يقررها بعد. كان لدى فرانك معرفة كافية بأن هذا الانفجار ناتج عن قنبلة. دار نحو الخلف ومشى على عكس اتجاه الشارع. لم يعد يفكر بعد الآن لا بالمدرسة ولا بالتأمين. لم تعد مشاكله تشكل له أية أهمية على الإطلاق ثمة شخصية كانت نائمة في الأعماق قد استيقظت من جديد.. وكانت هذه القنبلة تحمل عنه كل

عله ومشاكله.. كانت قد أعدت من أجله. هذه كانت مشكلة كبيرة.. كانوا قد تعرفوا إلى شخصيته القديمة وحاولوا قتله. وبناء على التعليمات الواردة إليه كان عليه أن يسافر إلى (بون) مباشرة. وهناك سيسحب مقداراً من المال إضافة إلى هوية جديدة.. ثم يتجه نحو تركيا مباشرة. كان قد ظل أكثر من ستة عشر عاماً يعيش تحت اسم (فرانك جونسال) وتزوج تحت هذا الاسم وقضى على كل اسم أو شخصية يحارب المصالح التركية سراً أو علناً أو يشكل خطراً على الدولة التركية.

أوقف أول سيارة فارغة:

فسأل السائق: "كم تريد أجرة حتى توصلني إلى بون؟". نظر السائق نحو الخلف ليقول لهذا الزيتون المجنون انزل من السيارة إلا أنه عندما رأى عينيه لم يقل شيئاً.. وقال الرقم الذي أراده.

- ثلاثة يورو.

أخرج (كوكهان) من جيده رزمة كبيرة من المال وأعطى السائق ما طلبه.

- خذ هذه ثلاثة يورو. وإذا بقيت صامتاً على مدى الطريق ستأخذ ثلاثة يورو آخر عندما نصل إلى بون.. هيا لنذهب.

كان اسم سائق التاكسي: (جووز ماسكنت) ففتح الهاتف وأخبر كراجه بأنه يأخذ أحد مشتريه إلى بون. وطلب منهم أن يخبروا زوجته بأنه لن يعود هذا المساء. كان (جييرارد ويرشمان) قد شاهد كل ما فعله (كوكهان) حتى صعدوه إلى السيارة. لم يكن عنده أية خطة لقتله بأي شكل من الأشكال. حتى لو لم يأتي أولئك التافهون. كان سيفجر السيارة قبل وصوله إليها وطلبه الوحيد كان الكشف عن شخصيته وعودته إلى تركيا بأسرع وقت والأهم من ذلك كان جييرارد ويرشمان وهو رئيس مكتب الأميركي في الاستخبارات الألمانية BND يريد أن يحمل معه الملف الذي أخذه من أرمان يوغسيان إلى تركيا.

كان قد خطط لهذه الحركة خارج معرفة قيادته. لو كان عندهم علم بذلك لكانوا قد اعترضوا ولكنه رجل مسن ولم يكن يخشى من العقوبات التي ستطاله. وهذا الشيء فعله من أجل مصلحة ألمانيا فقط.. يجب أن يكون لدى الأتراك علم

بذلك.

كانت الرحلة من (إمستردام) إلى (بون) تسير سيراً حسناً وبشكل مريح بالنسبة (لوكوهان).

كان (لوكوهان) قد أنسد رأسه إلى مقعد السيارة.. كان يقوم برحالة نحو الماضي...

كان قد كبر وترعرع في قرية ساحلية صغيرة تابعة لمدينة (زونفلداق) كانت هذه القرية مكان استراحة لكثير من أهل (أنقرة)... وكانت ثمة قاعدة عسكرية بحرية موجودة هناك كان والده الذي تقاعد وهو برتبة صف ضابط من هذه القاعدة البحرية.. قد فتح مطعم صغيراً في القرية أو البلدة وكان (لوكوهان) يساعد والده عندما تتقطع المدارس وتعرف إلى عمه (تيومان) هناك. والمعلومات التي يعرفها عنه (لوكوهان) كانت مقتصرة على أنه كان محامياً مشهوراً في (أنقرة) وأنه ترك المحاماة فجأة واستقر في هذه البلدة الصغيرة التي كان يأتي إليها لقضاء العطلات ومنذ سنوات طويلة. ولكنه مثقفٌ كبيرٌ واسع الاطلاع والمعرفة. وعنه معارف كثيرون ومهمون جداً وبين وقت آخر كان يستقبل ضيوفاً مشهورين جداً في مطعم والده.

لم يكن قد تزوج وعندما كان يثمل بعض الأحيان.. يتنعم بحبه المجرور في فتوته والذي انتهى على شكل مأساة وكان يضع (لوكوهان الصغير) في مكان ابنه الذي لم يُعجبه بعد.. كانا يجلسان معاً على مدى ساعات طويلة.. يعطيه دروساً عن العالم والتاريخ والسياسة والإيديولوجيات وفي الوقت الذي كان فيه زملاء (لوكوهان) في المرحلة الإعدادية لا يعرفون أن منبع الشيوعية هي الاتحاد السوفيتي.. كان هو يتعلم مشكلة كوبا.. وانتفاضة المجرترين وربيع براغ والخطط التي كانت تقام بين القوتين الكبيرتين باتجاه العالم.

في اليوم الذي أتى بجلائه (كازانيه) ومعه شهادة تقدير وقد أنهى المرحلة الإعدادية، شاهد عمه (تيومان) يسحب والده إلى زاوية يتحدث معه بحرارة كبيرة، كان لوكوهان قد أحسن أن هذه المناقشة من أجله، ولكن عندما شاهداه قطعاً الحديث.

بعد أسبوع واحد جاء رجل يلبس بدلة سوداء إلى المطعم وجلس على طاولة العم تيومان.. واضح أنه رجل مهم قادم من أنقرة كان ثمة رجلان يحملان السلاح تحت إبطيهما ينتظرانه في الخارج، عندما كان (كوكهان) يخدم الطاولات الأخرى.

احس بأن نظرات الرجل موجهة إليه.

وأخيراً عندما ناداه العم (تيومان) إلى طاولتهما.. ذهب وقلبه ينبض بسرعة من الانفعال قال له العم تيومان:

هذا عمك صالح يا كوكهان.. ناديته لأجلك من أنقرة. لم يكن كوكهان يعرف ما الذي سيقوله. كان للرجل شاربٌ كثيفٌ ووجهٌ جديٌ بكل معنى الكلمة.. كانت نظاراته السوداء قد أربعت الولد الصغير: إن السيد (تيومان) يقول بأنك ولد ذكي جداً وأنك مغرم بالتاريخ والسياسة. هذا لم يكن سؤالاً.. مرة أخرى بقي كوكهان صامتاً.. هذه كانت من توصيات العم تيومان.

بدأ السيد صالح يطرح على كوكهان أسئلة.. كي يعرف مقدار علمه وذكائه في البداية سأله بسيطة مثلاً: في آية قارة تقع انفولا؟ ومن كان رئيس فيتنام الشمالية في أثناء الحرب الفيتنامية؟.

ثم بدأت الأسئلة المعقدة والتي تحتاج إلى تعليق: مثلاً: لماذا طرد الرئيس (ترومان) ماك أرتور.. بعد تغلب أميركا على اليابان؟

ولماذا عمدت أميركا وكيف إلى وقف الهجوم الإنكليزي على مصر بعد أن ألم جمال عبد الناصر قناة السويس؟ وكيف تم ذكر اسم تركيا أثناء المفاوضات المتعلقة بالمشكلة الكوبية؟

كانت أسئلة من هذا النوع.

كان كوكهان قد حاول وبقدر المستطاع أن يجيب الرجل أجوبة قصيرة وواضحة. لم يكن رد فعل السيد صالح يرسم على وجهه، ولكن كان وجه العم تيومان يضحك.

بعد ساعة تقريباً وعندما كان السيد صالح يرتشف آخر جرعة من فنجانه أو

كأسه أبعد العم تيومان كوكهان عن الطاولة ونادي والده إليها.
كانا يحاولان إقناع والده بشيء ما.
في ذلك المساء.. ركب كوكهان سيارة السيد صالح بعد أن جهزت له أمه
حقيقة صغيرة.

وفي اليوم التالي أخذ إلى معكسر مغلق في (ابانتا) التابعة لمدينة (بولو).
كان المعسكر قد ضم في شبابه أكثر من مئة شاب كانت أعمارهم تتراوح
بين ١٢ و ١٦ عاماً وكانوا قد قدموا من جميع أنحاء تركيا. الشروط صعبة
والتدريبات كانت قاسية كان قد بقي في المعسكر بعد انتهاء الأسبوع الأول ستة
وعشرون ولداً فقط.

كان قائد المعسكر سيخطب فيهم لأول مرة. كان اسمه (الذئب) أمأه المدرب
الرئيس فاسمه (الثعلب). فأمرهم بالوقوف على استقامة واحدة.. وقفوا في وضعية
الراحة وأيديهم مشابكة خلف ظهرهم. وفتحوا سيقانهم بعض الشيء كانوا
ينظرون إلى قائد المعسكر وأجسامهم كالعمود، قال الذئب:

- بقيم بهذا القدر. عدكم ستة وعشرون.. وهذا، هذا الرقم كبير بالنسبة
لنا. لن نترككم قبل دورة مدتها ثلاثة أسابيع. ولكن إذا أحس أحدكم بتعب أو
بعصوية وأحس بأنه لن يستطيع التحمل وذلك بعد الانتهاء من الأسبوع الأول من
الدوره.. ليخطو خطوة نحو الأمام.. ويفادر هذا المكان فوراً. نعم إن الأسبوع الأول
من الدورة ستكون مثل جلوسكم بأحضان أمهاتكم (أي سهلة جداً) نعم إذا
كان منكم من يريد الذهاب فليخطو خطوة نحو الأمام.. ولكن انتظروا من
سيقول بعد ذلك لا أستطيع الاستمرار، سيكون مكانه حفرة (الفائط).

في لحظات قليلة بحث عن القلق والخوف في عيونهم.

وأخرج سيجاراً وأشعله ثم قال:

- نعم لآخر مرة أسأل هل من أحد يريد الذهاب؟
لم يتقدم أحد نحو الأمام.

نظر الذئب إلى الثعلب وابتسم وهو يقول:

- وأنت ماذا تقول؟ ليس من أحد يريد الذهاب.

لم يقل الثعلب شيئاً، اكتفى بهز كتفه.. لم يكن (كوكهان) قد رأى ابتسامة الرجل على مدى زمن الدورة. كان رجلاً طويلاً ورفيعاً، أما الذئب فكان أقصر من كل المدربين هناك ولكن أقواهم.

- إذن نحن عائلة واحدة هنا. وكما لا يكون للأسرار مكان ضمن العائلة فهنا أيضاً لن تكون ثمة أسرار بيننا. الشيء الأول الذي يجب أن تعرفوه هو أنكم لا تملكون شيئاً بعد الآن إن لحومكم وعظامكم وقلوبكم ورئيسمكم ودماغكم وشخصياتكم حتى أمعاءكم وحتى روحكم إذا ما كانت موجودة كلها لنا يعني لتركيا.. وأنا شكلها الواقع أمامكم. وقد وجدت روخاً ودماً وجسماً (يعني تركيا متجسدة في شخصه) كان كوكهان.. قد بدأ فهم مضمنون بكلامه رويداً ورويداً، وكلما زاد في الفهم، كانت ثمة قشعريرة تلف أعماقه. حتى إنه لاحظ اهتزاز جميل أثناء وقوفه وهو من أقوى الشباب الموجودين في المعسكر فأكمل الذئب حديثه المرعب:

لن تخرجوا من هذا المعسكر إلا كما نريد نحن. إلا ستكونون (زيلاً) في أقرب حقل. إلى هنا مرّ الأسبوع الأول من الدورة على التدريبات الجسدية القوية كي تتعود أجسادكم على الصعوبات والتحمل وبعد الآن ستتعلمون استعمال السلاح والمتغيرات وصنع القنابل والقتل بالأيدي وستتعلمون ترتيبات الكترونية أيضاً وسيبدأ تعليم اللغات. والذي ينجح منكم في تعلم اللغة.. سيداوم على تعلمه، يعني أنا ومدربوكم نجارون وأنتم الأخشاب التي نريد تسويتها وصقلها.. الآن جاء دور....

ويحركة خفيفة من يده أتى المدربان المسميان الفار والقندس بصندوق كبير. قال الذئب: ليختار كل واحد منكم واحداً.

وعندما بقي الأولاد دون حراك صرخ فيهم بقوة (هيا).

عندما وصل كوكهان أمام الصندوق الذي فتح غطاوه شاهد مجموعة كبيرة من الجراء (صفار الكلب) كانت حيوانات رائعة ومحببة واختار كلباً صغيراً على ذنبه قطعة سوداء.

كان الأولاد قد وقفوا على الصيف وكل واحد منهم.. يحمل جرواً صغيراً في

وقت قصير.

ولأول مرة صرخ الذئب: كما يُؤمر الرمادي.. يجب عليه أن يأمر الآخرين ويجذبهم إليه. عند ذلك عرف (كوكهان) أن أسمهم (هو الطاقم الرمادي). في نهاية الدورة التدريبية.. ستكون هذه الكلاب مدربة تدريباً أفضل منكم. وبقدر نجاحكم في دروسنا وتدريباتنا.. يجب أن تُسمعوا كلامكم وأوامركم على هذه الكلاب.. هذا مهم جداً لا تسوا هذا الشيء.

بعد نهاية هذا الخطاب لم يظهر الذئب أبداً أمامهم حتى انتهاء الدورة. وكان ذلك اليوم يوماً لا ينس بالنسبة لـ كوكهان.

كان البرنامج قد قسم إلى ثلاثة أقسام من الناحية التعليمية والتدريبية الفيزيائية والثقافية والنفسية كان كوكهان قد اختار القسم الفيزيائي يعني: استعمال - السلاح - الدفاع عن النفس - المتفجرات (والجيمنستيك).. كانت هذه التدريبات صعبة بالنسبة لـ كوكهان ولكن لعدة أيام فقط.. وتعود بعد ذلك. أما بالنسبة للتعليم الثقافي كان أهم شيء فيه.. اللغات وتربيبة اللسان والجغرافيا والتاريخ والرياضيات والفيزياء والكيمياء وكان درس الموسيقى من أجمل الدروس على الإطلاق.. (كانت الكناريا) تريد أن يتعلم كل واحد منهم العزف على آلة ما. كانت كناريا هي المرأة الوحيدة بين المدربين والمعلمين.. ولكنها كانت قوية وقاسية كانت تقول لهم:

- حاولوا ربط كل شيء في حياتكم بالموسيقى. اختموه وتحركوا بالتوازن والموسيقا.. إذا نسيتم الموسيقى التي في أعماقكم تموتون يا أولاد.

أصعب الساعات كانت تمر في الدروس النفسية. كان (الخفاش) وأم الأربع والأربعين) يواجهان خوفهم وضعفهم مع ذاتهم ليس بالجسد فقط ولكن حتى بالروح.. كانت عيونهم المجنونة لا يهرب منها أي شيء على الإطلاق كانوا يظهران كل ما خباء لنفسهما.. ويخرجان أتفه الأشياء ويحطمأنه.

كان أم الأربع والأربعين يقول لهم: عملنا محصور في إدابة الضعف الكامن في أعماقكم.. وتحويله إلى طاقة لصالحكم.

وكانت إحدى اللحظات الحرجية التي بقيت ترشح إلى أحلامه على شكل

كوابيس مزعجة.. أحد الامتحانات في الدروس النفسية. بقي هذا الشيء يصيّبه على مدى سنوات طويلة بعد انتهاءه من الدورة كان الخفافش وأم الأربع والأربعين قد أعطوهما دروساً من كتاب للكاتب (جورج أورويل) واسم الكتاب "١٩٨٤" وكانا يسميان الامتحان عطفاً على ذلك الاسم (الغرفة ١٠١) كان كل واحد يتواجه مع خوفه. وكان خوفه من الظلم والأماكن المظلمة.

أخذه الخفافش على رأس حفرة وقال له:

- ستدخل هنا.

أما أم الأربع والأربعين فقد أشار إلى علم على بعد مئة متر تقريباً، وقال: المخرج هناك، عندك نصف ساعة إذا لم تخرج سنصب (بيتونا) على المدخل والمخرج. بدأت ركبنا كوكهان بالرجفان.. كان على وشك أن يبكي ويترجاهما كي يرسله إلى منزله لأنه ما زال طفلاً صغيراً. كان قد اشتاق إلى أبيه وأمه. أما اللدان أمامه هما الخفافش وأم الأربع والأربعين. إذا فعل هذا الشيء كان سيلقي السخرية والتهكم.

قال أم الأربع والأربعين: هيا.. لقد بدأ الوقت. لقد ضيعت ثلاثة دقائق ورمى بنفسه إلى الحفرة.

لا تستطيع التقدم إلا زحفاً.. كان هذا نفقاً سعاته بقدر جسده نفقاً مظلماً ورطباً. بدأ بالتقدم في داخل ذلك النفق الخانق. كان حاراً. وكان يعرف إذا أحسن بالاضطراب مرة فإنه لن يستطيع موازنة نفسه ثانية ولهذا السبب كان يفكر بالتقدّم نحو الأمام فقط. وكان يحس بوجود الحشرات التي كانت تمشي أمامه وتدخل داخل لباسه وتزحف على وجهه. في وسط الطريق تقريباً أحسن بأن شمة غرابة قد حصلت أمامه داخل الظلمة. كان قد صار أمامه نفقان.. «مفترق طريق» كان يعرف مثل اسمه أن أحدهما بلا مخرج.

أن يخوفي. إذا أمسك الطريق الخطأ معناه الكارثة ليس بالإمكان الرجوع على عكس الاتجاه. توقف لحظة. وتحكم بعقله بدلاً من أحاسيسه.. أدخل إصبعيه إلى داخل فمه وأخرجهما أمام طريق النفق، كانت شمة نسمة خفيفة تأتي من النفق الأيمن.. مجرى هواء.

هذه العملية أعطته طاقة جديدة لأنه استعمل عقله فحسب وأنهى طريقه المتبقى مفكراً بالخلاص والنجاح. عندما كان يخرج من الحفرة دفعه الخفافش بقدمه وقال له ضاحكاً: ازحف بعض الشيء لقد تعودت على ذلك. أما أم الأربعين قال له: كان قد بقي لك دقائقتان فقط. هل ارتحت في الطريق وأكلت بعض الحلزون. أيها الولد القذر؟

راسب (كوكهان) إغلاق الحفرة. لو تأخر بعض الشيء.. لدفن حياً تحت ذلك التراب (حضرن كلبه كاشار) في تلك الليلة ونام نوماً لذيناً. كان قد سمى كلبه بهذا الاسم.. للونه، كانوا قد ارتبطا ببعضهما كثيراً. كان سنده الرئيس والقوى هذا الكلب.

في اليوم الأخير من المعسكر بقوا تسعه عشر ولداً. أما السبعة الآخرون فكانوا قد ضاعوا. كان كوكهان لا يعرف ما الذي فعلوه لهم.. كان قد تغير كثيراً ولا يهمه شيء في هذا العالم. لأن كلبه الصغير كان معه. سنته وسفله وقوته. جاء الذئب إليهم وهو يشعل سيجارة.. مرّ أمامهم عدة مرات بصمت وهدوء. ونظر إلى عيونهم واحداً واحداً.

صرخ: لقد صرتم كما نريد. الآن ستذهبون إلى بيوتكم.. أنتم الآن جاهزون لتنفيذ المهام. وعندما نريد ذلك نطلب منكم.. ستذود تدريجياً حتى أخذكم المهمة ولكن.. لن تركوا مدرستكم.. «ما في عنطة».. والمصيفان القادمان ستأتون إلى هذا المعسكر أنتم بعد الآن (الطاقم الرمادي).

بدأ الثعلب على توزيع القبعات الرمادية.. فلبسوها بغرور.

في هذه اللحظات كان الذئب ينظر إلى الأطفال الذين كانوا ينظرون بدورهم إلى بعضهم ويضحكون، ولكنه شخصياً لم يكن يضحك، رفع يديه الاثنين نحو الأعلى وصرخ:

- حاجة بقى اسكتوا.. استعد. فوقوا بصف واحد مباشرة وقال:
- استمعوا إلى الثعلب.

كان الثعلب يقف مقابل الأولاد الواقفين على نسق واحد. فأشار إلى الكلاب المريوطة على الأوتاد.. كانت تقرض العظام الموجودة

أمامها بأسنانها الصفيرة وقال لهم:

- كما تعرفون بقى عندكم امتحان واحد.. كلكم رماديون ولكن ستطلبون منها المجرى إلى عندكم.. ستتأمرونها.. وستسمع أوامركم فك الجرذ والقنديس حبال الكلاب.. نادى الأولاد الكلاب التي أطعموها حتى شبعت وأحبّوها وصاحبواها.. جاءت كلها سوى كلب واحد لم يترك عظمته التي كان يتسلل بها.

كانت ستة كلاب قد لبت طلبات أصحابها ومن بينها كلب كوكهان.

كان الثعلب يسجل كل هذه الملاحظات.

عندما انتهى الامتحان ظهر (القنديس) وفي يده مجموعة من المسدسات من عيار الـ ٤٥ مم قال الذئب: ليأخذ كل واحد منكم واحداً.. بعد قليل ستحملون حقائبكم وستركبون الحافلة.. وستذهبون إلى عائلاتكم وأحبابكم؛ ولكن بقي شيء واحد.

لفَ شيء من القلق أعمق كوكهان. وكان شيئاً سيئاً كان سيحدث.. في الوقت الذي كان فيه الذئب يرفع غليونه عن فمه مشيراً إلى الكلاب.. كان رأسه قد دار نحوها.

ليطلق كل واحد منكم النار على كلبه.

وكان كلماته هذه قد وصلت إليه من عمق الماء.. وبصوت مبحوح أو مخنوق.. كانوا الأولاد جميعاً لا يصدقون آذانهم.

كانوا قد أحبوا هذه الكلاب.. ووجدوا فيها التسلية والقوة وكانت تخلصهم من أحزان كثيرة.. وبكلها وامتزجت دموعهم بوبير ذقونهم الناعمة.. كانت كلاباً رائعة رعوها وأطعموها وناماً معها. وكانت صغيرة.. وقريبة من القلب.

كانوا ينظرون إلى الذئب بعيون غير مصدقة. كانوا يريدون معرفة ما إذا كان يمزح أم لا.. ولكن مستحيل.. وكانوا يعرفون هذه الاستحالة صرخ الذئب بقوه: ماذا حصل لكم.. لقد رجعتم أطفالاً صغاراً.

- قانا لكم إنكم الطاقم الرمادي وفي الوقت الذي تخرجون فيه من المعسكر. نعطيكم المهمة الأولى.. هل ستقومون بمهماً لكم هكذا!!! وسار نحو

الكلاب وقال: نعم إنها كلاب جميلة ومحبوبة ولكن ألن تقتلوا أطفالاً رضع من أجل مصلحة بلدكم؟ وربما تقتلون عائلة بأكملها. وربما تقتلون الفتاة التي تحبونها.. أنا أعرف أنكم ارتبتم بهذه الكلاب. ولكن يجب أن تعرفوا شيئاً إن أوطانكم غيورة. لا تزيد رياطًا غير الارتباط بها. لا تزيد حباً غير حبها. لا تزيد أن تتقاسم قلوبكم مع أحد.

كان كوكهان قد بدأ يفهم كلام الذئب..

أكمل الذئب حديثه: بقتل هذا الكلب.. معناه ستقتلون كل شيء تحبونه أكثر من وطنكم وبلدكم.. لن ترتبطوا بأي شيء على الإطلاق؟ لم يكن الذي يحصل أمامهم لعبه ولد صغير.. كان كل شيء جدياً الحركة الأولى خرجت من كوكهان.. كان (كاشا) ينظر إلى سيده.. نظرات سبقي كوكهان يتذكرها على مدى سنوات طويلة.. وستحضر هذه النظرات أمامه في كل مرة يحس فيها أنه يقترب من حب إنسان أو شيء ما.

فتح آمان سلاحه ومسح دموع عينيه كي ينهي الأمر برصاصة واحدة.

- لقد وصلنا يا سيدى. كرر السائق الذي أوصل كوكهان من Amsterdam إلى بون.. كان كوكهان قد غفا إغفاءة خفيفة.

تحرك للحظة ولم يعرف من وأين هو.. وبدأ بالبحث عن النظارة التي كان يضعها على عينيه عندما كان يمثل درو (فرانك جونسال) وربما صارت عنده عادة.. بعد فترة عاد إلى وعيه أعطى السائق المال الذي وعده دون أن يقول شيئاً وسار في الشارع الهادئ رويداً رويداً، وفي منتصف الليل كان على الأبواب.

كانت مدينة (بون ويرلين) على عكس مدينة هامبورغ.. حياتها الليلية عامرة على الدوام. وخاصة بعد أن انتقلت العاصمة إلى برلين.. فكانت الحياة تتوقف في السابعة أو الثامنة مساءً.

ذهب إلى أحد الفنادق من الدرجة الثالثة.. الذي ينتقل فيه الملايين السريون.. أعطى الكاتب الذي كان يفتح عينيه بصعوبة بخشيشاً كبيراً ولم يجعله يكتب اسمه على السجلات. هو بالأصل كان سبقي هناك حتى الصباح فقط.

أخذ من الكاتب كرتاً كي يتصل بالهاتف من أمام الفندق فضرب الأرقام

المخزونة في غيابه ذاكرته - فخرج صوت يطير به النعاس.

- نعم.
 - روبوس أنا G9 . كان قد تحدث بالتركي.
 - هل تقول G9 من أين تتصل؟ ماذا حصل؟
- كان كوكهان قد فهم أن محدثه لم يكن (روبوس) الذي تحدث معه قبل أربع سنوات وذلك من طوناج صوته.
- قال: لقد تم الكشف عن شخصيتي.. كانوا قد وضعوا قبلة داخل سيارتي، لكنني نجوت.. اتصل معي الآن من بون.. غالباً سأكون في المنزل.
 - كان الطرف الآخر مضطرباً وهو يردد: شو يعني كشفت شخصيتك؟ ربما ظنوك شخصاً آخر؟
- سحب كوكهان من أعماق نفسه كلمة أو جملة: يا صبر أيوب.
- وبدأ بشرح التفاصيل أولاً بأول.. لو كان (روبوس) القديم مكان هذا الرجل لكان فهمه. وزرع السكين في قلبه.
- مستحيل أن يكون في الأمر خطأ.. في هذا اليوم كنت أنهيت العمل الذي طلبت مني عمله في Amsterdam. وإذا بسيارتي تتفجر هناك.. وجلست إلى بون مباشرة بناء على التعليمات.
- في هذه المرة كان (روبوس) كأنه قد استيقظ من نومه. راح صوته يأتي هادئاً وسائلاً: نعم لقد كشفوا عنك.. الأسوأ من ذلك إنهم قد دخلوا إلى النظام لأننا لم نحطك مهمة.. والمهمة التي عملتها في Amsterdam.. أخذتها من شخص آخر وليس منا.
- من كان هو؟
- آرمان بوغسيان.
- آه تمام أعرفه.. كان في جدول المراقبة.. على الأقل لا توجد مشكلة من هذه الزاوية. الآن يجب علينا أن نُصْفِر النظام من أوله إلى آخره. سنتنطر بعض الوقت.. حتى نرى هل أنت الوحيد الذي قد كشف أمره. أم كل الطاقم الرمادي.. يجب أن نطلبكم إلى العش.
- هذا عملك.. في هذه الأثناء يجب أن يذهب أحدهم إلى مدرستي في (فوازيه)

حتى يُنظف حاسوبي. ثم هناك بعض المشاهد التي يجب أن تمحى في الخزائن.
- تمام نستطيع أن نحل ذلك. هل يوجد أي شيء في المنزل؟
لا.. البيت نظيف.

أنهى المكالمة وأغلق الهاتف.. كان يفكّر بالبوليسي الفرنسي وما الذي سيقومون به. وما الذي يفكّرون به. وكان يتمنى لا يربطوا بين انفجار سيارة فرانك جونسال وغيابه عن الأنظار ومقتل أرمان بوجسيان وربما بالأصل كانوا يعرفون كل شيء.

حرب الاستخبارات الدولية كانت تشبه بعض الأحيان لعبة (البوكر المكشوف) أربعة أوراق تكون مكشوفة ولكن ورقة واحدة تريح اليد. عندما عاد إلى الفندق لم يستطع النوم. وكان جسمه يحاول طرح بقايا (فرانك جونسال) وكانت هذه المرحلة قد أمدّته بطاقة غريبة. وبعد أن راّق برها من الوقت الأقبية الفضائية الألمانية التي لا طعم لها ولا رائحة، تذكر الملف الذي أخذها من حقيقة الأرمني.

في البداية قرأ بنود العقد المكتوبة بالإنكليزية. وبعد عشر دقائق كانت عيناه قد خرجتا من مكانيهما من الدهشة.

كانت الحكومة الأمريكية تتبع حقوق استخراج كل من المعادن الموجودة في تركيا مثل (البور) و(التوريوم) و(اليورانيوم) لـ ٩٩ عاماً إلى شركة أمريكية تسمى (اورنيكرن) تعامل بالمعادن والطاقة ومكانها في ولاية تكساس كانت هذه الاتفاقية ستبدأ اعتباراً من شهر كانون الأول من عام ٢٠٠٧.

تزايد الفضول لدى كوكهان.. كيف تعمد الحكومة الأمريكية على بيع معادن ومواد لا تملكونها ولا علاقة لها في تركيا. والشيء الذي يعرفه جيداً أن هذين المعدين وخاصة البور والتوريوم حساس جداً بالنسبة للرأي العام التركي. وإلى جانب ذلك كان ثمة خبر في الملف مأخوذة من إحدى الجرائد ومنشورة في ٢٣ آذار عام ٢٠٠٣ يقول الخبر بأن الحكومة التركية قد ردت العقد الذي أبرمته مع شركة تسمى (التايم) ولدة ٩٩ عاماً كي تستخرج معدن البور من الأرضي التركية.

وطبقاً لهذه المعلومات.. كانت شركة (التا بوم) تابعة لشركة (اوينكرون) كانت الجريدة التي أوردت الخبر قد تمت ترجمتها.

أما بقية الملف فكانت مقتصرة على تقارير رجال العلم حول أهمية استعمال (البور) في تصنيع الأسلحة والتكنولوجيا الفضائية وأهداف أخرى مهمة جداً. والملف بعد ذلك يتحدث عن الكميات والنسب العالمية.. فيقول بأن أكثر من ثمانين بالمائة من معدن البور ذي الصفة الجيدة موجود في تركيا وخمسين بالمائة من معدن التوريوم أيضاً أما من حيث مادة اليورانيوم فتعد تركيا من أكثر الدول التي توجد على أراضيها من حيث الكم والكيف أو تعدد من أغنى دول العالم باليورانيوم.

طبعاً كان كوكهان يستطيع تحليل مضمون هذا الملف وبشكل جيد وعلى إقامة معادلات استراتيجية. وتذكر مباشرة خطاب الرئيس قبل عدة شهور من الآن. حيث أكد بأن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تخفف من ارتباطها ببترول الشرق الأوسط وأن تبحث عن بدائل جديدة لاستخراج الطاقة كي تلبي احتياجاتها المتزايدة للطاقة.

ولهذا السبب كان عليها أن تغير الخريطة السياسية في الشرق الأوسط وفي أماكن أخرى من العالم. وهو الذي حصل على الدوام.

وبعد رد تكليف شركة (التايمون) بقليل طلبت الحكومة الأمريكية من الأتراك أن يسمحوا للقوات الأمريكية الدخول من تركيا وذلك قبل الحرب العراقية. ولكن مجلس الأمة التركي رفض الطلب الأميركي ورد مساعدة الأميركيين واستقرار الجيش الأميركي في تركيا. واعتقد أن هذا التفكير بالبور قد اعتمد في أذهان الموجودين في البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) وذلك انتقاماً من الأتراك.

كانت أمريكا تريد المعادن الموجودة في تركيا.. كان البترون مادة استراتيجية ولكنها موجودة في عدد من دول العالم وبنسب متفاوتة.. أما البور والتوريوم فيعدان قوة المستقبل. وتركيا من هذه الزاوية مهمة إلى حد كبير ومنبع لهذه القوة الجديدة.

كانوا يريدون هذه الأرضي. ولكي يتوصلا إلى هذا.. كانوا يريدون نظاماً حكومية تابعة لهم.. حكومة يستطيعون من خلالها التفود بقدر ما يريدون وتكون الأناضول تابعة بكل معنى الكلمة لشركة (أورنيكرون).

وكانت هناك أسباب أخرى كثيرة في طلبهم لهذه الأرضي. كان يجب عليهم أن يركزوا قواتهم في أماكن إستراتيجية وغنية بسبب تصاعد قوة الصين وهذا كان يؤدي إلى بعض التوترات والتطورات العالمية.. ولهذا السبب.. كانت مصالح الشركات المعدنية الكبرى توحد مع الإستراتيجيات السياسية بشكل عام. الشيء الذي قرأه في هذا الملف.. لم يكن محصوراً بالمعادن فقط كان قد انتظر كل هذا الوقت حتى تتوحد الأسباب حول نقطة واحدة.

وبسبب وجود الملف بيد بوغيان ربما هو إدخال الأرمن إلى داخل هذه الخطة. وربما بعد أن تأخذ الولايات المتحدة الأمريكية الأرضي التي تحتاجها توزع الباقي. والشيء الآخر هو توزيع التوأجـد (البروتستانتي) في العالم.. كان هذا الأمر قد بدأ منذ عام ١٨١٨ وتقريرياً مع تشكيل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.. وكانت الجمعية التي تشكلت لأجل هذا العمل هي جمعية Amrikan board commissioners For misstons وكانت أرمينيا هي القاعدة الأساسية وبعد ذلك ربما يتم توزيع بقية الأرضي: قسم للدولة الكردية والقسم الثاني لأرمينيا والقسم الثالث للدولة اليونانية.

وكلما زاد في فحص وتدقيق الملف توصل إلى تفاصيل أدق وأصغر. وكانت جماعة فكرية - (تسمى سانتيبل) قد قامت بفعاليات كبيرة في جنوب قبرص ربما كانت هذه الجمعية تأخذ دعماً من شركة (أورنيكرون). هذه المجموعات كانت تقوم بفاعليتها ضد تركيا فقط.

وفي اجتماع سري أقيم في الفاتيـكـان تقرر ارجاع الأنـاضـول وهي أراضـي مسيـحـية مقدـسـة بالنسبة إليـهم.. إلى حاضنة المسيـحـية ثـانـية. وكان كوكـهـان يستخرج هذا الشـيء من حادـثـتين تـارـيـخـيتـين قـرـاهـما من تـقـرـيرـ: أحـدـهـما طـردـ كل العـناـصـرـ غـيرـ مـسـيـحـيـةـ بعدـ حـكـمـ العـربـ الـأـمـوـيـنـ لـمـدةـ أـرـبـعـمـائـةـ عـامـ لـلـأـنـدـلـسـ. وـمـنـ الـاجـتمـاعـاتـ الـتـيـ كـانـتـ تـقـامـ فـيـ الفـاتـيـكـانـ تـحـتـ اسمـ بـيـزـنـطـاـ الجـديـدـةـ.

كان الملف مليئاً بالمجتمعات التي كانت تقام واحدة إثر الأخرى. ومن عناصر مختلفة من البشر.

كانت الدول والهيئات الدينية واللوبيات متداخلة في هذا الملف وبحركة سريعة وقوية وبهمة كاسحة.. كانت هذه الأراضي ستتخلص من أيدي الأتراك أخيراً الوحشيين وتعود إلى أصحابها الحقيقيين وهو المسيحيون وفي هذا المجال ألم يقل الرئيس جورج بوش بعد أحداث الحادي عشر من أيلول: سنبدأ بالحروب الصليبية الثانية. أفغانستان والعراق وأخيراً تركيا.

ولكن الفرق الوحيد أن تركيا كانت ست Tingue مباشرة بأمريكا.. بقي كوكهان طوال الليل قلقاً يروح ويجيء داخل الغرفة. ولكن عندما أحس بتعب في رجليه تمدد بعض الوقت ونام نومة قلقة وتعبة.
وكان يعرف بأن قدميه ستطآن أرض الوطن بعد غيبة دامت طويلاً حاملاً معه أخبار مستقبلية مدهشة.

السبت في ٢٧ كانون الثاني ٢٠٠٧

- أنقرة -

نزلت الطائرة التي أقلعت من بون إلى مطار (آسن بوغا) في الخامسة والربع من بعد الظهر. تم إنزال كوكهان من الباب الخلفي للطائرة وأخرج من المطار دون أن يمر إلى البحث والتدقيق.

كانوا قد أركبوا تاكسي سوداء من نوع مرسيدس. كان قد جلس بين شخصين قويين أحدهما حلق شعره حلقة أميركية.

كانت شخصية (فرانك جونسال) قد أثرت على جسمه من حيث الترهل ولكنه كان واثقاً من نفسه أنه يستطيع أن يتغلب على هذين الشخصين دفعه واحدة.

لم يكن هذا الاستقبال كما توقعه استقبلاً بوجهه ضاحكة. كان المراقبان لا يتحثان أبداً. كانت السيارة تسير على استقامة مدينة (اسكي شهير) وليس نحو أنقرة.

واخيراً عندما دخلت السيارة طريقاً ترابية أحسَّ كوكهان بأن ثمة حالة غير عادية تجري.. يا ترى هل كانوا سيتحققون معه لأنَّه تم كشف شخصيته؟ كان قد رأى الشيء الكثير بأن الدولة لا تكون وفيته مع عملائها حتى ولا للطاقم الرمادي وذلك من خلال التجارب التي مرت معه على مدى هذه السنوات الطويلة.

وبالأصل فإن العمالء العاملين خارج البلد.. يعرفون أنهم معرضون للقتل أو الاغتيال في آية لحظة..

بعد سير مدة من الوقت وقفت السيارة أمام بناء وسط منطقة سهلية.. تشاهد عن بعد صومعة لتخزين القمح. إنزل كوكهان من السيارة وأدخل البناء مدفعياً من الشخصين. وفي الوقت الذي كان يدخل من الباب وإذا بضربة قوية تنزل على رأسه من الخلف.. والشيء الأخير الذي كان يتذكره أنه كان يتدرج نحو ظلام

عميق.

عندما عاد وعيه لاحظ أنه موجود داخل غرفة مملوءة بالآلات معدنية صدئة كانت يداه ورجلاه قد شدتا بقوة إلى كرسي.

فكانت الغرفة ذات السقف العالي قد نوّرت بمصابيح صفراء. أما جدرانها كانت رطبة. ورائحة العفونة قد ملأت الجو. هذه الرطوبة كانت حالة غريبة بالنسبة إليه. لا المنطقة الجغرافية الموجودة فيها ولا مكان الغرفة. يجب ألا يكون أثر للرطوبة هنا. يجب أن يكونوا تحت الأرض بعدة طبقات.

كان مرفقاً قد وقفا أمامه وكلاهما يضع نظارات سوداء على عينيه، عندما لاحظا أنه قد عاد إلى وعيه اقتربا منه وقلبا مع كرسيه على عكس وضعه وهكذا بقي كوكهان وجهاً لوجه أمام إنسان وجهه يشبه وردة ذابلة. لم يكن الرجل ينظر إليه بدا بقراءة ملفه متماماً.

- "كوكهان بيرادغ" انحول شخصية فرانك جونسال الفرنسي والذي انتقل من تركيا إلى التبيت وذلك منذ ستة عشر عاماً من الآن وهو في السادسة والثلاثين من عمره عضو في الطاقم الرمادي. وأخيراً رفع رأسه وقال: هل تعرف بأنه لم يبق أحد منكم.

كان الرجل يتحدث وكأنه يبصق. «قال شو... الطاقم الرمادي الم...»
كانت ثمة إفادة حقوية ترسم على وجهه.. «الذهنية التي أنتجتكم أو أوجدتكم.. كانت عبثاً... لا شيء... هل محاربة الأعداء يكون بهذا الشكل.. هذه موضة قديمة جداً. شو يعني.. أقتل واحداً هنا وواحداً هناك. من العناصر الخطيرة. وإذا ما تم القبض عليكم ماذا سيحصل؟ هل تعرفون مقدار الأخطار التي ستحقق بتركيا.. إذا ما تم القبض عليكم.. هذه فضيحة. ثم إن شخصيتكم قد كشفت. ولكن يجب أن أشكرك. وبفضلك استطعت أن أقنع رؤسائي كي أمسحكم عن وجه الأرض. والآن يجب أن أبحث عن الباقي منكم ونفعل ما يجب أن نفعله.»

نظف كوكهان حلقومه.

- «على الأغلب سأخذ رصاصة بدلاً من الشكر.. لكل ما قدمته من أجل

وطني».

ضحك الرجل وقال:

«على الأقل أنت واقعي».

هز كوكهان كتفه وقال:

ـ «اعمل اللي بده. ولكن اسمعني قبل كل شيء. من غير المعقول أن تكون رئيساً لهذه الأسود. كنت تستطيع قتلي دون أن تحضرني إلى هنا. وبما أنك جئت إلى هنا. أوصي معلومة مهمة إلى رؤسائك».

سكت الرجل حتى إشعال سيجارته وبعد أن سند ساعده إلى الطاولة قال وهو ينفخ الدخان: «أشكرك لأنك فكرت بي... تفضل تحدث.. أحك»، في الوقت الذي كان فيه / كوكهان / يذبل وجهه من الألم الشديد الذي كان يحسُّ به على أثر الضربة على رأسه قال: «أنا أفكّر بوطني وشعبي. أحضرت معي ملفاً مهماً. إذا دُقق على أكمل وجه ستتوصلون إلى النتيجة نفسها التي توصلت إليها شخصياً».

- أمريكا ستهاجم تركيا في أقرب وقت

نظر الرجل برهة إلى وجه كوكهان بشكل جدي. ظن كوكهان خلال هذه الفترة القصيرة أن كلامه سيسمع وسيبحث فيه بشكل جدي إلا أنه تفاجأ بقهقهة نخرج من الرجل وهو يقول:

ـ والحقيقة كنت على شوق مما سأسمعه منك. إلا أنني ما كنت أتصور أن الأمر سيكون بهذا القدر! يا حيف عليك.. «قال الرجل ذلك وضحك.. وكلما زاد في الضحك كان لا يقدر أن يمسك نفسه، قام على رجليه وبدأ بضرب صدر رجاله الذين لم ييتسموا بعد»

قال كوكهان: أنا لا أقول هذه الكلمات كي أخلص نفسي أو أفوز ببعض الوقت ... إذا أردت اقتلني الآن. ولكن دقيق الملف جيداً.

إن للأمريكيين خططاً بالجملة والمفرق من أجل استخراج البور والنوريوم والاليورانيوم. وإذا نظرت إلى الاتفاقية بنصها الإنكليزي تجد أنهم باعوا هذه المعادن إلى شركة /أونيكرن/ سلفاً. والاتفاقية أو العقد سار اعتباراً من شهر كانون

الأول.

قال الرجل وهو يضحك: «دع هذا الهراء ولك يا رجل.. ولكن ترتاح سأعطي الملف لرؤسائي. ولكن أعتقد أنك قد نسيت بأن الولايات المتحدة الأمريكية حليفتنا منذ وقت طويل... وال واضح أنك قد أكلت قسماً من دماغك وانت تعيش منتحلاً غير شخصيتك وخارج البلد.»

- إذا كان الجماعة يريدون المعدن.. لا يقدرون على حل هذه المسألة **باعطاء بعض الرشاوى لهذا وذاك؟**

ثم أخذ الوضع الجدي فجأة، وأشار إلى رجاله بيده: «المهم... لنختم هذه الكوميديا. كنت تنتظر الشكر لما فعلته من أجل وطني.. خذ... شكرأ يا أسدى»

أخرج أحد الرجال مسدساً من تحت إبطه من طراز روجر ووضعه على رأس كوكهان.. وابتعد الاثنان الآخران كيلا يأخذنا نصبهما من /طراطيش/ الدم. أغمض كوكهان عينيه وهو يتلو الشهادة... في البداية كان سيسمع صوت انفجار السلاح. يا ترى هل كان سيموت في اللحظة نفسها؟

ولكنه سمع صوت تحطم الباب، صوت انفجار السلاح الذي كان سيمزق رأسه. فتح كوكهان عينيه والتقت نحو جهة الباب فتعرف إلى الذئب مباشرة مع إنه كان قد صار مسنًا ويحمل بستوناً في يده.

قال الذئب مبتسمًا: «كنا على وشك التأخير، وكان خلفه ثلاثة شباب يلبسون الأسود ويحملون الرشاشات الآلية من طراز أوзи الإسرائيلي. وعلى وجوههم أقنعة سوداء. الرجل الذي كان يضع السلاح على شدق كوكهان أنزله على الأرض وربط يديه خلف رقبته مباشرة وفعل الآخرون ما فعله الأول ولكن بعد تردد قصير. ولكن رئيسهم بقي جاماً وكأنه يريد أن يسحب سلاحه من خلف ظهره

أشار الذئب إلى سلاحه بيستونه. وقال: «هل تعرف يا جنكينز.. كل ما أريده وأتمناه أن تسحب سلاحك نحونا وتدافع عن نفسك. وهذا تعطينا الحق كي نملأ جسمك المليء بالسم إلى أشلاء

مبعثرة١)

كان كوكهان يسمع صوت الرجل لأول مرة. عندما أنهى الذئب كلامه.. ابتسم الرجل... ثم أمسك السلاح من قبضته ووضعه على الأرض وقال: «المرة الثانية يا أفندي».

أكمل الذئب كلامه: «هل نعرف أنك أكبر خيبة أمل بالنسبة إلىٰ كان علىٰ أن أقتلك في ذلك اليوم وأقطعك إلىٰ أشلاء، وأرمي لحمك للخنازير». جاء اثنان من طاقم الذئب إلى عند كوكهان.. وفكا /الكلبasha/ من يده، وأمسكا به وأوقفاه وأسنداه عند المشي. وخرجوا جمِيعاً من باب البناء. وعندما ركبوا /الجيب الوكسن/. أشار الذئب بإيماءة من يده. إن السائق ليس منهم وطلب منه عدم ذكر أي شيء.

دخلت المجموعة إلى إحدى البناءات المؤلفة من طابقين في /ماماك/ (منطقة من مناطق أنقرة)... قريباً من منتصف الليل. وحتى وصولهم إلى هنا كانوا قد غيروا سيارتين.

عندما عاد كوكهان من التواليت وجد أنهما قد بقيا بمفردهما هو والذئب العجوز.

«لقد أرسلت الشباب.. لا تقلق نحن في أمان» في الوقت الذي كان فيه الذئب يجهّز مائدة الطعام كان يستند إلى عكازه من جهة ومن جهة أخرى يضع الصحنون والملاعق والشوكتات والجبنة والزيتون على المائدة.

رفع عينيه للحظة ونظر إلى كوكهان بنظرات مملوءة بالأفكار. وقال: - «كنت أحضر لك طعام الإفطار. ولكن لم أتذكر إذا كنت تحب ذلك أم لا. هل تريد ذلك؟».

ابتسم كوكهان. منذ سنوات طويلة لم يكن قد أفتر فطوراً على النمط التركي. وقال: «من رابع المستحبلات أن أقول لا يا سيدى. الشاي /إكرك عجم/ كما يحبه. والجبنة والزيتون مناسبان للذوق كان كوكهان يفكّر بـان وقت فتح الحديث قد جاء. وفي الوقت الذي كان فيه يرتشف شايه قال: «ماذا يحصل في

أنقرة يا سيدى. وما هذه الأحداث التي صارت؟».

قال الذئب: «الأمور كما هي يا كوكهان... وكما يحصل في كل مرة يحصل الآن أيضاً.. وبما أنك في مهمة خارج الوطن وعلى مدى سنوات طويلة. فإنك لا تعرف شيئاً.. هذا البلد لا يحكمه /دولة عميقة/ واحدة.. ولا نوع واحد من الاستخبارات. إنهم يتشارعون فيما بينهم على الدوام.. هذا الرجل أبو الوجه / ذبول الزهر/ أقصد / جنكيز/.. وضع الأمريكان خلف ظهره.. يستعرض عضلاته ويف gioها. صار مخبراً للحكومة بين الاستخبارات. وكما هو الحال.. يظهر واحد منه في كل مرحلة.»

- أتمنى ألا يصيبك مكروه لأنك خلصتني!.

ضحك الذئب وتذكر الرجل الذي كان في المعسكر وقال:

- «إن ملوك الاستخبارات يشبهون ساحرهم الملك الذي لا يفهم من السحر شيئاً. في الوقت الذي يبدأ فيه السحرة بالصراع فيما بينهم. لا ينظرون إلى صاحب الحق. في صراع الاستخبارات لا تكون الجهة المحققة دائماً على حق عند الكبار. يسمع الطرف الذي يستعمل المكر والخبث والدهاء ويرمون بالحق خارج الحلبة». كان كوكهان يفكر بموضوع الملف وخطورة الأمريكان. كيف سيفتحها للذئب.. فجأة رن الهاتف النقال للرجل العجوز ففتحه.

- «ألو انتظر دقيقة واحدة». قال ذلك والتفت نحو كوكهان وقال:

- «عندما تنتهي من طعامك.. احمل فنجان شاي وتعال إلى غرفة الجلوس. اترك المائدة كما هي. غداً ستأتي المرأة المنظفة» وأشار برأسه إلى الهاتف وقال: - «موضوع مهم يجب أن أتحدث بسرعة» عندما دخل كوكهان إلى غرفة الجلوس وهو يحمل فنجان الشاي. كان الرجل العجوز قد أشعل غليونه. وثبت نظراته نحو الفراغ.

عندما لاحظ مجئه ابتسم، وقال:

«أين كنت طيلة هذا الوقت؟ لا أظنك كنت جائعاً بهذا القدر؟»
«إنها حسرة السنوات الطويلة يا سيدى... كنت متزوجاً من مخلوقة لا تسألني عنها. بقيت في حسرة إلى مثل هذه الأطعمة».

«قلت لك لا تلملم شيئاً عن المائدة وفعلت ذلك أليس كذلك؟ اجلس هنا واشرح لي مسألتك».

كان كوكهان قد رأى الذئب آخر مرة أمام الغرفة التي حبس فيها الفرنسي فرانك جونسال. في ذلك اليوم لم يكن وجهه يضحك. وكان قد قال له في ذلك اليوم، «لن نخرج من هذه الغرفة لمدة ثلاثة شهور». الرجل الذي في الداخل فرنسي. سترعرف كل شيء عنه... وستحفظه عن ظهر قلب.»

- «سمعاً وطاعة يا سيدتي.. لكن هل من نقطة يجب أن أحفظها وأتعلّمها أكثر من كل شيء؟».

- «شو ولنك حبيبي أنت مجنون؟ ألم أقل لك كل شيء. أنت ستكونون ذلك الرجل يا ابني... هيا لننشوفك.»

كان كوكهان قد تعلم كل شيء.. كانت عائلة الرجل قد أصيبت بحادثة سير وماتت جميعاً في العام الماضي... وبقي له إرثٌ معقولٌ حتى لو لم يكن كثيراً. كان قد أخذ إجازة لمدة عام من المدرسة. وقرر الذهاب إلى /التبيت/. ولكن عندما جاء إلى تركيا وفي ليلته الثانية... اشتراك في شجار ليلى مع بعض الأشخاص.. ووُجد نفسه هنا. كان الرجل يظن إنه قد حصل خطأً ما.

بعد مرور ثلاثة أشهر.. كانوا قد طلبوا من كوكهان قتل الرجل... منذ وقت طويل لم يكن يتذكر فرانك جونسال الحقيقي... تذكر فجأة الأوقات التي قضوها. كان شاباً ذكياً ومازحاً.

هل نبدأ من فرانك جونسال يا سيدتي؟ أم من الحادثة الأخيرة؟
أفرغ الذئب الدخان السماوي من أعماقه.. كان بريق عينيه فقط يلمع من داخل ذلك الدخان وقال: «لا داعي لذاك الرجل.. أخبرني عن مهمتك وكيف اكتشفوا شخصيتك؟»

بدأ كوكهان بالرسالة التي جاءته من OTTO أوتو/ وشرح له كل شيء حتى محادثته الهاتفية مع /روبوس/.

بقي الذئب صامتاً لبعض الوقت وأخيراً نطق: «غريب؟ وربما ليست هذه قوة من الخارج.. روبوس الجديد.. هو قريب من مجموعة جنكيز.. والرجل الذي قتله هو

جديداً لا يتوقف

توصيل مجاني لباب بيتك

تخفيضات كبيرة وعروض
 مميزة

وسائل دفع متعددة منها الدفع
 عند الإستلام

استبدال مجاني خلال 14
 يوم

100 % منتجات أصلية

أضغط هنا للدخول للموقع

endless rose®

Le Specs

ASK ALICE



مرحبا بك في نمشي، وجهتك الاولى للتسوق عبر الانترنت. يقدم نمشي تشكيلة واسعة من الازياط والاحذية والاكسسوارات من العلامات التجارية العالمية والمحلية بالإضافة الى الماركات الحصرية الغير متوافرة بالأسواق. يمنحك نمشي عملاءه تجربة تسوق سهلة وممتعة وذلك من خلال مواكبة آخر صيحات الموضة العالمية وعرض المنتجات من أشهر الماركات العالمية اضافة الى توفير خدمات عملاء من أعلى المستويات. يوفر نمشي خدمة التوصيل المجاني لجميع دول الخليج العربي ولبنان وخدمة استبدال المشتريات مجاناً خلال 14 يوماً.

نمشي

@THEBEST4YO



@TheBest4YO

WawBooks.com

تحت المراقبة، يا ترى هل فعلوا كل هذا الشيء لتصفية الطاقم الرمادي؟^٦
أحسن وألأول مرة بأنه يصير هدفاً للصراعات الداخلية بين الاستخبارات وقال
متعجباً: "العمى... والله معقول.. طيب وماذا يريدون من الطاقم الرمادي؟".

"هدفهم ليس الطاقم الرمادي.. نحن.. المجموعة التي أنشأت هذا الطاقم. إذا ما
فشلنا هذه المجموعة أو تداخلت مع فضيحة أو شيء من هذا القبيل. معناه.. تظل بلا
عون ولا مساعدة.

- إذا كان الأمر كما تقول يا سيد.. فقد نجحوا في مسعاهم.. والرجل
المسمى جنكينز.. يقول بأنه أقنع قادته لمسح الطاقم الرمادي كلياً وجلبهم إلى
تركيا واحداً بعد الآخر والقضاء عليهم. يعني هو الذي فجر سيارتي وكشف
شخصيتي وأعادني إلى هنا.

ضحك الذئب وقال: "نعم أنت مصيبة فيما تقوله ولكننا كشفنا ألاعيبهم. قد
نصبوا أفخاخاً لعملائنا نحن سنضرب هذا الفخ على وجوههم وهذا معناه. بأنهم
يقطنون على أنفسهم.. ومع هذا هناك سؤال آخر..."

بقي كوكهان صامتاً حتى يكمل الذئب حديثه أو ما الذي يريد قوله:

- "كما ترى هم حاولوا القضاء أو التخلص منك بشيء من القلق والفووضي"
كان رأسه يعمل كالحاسوب. قام من مكانه وبدأ السير وهو يرفع بستونه
 نحو الهواء.. يجب أن يكون معك دليل ضدتهم. على أنهم يسيرون خلف عمل ما،
وقف لقد وجدته الرسالة.."

- الرسالة التي أمرتُك... ألم تقل الرسالة التي وصلتك من /أوتو/؟
كان كوكهان قد فهم الرابطة حيث قال: "نعم.. كان روبيوس قد تحدث عن
الترشح داخل النظام؟"

- "اترك هذا الأمر. ليس سهلاً. هل كنت قد أخذت مخرج رسالة أوتو"
- "نعم... هذه عملية طبيعية.. نتركها عندنا حتى إتمام المهمة ثم نفنيها...
ولكن في هذه المرة بقيت داخل الملف الذي معك".
هذا هو الدليل الذي بأيديينا... المهمة المزورة جاءتك عن طريق النظام أو

المجموعة التي يحرضها /روبوس/. لومت لما اكتشفت هذه العملية.. تمام يا ابني ..
تمام..

بدأ الذئب بالاتصالات الهاتفية دون أن يعبأ بالوقت. حيث كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل. كان يتحدث ويشرح بانفعال وصوت قوي... دامت المحادثة أكثر من ساعتين.

وعندما عاد قال له كوكهان: "هناك مسألة أكثر أهمية من كل هذه يا سيدى.. أكثر أهمية بعشرات بل بمئات المرات".
في هذه المرة. دامت محادثة كوكهان أكثر بكثير واستمع إليه الرجل المسن دون أن يقاطعه.

٢٠٠٧ شباط

مكان غير معروف في أنقرة

في الوقت الذي سمع فيه "كوكهان" صوت سيارة توقف بسرعة... تحرك بسرعة وفتح بأمان الرشاش الأوزي.. كان كوكهان داخل "براكة" خشبية مبنية إلى جانب "مزيلة" المدينة...

وقفت السيارة وفتح بابها الأمامي ونزل منها أحدهم.. ثم تحركت ثانية وابتعدت.. كان الظل القادم هو الذئب.. يسير متكتأً على عكازه.. كان الرجل العجوز مضطرباً.. على عكس ما كان عليه قبل أيام، كانت ثقته بنفسه كبيرة وكل تصرفاته كانت تدل على ذلك.. عندما أغلق الباب من خلفه... كان ينظر إلى داخل الظلام بشيء من الخوف والاضطراب.. وقال:
" أصبحنا وكأننا نحمل الوباء يا كوكهان."

"المُلْفُ فِي يَدِنَا.. أَلَا يَرَوْنَهُ؟"

"نعم إنهم ينظرون إليه ولا يرون شيئاً.. إنهم لا يرون الأشياء كما نراها نحن.. الأمريكيون يضغطون علينا في كل مكان... وثمة رشاوى ضخمة تدور في الأوساط.. يتحدثون.. على أنهم قد دفعوا لرئيس الدائرة أكثر من خمسين مليون دولار.. وفتحوا لأولاده منحاً للدراسة في أمريكا.. وتحملوا كل المصارييف.. يعطون الرشاوى... وإذا لم يحدث أي شيء يبذلون بالتهديد والتخييف سيخفون المُلْفُ يا كوكهان.. ويتحدثون إن مستشار الحكومة سيغير من مضمونه."

جلس كوكهان فوق مصطبة قدرة.. في الليلة الماضية كانوا قد جاؤوا إلى هنا بعد اتصال هاتفي من أحدهم.. نزلت أكتافهم وكأنهم قد خسروا كل شيء.. قال الذئب: "لقد سحبوا طاقمنا إلى /القازاق/ وريا وأحالوهم إلى التقاعد خلال هذين اليومين".

قال كوكهان مستسلاماً لضعفه: "نعم إن هدفنا ومرامينا لن تسمع" قال الذئب متكتأً على بستونه: "إذا بدى الصراحة عرضوا علي الرشوة فقط..

وتقاعد مريخ في الجنوب.. حتى أنهم هددوا بقتل ابنتي وحفيدتي.
كان كوكهان قد دهش من كلمات معلمه. لأنه لم يكن يتوقع أن يكون
للذئب عائلة.

سأله كوكهان بصوت مرتجف: "وماذا ستفعل؟"
ضحك الذئب: "لا تخاف.. لن أبكيك. هل تتذكر ماذا حصل في اليوم الأول من
العسكر

الكلاب أليس كذلك؟

"نعم إنهم لا يعرفونني عن حق لن أرضخ لتهديداتهم. وبخلافاً من أن أبيع وطني
وشعببي أقتل ابنتي وحفيدي بيدي هذه.. ولكن يجب أن نجد حللاً.. لا معنى للمقاومة
دون حل.."

قال كوكهان. "إن مشكلاتك مهمة جداً.. أمريكا ستهاجم تركيا.. وفي وقت
قصير جداً.. ولكن لا نجد حللاً"

"حتى ولو أقتنعنا به ذلك.. ماذا تفعل تركيا أمام أمريكا؟ مستحيل أن يتحمل
جيشنا الحرب التقليدية وبالأسلحة التقليدية."

ومن ناحية الاستخبارات أيضاً.. بالأصل هم في داخلنا. للإعلام والحكومة
والجيش والاقتصاد. إنهم متدخلون في كل مكان."

حمل كوكهان الدفتر الذي يكتب عليه أفكاره وملحوظاته وقال:
"بالأصل أنا أفكر في موضوع ما يا سيدى.. شيء خطير.. الدولة لا تستطيع أن
تقوم به ولكن تستطيع آية مجموعة أن تقوم بذلك."

تراجع الذئب نحو الخلف (أي أستند ظهره) وقال:
"هات لننشوف.. ماذا تتمنى؟ يجب أن نخرج من هذه /البراكنة/ الخشبية بشيء
ما. قبل أن يرمونا بصاروخ"

وأشار كوكهان إلى الرسم الذي رسمه على الورقة "هل تستطيع إيجاد هذا
الشيء؟"

نظر الذئب داخل هذا الظلام إلى الورقة ثم إلى وجه كوكهان. كانت الرسمة
تشبه جسم طفل وفوقها صاروخ وقال:

"استطاع أن أستعيدها من أحدهم ولكن كيف نستطيع الاستفادة منها ونحن
هنا؟ إذا استعملناها.. هم أيضاً يستعملونها... وتحكون هذه نهايتها جميعاً".

ابتسم كوكهان بمرارة وقال: "لن تستعملها هنا بقدر الإمكان. وإذا بدك
الصراحة.. ارفع الصاروخ أيضاً لا يلزمها سوى الرأس والأآلية التي تفجرها.."

بقيا لمدة ساعات طويلة حتى توصلوا إلى خطة. كان وقتها قصيراً وإذا لم
ينجحا بهذه المهمة.. معناه على الدنيا السلام وعلى تركيا السلام وعلى الشعب
التركي في الأناضول السلام.

القسم الثالث

القوى الشعبية

٢٣ أيار ٢٠٠٧ الساعة ١٩:٠٠
بيرام باشا . إستانبول

بعد أن أخذ عمر السيجارة الأخيرة من علبة سجائره.. لفها ومزقها ورمها..
كانت ثمة سلة للنفايات بعد عدة أمتار. ولكن أفكاره لم تتركه بتذكر ذلك.
كان يبحث عن صيد نمرين.. امرأة ضعيفة لا تستطيع المقاومة.. حتى ينشر
محفظتها ويهرب.

كان قد خرج من السجن منذ ساعتين فقط. بعد أن حكم عليه ثلاثة شهور
سجن بجريمة الانتشال.

كان قد قرر قبل ذهابه إلى بيته في / غون غوران / أن يحصل على بعض
الليرات لتعينه بضعة أيام.

كان يراقب ويزن بنظراته المجرية النساء اللواتي يرحن ويجئن أمامه.
الأكثريات منها. كن قد شددن محفظاتهن تحت إبطهن بقوة.. في

كانت سيجارته على وشك أن تنتهي. لم يبق منها سوى سحبتين أو ثلاث.. في
هذه اللحظة تماماً ركَّز نظراته إلى امرأتين كانتا تمران من أمامه... إحداهن
مفطاة الرأس والأخرى متبرجة وشقراء.. كلتا هما في أواسط عمرها. فكر في
نفسه:

"لقد خرجتا من / الكواشير / يجب أن يكون ثمة عرس في هذه الليلة.. أو /ليلة
الحثة/ .. كانتا قد زينتا ويهرجتا وجهنزا نفسهاما لهذه الليلة.

تمتم بهمس: "أزواجهما يعطيانهما مالاً وهمما ترميانه هنا وهناك.. تعطيانه لهذا

وذاك".

كان يفعل هذا الشيء دائمًا. يجد الفريسة أولاً ويلاقي العذر لنفسه ثانية. وكان يقنع نفسه بذلك.

ولهذا السبب يجب أن ينتشلوا.. هل كانت أم عمر قد ذهبت في أحد الأيام إلى الكوافي؟ كانت المسكينة ترعى زوجها السكير على الدوام تحمل قساوته. وكانت تحاول جاهدة إخفاء وستروادخار بعض الليرات سراً. كي تعتني بابنها عمر وهارون وتجعلهما يكبران.

بدأ بتعقب المرأةين واضعاً مسافة بينه وبينهما. كانت الشقراء المتبرجة لا تعبأ بمحفظتها أما الأخرى أم الغطاء فكانت تحمل عدداً من الأساور بمعصمهما. بعد أن عين هدفه تماماً. بدأ بمراقبة الأجواء من حوله.

كان لا يريد أن يُقبض عليه ثانية بعد سرق المحفظة. ومن حسن حظه كان الشارع فارغاً.. حتى مرور السيارات كان قد خف. بعد مسافة قليلة كانت شمة أربعة مفارق. إذا سرق المحفظة هناك. يمكن أن ينتقل إلى الطرف المقابل ويختفي عن الأنظار.

بدأ بتقصير المسافة بينه وبين المرأةين.

في الوقت الذي كان يمر فيه أمام مقهى فيه حديقة تطرقت إلى أذنيه صوت رئيس الوزراء المنفعل. وعندما رفع رأسه عرف سبب عدم وجود أحد في الشوارع. كان المقهى مملوءاً حتى آخره. والشعب ينظر إلى التلتفاز باضطراب وحزن شديدين. قال رئيس الوزراء: "بالنسبة للأخبار الواردة إلينا بأن الطائرات الأمريكية على وشك أن تضرب جميع أنحاء تركيا.. كونوا مع الله ولا تبالوا.. وعلى مدى وجودنا على قيد الحياة.. لن يبقى جندي معاد على قيد الحياة.

ظن عمر بأنه سمع خطأ.. كان قد نسي النساء للحظة. وعندما أدار رأسه.. كانت قد ركبنا السرفيس هزّ يده بقوة وهو يقول:

"نوه.. ولك" قال ذلك ودخل إلى المقهى

كانت تصريحات رئيس الوزراء قد انتهت لتوه.. كانت الفوضى الموجودة في المكان الذي أقام فيه رئيس الوزراء مؤتمره الصحفي تُعرض على الشاشة.. كان

الجميع يتحدثون مع بعضهم مرتبعين لا يدركون ماذا يفعلون. اقترب عمر من رجل طويل القامة كان يقف في آخر المقهى.

وقال له: "ما هذا الشيء الحاصل يا أستاذ؟ ماذا يحصل؟".

نظر إليه الرجل بداية من راسه حتى أخمص قدميه. "وأين كنت ألم تعلم إن الحرب قد بدأت؟".

كان عمر قد دُهش: "من نحن؟ هل تركيا دخلت الحرب؟ كان قد استمع إلى الأخبار آخر مرة ظهر الأمس. كانت الأخبار البارحة تتحدث عن توتر كبير بين أمريكا وسوريا.

قال الرجل: "نعم نحن.. ومع أمريكا أيضاً. يقولون: إنهم قد هاجموا جنودنا وقدفوا فوقهم قنابل كبيرة ومات منهم الآلاف".

اسند عمر نفسه إلى الجوار وغارت عيناه. كان عدد الموجودين في المقهى قد بدأ بالتناقص.. كان الجميع قد تحركوا بسرعة كي يكونوا إلى جانب عائلاتهم وأقاريبهم.. جلس هناك نصف ساعة وتعقب الأخبار الواردة تباعاً.

وبعد أن شرب شايته قال للقهوة: وهو يدفع له ثمن الشاي: "هل تعرف أين تقع أقرب شعبة عسكرية يا أستاذ؟"

٢٣ آيار ٢٠٠٧ . الساعة ١٩:٠٠

باي أوغلو . إستانبول

كانت أمل تسير في شارع الاستقلال دون أن تعباً بالحياة التي كانت تسيل أو دون أن تحس بالحياة التي كانت تسيل في أطراها متوجهة نحو منزلها الكائن في حي / غلطة/. كان ثمة أنين يمسح أذنيها .. كلمات الطبيب هي التي كانت تعكس على شكل موجات في مطبات أذنيها :

هذا سرطان رئة. مع الأسف ومن أسوأ الأنواع.. ومنتشر إلى حد كبير.
كانت أمل لا تدخن ولا تسمع لأحد بالتدخين عندها.

كانت قد ولدت وعاشت وكبرت في ألمانيا ومنذ عام جاءت إلى إستانبول. وجدت عملاً بعد بحث طويل في إحدى شركات الألبسة. ولأنها كانت تتقن الألمانية والإنكليزية.. وضعتها في مكان تستقبل فيه المشترين القادمين من ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية..

كانت سعيدة في حياتها. والآن أصابها هذا المرض في الوقت الذي كانت فيه على وشك أن تحصل على الحياة التي تريدها وتتمناها.

عندما كانت تدخل إلى الشارع الذي يقع منزلها فيه.. نظرت إلى أطراها... كل شيء كما هو.. لم يتغير فيه أي شيء.. وكأنه يجب أن يتغير. يجب أن يكون رد فعل الدنيا كبيراً. لأن الحياة كانت ستتركها.. قبل أن تصعد إلى منزلها دخلت إلى البقال الكائن في البناء نفسها واشترت ماء وخبزاً ومعكرونة.. كان البقال في حالة غير طبيعية... كانت قد عرفت نفسها إليه قبل عام.. تحت اسم / صوفيا / لماذا كان هذا الإنسان كثيباً ومتجمها الوجه ومتورأ؟.

قال لها: "إذا أردت أن تشتري أشياء أخرى... قبل أن نقلق المحل".
عندما تعرف إليها قبل عام ظنها غريبة... أجنبية من شعرها الأشقر ومن تركيتها الركيكة وعينيها الزرقاويين.. ابتسمت أمل للحظة وجيزة. لم تكن قد

فهمت ما قصدته /سيفو/. ولكنها أخذت بضعة أشياء أخرى بطريقة أو بحركةً آلوماتيكية.. وأسرعت بخطوات مسرعة نحو منزلها.

وبعد أن رمت نفسها داخل المنزل سحبت /أوها/ طويلاً. ثم وضعت الأشياء في المطبخ وفتحت التلفاز. كانت ثمة مشاهد غير مفهومة كانوا يعرضون مكاناً يخرج منه الدخان بكثافة... والكاميرات تصور بشكل حر و مباشر.. تنتقل من هنا إلى هناك وتتصور أناساً جالسين مجرحين في وجوههم وأجسامهم وأضعافين أيديهم على وجوههم... كانت الصور تعرض دون أي تعليق.. سُحبت دماء إمل من جسمها.. ربما بدأت تحصل أشياء لا تعرفها. حاولت جاهدة أن تتعرف إلى مكان الصور المعروضة. ولكن من رابع المستحبيلات لم تقدر على ذلك. وكأن ثمة بناءة كبيرة كانت قد ضُربت. والناس من أطرافها يبكون ويولدون ويجرون نحو كل الجهات.

أعزائي المشاهدين.. الآن تشاهدون إخراج الجرحى من بناءة وزارة الداخلية التي ضُربت.. والحريق الذي خرج بسبب انفجار القنبلة وسط البناءة لم تتم السيطرة عليه بعد.

كانت أمل قد جمدت في أرضها وهي واقفة على رجليها. تنظر إلى المشاهد التلفازية وهي تدور ضمن الفرفة ولسانها قد جفَّ من اللعاب.

كانت تقول في نفسها. "هل يقولون وزارة الداخلية..؟ في أي بلد يا ترى؟" البنائية... نعم الآن تسمعون الأصوات أعزائي المشاهدين هذه الأصوات هي أصوات الطائرات. ولكن لا نستطيع أن نتعرف إليها من هنا... ربما هي الطائرات الأمريكية التي خرجت للنصف.. وربما هي طائراتنا التي بدأت تدافع عن أجواننا" فكرت في نفسها: يا إلهي من غير المقبول أن تكون الصور التي أراها وأسمعها حقيقة. كانت تعرف ومنذ أيام أنه ثمة توتر كبير بين أمريكا وسوريا. ولكن منذ متى كانت تركيا قد دخلت الحرب؟

كل شيء نوع من السخرية.. مزح مثل الكذب.. بعد سماع خبر مرضها جاءها هذا الخبر كالصاعقة.. ثقيلاً..

افتربت من الزجاج ونظرت نحو كل الاتجاهات. وكان كل شيء كان يتغير

ثانية بعد أخرى.. كان الناس يسيرون بسرعة في الشارع متوجهين إلى منازلهم والنساء كذلك.. كن يجرين بخطوات كبيرة وهن يحملن الأكياس.. على الأغلب كن يتوجهن إلى بيوتهم. رأت ثمة توترة واضطراباً قد لفَّ وجوه الناس كلهم. كانت وحيدة داخل هذا البلد الكبير رُنَّ الهاتف.. ارتجت أمل.. خافت. رفعت السماعة بانفعال كبير. كان والدها يتصل من ألمانيا.

- "أبنتي أمل اتركي البلد وارجعي فوراً إلى هنا الأمور سيئة جداً" في تلك اللحظة فرُغت أمل أعصابها المتوتة على مدى ساعات طويلة. وبدأت تبكي بقوة.
ـ "أهدئي يا ابنتي. أنا لا أستطيع الذهاب إلى هناك.. رجاءً يا ابنتي اذهبي إلى المطار وأصعدني إلى أول طائرة قادمة إلى هنا".

- "اعتقد بأنني لا أقدر على فعل هذا الشيء يا أبي".
كان صوتها يرتجف.. حتى أن والدها كان قد تأثر من موقف ابنته حيث بدأ بالبكاء أيضاً.. كان المنزل في ألمانيا قد انقلب رأساً على عقب. كانت أمل تستطيع سماع صوت أمها وأخيها. صرخت بقوة. "رجاءً اسكتوا.. رجاءً" وألقت السماعة من يدها. وخررت على ركبتيها وهي ترتجف وأخذت رأسها بين يديها. كانت سماعة الهاتف بعيدة عنها بعض الشيء، ولكنها كانت تسمع الأصوات الصادرة عنها. كان والدها يصرخ على الدوام.

تدخل شيء آخر إلى هذه المعممة الكثيبة.. حيث بدأت صفارات الإنذار تدوي.. كانت صفارات الإنذار.. تذير الناس بهجمة محتملة على الكلية الحربية.. ومراكز الإطفاء.

كان والدها قد وقع في عملية نفسية حرجية لبعض الوقت. انقطعت الأصوات الصادرة عن الهاتف في هذه الأثناء.

كانت أمل قد توقفت عن البكاء.. كان الجميع يحاولون فهم مفزي هذا الصوت الجديد الذي سمعوه. كانت أصوات صافرات الإنذار تدوي وتتصاعد قوة

وتنزل وتمتلئ في أذانهم.. قامت أمل عن الأرض واتجهت إلى زجاج النافذة. كانت الشوارع قد بدأت بالتخبط والاضطراب.. والمرور على وشك أن يتوقف.. والناس مثل المجانين كانوا لا يدرؤون إلى أية جهة يذهبون.. فجأة تذكرت الهاتف رفعت السماعة بهدوء. "أنا بخير لا تحزنوا من أجلي". كان صوتها قويةً أكبر من حقيقته.. لم تقل شيئاً آخر.. كانت تحس بأنها لن تستطيع الخروج من البلد حتى ولو ذهبت إلى المطار.

والأغرب من هذا.. لم تكون أمينة من طلبها هذا "خروجها من البلد" بالأصل لم تكن تريد الخروج من هذه المدينة.. الهروب.. كان بلد़ها ومدينتها تحت خطر الفناء مثلها تماماً.

في هذه المرة لم تكون وحيدة أحسست بأنها تكاملت وتوحدت مع مدينتها وبلدَها وشعبها.. كلهم صاروا قطعة واحدة.

أحسست بالطاقة التي كانت تتماوج في دمها.. وانتشرت إلى عموم جسدها. تحدثت بعض الجمل الخفيفة مع أبيها كي تسْكُنْ من روعه. وأغلقت الهاتف.. تذكرت كلمة ووعدت نفسها:

• ستكون قوية... كما هي الآن.. يجب أن تكون موجودة حاضرة على صفحات الحياة مهما حصل. وكانت جاهزة للدخول في أية معركة مع أي شيء يبعدها عن وعدها وقتها.

٢٣٥ .٢٠٠٧ .أيار

. جبال طوروس .

كان وجه السماء قد تمزق إلى عدد كبير من الخطوط البيضاء من جراء الطيور العملاقة ذات الشمانية محركات من طراز /B 52 .. كانت هذه الطائرات تمر من سماء المنطقة ومن عدة جهات. ولكن لم يكن أحد يعرف إلى أين تذهب. وكان جنود الكتيبة الأولى التابعة للواء الكوماندو الخاص المتمركزة في /فيصري **

كان هؤلاء الجنود قد تركوا قاعدتهم وانتشروا على سفوح الجبال القريبة وذلك بعد بدء الغارات الجوية الأمريكية بوقت قصير. وبما أنهم لم يأخذوا معهم مهمات تكفيهم.. فقد بقوا مختلفين لبعض الوقت.. ولحسن حظهم كانت إحدى الملاجئ السرية الخاصة التي جهزها الجيش التركي مثل هذه الحالات الاضطرارية.. قرية منهم.

كان قائداً الكتيبة قد انتظر أمراً من رئيس الأركان العامة. وعند تبلغ الأمر أسرع إلى الملاجأ السري مباشرةً وحمل كل محتوياته من أسلحة ثقيلة وعدد مهمات إلى الشاحنات.

ثم بعد ذلك خرجوا وبشكل سريع جداً وسري جداً واتجهوا نحو المنطقة أو المكان الذي طلب منهم الذهاب إليه. كانت هذه الرحلة قد دامت من خمس إلى ست ساعات. وفي نقطة معينة تركوا السيارات وأخذوا وضعية الحرب.. وجهزوا موقع بسرعة حتى أنهم تسابقوا مع الزمن.. كان الوقت مهمأ جداً بالنسبة إليهم.. لأن الهجوم الأمريكي كان قد بدأ في وقت لم يكن أحد ينتظره. وكذلك كانت سريعة بشكل مثير. وغير متوقع.. كانوا مجبرين على محاربة الطرفين. الزمن والعدو.

** ((مدينة في وسط الأناضول وهي مدينة صناعية.. مدينة وزير الخارجية التركي عبد الله غول — (المترجم)))

كان الأمر الذي أخذوه هو منع المدرعات الأمريكية المرور من ممرات جبال طوروس. لم يكونوا يستطيعون الحركة بحرية. لأن من أول مهمات الطائرات الأمريكية ضرب الوحدات الميكانيكية قبل كل شيء. وإذا فعلوا هذا الشيء أي أظهروا أنفسهم كما فعلت الوحدات الأخرى. كانت الطائرات الأمريكية ستضرر بهم حتماً وبشكل كثيف. نعم كانت الكتيبة الأولى من اللواء الخاص المتمركزة في قيصري. قد أخذت مهمة منع الأمريكيين المرور من بين ممرات جبال طوروس ولكن ينجحوا في مهمتهم هذه كان عليهم أن يكتفوا بالقوة التي معهم.. ويطبقوا معاذلة الاكتفاء الذاتي. كان قائد الكتيبة العقيد تومر يعرف أن عليه أن يسترقوته في مكان جيد ويجهز نفسه وأسلحته الثقيلة على أكمل وجه. وكان قد فعل هذا الشيء، أما القسم الباقي من اللواء كان قد أرسل إلى شمال أنقرة.

في كل مرة كان فيها العقيد ينظر إلى السماء.. يعرف خطورة الأمر وغرابته.. كانت ثمة حركة جوية كثيفة.. والأصوات التي كانت تقترب من آذانهم. تعطيمهم ماهية القوة الجوية وكثافتها.

كانت قيادة الكتيبة قد ركّزت على كل طرف من الممر. سرية جاهزة وتمركزوا بشكل جيد على الكهوف والمغارات والفجوات الموجودة هناك. وجعلوا منها قاعدة عسكرية.

- "خذوا حذركم يا حسن.. أرى في السماء سرياً كثيفاً.. كما توقعنا تماماً." كان صوته قوياً وحاداً.. وغضاته مشدودة.. كان قد تحول إلى وحش جاهز للهجوم على فريسته.. خلايا المحارب المتتجدة على مدى آلاف الأعوام . كانت لا تستطيع البقاء في أماكنها.

عمد النقيب حسن الذي أخذ الأمر من العقيد.. إلى تحذير قائد السرية المتواجد في الطرف الآخر من الممر بيده.

لا حظوا على بعد عدة كيلومترات من الممر. عرية صغيرة. فوقها جهاز.. يمشط الأطراف. واقتربت رويداً رويداً من الممر. كانوا يظنون أن الممر آمن لأن طائرات 52- b كانت قد قصفت هذه المناطق بشكل كثيف. وكان الخط الزمني إلى جانب الأتراك، لأن القوات الخاصة التركية كانت قد تمركزت في هذه المناطق

بعد القصف الجوي بحوالي نصف ساعة. والحقيقة كان كل شيء حتى الأسلحة الضخمة قد استقرت على أكمل وجه وبشكل مناسب لعموم العمليات الحربية. فصرخ بقوة: ”نار“... فانعكس صدى صوته إلى ما فوق التلال الغريبة كانت الدبابات والعربات المدرعة الموجودة في الأسفل قد توقفت. فأخرج الجنود رؤوسهم من الدبابات ونظروا نحو الأعلى إلى السفوح والتلال. كانت /الـكـيـوا/ قد أخبرتهم بالأمر.

في لحظة واحدة بدأت النيران تهطل على القوات الأمريكية من الطرفين. كان أصوات الأسلحة المتعددة قد ملأت الوادي. حاولت الدبابات الأمريكية أن تناور وتهرب من الموقع. وبما أن المكان ضيق جداً فقد تصادمت مع بعضها.. كان الصاروخ الأول قد أصاب دبابة وفجرها بقوة.. بحيث تأثرت آلاف الشظايا هنا وهناك من الوادي تردد صدى صوت الانفجار إلى مسافات بعيدة.. كانت المروحيات الأمريكية ترمي نيرانها نحو كل الاتجاهات.. كان الجنود يرمون نيران أسلحتهم نحو أهدافهم التي أمروا بتدميرها دون أن يبالوا أو يهتموا بنيران مدفعية الطائرة أو المروحية.. كان العقيد تو默 محقاً فيما. خططه وفكّر به. حيث بدأت خزانات الوقود بالانفجار خلف بعضها البعض من كثرة الإصابات التي أخذتها. أما الجنود فقد بدؤوا بالخروج من عرباتهم يريدون تخليص أنفسهم من الموت فارين نحو الجهة التي أتوا منها.

كانت الرصاصات قد بدأت بالاتجاه نحو الجنود الفارين. كانت الدماء التي تتفجر من أجسادهم تختلط بترية الأرض وتأخذ شكلاً معروفاً.

كان الوادي قد أغلق.. والمروحية كانت قد عادت أدراجها بعد أن تلقت إصابة شديدة. حيث بدأت الدبابات الأخرى ترمي بحمتها نحو الوادي من نقطة بعيدة تابعة للقوة الرئيسية.. تراجعت القوات الخاصة من أماكن تمركزها وانتقلت إلى نقاط أخرى في الخلف. كانت معركة الدفاع قد بدأت.. كانت مدافع الهامون من عيار ٦٠مم قد عملت سداً من النار في مواجهة الهجوم الأمريكي.. تراجعت الدبابات نحو الخلف قليلاً. لأنهم كانوا قد فهموا أنهم أمام وحدة عسكرية قوية. كانوا يتطلبون الدعم الجوي من خلال الأجهزة اللاسلكية والأطراك

يسمونهم.. والعقید /تومر/ قد عرف بالذی سیحصل بعد قلیل.
كان عليهم أن يجادلوا السماء والأرض معاً. ولكن نظرية الدعم الجوي كانت
قد تغيرت في السنوات الأخيرة. كانت الطائرات العملاقة من طراز 52 - B هي
التي تدعم القوات المحاربة.. هذه الطائرات قد بدأت ترمي من على ارتفاعات
شاملة أكثر من أربع وثمانين قنابل مسيرة، وزن كل واحدة ٢٥٠ كغ. كانت
تنزل على الوادي على شكل هبات حرارية متواصلة.. كان صدى الانفجارات
يعاقب متتالياً في عموم أرجاء المنطقة وقتل النيران الضخمة ذات الألوان
البرتقالية.. كانت ترافق من على بعد مسافات شاسعة.. ولكن النيران ما زالت
تخرج من خنادق الأتراك. كانت القوات الأمريكية تعرف أنهم ستبقى أمام هذه
المعادلة التركية والمقاومة التركية لفترة أخرى من الزمن...
حتى أن الوقت بالنسبة إليهم أيضاً كان مهماً جداً.. كانت هذه القوة الصغيرة
قد أنزلت بهم خسائر فادحة.

٢٤ آيار ٢٠٠٧ . الساعة ١٠.٣٠

- انقرة -

كان حكمت باشا لا يفادر الهاتف الأحمر في مقر القيادة العامة الموجودة تحت الأرض.. كان يحسُّ بموت ابنه /أركان/ دون أن يسمع عنه شيئاً.. كان لا يفكر سوى بهذه الحرب القذرة، وصبَّ كل اهتمامه عليها.

حركة غير عادية في خطوط الاتصالات.. كانت الخطوط مزدحمة كاذدحام السيارات في الشوارع. كان الجيش التركي قد توصل أو امتلك مقسماً لا تستطيع الأجهزة الأمريكية الإلكترونية أن تتوصّل إليه وتشوّشه وذلك بفضل نظام TAFCS/ ولهذا السبب كانت الاتصالات لا تقطع مع كل الوحدات العسكرية الموزعة في عموم أنحاء تركيا.. وذلك بعد بدء الحرب بوقت قصير. ولكن الأمريكيين كانوا قد توصلوا إلى بعض هذه المقاسم التابعة لذاك النظام وأمروا بقذفها جواً. ولهذا السبب كانت الاتصالات تصل متقطعة بين وقت وأخر.

أعضاء الحكومة لم يكونوا موجودين هناك، وبقرار مشترك من الجميع، كان الوزراء سيعودون إلى رأس عملهم في الوزارات كي يبقوا على تماس مباشر مع المديرين الإداريين.. عدا وزير الدفاع والخارجية ورئيس الوزراء. سيكونون على تماس دائم مع بعضهم. ولن يبتعدوا عن بعضهم كثيراً. دوائر الدولة والوزارات ستُفرغ من موظفيها. وبالأصل كانت البنيات ستسوى مع الأرض بعد وقت قصير.. بعد الآن كل مكان سيكون بناية رسمية للدولة.. حتى مكاتب المختارية تحول لفترة قصيرة إلى مكتب لرئيس الوزراء.

كان قادة القوات يُسجلون ملاحظاتهم من المعلومات التي كانت تأتيهم من الهواتف.. وعلى الدوام.. كانت وجوههم جامدة ومعززة بالдинاميكية والحدة.. وطاقتهم في أوج شدتها.

والأصوات التي كانت تسمع داخل المقر باستطاعتها أن تجمد الدماء في عروق شخص عادي. كانت الرسائل الشديدة التي تحرق أحاسيس الأمن والأمان وتنقض الثقة في القلوب تماماً ثمطر من عموم أنحاء الوطن.

- "القاعدة البحرية تحت قذف جوي همجي.. أعود وأكرر. القاعدة البحرية تقدف بشكل قوي".

صرخ ضابط العمليات بهذه الكلمات وتحرك بسرعة من طاولة الأميرال تحسين يوجاسون / قائد القوات البحرية ووقف أمام الشاشة العملاقة. ونظر إلى كثافة الطيران الموجودة فوق منطقة /إيجا// بدون أي شك.. كانت الهجنة قاتلة. كانت اثنتا عشرة سفينة حربية تركية موجودة في القاعدة الموجودة في بلدة بودروم/. والآن كانت هذه السفن تحت قذف جوي كبير.. تم الاتصال مع قائد القاعدة البحرية.

كانت أصوات الطائرات تسمع من هاتف القاعدة البحرية. يعطي التقارير بين وقت وأخر. وكانت قيادة القاعدة الموجودة على رأس التلة /وانتيل/ الرادار قد قذفت. وجميع السفن تقريباً كانت تحتقرا. وأصوات المدفع المضادة للطائرات قد سكتت، لأن المدفع الموجودة على رأس التلة، والمدافعة عن مركز القيادة قد أصيبت بعدة صواريخ.

كان الأميرال يصرخ. "الدفاع عن القاعدة مستحيل".

- "لقد وقعت عدة قنابل على /لوجمانات/ أبنية مدرسة الوحدات الخاصة. ولا نملك أخباراً عن الخسائر البشرية.. نحاول إطفاء الحرائق. الوضع هنا سيء جداً يا سيدى. إنني أرسل الكوماندو SAT إلى أنقرة.. ليس لديهم عمل هنا".

- "فهمنا الوضع يا باشا.. أنت على حق.. سنحتاجهم هنا أكثر من هناك" كان السيد / تحسين / قد جهز كل المخططات ومنذ وقت طويل كان يفكرا باستعمال هذه القوات أي / كوماندو SAT / ضد القوات الأمريكية في الحرب البرية... يجب أن يجاهوهم على البر ويجب أن يستعملوا كل القوات التي يملكونها.

اهتزت البناء بشكل قوي.. سكنت كل الآلات الموجودة في مقر القيادة لبعض

الوقت.. وبدأت بالعمل بعد توقف المزءة.

كان جميع الموجودين قد وقعوا على الأرض.. قبل انتهاء تأثير الانفجار اهتزت القيادة بانفجار قوي للمرة الثانية.. وبدأت الأدخنة تتتصاعد من أسلاك الآلات وغطت الجو. كانت عدة حراائق كهربائية صغيرة قد حدثت. ولكن المسارك تدخلوا وأطفلوا هذه الحرائق الصغيرة مباشرة. بدأ حكمت باشا على لملمة نفسه. كان ينظر إلى أطرافه بشكل محترس.. وإذا بانفجار ثالث يهز المكان وقد رمى الموجودون بانفسهم على الأرض ثانية.. كانت عملية التنفس صعبة جداً.. كانوا على عمق عشرات الأمتار عن الأرض.. وهذا ما كان يظهر قوة الضربات والانفجارات... كانت بناية رئاسة الأركان العامة قد صارت مع الأرض. انظر الضباط بعض الوقت. وجمعوا شتات أنفسهم. كي يستقبلوا الضربة التالية ببعض الثقة.. كانت الأدخنة والروائح قد لفت الأجواء.

جاء قادة القوات بسرعة إلى مكان تواجد حكمت باشا.

- هؤلاء الأوغاد جنوا يا سيدى... لترك النظام العام، لندافع عن أنفسنا ونحن منتشرون، الواضح أنهم قرروا محونا عن سطح الأرض.

هذه الكلمات قالها قائد القوات البرية الجنرال / فخري سرت/ .. وهو يصرخ..

كان قد حمل سلاحه يريد الخروج من هناك.

- الأخبار التي تصلنا مصيبة يا سيدى بكل معنى الكلمة مصيبة لخرج ونصارعهم وجهاً لوجه وصدرأً لصدر.. نحن مجبورون على هذا يا سيدى.

- كيف حال الأوضاع يا فخري باشا؟

- الفرقة التي افتق قواتنا في العراق يا سيدى بدأت بالتقدم بسرعة كبيرة ومعها فرق أخرى كثيرة.. لا تصلنا الأخبار الصحيحة ولكن أعتقد ثمة معارك كبيرة تقوم هناك.

كان رئيس الأركان / حكمت باشا/ على وشك أن ينفجر من غضبه فقال صارخاً: /ليبلوهم الله بكل المصائب/.

كان الجيش التركي يتعرض لهجمات كبيرة ومن كل الأماكن. التفت حكمت باشا نحو قائد القوات الجوية وقال:

- وكيف حال القوات الجوية يا جنرال؟

تحدى الفريق /أورهان أق يورك/ قائد القوات الجوية. بصوت يتلبسه الغرور. إلا أن الحزن المتراكם في أعماق عينيه الزرقاويين.. كان ظاهراً للعيان.

- إننا نحاربهم يا سيدى.. الخبر الأخير الذي وصلنا هو إن المعارك الجوية قائمة. ولكن غير معروفة.. طائراتنا استطاعت الإفلات.. ولكن ليس كلها.. في هذه النقطة كان طوناج صوته ينخفض رويداً رويداً

- والخسائر؟.

لقد استطاعت طائراتنا الموجودة في قاعدة /ملاطيا/ /أيرهاج ٧/ الإفلات عن القاعدة.. ودخلت في معركة جوية فاسية. ووصلتنا أخبار بان بعض الطائرات الأمريكية قد تم إسقاطها. وحتى الآن لم يردنا تقرير قطعي بهذاخصوص. ولكن بعد ذلك دمروا تلك القاعدة تدميراً كاملاً يا سيدى.. لم يبق فيها أي شيء على الإطلاق. وأظن أن القواعد الجوية الأخرى الموجودة في تلك المنطقة.. تلقت نفس الضربات أيضاً... يقولون إن طائراتنا من طراز /اف. ١٦/. قد هاجمت سورياً أمريكياً من طراز /اف. ١٨/. وإنهم أسقطوا عدداً منها. ولكنهم بعد ذلك تقابلوا مع سرب من طراز /اف. ٢٢/. والحقيقة يا سيدى إن طائراتنا لم تستطع أن ترى هذه الطائرات. وكما تعرفون من غير الممكن أن تقوم طائراتنا على تثبيت أماكن هذه الطائرات وضريها. أما الطائرات المعادية من طراز /اف. ٢٢/. فإنها تكشف طائراتنا وتصطادها. لأنها تملك أجهزة إلكترونية حديثة.

كان وجه البasha قد احمرَّ من الغضب.

"وأين تحصل المعارك يا باشا؟"

كانوا جميعاً واقفين على أجلهم. كان الضباط يصفون مشهد البناء من الأعلى... صارت مع الأرض والحرائق تشتعل فيها. ولكن مقر القيادة من الأسفل لم يكن تتأثر. وكان باستطاعتهم الخروج من هناك عبر ممر سري.

قال قائد القوات الجوية الجنرال "أورهان".

- إن طائراتنا التي أقلعت من قاعدة /أسكي شهير/ يا سيدى، اشتباكت مع الطائرات الأمريكية اشتباكاً لا نظير له فوق /بودروم ومرمرис/ وأسقطت

ست طائرات معادية: أربع من طراز /اف ١٨/ واثنتين من طائرات التشويش الإلكترونية.

كان وجه الجنرال أورهان قد تدور.. وكان يتمنى أن يكون داخل إحدى الطائرات التي تحارب الأعداء.

كان غضب رئيس الأركان قد زاد حدة حيث قال:

+ "هل تسمى هذه المعركة حرباً يا أورهان باشا؟ وماذا حصل للطائرات التي أفلمت من ملاطيا؟"

- كان في مواجهة طائراتنا أكثر من مئة طائرة يا سيدى. في هذه الحالة ماذا كنا سننتظر منهم؟ نصف طائراتنا قد أسقطت وكلها من طراز /اف ١٦/ ... والقسم الباقي أصيب وتحطم على مدرج المطار.

- "ماذا تقولون.. هل نرسل قواتنا الجوية إلى بلد صديق.. أم تظل هنا وتحارب؟"
لأنك غير هذا الخط يا سيدى. يجب أن نحارب. حتى لو أرسلناهم إلى غير بلد فلن تستفيد منهم. وإذا لم تقلع هذه الطائرات وتشتبك مع طائرات الأعداء... ستكتفى على أرضها. حتى الآن أوقعنا بهم خسائر جديدة. ولكنهم يسيطرون على الجو. مع إطالة المعارك الجوية تصعب علينا المعارك الأرضية. وهذا الذي نريده.

- "كم من الوقت تتحمل هذه المقاومة؟"

- "قواعدنا الجوية كلها تحت الهجوم يا سيدى.. أعتقد أنهم سيدمرون كل المطارات هذه الليلة. ولكن نستطيع إصلاحها مباشرة وجعل طائراتنا تقلع منها ثانية.

- "تمام يا أورهان باشا ما أظن أن العمل كله يقع على أكتاف الطيارين.. إذا لم يستطع أي طيار تخليص طيارته فليخلص نفسه"
في هذه الأثناء سمع انفجار ضخم. يجب أن تكون إحدى البناءات القريبة من القصر الجمهوري قد أصيبت.

- سنترك البناء. هذا المساء سنلتقي في الملاجأ السري. التحضيرات هناك على وشك أن تكتمل. سنعلن الاستفتار العام /سفر برلك/ أعطوا الأوامر للوحدات الموجودة على كل الحدود. لن تستسلم أية قطعة عسكرية مهما كلف الأمر.

وكل واحد سيعمل من جسده خطأ دفاعياً. لقد مُنع الانسحاب منعاً باتاً.

- لا أحد يريد الانسحاب من الحدود يا سيدى ولا أحد يفكّر بهذا الموضوع
كان هذا صوت قائد القوات البرية الجنرال /فخري سرت/.. هو شخص كان مثل
كينيته: قاسياً ***

واضاف الجنرال فخري سرت: "الأخبار الواردة لنا. تتحدث يا سيدى عن الفرقة
الخيالة المدرعة الأولى والفوج الخيالة المدرعة الثالثة.

إنها دخلت الحدود ووصلت إلى ضواحي /أقجاء قلعة/ بحوالي مئة كيلو متر من
الناحية الغربية.. وتشارك هذه القوات المروحيات. ويقال إن إحدى كتائبين الخاصة
قد نصبت كميناً لإحدى كتائب الفوج الثالث وإن جميع الدبابات والعربات
المدرعة قد أصيبت مباشرة. والباقي منها. قد فرّ نحو الأراضي السورية. وأعتقد أن
هذه الاشتباكات لن تؤثر كثيراً بالنسبة للهجوم العام."

- قهرهم الله. طيب ماذا ي يريدون؟

- يقولون إن الفرقة الخيالية المدرعة. ومعها الفوج تتجه بشكل سريع داخل
الأراضي التركية. وأعتقد أن هدفهم هو أنقرة. إلى جانب ذلك لا توجد آية حواجز
طبيعية أمامهم. وإننا نخمن عبورهم من نهري /سينهان وجنهان/ بسرعة. وسيصلون
إلى أنقرة خلال وقت قصير إذا لم توقفهم قواتنا البرية.

- حظنا الوحيد في شمال مدينة /طرسوس/.. إذا خفينا من سرعتهم في جبال
طروس معناه نجحنا. أما إذا خرجوا إلى سهول /قونيا/ لا نستطيع إنقاذ أنقرة بعد
ذلك.

- شيء يحيّر.. الذي فعلوه في العراق سيفعلونه هنا أيضاً. سيعمدون إلى
الاستيلاء على المدن الكبرى والمهمة وبعد ذلك تقع المدن البقية من تلقاء ذاتها. هذا
ما يريدون فعله.

صرخ الجنرال حكمت باشا بحدة: "أمركم أن تقوم القوات البرية على توقيف

*** (سرت معن قاسي). المترجم

هؤلاء الأوغاد.

عندما سمع الجنرال / فخري سرت / كلمات قائدہ انکمشت أسارير وجهه وقال: "هذا أمرٌ قطعي يا سيدی. أعطوني إذنًا كي أقوم بهذه المهمة شخصياً. لأننا مجبورون بمقاتلة كل من الفرقة الأولى المدرعة والفرقة المشاة الميكانيكية الرابعة والفوج المدرع الثالث وفرقة الإنزال الجوي / ١٠١ "

فكَّر حكمت باشا للحظة وجيزة. كان الأميركيون قد تجرؤوا على المستحيل. في هذه الحالة.. يجب تغيير قانون اللعب وفق المتطلبات الجديدة.

- طيب يا جنرال فخري أوقفوهم قبل وصولهم إلى أنقرة.. ول يكن هدفكم الأول توقيف الفرقة المدرعة الأولى بأي شكل كان والباقي: الله كريم.

- سيدی القائد. إن لواء دبابات التاسع ولواء الميكانيكي ٢٨ . يحضرون أنفسهم للحركة.. يجب أن نتحرك بسرعة يا سيدی.

- القيادة معك يا باشا. افعل ما بدا لك. ولكن أخبرني عن كل التطورات. اقترب منهم ضابط عمليات المقر بسرعة وقال:

"إن موجة كبيرة من الطائرات المعادية تتجه نحونا.. وتم تثبيت أعداد أخرى كثيرة وهي تدخل من العراق ومن فوق البحر الأبيض المتوسط.

ثبتَ حكمت بارس عينه على شاشة الرادار، كان المجال الجوي التركي محتلاً من قبل الطائرات الأميركية. كانت النقاط الصفراء قد ملأت الأجواء. لقد حان الوقت للذهاب إلى الملجأ السري الخاص. حضر نفسه وذهب إلى الباب السري. ومن خلفه مجموعة كبيرة من الضباط. كان عليهم الذهاب إلى ملجأ سري في إحدى ضواحي أنقرة وبالسيارات المدنية.

عندما ابتعدت القافلة المدنية بعض الشيء... من رئاسة الأركان نظر / حكمت بارس / نحو الخلف.. كانت بناية رئاسة الأركان قد صارت على مستوى سطح الأرض. والأبنية المجاورة على مدى مئات الأمتار كانت مهددة بالسقوط... الناس الذين يسرعون.. وسيارات الإسعاف والإطفائية.. وعناصر الشرطة والجندمة الذين

كانوا يحاولون تسكين وتهذئة الناس. كان الجو في حالة من الاضطراب والفوضى. ولكن النظام العام كان مستبباً حتى هذا الوقت... كان الناس يتصرفون تصرفًا عقلانياً. كما يجب عليهم فعله في ساعة المصائب والأخطار المحدقة.

ولكن لم تكن هذه سوى البداية. كانت الأخطار تزداد ساعة بعد أخرى وتضيق بثقلها على كاهل البشر.

في الوقت الذي كانت فيه صفارات الإنذار تدوي دون توقف.. نظر حكمت باشا إلى السماء من خلال زجاج النافذة. كانت ثمة أجسام تتوجه نحوهم بسرعة البرق.. يجب أن تكون هذه صواريخ /توما هوك/ المعدلة... كأن سماء أنقرة مليئة بها. عندما نظر حكمت باشا لأخر مرة خلفه كانت بعض الصواريخ قد سقطت فوق بعض الوزارات أو في منطقة الوزارات وانفجرت... ولم ينظر ثانية خلفه.

١١:٣٠ الساعية ٢٠٠٧ أيار

- ديار بكر -

كان يتراهى ثمة فوضى وتوتر في مديرية أمن ديار بكر. كانت أخبار المظاهرات والاشتباكات تتوالى على مدير الأمن. ولكن الشرطة لم تكن تتدخل ضد هذه المظاهرات المحظورة. وفوق ذلك كانه كانت البناء أيضاً محاصرة. كان الإرهابيون قد تجمعوا على مدخل شارعين وأغلقوا المرور وبدؤوا بإطلاق النار من مكان تسترهم نحو بناية مديرية الأمن.

والشرطة تقابلهما بالنار من خلف أكياس الرمل التي وضعوها أمام البناء. كان مدير الأمن /كوراي هابجن/ يعرف خطورة الموقف والوضع. ويعرف أيضاً. بأن بالإرهابيين إذا أرادوا ضربهم لفعلوا ذلك برمي الصواريخ والقنابل اليدوية. بدلاً من قتلهم كانوا يريدون إجبارهم على تسليم أنفسهم. كانت بعض الفناصر من حزب العمل الكردستاني /PKK/ قد أجبروا الشعب للخروج إلى الشوارع بعد سماعهم بدء الحرب بين تركيا وأمريكا. بعد ذلك بدؤوا باحتلال الأبنية الرسمية.

كان هدف الأول للأمريكيين هو أنقرة.. وذلك عبر الأرضي السورية ثم إلى جنوب شرق الأناضول. ولهذا السبب قامت الوحدات التركية الموجودة في جنوب شرق الأناضول. وقوات الأمن والجندمة بمحاربة الإرهابيين والقضاء على السلب والنهب والهجوم على المباني الحكومية هناك.

في البداية حاول مدير الأمن /كوراي هابجن/ إلى التقليل من الفوضى ورفع معنويات عناصره. وطلب دعماً من قوات الجندمة. ولكنه علم بأن كل القوات كانت تحت الهجمات المتالية.

لم يكن يدرى ما الذي سي فعله الآن.

وفجأة سمع صوت إطلاق نار كثيف من خلف الحواجز التي صنعوا الإرهابيون... نظر عناصر البوليس في عيون بعضهم... يا ترى هل كانوا يتصارعون

فيما بينهم.. أم أن دعماً قد وصلهم؟

بعد انقطاع أصوات الأسلحة وإذا بيلدورز كبير.. دفع الحواجز إلى الجانبيين..
وبعد فتح الشارع إذ بثلاث شاحنات صغيرة مليئة ببعض الرجال يلبسون لباساً
موحداً.

كان الجميع ينظرون إلى بعضهم.. أشار مدير الأمن بيده إلى عناصر البوليس
كي يأخذوا وضعية الدفاع. ربما تكون لعبة... القادمون غير معروفين هل هم من
الأعداء أم من الأصدقاء. إذا أطلقوا النار. كان عليهم الرد بالمثل.
عندما تقدمت الشاحنات بسرعة ووقفت أمام البناء.. نزل من أولها رجل طويل
عرich كثيف الشاربين.

جاء ووقف قرب مدير الأمن وأشار بيده كي ينزل الآخرون من الشاحنات وقال
ـ /كوراي هاجن/ : هل أنت المسؤول عن هذا المكان؟
ـ "نعم.. ومن أنت؟" أجابة كوراي هاجن.

أخرج الرجل من جيب سترته التي تشبه الكاكبي العسكرية ظرفاً أصفرأ
ومده للمدير.

كان في داخل الظرف /كلمة سر/ أخذها مدير الأمن قبل تعينه هنا. ولم
يكن يتوقع أن يرى تلك الكلمة ثانية.

ووقف باستعداد مباشرة وصرخ: "نحن تحت أمرك يا سيدي"
كان عناصر البوليس قد احتاروا في أمرهم. أخرج الرجل مسدسه من ظهره
وأطلق طلقة واحدة.. فخرج كل من في البناء إلى الخارج وقال لهم صارخاً:
ـ "نحن من الوحدات الخاصة... من زمرة /أرغناكون/... بعد الآن نحن مسؤولون
عن هذه المنطقة.. بلادنا قد دخلت الحرب..

وشروط الحرب ستطبق هنا أيضاً. أنا النقيب جلال من الوحدات الخاصة،
وهؤلاء رجال.. كل الصالحيات صارت بأيدينا الآن طبقاً لشروط الحرب".
كان عناصر الشرطة قد سمعوا بهذه الوحدة الخاصة. وقد بقىت في ذاكرتهم..
إذا هي الحقيقة. لأن مدير الأمن يقف أمامه باستعداد وفي وقت قصير جداً صاروا
تحت مسؤولية /أمراة النقيب جلال/.

خرج بينهم جندياً عرف نفسه باسمه /متين/ وقف أمام المجموعات وقال لهم:

"الآن ستنزلون المدينة وتجمعون الأسماء الموجودة في هذا الجدول الذي سأعطيه لكم.. هؤلاء كانوا مرتبطين مع الإرهابيين أو الداخلين معهم مباشرة. إذا قاوموا اقتلوهم مباشرة.. ستظل سيارتنا تدور في الشوارع حتى المساء على شكل دوريات... أنا وجماعتي سنستولي على بناء مديرية الأمن وندفع / بمكبرات الصوت/: منع تجول".

كانت ثمة إدارة جديدة قد تشكلت في عموم أنحاء البلاد متزامنة مع شروط الحرب.. كانت المستودعات السرية قد فتحت. لتوزيع الأسلحة. وكل إنسان يسمع /رمزه/ عن طريق الإذاعة والتلفاز. كان يتحقق بوحداته مباشرة.

٢٤ أيار ٢٠٠٧ . الساعة ١٧:٣٠
الولايات المتحدة الأمريكية
CENCOM . فلوريدا

كان الرئيس الأمريكي قد جلس على مقعده يستمع إلى /بريفنخ/ وأخر الأخبار الواردة من منطقة العمليات.. ووجهه ينشر الابتسامة نحو كل الأطراف.
كان قد عمل طول النهار في الاستشارات السياسية.. الروس يستطيعون إسكانهم بالرشاوة واعطائهم بعض المال والعمليات التجارية.. ووضع أرمينيا التي ستكون لصالحهم، تركيا القوية.. روسيا ناعمة الأطراف التي كانت تحاول جاهدة تطبيق الوجه السوفيتي القديم.

أما رد الفعل الأوروبي فكان أقل فاعلية... كان الأتراك قد ضيّعوا حقهم في الجلوس على كرسي المحادثات للدخول في الوحدة.. وكان الرئيس بوش قد زجر الرئيس الفرنسي /نيقولاس ساركوزي/ عندما اتصل الأخير به يشتكي من العملية العسكرية التي قامت بها ضد تركيا وقال له: "إذا كنتم تحبون تركيا بهذا الشكل لماذا وقفت على رأس الذين كانوا يعارضون دخول الأتراك إلى الوحدة الأوروبية يا سيدي". آه من هؤلاء الفرنسيين".

أما إنكلترا. كالعادة كانت إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية. أما ألمانيا فكانت صامتة. أما الصين فمثل روسيا تماماً: "لا تنسوا حصتي أيضاً" هكذا كانت تتصرف الصين.

ولهذا السبب كان الرئيس قد رجع الجلوس هنا ليرى المشاهد الساخنة بدلاً من السياسة التي تخزن الذبذبة والكيل بعشرين مكيالاً. وكان قد طلب من وزيرة الخارجية ونائبه كي يقوما بالاستشارات السياسية الجارية وبكتافة.

كانت ثمة مشاهد غريبة تظهر على الشاشة. كانت هذه الصور من الاستخبارات من الجوية. من بعض هذه المشاهد:

كان اللواء التاسع المدرع يخرج من ثكنته. وصورة أخرى تظهر معمل الأسلحة الموجود في /كرك قلعة/. وصور أخرى تظهر المطارات المضروبة. وإلى جانب كل ذلك. كان الرئيس قد طلب مشاهد صور حية وعلى الهواء مباشرة.. كانت ثمة صورة أخرى تظهر اصطدام طائرة /اف ١٥/ الأمريكية لطائرة /اف ١٦/ تركية. ومشاهد أخرى عن قذف بناية رئاسة الأركان عن طريق قبالة تقاد بأشعة الليزر. وصورة أخرى.. كانت طائرة مروحية تقذف مخفرًا تقاد بأشعة الليزر.. وصورة أخرى.. طائرة مروحية تقذف مخفرًا قريباً من الحدود في /أقجة قلعة/.

كان يستطيع مشاهدة الجنود... كانوا موجودين وخلال لحظة قصيرة صاروا عدماً داخل كتلة كبيرة من النار. الأخبار الواردة حتى الآن تظهر أن الأمور تسير على ما يرام. كانت ثمة مقاومة شديدة. والتقارير الواردة تظهر أن الأمريكيين تعرضوا لبعض الخسائر الجدية.. طائرات ودبابات كثيرة.. ولكن غير مهم. إذا سارت الأمور كما هي عليه. الآن سيصل إلى هدفه.. هذا الهدف الكبير. هذه النقطة الكبيرة... كان يريدها ويشتهيها كما لم يشهي شيئاً آخر.

وكان جاهزاً لتحمل كل الخسائر مهما كان نوعها من أجل الوصول إلى هذه النقطة.

- "كنا نعرف ضعفهم في الدفاع الجوي.. ولهذا السبب فطائراتنا قامت بمهامها بسهولة كاملة"

في تلك اللحظة أشار /هوارد ستريك/ إلى مشهد ظهر على الشاشة يُظهر ضرب محطة رadar ضخمة.

- "صواريختهم المضادة للطائرات لم تفعل فعلها ولهذا السبب أفينينا نظام الرادارات عندهم بوساطة صواريخت متوسطة المدى. بالأصل صواريخت /هوك ١/ قديمة جداً. والمدافعون المضادة للطائرات كما هي العادة مثل دمية طفل بالنسبة لنا. أما بالنسبة للمعارك الجوية. فقد تم إسقاط مجموعة كبيرة من طائراتنا من قبل الطائرات المعادية. وكنا نعرف بأنهم يستطيعون فعل هذا".

- لأننا نحن الذين درّبناهم. وطائراتهم من طائراتنا نفسها".

كانت ثمة إفادة صبيانية على وجه الرئيس.

قال ستريك: "ولكن الخطورة مازالت قائمة. ولا أريد أن أدخل المعارك البرية باكراً، ولهذا السبب فقد طلبت من الفرقة المدرعة الأولى والفرقة الثالث.. بالتخفيض من تقدمهم. والفرقة الميكانيكية الرابعة ربما تصل إليهم بعد يومين أو ثلاثة. في هذه الأثناء تكون القوات الجوية قد أنزلت خسائر كبيرة بالوحدات التركية الكبيرة".

- "سيد ستريك - رجاءً استعجلوا. إنني على ثقة مطلقة بمعماري هذه العملية الإستراتيجية.. يجب أن نحتل كل من أنقرة وإسطنبول وازمير قبل فوات الأوان. لا يهمني شرق تركيا أبداً، إذا استولينا على المراكز الاقتصادية الضخمة. فالشرق يسلم نفسه مباشرة. كل المدن الموجودة في الشرق سهلة المنال... أعطوني الذي أريده وكفى".

- "سنفعل هذا الشيء يا سيادة الرئيس.. الغارة الجوية الكبيرة الآن على أبواب الأتراك.. لقد بدأت الهجمات الجوية وستستمر على مدى أيام طويلة. نفكر بإبادة الجيش التركي خلال ثلاثة أيام فقط".

- "وما احتمال استسلام الجيش التركي؟"

- "قريباً من الصفر يا سيادة الرئيس.. سيعاربون وسيموتون. ونحن أيضاً سنخسر كثيراً".

- "أعرف ذلك.. أعرف، إذاً سيعاربون وسيموتون أليس كذلك؟".

- "ترجع موتهم.. هل سيقاومون حتى الدقيقة الأخيرة؟ استسلامهم لا يفيدنا بشيء".

- "انظر يا سيادة الرئيس هذا المشهد الذي تراه الآن على الشاشة، إنه أكبر دليل على ذلك".

- "طيب وما وضع العمليات الخاصة؟"

"إن الوحدات الخاصة استولت على /سد أتاتورك/ في هذه المنطقة يوجد أكثر من ثلاثة عناصر من الوحدات الخاصة.. يريدون الدعم على الدوام من القوات الجوية. إن الأتراك يهاجمون بشراسة كي يستعيدوا السد".

ثمة صورة أخرى ظهرت على الشاشة الضخمة: كانت الصورة بالأبيض والأسود وما خوذة عن طريق الأقمار الاصطناعية تظهر عليها قطعة من الأرض ومجموعة من الدبابات والعربات المدرعة.

- "هذه الدبابات تجهز نفسها للهجوم على قواتنا كي يستعيدوا السد. وبعد قليل سيفنون عن بكرة أبيهم. لأن حركة المجوم عليهم قد بدأت."

- "أريد منكم أيضاً أن ثبيدوا القوات الموجودة في قبرص".

- "سيادة الرئيس كما قلت لك في جلستنا الماضية. إن الخطة جاهزة، ولكن الفارات الجوية ستأخذ الكثير من أرواح المدنيين.. وبالنسبة لهذا الموضوع.. كان الرئيس قد غضب كثيراً:

- "أترك موضوع المدنيين يا هوارد. اترك هذا الشيء علي. ماذا سيصير يعني.. بعض الناعمين المدلعين الأوروبيين سيبكون. إن الجيش اليوناني القبرصي على أتم استعداد. سيعمدون إلى تسكين الوضع في الجزيرة قبل أن تتحول إلى فوضى واضطراب ."

ضحكت.. كان قد أحس بكيف "للمرة الثانية" أما بالنسبة لرئيس الأركان..
توقف لبعض الوقت:

- "ماذا فعلت.. هل استطعت قتلهم؟"

- "لا أعتقد لقد ضربنا البداية.. ولكنها كانت فارغة"

في هذه الأثناء دخل سكرتير الرئيس إلى الغرفة وقال بأن رئيس FBI السيد روبرت مولر على الهاتف.

في الوقت الذي كان فيه الرئيس يرفع سماعة الهاتف.. التقت نحو هوارد ستري克 وقال له: "عندما تحتل أنقرة يا هوارد أخبرني. نعم يا مولر لماذا لم يتم جمع الأتراك داخل المعسكرات؟"

كانوا قد قرروا جمع الأتراك الذين يعيشون في أمريكا ووضعهم داخل معسكرات مغلقة. كانت هذه العملية قد بدأت من أول ليلة من المعركة.. وكانت مجموعة كبيرة من الأتراك الأحرار يعملون على إخراج القلائل: ذكر مولر الرئيس بأن عدد العمال الأتراك غير الشرعيين الذين دخلوا البلاد غير معروف. ولكن كانت أصواتهم وأنفاسهم ستقطع قريباً.

٢٥ أيار ٢٠٠٧ . الساعة ١١:٣٠
. مزرعة قرية من نيومكسيكو.

كان الخادم قد احضر طعام الإفطار قبل ساعة تقريباً. ولكن /كوهان/
لم يكن قد أكل شيئاً. كان ينتظر ويستمع.
كان قد تحول تقريباً إلى أسير في غرفة تحت الأرض. مضاءة بمصباح أصفر
وذلك منذ يومين.

كان قد جاء إلى أمريكا منذ شهرين تقريباً. وانتقل من هنا إلى هناك. هذه
الانتقالات سببها علاقات /الذئب/ مع المافيا. كان يحمل محفوظتين على ظهره ولا
يتركهما أبداً. في كل محفظة قنبلة نووية تقدر طاقتها عدة أضعاف القنبلة التي
أُلقيت على /هiroshima/. كانت خطتهم في البداية الحصول على خمس قنابل، إلا
أنهم لم ينجحوا في ذلك ولكن اثنين تفعلاهما إذا استعملوهما بشكل جيد.
كان /كوهان/ حذراً ويقظاً على الدوام. كان الذئب قد حذر قائلًا: "أنا
مدين لاثنين القنبلتين ولهذا السبب أجعل ثقتك في الناس حول نقطة معينة.. لا تس،
حول نقطة معينة.

ولا تنس أيضاً أن هؤلاء الرجال يبيعون أبوיהם من أجل الدخول إلى العالم..
ويبيعونك ويبيعونني ببلاش".

لم يكن قد اتصل لا مع الأتراك الموجودين في الولايات المتحدة ولا مع أية
تشكيلة من تشكيلاتهم. كان ينتظر التطورات منذ دخوله إلى أمريكا عبر
الحدود المكسيكية.

صاحب المزرعة /راميراز/ ورجاله كانوا يتصرفون بشكل عادي جداً. أي أن
الفضول عندهم في نقطة الصفر تقريباً.. لا يتساءلون فيما بينهم ولا يسألونه.. وهذا
بحد ذاته كان شيئاً غير عادي. كان صاحب البيت /راميراز/ قد ترك
/كوهان/ وحيداً. بعد أن حاول الاقتراب منه خلال يومين أو ثلاثة من قدمه إلى

. هنا.

كان /راميراز/ إنساناً قوياً ومؤثراً في كلا طرفي الحدود. في أطرف الأميركي والطرف المكسيكي. وكان متوازناً مع جميع المحليين ومع عمله الذي كان يُسّيره بنظام وأمان.

كان راميراز يظهر نفسه جاهلاً لـكوهان. ولكن الأخير لم ينخدع لمظهره الخارجي هذا.. كان الرجل بالنسبة لـكوهان يُخرج الأفعى من وكره ويركز نفسه في مكانها.

أما الآن، كانت الشروط قد تغيرت دفعة واحدة.. كان رجاله قد أغروا على غرفته على حين غرة، وأخذوا المحفظتين منه وخرجوا. وكانوا قد قفلوا الباب عليه. ولكي تعمل القنابل كانوا بحاجة إلى الشيفرة أو /الكود/ ولهذا السبب كانوا بحاجة إلى كوهان.

كان كوهان يصفي بانتباه شديد لما يدور خارج الغرفة والمزرعة. وكان وقت العملية قد حان. كان يعرف بأنهم سيأتون إليه في أقرب فرصة.. في تلك اللحظة، سمع صوت خطوات كثيرة في الخارج. وابتسم.. مهما كانوا كثيري العدد أفضل بالنسبة إليه. أخذ الملعقة البلاستيكية الموجودة فوق المصحن.

لم يعطوه ملعقة أو شوكة أو سكيناً معدنية كيلا يستعمله كسلاح مع أن الغرفة كانت مليئة بعشرات الأغراض التي يستطيع كوهان استعمالها في قتل إنسان ما.

كسر الملعقة البلاستيكية بوضعها تحت السرير والضغط عليها. وكما كان يتوقع بقي فيها طرف مدبب إلى حبر ما. وضعها بين طرف الطاولة وإحدى ساقيه. وتمدد على سريره بكل راحة منتظرًا ضيفه.

عندما فتح الباب. كان مجموعة من الرجال قد دخلوا الغرفة مع /راميراز/ وكان كوهان يراهم لأول مرة. ربما تشاور مع /بترون/ وأخذ منه دعماً. اقترب منه راميراز مبتسمًا وقال: "مرحباً يا سنيور يجب أن نتحدث".

كان كوهان هادئاً: "بكل تأكيد سينيور راميراز.. أنا أنتظركم منذ أن أخذتم محفظتي وأغلقتم الباب عليّ".

فتح الرجل يديه وابتسم: آه سنیور. لقد فعلنا هذا الشيء لنحميك فقط. أنت لا تعلم شيئاً، منذ يومين الحرب قائمة بين بلدك وال موجودين هنا.

جلس كوكهان في المكان نفسه الذي كان مستلقياً فيه. إذن حصل الشيء الذي كان ينتظره. كانت ثمة أسئلة كثيرة تدور في رأسه بالنسبة لهذه الحرب.. ولكن قبل كل شيء يجب أن يخلص نفسه. ربما كان راميراز قد باعه لـ /FBI/.

"نعم.. وماذا سنفعل الآن يا راميراز؟"
ـ نحن لسنا أغبياء سنیور. منذ اليوم الأول كنا نعرف ماذا تحمل. الآن نريد منك /شيفرتهمـا/.

ابتسم كوكهان من أعماقه.. الرجل الماكر يريد أن يلعب هذه اللعبة من أجل نفسه. إذن المحفظتان ما زالتا في المزرعة.. ارتاح كثيراً. إذا لم تكون الـ FBI موجودة في الوسط فالخروج من هذا الوضع ومن هذه الفرفة والمزرعة تكفي. كان قد أحنى رأسه على الصحن الموجود فوق الطاولة. وفي الوقت الذي مد فيه يده اليسرى نحو الصحن.. حرك يده اليمنى بحركة خفيفة كي يجذب الانتباه وقال:

- "اعتقد أنه يجب أن أفكّر بنفسي في هذه المرحلة. إذا عملت معكم ووضعت يدي بأيديكم. هل أستطيع أن أعيش حياة سعيدة وهادئة دائمة؟ أما إذا كنتم تفكرون بأخذ المعلومات بالتعذيب فتصابون بخيبة أمل كبيرة."

ضرب راميراز بيده على كتف كوكهان بشكل خفيف وقال:

- "نحن لسنا طماعين كما تتصور سنیور، وستأخذ حستك مثلنا.. والمبلغ يكفي للجميع".

رفع كوكهان رأسه وابتسم، وفي الوقت نفسه كان يُنصلّ وضع الموجودين. غرفة صغيرة. شامية أمтар مربعة. /راميراز/ ومعه خمسة رجال مسلحون يقفون على أرجلهم، ورجلان يقفلان خارج الباب المفتوح. كان /راميراز/ قد جلس قريباً. في اللحظة نفسها قرر المbagحة.. حمل الصحن الذي أمامه. وقدف به نحو الصباح الأصفر فكسره.. وسد الظلام فجأة.. في هذه الأثناء كان قد غرز مقطع

الملعقة البلاستيكية المدببة على العين اليمنى /راميراز/. كثرتهم الآن تحولت ضدهم كانوا لا يستطيعون إعطاء القرار الصائب للحركة.

استقاد من الفوضى التي سببها /راميراز/ عندما بدأ يضرب يديه من شدة الألم. عندما أطلقت الرصاصات الأولى. انتقل إلى الطرف الثاني. واستطاع معرفة مكان الرجل الذي أطلق النار. حيث سحب الساعد الذي يحيل السلاح نحوه وكسره بضربة واحدة. منذ الآن صار مسلحاً.. حيث بدأ بإطلاق النار نحو الرجال الواقعين هناك.

عندما انقطع إطلاق النار. فكر بأنه قتل الرجال الخمسة. كان عليه أن يترك أحدهم حياً. وعندما تعقب الرجال بأنفاسهم المتعاقبة، وصل إليه وضع رأسه تحت إبطه.. حيث قال الرجل متراجياً: "رجاءً .. رجاءً لا تقتلني سنور" ابتسם كوكهان. كان /بينغوراميراز/ هو الذي بقي حياً، والرجلان اللذان على الباب قد تركا مكانهما وسرا نفسهما بعد سماعهما صوت إطلاق الرصاص. إذا رمى كوكهان نفسه إلى الخارج سيموت حتماً. ومن خلال الضوء الذي يرشح من خلال "الكوريدو": شاهد أن الرجال قد دفعوا الباب ولكن لم يقفلوه. هذا كان خطأ كبيراً. دفع الباب بقوة وجعل من جسم "راميراز" درعاً له. كان الأخير يصرخ بأعلى صوته كيلا يرموا النار.

لم يكن ثمة مكان يستطيع فيه الرجال تخفيته أنفسهم. كانوا قد انحنوا وسدوا بنادقهم باتجاه الباب. كانت أوامر /راميراز/ تربط أيديهم وسواعدهم. ولكن كوكهان أطلق عليهم النار دون تردد. فأرداهم قتلى.. حيث بدأ /راميراز/ بالبكاء.

سأله كوكهان: "هل من أحد في الأعلى؟"

كان راميراز ما زال يبكي.. ضربه كوكهان ضربة خفيفة بقبضة سلاحه وقال له: "ارجع إلى وعيك أريد محفظتي فقط وأغادر هذا المكان. لن أقتلك لأنك ستتطفئ هذا المكان من الجثث وتقطعي على كل شيء. لا أريد أن يعرف أحد ما حصل هنا. لن أطلب المسؤولين ولن تقول لهم شيئاً. وإذا فعلت ذلك يسألونك أسئلة كثيرة. وعلاقتك مع الآخرين تبيّنك لهم: "هذا الرجل فجأة.. ما قاله كوكهان

كان صحيحاً إلى حد ما.

ولكن من غير الممكن الثقة /براميراز/ وبعد فضحه. إذا تحدث يقبحون عليه مباشرة.. أما إذا قتله. لن يترك أثراً ويظل حراً لعدة أيام وهذا يكفيه. رفع راميراز رأسه وقال: "لا يوجد سوى خادمين وعدة رجال يسيرون على شكل دورية" كانت زوجة الرجل وأولاده يعيشون في الطرف المكسيكي. وبين وقت وأخر يأتون بفاحشات جميلات إلى هنا. يقيمون الاحتفالات العامرة بالجنس والمدرارات من أجل معلمهم.

- "لماذا لم يأتوا على صوت الأسلحة؟"

- "الجدران مغطاة وقوية وتقوم هنا بعض الأعمال التي تصدر كثيراً من الضجة".

فكّر كوكهان في نفسه: "إذن لم أكن أنا الأسير الأول الذي سيقومون بتعذيبه هنا".

عندما دخل البيت.. دفعه كوكهان نحو غرفة مكتبه. كان يتذكر أنه قد شاهد سلاحاً كاماً للصوت. كانت المحفوظتان والسلاح على أرضية الخزانة الحديدية. وعندما ألقى نظرة فاحصة إلى المحفوظتين أحس ببعض الراحة. لم يلمسهما أحد بعد. حمل المحفوظتين والسلاح وتناول بضعة آلاف من الدولارات وهويتين مزيفتين ووضعها في جيبيه.

عندما حمل السلاح الكاتم الصوت أشار بيده إلى الكاميرا الموجودة على السقف وقال: "هيا أرني غرفة الأمن". كانت ثمة كاميرات أخرى كثيرة في باقي الفرف وداخل المزرعة وعلى مدخلها. كان عليه مسح كل شيء من أثره.

كانت غرفة الأمن فارغة، لم يكن ثمة إنسان يقف على رأس التسجيلات، لو كان موجوداً لأعطي إشارات التحذير منذ وقت طويل. فكر كوكهان في نفسه.. لم يكن بحاجة إلى /راميراز/ بعد الآن.. دفع الرجل مترين نحو الأمام وأطلق النار على رقبته.. فتكوّم على الأرض بهدوء. جذب انتباهه كاميرا صفيرة في الفرف.. حملها معه.. كان بحاجة إليها كي يسجل العملية التي كان سيقوم بها.

أثناء ذهابه إلى الكراج لجلب بعض البنزين لحرق المنزل. وجد الخادمين في

المطبخ. كانا يجهزان طعام العشاء.. لم يكن عنده وقت طويل للتفكير.. كانت مهمته أهم من كل شيء فأطلق رصاصتين.

فتح الفاز وانتقل إلى الكاراج. حمل /بيدونا/ من البنزين وصبه على البيت وخاصة مكتب /راميراز/ وغرفة الأمن.

في الوقت الذي كان يتجه فيه نحو رجلين واقفين على باب المزرعة بسيارة /مرسيدس/ زجاجها أسود... نظر إلى الخلف وإذا بالأدخنة كانت قد بدأت تصاعد من البيت.

ومنحظه أن الرجلين اتجها نحو مكان وجود السائقين كي يستفهموا عن الأدخنة المتتصاعدة من البيت. عندما كانت النافذة تنزل بدأ بإطلاق النار نزل كوكهان من السيارة وفتح باب المزرعة... وغير المذيع إلى محطة أخبارية وبدأ برحلته الطويلة.. كان عليه أن يأخذ تفصيلات المعركة كلها ويسجلها. كانت مدينة واشنطن ستكون موقفه الثاني. وقبل ذلك يجب الدور على نيويورك لتنفيذ خطته وتصويرها وتوزيع الصور إلى وكالات الأنباء العالمية كلها... قبليتان نوويتان قوتهمما تقدر بعدة أضعاف القنبلة التي أُلقيت على هيروشيما. تقتربان الانفجار في أهم مركزين وأهم مدینتين من مدن الولايات المتحدة الأمريكية وكان كوكهان قد قرر في نفسه إذا لم ينسحب الجنود الأمريكيون من تركيا. كان سيأتي بجهنم إلى منازلهم.

٢٥ أيار ٢٠٠٧ . الساعة ١٦:٠٠

برلين . ألمانيا

كان السفير التركي في ألمانيا السيد / أونورتورك أوغلو / ذاهباً إلى موعده مع وزير الخارجية الألماني السيد / جوس كافиш / بانفعال شديد . الملف الذي كان تحت مقدمة .. سيحدد قدر بلاده .

كان هذا الموعد قد أعطي له متأخراً أكثر مما كان يتوقع . وكان السفراء الأتراك في كل من إنكلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا قد أمروا أيضاً بتسليم نسخة من هذا الملف تحت عنوان / الكود المستعجل / إلى كل مسؤولي هذه الدول كانت الأمم المتحدة لا تأبه لهذه الهجمة الشرسة التي تقوم بها الولايات المتحدة ضد تركيا . ولا كان أحد يتوقع أن يصدر منها أي شيء . كان على الأتراك إقناع الدول الكبيرة بالوقوف إلى جانب تركيا في دفاعها عن العدوان .
كان الأتراك الموجودون في أوروبا يخرجون بمظاهرات تديداً بهذه الحرب الظالمة . وخاصة في ألمانيا .

عندما لفت السفير من / الكوريidor / لاحظ أن الوزير نفسه كان ينتظره على الباب مع أن معاونه كان موجوداً معه . هذا الموقف أعاده بعض الأمل .. كان هذا الرجل صديقاً لتركيا على الدوام كان قد حاول المستحيل لإدخال تركيا بالوحدة الأوروبية . ولكن لم يستطع منع الدول الأخرى التي كانت تعارض دخول تركيا بالاتحاد الأوروبي وخاصة فرنسا . ولكن هذه الفكرة المهمة كانت قد ساعدت على تلاطم اختلافات الرأي بين الأطراف . كانت اللعبة السياسية التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية منصبة في الدرجة الأولى إلى إنهاء وجود الاتحاد الأوروبي .. وذلك من خلال الدول الشرقية التي صارت عضواً فيها ثم بفشلها الاقتصادي وعدم تناقضها مع الدولة الغربية .. وإبقاء تركيا خارج الاتحاد . صافح الوزير السفير مبتسماً . ودخلما الغرفة مباشرة كان / أونورتورك أوغلو /

مضطرباً فقال للوزير:

"أريد الدخول في الموضوع مباشرة يا سيدي الوزير" قال فيشر: "بكل تأكيد أنا أفهمك... تفضلوا".

كان السفير يقدم الملف في المرحلة الأخيرة من لقائه: "تنتظرون منكم دعماً ومساندة إيجابية لإيقاف الحرب الظالمة التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضدنا ضاربة بعرض الحائط كل القوانين الدولية".

ارتسم التجمّه على وجه فيشر فريبط سعاديه ببعضها. كان السفير قد فهم ما الذي كان موجوداً على رأس لسانه: "لقد قمنا بتقديم إدانة للولايات المتحدة وطلبنا إيقاف الهجمات فوراً وحل كل القضايا المتنازعة حولها بالحوار والمناقشة. حتى إننا عرضنا الوساطة بين الطرفين. لم نفعل هذا الشيء من أجل الصداقة التي تربطنا. ولكن من أجل المصالح الألمانية الموجودة في تركيا. ولكن لست أدرى لماذا يصرّ الأمريكيون على هذه الحرب ولا يريدون التراجع والحوار".

مدّ معاون الوزير ورقة له: "انظروا - إن البلاد الأوروبية كلها، حتى اليونانيين.. يرفضون سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ووسموا على التذديد مثلنا".

فكرة / أونور تورك أوغلو / أنه قد حان وقت فتح الملف حيث قال: "نحن نعرف لماذا تصر الولايات المتحدة الأمريكية على الحرب يا سيادة الوزير. في هذا الملف تستطيع أن تجد الخطط الأمريكية الخائنة منذ سنوات طويلة وأنها تفعل ذلك من أجل معدن / البور / الموجود في تركيا".

كان جوسكا فيشر قد دهش: "هل تقول البور؟"

"نعم.. ربما لم تسمعوا باسم هذا المعدن من قبل.. هو منبع الطاقة المستقبلية، كل المعلومات تجدونها في الملف... ولقد أرسلنا نسخة إلى جميع دول العالم إذا احتلت الولايات المتحدة تركيا لن تكون القوة الرئيسة فقط بل ستكون أقوىكم".

كانت اللعبة التي تلعبها تركيا هي اللعبة الدبلوماسية. وهي الطريق الأوحد لخلاصها. كان عليها أن تثبت بأنها مهمة للأ الآخرين أيضاً.

٢٥ أيار ٢٠٠٧ . الساعة ٢١٠٠

الولايات المتحدة الأمريكية

CENTCOM . فلوريدا .

كانت الغرفة مضاءة باللون الأحمر فقط.. كانت تتراءى أنها غرفة جُدية إذا قارناها بغرفة الاجتماعات /أليريفيينغ/. كان هوارد ستريك يناقش مجموعة من الجنرالات وعددهم أربعة. وقد مرت ثلاثة أيام على بدء العملية العسكرية ضد تركيا. ومع أنهم لم يتراكوا الهجوم لساعة واحدة. كانت القوات التركية تقاوم بشراسة.. متحملاً كل الضربات. كانت الصور تأتي تباعاً على الشاشة العملاقة على شكل باكيتات /ديجيتالية كانوا يدققون من خلال بعض الأقمار إذا ما كانت الأهداف قد ضُربت كلياً أم لم تُضرب. كانت بعض الأهداف فيما ترفع من الجدول: "أبيدت"، وبعضها تعطى تعليمات جديدة لقذفها ثانية.

- "الغارة الجوية الكبيرة قد بدأت يا سيدى. بعد قليل ستصلنا مشاهد جديدة. الاستماع إلى محادثات الطيارين باللاسلكي ربما تكون غريبة".

هزَّ ستريك رأسه. كان الوقت حساساً بالنسبة للعملية. كان يريد أن يكون في هذه اللحظات مع جنوده. فتح ضابط العمليات في المقر زرزاً كي يخرج صوت الطيارين في الغرفة. في البداية سمعت خشخشة إلكترونية. وبعد قليل بدأ صوت الطيارين يخرج، كانت المحادثات بين الطيارين هادئة وكأنهم لا يفعلون شيئاً.

- "أمان يا إلهي ما كنت أريد أن أكون داخل هذه الجهنم".

- "لقد تمت إصابة الهدف بدقة.. وهناك انفجارات كثيرة تحصل".

- "إن الدبابات ترك أو تقادر مكان تواجدها.. وأكثرها يحترق. بعد الآن لا يشكلون أية خطورة علينا".

- "أووو يا إلهي.. كانت ثمة سيارات كثيرة تمر فوق الجسر".

- "نسر: هل دُمر الهدف؟"

- لا.. القنبلة وقعت في منطقة جبلية.

كانت الأصوات تعمّكس على أذن /هوارد ستريك/ كان قد أعطى أقصى أمرٍ خلال حياته العسكرية الطويلة، عندما تنتهي هذه الموجة من الغارات.. كانت سبباً الموجة النفسية الثانية، كان فضوله يزداد.. ماذا سيحصل يا ترى؟ يجب أن يُخرج الشعب التركي من أعماقه كي يسلموا أنفسهم مباشرة ولأجل هذا السبب كان سيختار في مباريتهم.

- مركز.. مركز.. يجب أن تروا هذا المشهد.

- ما حال مصانع الأسلحة في /كيرك قلعة/؟

"تحدث فيها انفجارات مخيفة... يا إلهي - ليرسلوا سيارة إطفاء إلى هناك..."

"الضاربة الأولى.. ثمة طائرات تقترب منكم."

"علم.. إن سرب أف. ۱۸ سيستقبلهم."

أشار هوارد ستريك بيده إلى ضابط العمليات كي يقطع صوت /مكبر الصوت/. حيث استولى الصمت داخل الغرفة مباشرة. فكر في نفسه: يجب أن يتبع الاستماع حتى انتهاء المرحلة الأولى من الغارة. منذ وقت طويل لم يذق طعم النوم.. كان كل شيء يسير على ما يرام كما كان يتوقع.. صعبة ودامية.. كان قد حق خسائر أكبر من كل التوقعات.. والدفاع الجوي كان ضعيفاً أكثر من توقعه.. كانت المدفع المضادة للطائرات تمشط السماء بشكل جنوني.. ولكن هذه كانت مرآة لشعبهم فقط لا تضرهم ولا تتفهم.

كانت الفرقة الأولى المدرعة الأمريكية ودببات الفوج الثالث تتقدم بسرعة على استقامة مدینتي "طرسوس وقوانيا" إذا فتح لهم الطريق فسقوط أنقرة مضمون. إذا دخلوا مدينة /قوانيا/ لن تظل أمامهم أية حواجز.. كانت الطائرات الأمريكية قد حلقت بكثافة فوق مدينة /اضنة/ كي تفرغها من سكانها. أما إذا لم يحصل ذلك، فإن الأوامر قد أعطيت للفرقة الأولى للمدرعات على إبادة المدينة كلها، والأخبار التي كانت تصلكم تباعاً إن الجنود يحاولون إخراج السكان من المدينة.. ومنعني هذا إن المدينة ستسلم للأمريكيين؛ يا ترى لماذا كانوا يتراجعون بكل هذه السهولة؟ حتماً هناك مناورة وخطة جديدة. هكذا فكر سريك.. كانت

ثمة مشكلة كبيرة أمامهم وهي لواء إسكندرон.

بعد أن تم قذف اللواء والكتائب التركية الحدودية . كان عليهم دعم القوات البرية المتقدمة نحو / طرسوس / كليلا يظل جناحهم مكشوفاً للأعداء. منذ ثلاث ساعات تقريباً كانت فرقة الإنزال الجوي ١٠١ / قد بدأت بالانزلاق والاتجاه نحو حدود لواء إسكندرون. وبالأصل كان اللواء ٨٢ التابع لفرقة ١٠١ / للإنزال الجوي قد دخل الحرب والمناوشات مع الأتراك... كان بمقدور الفرقة ١٠١ / للإنزال الجوي القضاء على الجيش التركي ومسحه من هناك بدعم من القوات الجوية. أما إذا لم ينجحوا في ذلك. فإن فرقة المشاة الميكانيكية الرابعة ستسيطر مباشرة على لواء إسكندرون. ولتطبيق هذه العملية... ربما يتاخرون يومين أو ثلاثة. كانت القوات التركية تقاوم ببسالة وتنجح بوقف الأمريكان. لو كان

أمامهم جيش آخر لأبادوه منذ وقت طويل.

حتى الجيش الروسي لم يكن يستطيع مقاومة الجيش التركي. ولكن لوجود الأجهزة الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة الموجودة بيد الأمريكان كان يؤخر الأتراك إلى دفعهم وعدم نجاحهم.

القوة الموجودة بيد الأمريكان جعلت من شعر الأتراك أشواكاً من الدهشة والغرابة.. كان على الأتراك.. ضرب قوة حساسة عند الأمريكان كي يرفعوا معنوياتهم قليلاً.

٢٦ أيار ٢٠٠٧ . الساعة ١٤:٤٥

البحر الأبيض المتوسط

حاملة طائرات جورج بوش USS

كان أكثر من خمس وثمانين طائرة تقلع وتهبط على الدوام على حاملة الطائرات العملاقة / جورج بوش / والذي يعيش عليها أكثر من ستة آلاف شخص. كانت قد مرت أربع وعشرون ساعة على بدء الهجوم الكبير... الأدخنة السوداء الظلامية قد غطت سماء الأناضول... لم تكن المشاهد التي تتراهى من فوق السفينة جميلة على الدوام.. ولا أحد يدرى هل كان الطيارون يحسون في أعماقهم بشيء من تأنيب الضمير لإبادة المادة والروح.

ولكن كانوا يُحسّون بأن كل المهام الأمريكية تتفرغ فوق التراب التركي. كان ذلك اليوم هو بدء الغارات البيسكولوجية.. وكانت المهام ستعطى للطيارين بعد إقلاعهم من السفن والمطارات الأخرى.

كانت قابلية المقاومة لدى الجيش تضعف باضطراد. والقوات الجوية في حالة من الانكماش... لا تقدر أية طائرة على الإقلاع من المطارات التركية لأن جميع المطارات تقريباً قد ضربت وخُربت وهُدمت. أما الطائرات الأمريكية. فتطير دون مشاكل ومقاومة لامن الطائرات التركية ولا الصواريخ.. سوى من المدفع المضادة التي كانت مثل عدم وجودها، وتضرب أهدافها كما يحلو لهم.. كان هذا اليوم مختلفاً عن الأيام الأخرى.. كان قد حان موعد إنزال الضربة القاضية.. يوم ستضرب فيه أحاسيس البشر وتكسر مهمة الدفاع والمقاومة من أعماقهم إلى الأبد.

كانت خوذة النقيب / جيفان هوكسلي / تتدلى على ساعده وهو يتوجه نحو طائرته من طراز / fa - 18e /. كان سطح السفينة ضاجأ بالحركة والسرعة.. الطائرات البابطة تتجه مباشرة إلى / هنا / وتعود ثانية إلى المدرج بعد أن تقلع

الطائرات المتجهة نحو أهدافها كي تأخذ دورها بالإقلاع. كانت أصوات المحركات التي تتنج الطاقة البخارية تملاً الأجواء؛ ولكن تكون الرياح مساعدة للطائرات يجب أن تكون على عكس اتجاهها وتقوم السفينة بهذه المهمة بمناورة صفيرة بين وقت وآخر.

كان لدى النقيب /هووكسلி/ مزايا عكس الطيارين الآخرين. كان والده من أصل كردي. قد هاجر إلى أمريكا أثناء حرب الخليج الأولى واستقر هناك وأمه من أصل تركماني أما مكان ولادته فهو مدينة /ديار بكر/ ولكن عندما قامت الحرب العراقية كانوا في زيارة لبعض أقاربهم في العراق.. ولهذا العسب لم يستطعوا الخروج من هذا البلد. وبما أنهم ساعدوا القوات الأمريكية في العراق فقد منعه أحد الجنرالات الجنسية الأمريكية.

كان /جينفان/ يتذكر تلك الأيام مثل الخيال. في الوقت الذي كان ينادر قريته القريبة من /ديار بكر/ كان يحسُ بإحساس غريب جداً.. وكان قد سأله: "هل سنعود ثانية إلى هنا يا أبي؟" وأجابه والده في ذلك اليوم: "سنعود يابني" ولكن عندما قال له والده هذه الكلمات كان ثمة خيال قد سقط على وجهه ولم يدر من أين سقط ذلك الظل. وخاصة بعد مرور سنوات طويلة وبعد أن صار طياراً في القوات الجوية الأمريكية.

منذ بدء الحرب كان قد خرج أكثر من ست عشرة مرة بطائرته وكان قد قذف المدرعات التركية المتواجدة في لواء إسكندرون ورأى كثيراً من الدبابات تحترق من خلال كاميراته.

كان عسكرياً محترفاً.. ولكن في كل مرة يقذف فيها قنبلة مقادرة بالليزر كانت طفولته تُكشف أمامه. ربما أصدقاؤه يكونون في مكان ما في الأسفل ثمة صراع داخلي في أعماقه. ولم يكن يفكر لحظة بإهانة يقدمها لهنته ووطنه الجديد.

عندما ركَّز نفسه داخل كabin الطائرة وحرك المفاتيح لتشغيل المحركات. كان مرتاحاً إلى حد بعيد. ولكنه ذاذهب هذه المرة في مهمة مختلفة.. لم تكن المهمة واضحة حتى الآن. وكان سيأخذ /كوردينات/ هدفه بعد صعود طائرته إلى

الفضاء. دارت محركات الطائرة أمام / الكتابولت / وتجهزت للإقلاع. كان العسكري الواقف على المدرج يوجه الطيار بالأضواء التي كان يحملها في يده. وعندما حان وقت الطيران أنزل يديه نحو الأسفل واتجه جانباً وأعطى أمر الإقلاع "ها أصعد" صعدت الطائرة اف ۱۸ التي يقودها / جيفان / بسرعة الرصاصية.. وحلقت بعد أن قامت من السفينة وهي تميل نحو الأسفل والأعلى.

كان الجو فوق البحر المتوسط غائماً جزئياً. كانت النجوم قد بدأت باللمعان داخل الظلام وبين الفيوم المجزأة هنا وهناك. وصلت / اف ۱۸ / بعد فترة فوق البر... عندما وصلت الطائرة فوق جبال / طوروس / كانت / الكوردينات / قد أشارت نحو الشمال على شاشة الحاسوب المخصص للاتصالات. فهم جيفان أنه ذاهب نحو أنقرة، تقدمت الطائرة الآلتماتيكية فترة من الوقت نحو هذه / الكوردينات / ظهرت ثمة إشارة أخرى على الشاشة.. الكوردينات القطعي للهدف.. أدخل الإشارة إلى حاسوب الطائرة.. فمالت بعض الشيء وأخذت طريقها نحو الهدف.. كان هذا الوحش الإلكتروني يذكر بالإنسان / بروتوبيلر / الوفي. كانت الطائرة تحمل إلى جانب خزانات الوقود قابلتين زنة كل واحدةطن واحد.. تسير على الليزر. كانت هذه القنابل قد صنعت لاختراق الملاجن الموجودة تحت الأرض. ولكن تأثيرها على سطح الأرض كان مخيفاً إلى حد كبير. لم يكن أحد يرافق / جيفان / في رحلته هذه. وكان يذهب لأول مرة بمفرده لأداء مهمة بهذا الشكل. كان هذا الموقف يجعله يُحس بأنه قطعة من مهمة سرية يقوم بها.. كان فضوله يزداد لمعرفة الهدف. بعد رحلة دامت عدة دقائق ظهر ضوء أحمر على شاشة الرادار. كانت كوردينات الهدف قد ظهرت على شاشة الرادار. الطائرة تستطيع إيجاد الهدف بوساطة الرادار AGP79 ... كان يتبع الهدف والرادار إلى نقطة ما ثم ينقل الإشارات إلى مجال الليزر. ولا يبقى للطيار سوى متابعة الهدف حتى وقت التصادم. بدأ الرادار بإرسال تحذيرات خفيفة معناه أنهم اقتربوا من الهدف كثيراً.. حوال / جيفان / مباشرة / بود الليزر /. كان يستطيع رؤية الأجسام على الأرض من خلال الشاشة. يجب أن تكون هذه الأجسام هي الهدف الذي سيلقي عليه ثمانية أطنان

من القنابل. كانت ثمة أحاسيس غريبة قد استيقظت في قلبه. رؤية وطنه بهذا الشكل وبعد فراق دام سنوات طويلة. تعرف.. وأحسن بأنه ثمة ضيق غامض قد ضفت عليه.. ولكن يوجه /بود/ الهدف بدأ بالبحث عن نقطة في الكورديغات.. لم تكن ثمة أشياء كثيرة على الأرض. يجب أن يكون الهدف مكاناً ما خارج المدينة. رأى /جيغان/ نقطة الإشارة تتجه إلى بناية على بعد عدة كيلومترات.. دفع الرادار وبود الهدف والكوردينات التي فوقها. نعم كان صحيحاً.. كان قد وجد الهدف.. ولكن دقيقة واحدة.. يا إلهي.. قالها في نفسه.. فكانت عيناه وبدأ قلبه ينبض بسرعة. نظر ثانية ويدق إلى الهدف الموجود في وسط الإشارة واستعد للتسديد. لم يكن يصدق هذا لم يكن يصدق بأن الهدف الذي سيضرره هو هذا. كان الهدف على ارتفاع تسعين متر عن سطح الأرض.. هو نصب مصطفى كمال أتاتورك المشهور. كان هادئاً ووقدوراً بكل ما عنده من الاحتشام والكبراء. الأسود المرمدة المجاورة لطريق الأسود.. انعكاسات بناء الدولة لدى الأتراك. وكأنه يضحك من الخطر الذي يقترب منه ويمضي.. كانت الأسود تتقطّع، ولكن الروح الذي أعطى للمرمر قدرة التشكّل.. ما كانت تتقطّع.

لم يكن /جيغان/ الديار بكرلي يصدق بأنهم قد أعطوا له هذا الهدف.. ما الضرورة من ضرب هذا المكان؟ ماذا سيربح الجيش الأمريكي من هذه الضربة؟ لا شيء أبداً.. هذه هي الإنسانية كلها... لا... لا يجب أن يكون خطأ.. هكذا فكر في نفسه، والإشارات كانت صحيحة. وكان ضابط العمليات فوق حاملة الطائرة /جورج بوش/ ينتظر منه تقريراً لكونه صار فوق الهدف. كان يحس بأن الدماء التي كانت في عروقه تذلي وأنها تسيل مثل الجنون... ولم تكن ثمة مدافع مضادة للطائرات تُرمى من أماكن كثيرة. لم تكن ثمة أية قوة تستطيع إيقاف صواريخ /جيغان/. كان النصب الذي وقعت عليه الظلال الضبابية.. يتراءى وكأنه لن يتمdem.. تراءى له أن الصواريخ عاجزة. وبدأت أذناه بالطنين. لم يستطع أن يعطي معنى للأصوات التي كانت تملأ دماغه. وكان الأتربة الموجودة تحته قد بدأت بالغليان.

كانت التربة حارة مثل الماء القادم من مركز الأرض.. كانت غاضبة وَكأنها ستفز نحو الأعلى وتحطمها مع طائرته وستبتلعه. كانت ثمة مشاهد غريبة تسيل أمام عينيه. وجوه البشر الذين يشبهون سمة والده بوجوههم الضبابية يسيرون خارج الطائرة. وكان العيون المسنة تتظر إليه.. ثمة غضب يتفجر في وجوههم. فدُهست مثل ولد صغير.

انعكس صوت من داخل الطائرة /جيavan/ قريه تماماً.. نظر نحو كل الاتجاهات ولكنه لم يستطع أن يرى شيئاً.

- ”جيavan/ إذا ذهب إلى البحر المتوسط.. يا إلهي.. يجب أن أكون قد جئت... هكذا فكر في نفسه. ولكنه لم يكن يستطيع التخلص من تأثير الصوت.. صارت يداه مثل المقطوعتين.. كان الصوت الذي يأمره قد فتح في روحه جراحات عميقه.. أعماقه ذلت.. ولكن ثمة حزمة من الأمان كانت تسيل من جسده. فجأة بهرت عيناه.. تحولت شاشة التسديد إلى نور ساطع. الآن يرى وجهها على الشاشة. وجهاً محبوباً.. مبتسماً ينظر إلى روحه.. ارتحت كل عضلات جسمه دفعة واحدة. ”التحق بنا يا ولدي/

كانت عيناه قد امتلأتا بالدموع.. ما هو هذا الشيء؟
حلم بلا معنى ومفزي.. كان الهدف على وشك أن ينهزم من أمامه. أعطى /البيود/ إشارة الإنذار. ومررت الطائرة من فوق نصب أتاتورك. عمل مناورة قاسية.. لم يكن يتحدث وكان دماغه قد توقف. ولكنه صار وكأنه يسمع الأصوات. كانت أصوات /النضاوي/ (جمع نضوة).. تنعكس على جنبات دماغه المأ وحسرة.. شاهد الفرسان على وجه السماء يسلّلون بقوه.. صاروا سيلًا من الأضواء وهم قادمون يخترقون السحب ويتقدمون.. لم يكن يسمع الآن النداءات القادمة من اللاسلكي. كان قد عاد ثانية إلى طفولته ووجوه زملائه المبتسمين. وإلى رائحة التراب.

تذكر أمومة الوطن. كان يفكر بأنه يعود إلى المكان الذي هو منه وفيه. وفي الوقت الذي كان يمر فيه فوق السفن الأمريكية فوق البحر المتوسط وبين

الصواريخ التي كانت تتجه نحوه، مرّ من فوق فرقاطة وابتسم.. كانت حاملة الطائرات **USS** / جورج بوش / مقابلته تماماً.

لم يدر ماذا يفعل وكيف يتصرف الذين فوق الحاملة..

كانوا ينظرون نظرات دون معنى إلى الطائرة التي كانت تقترب منهم للمرة الثانية والأخيرة. نظر جيفان إلى الناس الذين كانوا يعيشون في أعماق ذاكرته. وبشاشة صدمت الطائرة بالحاملة بكل ما أتيت من السرعة والقوة. سمع صوت قوي تردد صداته في عوم البحر الأبيض المتوسط. كان اللهب قد وصل إلى ارتفاع عشرات الأمتار. عندما انحدرت القنابل مع البنزين الموجود في مستودعات الحاملة تحول المدرج إلى جهنم. كانت بعض الطائرات قد تطايرت فوق البحر وبعضها الآخر تضرر من شدة الانفجار. كانت الأدخنة ولهب النار تتفجر من قلب السفينة. لأول مرة في التاريخ العسكري الأمريكي . تم خسارة حاملة طائرات.

كان الرئيس في حالة غضب شديد. "ليقهرهم الله يا هوارد!!"

لم يكن يفكر بأنه سيُمنى بمثل هذه الخسارة. ولم يكن أحد يستطيع الاقتراب منه حتى سكرتيته / كيتي/. كان جيش من الصحفيين يريد محاسبته لفرق حاملة الطائرات.. ولكن لم يكن أحد يستطيع أن يجده أو يصل إليه. حتى المسؤولون الكبار للصحف الكبيرة الذين هم بمثابة أصدقاء حميمين للرئيس. كان قد طلب منهم سد حنكتهم وعدم تضخيم هذا الأمر. أميركا العظيمة وجيشهما العظيم وأسطولها المسيطر على كل البحار والمحيطات، كيف لها أن تخسر حاملة غير قابلة للخسارة بأي شكل من الأشكال.

هذه العملية كانت مستشجع الآخرين في هذا المجال.

"صدقني يا سيادة الرئيس دققت في هذا الموضوع.." كان صوت رئيس الأركان يرتجف.. وحقيقة هذه خسارة غير مقبولة. أضخم سفينه على سطح البحر... يعيش عليها آلاف الجنود.. قد سقطت وأخرجت من المعركة.. وما هي ذي السفن الأخرى تسببها الآن.. نعم .. لم تفرق.. ولكنها جرحت من أعماقها.. ستاتم في المشفى أكثر من ستة شهور وتجري لها عدة عمليات. حتى تعود إلى وضعها الطبيعي.

- "عدت لا أصدق شيئاً يا هوارد. أحدهم قد وسع هذه العملية. هل تلاحظ ذلك؟"

لم يكن رئيس الأركان يعرف ما الذي سيقوله.. كانت عروق وشرابين الرئيس قد انفتحت. وإذا ما زاد غضبه بعض الشيء كان سيسلطه على وجهه. كان هوارد يخاف من لكماته وإذا ما فعل ذلك. سيعطي هذا الغبي درساً لن ينساه أبداً ويبدون أي شك.

- "كان ذلك الرجل من أفضل طيارينا.. ولكن عاش في تركيا مرحلة

طفولته.. ربما تذكرها و..

- "ماذا.. مادا قلت.. هل قلت ذكرياته؟ يعني تريد أن تقول لي إن سفينه كبيرة ثمنها أكثر من مليار دولار.. تلاشت عن الوجود بسبب ذكريات إنسان كردي؟" "يا سيدى هذه معركة كبيرة وجدية.. الآن نحاول جاهدين تحطيم وتهدم دولة قامت منذ خمسة وثمانين عاماً ومن المستحيل إلا تطلع أشياء بهذا الشكل"

- "تقول بيطبعها.. لك طريق من هنا إلى جهنم يا هوارد. كنت قد ذكرت لي بأن الأكراد في تركيا سيساعدوننا. ألم نخطط إذا ما سيطرنا على المدن الغربية.. ستكون المدن الشرقية في حيننا بكل راحة. إذا كان هذا الجندي هنا وفيينا وفعل معنا هذا الشيء... ما بال أهله وأقربائه.. هل فكرت بهذا؟ ثم لم يأتنا بعد بأخبار التمرد والمصيانت الذي كنا نتوقع حصوله في المناطق الشرقية".

- بناء على الاستعلامات التي وصلتنا بأن التشكييلات العسكرية الخاصة التي عملناها ضد الاحتلال السوفيتي.. قد وضعت يدها على كل مكان.. و وسلمت المبادرة في تلك المناطق.. ونحن بدورنا لا نستطيع أن ندخل الأكراد العراقيين في هذه المسألة. لأنه ربما نحرك الإيرانيين.. في هذه المرحلة لا نريد أن يتتطور الأمر ضدنا.. اسمعني يا سيادة الرئيس.. ابحث هذا الموضوع بينك وبين نفسك ولا تنشره على عموم العملية".

- "أعمل ما بدا لي يا هوارد.. ولكن أريد انتهاء المرحلة الأولى من هذه العملية.. يجب أن تبدأ أساس هذه العملية فوراً وبأسرع وقت ممكن."

فجأة تلاشى جو الفوضى من داخل الغرفة. وكان خسارة الحاملة قد ضيّفت من معنها بعد هذه الكلمات. جلس الرئيس حول طاولته. كان يحاول زرع السكينة والهدوء في قلبه. بقي ستريك واقفاً على رجليه.

ثم ذهب إلى أمام الشاشة المقابلة للرئيس. وب مجرد فتح الشاشة جاءت نقطة سوداء.. وبدأت المعلومات تسيل عبر الشاشة. عبر خطوط الاتصالات التابعة (ENTCOM) وبواسطة هذا النظام كانت التطورات تتعقب دقيقة بعد أخرى وتجري الاتصالات والأعمال وفق التطورات الجارية

- "سيدي الرئيس إن عملية العاصفة المعدنية تتقدم نحو الأفضل في مراحلها

الأولى" عندما قال هوارد هذه الكلمات، لم ينظر إلى وجه الرئيس. وبالأصل كان يعرف ما الذي كان يغطيه من الإفادات السوداء الباقية من خسارة حاملة الطائرات.

- "إن قواتنا البرية لا تتقدم بسرعة كما كنا نتوقع ذلك ولكن الفرقة المدرعة الأولى والفوج الثالث قد وصلت إلى منطقة /طرسوس/. ثمة قوة تركية تقام قواتنا في مدينة /اضنة/ يا سيدى.

يقولون إن القوات التركية قد هجمت على قواتنا من مسافة قريبة. وتراجعوا ثانية وسحبوا دباباتنا إلى الأحياء السكنية. الأتراك خدعوا أولادنا هنا يا سيدى. حيث أصابوا أكثر من عشرين دبابة ولكن يقال أيضاً إن قواتنا قد تصرفت ببعض الخشونة هناك أثناء المعركة. حيث أُلقيت بعض قنابل /سلايرو/ إلى داخل الأحياء السكنية.. وبما أن هذه المنطقة سهلة ومنبسطة.. لا نستطيع رؤية المدينة بالشكل الصحيح.

- "قواتنا كانت تريد التحرك لاجتياز جبال طروس. ولكن طلبنا منهم الانتظار بعض الوقت.. واجتياز جبال طروس سيكون صعباً بعض الشيء وبالتالي تأكيد إن تلك المناطق مملوقة بالكمائن وطائرتنا تضرب تلك المناطق وتسيوها مع الأرض. ويستعملون قنابل /سلايرو/ لتنظيف المنطقة على أكمل وجه.

- "إن هذه القوات يتيمة داخل الأراضي التركية وتتقدم. أليس في هذا نوع من الخطورة عليها يا هوارد؟"

"أؤكد لك يا سيادة الرئيس. إن العدو لا يملك أية طاقة كي يقوم بهجوم منظم وشامل على قواتنا.. كل قوت الأعداء تحت القذف الشديد يا سيدى.. ومن غير المعقول أن ينظموا أنفسهم ويهجموا على هذه الفرقة.

- ولكن أين القوات التي خرجت من أنقرة وهي اللواء المدرع التاسع واللواء الميكانيكي ٤..٢٨

- هؤلاء الأتراك غربيون حقاً.. ماذا كانوا يفكرون عندما أخرجوا هذه الأولوية من المدينة. وأعتقد أنهم أخذوا احتياطاً ضد الفرقة الأولى.. وربما فهموا الخطأ الذي ارتكبوه. لأن عناصر اللواء التاسع قد أبيدت تقريباً عندما كنا

نشاهد هذه المجمات، حقيقة تحولت شعر جسمى إلى أشواك من هول الضربات
واعتقد أنهم كانوا ينتظرون هذه المجمة.

- ومن أين تعرف ذلك؟

- لأن هذا اللواء كان مدعوماً بمجموعة كبيرة من المدافع المضادة للطائرات.
لو كانوا يحاربون دولة جارة لهم. ما استطاعت آية قوة أن تقف أمام هذا اللواء.
ولكن طائراتنا B2 واف ١٥ و A10 انزلت على رؤوسهم النار والدمار. ثم إننا
قبضنا عليهم في ساحة مكشوفة.

- يا إلهي.. كنت أتمنى أن أرى ذلك المنظر. بالختصر المفید يا سيدى. لم يبق
شيء عندهم سوى جثث الموتى والمعريات المحطمة. ولكن اللواء ٢٨ الميكانيكي
يُحاول التخلص من الفارات، من المناورات التي طبقها.

- طيب هل هناك من تطورات بالنسبة لبدء المرحلة الثانية من العملية؟
لم ينـه الرئيس جملـته وسبـب ذلك أنـ كـيـتي كانت قد دخلـت بـسرـعة. لم تـكن
تحـدـثـتـ معـ الرـئـيسـ فيـ هـذـاـ الـيـوـمـ كـمـاـ هـيـ العـادـةـ.. وـكـانـتـ مـزـعـوجـةـ منـ هـجـومـ
الـصـحـفـيـنـ حولـ حـامـلـةـ الطـائـرـاتـ المـضـرـوبـةـ. عـنـدـمـاـ رـأـهـ الرـئـيسـ سـكـتـ. وـابـتـسـمـ.
جلـستـ كـيـتيـ حولـ طـاـوـلـةـ الرـئـيسـ دونـ أـنـ تـتـنـظـرـ إـلـىـ وجـهـ /ـسـتـرـيكـ/ـ وـانـحـنـتـ نحوـ
الـرـئـيسـ كـأـنـهـ تـرـيدـ أنـ تـهـمـسـ فيـ ذـانـهـ شـيـئـاـ ماـ. السـيـدـ جـيـنـيـ يـرـيدـ التـحدـثـ معـكـ ياـ
سيـدـيـ ويـقـولـ:ـ لـيـخـلـصـنـيـ الرـئـيسـ مـنـ هـوـلـ الـصـحـفـيـنــ أـفـرـغـ الرـئـيسـ فـهـقـهـةـ كـبـيرـةـ
وـهـوـ يـقـولـ:

- تمامـ ياـ كـيـتيـ.. سـيـعـمـدـ السـيـدـ هـوـارـدـ عـلـىـ حلـ هـذـهـ المشـكـلـةـ. اـبـتـسـمـ السـيـدـ
سـتـرـيكـ بـشـكـلـ قـذـرـ.. مـاـ مـعـنـىـ ذـلـكـ. يـعـنـىـ أـنـهـ سـيـكـونـ فيـ نـظـرـ الـجـمـيعـ قـائـداـ مـهـزـوـماـ
عـنـدـمـاـ سـيـصـرـحـ لـلـصـحـفـيـنـ عـنـ أـسـبـابـ خـسـارـةـ الـحـامـلـةـ. وـالـحـقـيقـةـ كـانـ لـاـ يـرـيدـ أنـ
يـتـسـجـلـ اـسـمـهـ عـلـىـ صـفـحـاتـ التـارـيخـ بـهـذـاـ الشـكـلـ.

فيـ الـوقـتـ الذـيـ كـانـ فـيـهـ كـيـتيـ وـهـوـارـدـ يـخـرـجـانـ مـنـ الـفـرـفـةـ رـنـ جـرـسـ الـهـاتـفـ
الـخـاصـ وـالـذـيـ لـاـ يـعـرـفـهـ سـوـيـ الـاثـيـنـ.

- تـقـضـلـواـ يـاـ سـيـدـ /ـلـيـنـاـمـ/ـ... خـرـجـ صـوتـ ضـعـيفـ يـسـأـلـ الرـئـيسـ:ـ كـيـفـ هـيـ
حالـ حـرـيـناـ هـلـ هـيـ بـخـيـرـ؟ـ اـبـتـسـمـ الرـئـيسـ وـقـالـ:ـ نـعـمـ يـاـ سـيـدـ /ـلـيـنـاـمـ/ـ.. هـيـ بـخـيـرـ..
أـكـثـرـ مـاـ كـنـاـ نـتـوـقـعـ قـالـ الصـوتـ الـقـادـمـ مـنـ الـطـرفـ الثـانـيـ:ـ عـمـلـيـةـ سـيـفـرـ..

كانت هذه الجملة هي الاسم السري لعموم العملية. كان الجميع يظنون إن هذه الحرب ستبقى دائرة على الأراضي التركية. حتى قيام حكومة دمى جديدة تابعة للأمريكيين. ولكن الأمر كان مختلفاً على إنهاء الدولة التركية من أساسها. وطرد الأتراك كلياً من الأناضول. كان هذا هدف العملية من أساسها... كان الأوروبيون سيبقون أحراراً ولن يحاربوا بعد الآن مع معارضين مسلحين وسيبقى العرب والإسرائيليون تحت منابع الماء الوفيرة.. طبعاً وسيحسنون بالسعادة والأمان كونهم تحت رعاية وعناية الأمريكيين. أما الأرمن والأكراد كانوا سيأخذون الأرض التي تعجبهم ويريدونهم.. من يدرى.. ربما تقام دولة رومية يونانية على ساحل البحر الأسود.. ولكن الأهم من كل شيء /البور/ و /التوريوم/.. و اليورانيوم الفني المخصب.. كل هذه المعادن منابعها للأمريكيين. والأصح أن هذه المعادن كانت ستتصير بيد /أدريان الثالث لينام/ وهذه القوة ستجعل من أمريكا سيدة العالم بدون أي نقاش.

قال الرئيس: "قريباً يا سيد لينام .. قريباً"

٢٦ أيار ٢٠٠٧ . الساعة ١٣:٤٠

نبراسكا . أقوت

مقر القيادة الاستراتيجية

غرفة صفيرة محشورة تحت الأرض بعده أمتار، غرفة من غرف مقر القيادة، مضاءة بمصابيح صفراء. في وسطها طاولة كبيرة... عليها مجموعة من الخرائط. وثمة سهام وإشارات كبيرة واضحة هنا وهناك من الخريطة. وثمة أربعة جنرالات مجتمعون حولها. لم يكن هذا الاجتماع من الاجتماعات العادية المخصصة للحرب. نتائج المناقشات هنا، تنتقل إلى رئيس الأركان. ومنه إلى الرئيس: هذه المناقشات تطرح مواضيع الحرب والعدو وعلى أساس نظام واحد. تطورات الحرب وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة.

كان العميد /وارد/ وهو ضابط من ضباط الوحدات الخاصة. قد طور في عام ١٩٩١ نظام تدقيق للساحة العملية. وبعد الاجتماع مختلفاً عن الاجتماعات الأخرى.. يتناقض فيه مجموعة من الضباط المترددين والمثقفين.

كانت المعلومات مرتبطة بالإعلام العسكري ومن القوات الخاصة الأمريكية التي كانت تشد الخناق على الأتراك ومن باقي المتتابع المعلوماتية الأخرى، هذه التدقيقات والمناقشات المتعمقة ربما تغير مسار الحرب من أساسها. كانت هذه المناقشات التي تجري في هذا اليوم تذكر المرء بالمناقشات العادية ليس إلا.

- أيها السادة إن التطورات تبدو جيدة.. ولكن بعض الحوادث غير المتوقعة منعت من التأثيرات المباشرة للحرب.

- هذه الحاملة.. ليقهرهم الله.. لو بقي ذلك الطيار حياً لكونت فعلت فيه...
- رجاء دعونا لا ننزل إلى التفصيلات الدقيقة... التطورات جيدة وتعطي أملاً نحو المستقبل.

- "ولكن قواتنا الجوية في البحر المتوسط خسرت دفعة واحدة خمساً وثمانين طائرة. والجماعة دون أن يحركوا أيديهم صاروا وكأنهم أسقطوا خمساً وثمانين طائرة.

- لم يقل لنا أحد إن الأتراك أعداء بسيطون.

- "كانوا محظوظين فقط".

- "وكيف هو حال تقدم القوات البرية؟"

"قواتنا البرية دخلت إلى النظام أو الدوزان الذي نريده"

- "وما هي القوات الموجودة في الداخل؟"

- الفرقة المدرعة الأولى دخلت في معركة شديدة في منطقة /طوروس/. كتبية من الدبابات أبيدت من طرف القوات التركية. المقاومة التي تقوم بها القوات التركية غير معقوله. كنت قد سمعت أنهم حاربوا في /كوريا/ بهذا الشكل. مما ضغطنا عليهم ومهمما ضربناهم.. وكأنهم يخرجون من الخنادق ثانية وبها جموننا، جماعتنا لم يصدقو ذلك".

- "لم نستطع التخلص من كمينهم إلا بعد أن ألقينا فوقهم قنابل /سلائر/ وبعد قذف جوي شديداً جداً. في هذه اللحظة يتقدمون نحو سهول /قونيا/ اليوم تلقوا أمراً بالتوقف. وبعد أن يكملوا تزويدهم بالإمدادات والوقود يستطيعون التحرك ثانية.

بعض الإمدادات تأتيهم عن طريق البر وبعضها الآخر عن طريق الجو. ومن خلفهم تقدم الفرقة الميكانيكية الرابعة. الآن هم مشغولون باحتياز منطقة جبال طوروس. وتوجهت كتبية من الفوج المدرع الثالث نحو الشمال. هدفهم بناء خط قوي في منطقة /غازي عنتاب/ والهدف من ذلك منع الأتراك من الهجوم عليهم من الخلف".

- "طيب والألوية الموجودة في لواء إسكندرон؟"

- "تبغش ذلك اللواء من القذف الذي جاءهم من البحر وبهجوم الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي.. ثمة معارك تجري هنا وهناك. ولكنهم يُقذفون بالطائرات على الدوام. والفرقة ٨٢ للإنزال الجوي تتجهز لتتقدم نحو هدفها الأساسي".

- "طيب وماذا تفعل الفرقة ١٠١ للإنزال الجوي؟"
- "في هذا الساعات يجهزون أنفسهم للتحرك. سينتقلون إلى منطقة قريبة من مدينة /كيرك قلعة/ والمكان الذي سيبيرون فيه مقر قيادتهم تجهزها الآن لهم طائرات B1 - B2 ونمة وحدة خاصة تمسح ذلك المكان وتمشطها من أجل بناء مقر القيادة وأعتقد بأنهم لم يدخلوا في معارك كثيرة."
- "هذا جميل.. قل إننا في عمق أراضيهم. هنا إحساس مخيف إن تلك الأرضي مقدسة بالنسبة لكل عسكري هنا. وهي الأرضي التي انهزم منها الأوروبيون على الدوام"
- "طيب وحادثة حاملة الطائرات؟"
- "بالنسبة إلىِّ هذا عمل لم يكمل.. وهذه الحادثة رفعت من معنويات شعبهم كثيراً."
- "لنكمِّل هذا العمل.. ونحن نستعرض قوانا.. ومن ثم..."
- "لم لنهز إسطنبول من أساسها.. الغارات الجوية التي تحصل الآن تستهدف الوحدات العسكرية فقط. ولكن نستطيع القول بأن إسطنبول لم تُمسَّ بعد. يجب أن نهز هذه المدينة بشكل مخيف.. يجب أن يفهموا أننا موجودون حقيقة".
- "هذا تمام.. بالأصل هناك تجهيزات تقام الآن من أجل هذه المدينة.. يعني ما ستفعله بعد هذا الوقت معروف.. إن ضرب /نصب اياتورك/ واحتلال أنقرة وإسطنبول.. ثم نستطيع البدء بالمرحلة الثانية من العملية ثم إخبار الجيش الرومي القومي.. كي يبقوا متقطعين.. الغارات الجوية على الوحدات التركية هناك زادت من فاعليتها منذ يومين.. وأخبرونا بأنه ثمة نتائج حسنة وقواتنا الخاصة الموجودة في /أرمينيا/ استطاعت كشف أماكن تواجد القوات التركية وتحركاتها على الحدود. وأظن بأنهم يحضرون لأنفسهم خنادق كي يرحلوا من تحت التراب".
- "إذن ما زالوا يحضرون خنادق أليس كذلك؟"
- "لقد قبضنا عليهم على حين غرة".
- "نعم يا أولاد.. قبضنا عليهم قبل أن يجهزوا أنفسهم..
- "وكيف حال القوات الجوية؟"

- "لم نعد نرى قاعية جوية عندهم.. لقد تم ضرب معظم طائراتهم. والباقي لا نعلم عنه شيئاً. طبعاً لم يظل عندهم مطارات أيضاً كي تصعد منها الطائرات. لأن قواتنا الخاصة نظمت غارات على كل المطارات.. ووحداتنا تدخل وتخرج إلى كل مكان. وسد أتاورك ما زال بأيدينا.. كنا قد عملنا هذا الشيء كتجربة ولكن عندما حاولت القوات التركية استرجاع السد قامت قواتنا الجوية بمنعهم وضربهم ضربات شديدة ومؤلمة.. ثم تراجعوا بعد ذلك".
- "إياكم ثم إياكم أن تضربوا المنشآت الكهربائية ومحطات الإرسال التلفازية. لأن سلاحنا الأقوى هو الإعلام /ميديا/".
- "أشارك الرأي تماماً.. كل الهجمات التي تقوم بها يذيعونها مباشرة. ولكن بعد ضرب حاملة الطائرات وجدنا أنه من الأسلم أن نقطع عنهم الكهرباء لبعض الوقت.
- "نعم هكذا. أريد أن يفهموا معنى كل المشاكل التي تعيث بهم. أريدهم أن يأخذوا عبرة مما حصل وما سيحصل على عكس ما تقول به كتبهم التاريخية.. أريدهم أن يتجرعوا المرارة والدهشة والآلام".
- "أظن أننا سنعمل هذا الشيء.. يا إلهي إنني لا أصدق.. الجيش التركي لا يستطيع مقاومتنا".
- "نعم.. ليس في العالم جيش يستطيع الوقوف أمام جيشنا وقتاً... فكروا.. طائراتنا تتطفف السماء من طائراتهم. ومن ثمًّا أمامنا جيش ضخم.. لا يستطيع أن يفعل أي شيء ليسقط طائراتنا ولا يملكون سلاحاً لفعل ذلك. يا إلهي.. يجب أن يكون طيارونا يتسلون تسلية رائعة".
- "لا أعتقد أن طيارين لخمس وتسعين طائرة لا يفكرون مثلنا".
- "دعهم وشأنهم.. إن الطائرة التي تضرب وتسقط بوساطة صواريخ /ستغر/ و/رايبر/.. هؤلاء الطيارون يجب أن يعيشوا.. وهذا أفضل لهم".
- "لنتنا نقاشنا وتدقيقنا للعملية بشكل عام ونعطي تقريرنا إلى السيد /هوارد ستريك/."
- "بعض الأحيان أحسُّ وكأننا لا نفعل شيئاً. ولكن ثمة أشياء كثيرة.."

كأنها تتحقق من تلقاء ذاتها.
إذا أردت الحقيقة هي هكذا.. إننا نكشف الأهداف للذئاب الجائعة وهي
قطع وتمزق.

ضحكوا كلهم دفعة واحدة.. كان الاجتماع مسليناً.. وكأنهم كانوا على
يقين بأنهم سيسلون هكذا على الدوام.. وكان الضربات والخسائر التي منيت بها
القوات الأمريكية لا تهمهم بشيء على الإطلاق.

٢٧ أيار. ٢٠٠٧ .الساعة

النصب التذكاري

كان البشر قد ضيّعوا مشاعرهم وأحساسهم وعقولهم. بعضهم يجرون هنا وهناك دون وعي. وبعضهم يبيرون. وبعضهم ينظرون بعيدون فارغة إلى حطام الأبنية والمعماريات.. كانوا قد انتظروا على مدى ساعات طويلة حتى انتهاء القذف الجوي كي يقتربوا من هذا المكان.. وكان الطائرات قد تركت القذف كي يقوم الناس بتوديعه الأخيرة وسلام آخر. وحتى ينتهي تأثير هذه الهجمة الفظة.

كان الناس يصعدون إلى داخل الحطام /الأنقاض/ ومن جميع الأعمار.. لم يكن بإمكان بضعة جنود والشرطة أن يقفوا أمام هذه الجموع البشرية المتلاطمـة. لم يكن أحد في حالة من الوعي حتى يستمع إلى الآخر والشرطة والجيش.. كان عندهم هدف واحد، وهو إنقاذ جثمان /مصطفى كمال أتاتورك/ من بين الأنقاض والحطام وتلبيته في مكان آمن.. كانوا يجرون نحو الأنقاض وهم يحملون الفؤوس والرفوش.. وآخرون يصرخون ويولـون يريدون إزاحة كومـات من /البيتون/ المحروق والمنصهر مع قطع من النار والدمار. يحاولون شق طريق لأنفسهم حتى يصلوا إلى موقع القبر. هذه الهدف المستحيل بحد ذاته كان خطراً عليهم لأنهم كانوا يشاهدون بين وقت وآخر قنابل لم تتفجر بعد.

كانت الزحمة المتلاطـمة من البشر قد بدأت الاقتراب من النصب مثل جيش كبير من النمل.. لم يكن الناس يستطيعون التفكير. كانت القنابل قد هطلـت إلى مكان عميق في دماغهم. كانوا يريدون الوصول إلى النعش قبل فوات موجة شديدة من الحقد والكراءـية. كانوا يريدون الوصول إلى النعش قبل فوات الأوان.. أمر غير مقبول أبداً بالنسبة إليـهم.. لأن هذا النصب كان مثل هالة من النور أو رمز في أعماق كل واحد منهم. لم تكن أية قوة في تلك اللحظة أن تقف أمامـهم.. لا المدرعات ولا الطائرات ولا أية قوة تستطيع أن تخيفـهم.

بعد قليل.. وصلت مجموعة من الجنود وعناصر الإطफائية وبدؤوا بالركش والرفس مع الناس. وكان ثمة مجموعة كبيرة من الضباط ومن مستويات أو رتب عالية يراقبون هذه العملية. وكان الجنود لا يستطيعون النظر إلى وجوه البشر. كانوا في حالة من الأحساس وكأنهم يخجلون من هؤلاء الناس لأنهم لم يقدروا إيقاف هذه الهجمات البربرية.

بعد عدة ساعات شوهدت مجموعة من السيارات المدنية تقترب من المكان.. توافت السيارات على مدخل الطريق الذي فيه تماثيل الأسود. خرج من السيارات الأولى والثالثة ثمانية عساكر من الوحدات الخاصة بكمال جاهزيتهم القتالية.. وعملوا /كوردونا/ أما من السيارة الوسطى فنزل شخص راقبه الناس بالحيرة والدهشة.. كان شخصاً غائباً عن الانظار ومنذ أيام طويلة كان هذا الشخص رئيس الأركان الجنرال حكمت باشا.. كان يمشي نحو الأنماض بخطوات سريعة.. كان الناس قد رموا عن كاهلهم إشارات الاستفهام والاستغراب والدهشة. وبدؤوا بالاقتراب منه رويداً رويداً يريدون الالتفاف حوله. إلا أن الوحدات الخاصة لم تأذن لهم بذلك. بدأ حكمت بارس بالصعود فوق حطام الإسمنت بجدية وتعب.. كان مرهاقاً إلى أبعد الحدود وبدأ العمل مع الآخرين..

كان الظلام قد كبس على الجو، وثمة ثقب قد ظهر بين الحطام /الأنماض/ دخل ناس من هذا الثقب ونزلوا إلى الطابق الأرضي وبدؤوا بالبحث عن النعش وكأنهم عمال يعملون في إحدى المناجم تحت الأرض. كانت الحرارة التي نشرتها القنابل التي أُلقيت لثقب الملاجيء.. تضرب وجوههم ولا يستطيعون الاقتراب من المركز: وبالأحرى يتكون شيء من استحالة العمل هناك.

كانت ثمة طائرة من طراز /إف ١٥/ تحلق قريباً من أجواء مدينة أنقرة.. الرسائل التي كانت تصل إلى أذن الطيارين جعلتهم ينفعلون إلى حد كبير.. كانت ثمة رسالة قد جاءت من مركز القيادة في العراق.. تطلب منهم ضرب هدف مستعجل جاءهم من الاستخبارات. ولكن الهدف المطلوب ضريره وقدره.. هدف مضروب قبل قليل من الآن ولم يبق فيه حجر فوق حجر.

- يوجد عندنا استخبارات تقول: إن ثمة سمعكة كبيرة قد وصلت إلى الهدف.

اضربوا الهدف للمرة الثانية.. الوقت مهم جداً.

- اضربوا المكان مباشرة.

"كرر ثانية يا مركز. هل تريدون منا ضرب القبر الذي ضربناه قبل قليل؟"

- "نعم.. رجاء.. طبقو الأمر".

- "فهمنا الأمر".

اتجهت الطائرة /اف ١٥/ بمناورة قاسية نحو الهدف الذي طلب منه ضربه. كانوا قد تعرفوا إلى أنقرة جيداً وحفظوها عن ظهر قلب. ولهذا السبب لم يطلبوا الإحداثيات ولا الكوردونات كانت الطائرة تعرف المكان الذي ستذهب إليه. بعد وقت قصير وصلت فوق الهدف تماماً. الأدخنة ما زالت تصاعد منه. كان الطيار قد استغرب من المنظر الذي تحته نقل الموقف بانفعال إلى المركز.

- "ثمة أناس مدنيون كثيرون في الهدف.. مجموعة كبيرة من البشر ليس بالإمكان إطلاق النار".

- "اضربوا الهدف فوراً"

كان الطيار يتحدث بانفعال واضح في حديثه.

- "اعطونا الموافقة. ثمة مدنيون في الهدف تماماً"

قال ضابط العمليات: "اضربوا الهدف مباشرة" كان صوته مثل السهم وخالياً من المشاعر الإنسانية.

رسمت الطائرة /اف ١٥/ إطاراً. كان الناس المجتمعون فوق النصب التذكاري يسمعون صوتها ومناورتها.

سمعت إطلاق بعض العبارات النارية من هنا وهناك.. هذه الطلقات كانت ترمى بحقد كتم الأنفاس. لم يكن يقترب من الطائرة بأي شكل كان. كان الهدف على الشاشة عبارة عن كومة من الحطام والأنقاض والإسمنت وثمة مدنيون كثيرون كثيرون جداً.. فكر الطيار في نفسه: بعد قليل سيتحول إلى مجرم حقيقي سيقتل الناس /عينك عينك/ وبعد ذلك أرسل القنبلة الوحيدة المتبقية على الجناح الأيمن من الطائرة وهي قبلة من طراز 27/GBU... تقودها أشعة الليزر حيثما أرادت.. لم يكن الهدف يتراءى للطيار. خلال ثوان تحولت الشاشة إلى بياض

من تأثير انفجار القنبلة. في الوقت الذي كان فيه التأثير الأول للانفجار على وشك أن يتلاشى.. كانت كرة النار الصاعدة على وشك الانطفاء.

لم يحس الناس الذين كانوا يبحثون عن نعش أبيهم /أتاتورك/ بأي شيء على الإطلاق. كانت قوة الانفجار بالنسبة إليهم فجائية وحادة.. رمماهم الضغط على بعد عشرات الأمتار دون أن يعوا ويحسوا به.

سقط حكمت بارس بقوة على الأرض من تأثير الانفجار. كانوا على عمق عشرة أمتار تقريباً عن سطح الأرض. وكانت فوقهم عشرات الأطنان من البيتون والمرمي. ولكن القنبلة كانت قد وقعت فوق مكان تواجدتهم تحت الأرض. بدأ المكان الذي هم فيه يمتلئ بالدخان وقطع المرمر. نظر حكمت باشا إلى الجنود الآخرين. لم يكن في وجههم قلق أو اضطراب أو شيء من هذا القبيل.

عندما وصل رئيس الأركان حكمت بارس إلى مكان تواجد نعش /مصطفى كمال تجمّع قلبه بين أضلاعه. كان القبر قد تضرر بشكل كبير. وكان يخشى أن يكون الجسد الذي على شكل /مومياء/.. متضرراً أيضاً. التفوا حول القبر وبدؤوا بالنظر إلى داخله، كان الدخان قد خفَّ بعض الشيء. بحثوا طويلاً بين الأنفاس. لم يتوصلا إلى الجسد.. بعد وقت قصير رفع رئيس الأركان رأسه وقال للجنود الذين معه: "إن الجسد ليس في مكانه".

نظر الجنود باستغراب إلى وجه قائدتهم. كانت نظراته ترعب الناظرين إليه وهو يقول: "لا يوجد هنا.. حتى ولا أثر له"

ثم رفع رأسه والقى نظرة من حوله. وكأنه يحاول أن يرى شيئاً ما، بدأ الجنود أيضاً بالنظر هنا وهناك مثله تماماً.. كانوا قد غرقوا في بحر من العرق والفبار.. وخوفهم كان شديداً.. يجب أن يكون الجسد هنا؟

منذ عشرات السنوات يرقد هنا. تحت الرعاية والعناية والصون.

ومن غير الممكن أن يُسرق أو ينقل إلى غير مكان. كان لا يستطيع أحد الدخول إلى هذه الغرفة سوى بإذن خاص من رئيس الأركان شخصياً.

ارتسمت علامة الفرور على وجه حكمت بارس.. كان سعيد إلى حد كبير ومرتاح جداً. فقال لجنوده "هيا لنذهب" وكمما جازوا خرجوا بسرعة.. كان من

المستحيل أن يعودوا من النفق الذي جاؤوا منه. كانوا قد ثقبوا فجوة ثانية بين الأنفاس وخرجوا منها.

كان الجنود في بحر من الدماء والعرق. ولكن صدمتهم المشاهد الخارجية وأحسوا بقشعريرة تسرى في أجسادهم.

كل مكان مغطى بالجثث. شاهدوا المكان الذي وقعت فيه القنبلة. على بعد عشرين متراً عنهم.. المكان فارغ.. وكان الجميع قد ماتوا وخرجوا بشكل كبير إلى الطرف الثاني من الشارع..

كان ثمة أناس تجمعوا هناك والجنود مثل الأشباح الذين خرجن لتوهم من القبور. كان الجو هادئاً.. لم يكن يصدر سوى صوت الطائرات الأمريكية البعيدة وهي تمزق الهواء.. وبين وقت وآخر كانت أصوات المدفع المضادة للطائرات.. تخرج من هنا وهناك أيضاً. ذهب حكمت بارس/ نحو الجثث وألقى نظرة على بعض منها.

إذا كانوا على قيد الحياة أم لا.. كلهم كانوا ميتين. كان الجنود قد بدؤوا بفقد صبرهم. وكانوا يعرفون من توجه هذه الهجمات.

نظرروا إلى السيارات التي تنتظرونها. كانت الطائرة الحربية قد نزلت بقوة وفجرت السيارات بالكرة الإلكترونية.. هذه إشارة كافية. كانوا قد عرفوا أنهم هنا.. وضربوا الضربة القاضية.. لم ينجحوا فيقتل هدفهم ولكنهم قتلوا أكثر من مئة مدني بسيط. وثمة سؤال غريب بقي في الأجواء..

لم يكن مصطفى كمال في قبره.. في هذه الحالة أين يجب أن يكون؟ CNN أنتريناشيونال:

“صرّح مصدر مسؤول في وزارة الدفاع الأمريكية بأنه تم قتل رئيس الأركان التركي.. في غارة جوية حدثت مساء أمس.”

كانت الأخبار تنتشر بسرعة كبيرة. تأثير التلفاز كبير على الناس من حيث المعنويات وروح المقاومة. الأخبار السيئة تصل إلى الناس بشكل مباشر عن طريق المحطات والأقنية الفضائية التركية. ومهما حاولت المحطات تصفيه وتتفيسه وتتقىه من محتواه إلا أن الأمور كانت واضحة مثل الشمس والحقائق مطروحة في

كل مكان. ولهذا السبب كانت هذه المحطات تنقل أجواء الحرب إلى داخل المشاهد التركي. ودون أن تفهم لماذا لم يتم ضربها حتى الآن.

على الشاشة الآن مشهد من مشاهد النصب التذكاري.. كان الجميع يتبعون المشاهد القادمة إليهم، المشاهد المفروزة بصمت الأموات.. دون أن يتفسوا، لا يوجد تعليقات.. فقط صورة النصب الذي حُفر في أرواحهم، وهلة أدخنة متصاعدة والظلم ذو الشقين. منذ نصف ساعة والمحطات تعرض هذه المشاهد.. كان الناس قد قفلوا أنفسهم على الشاشات حتى مع عدم وجود أي تعليق يتبعون الصور وكأنهم سُحروا.. حصل ميلان في الصورة. وظهر المعلق.. والأنقاض من خلفه.

السادة المشاهدون. جاءنا الآن هذا الخبر. بعد البحث والتدقيق الشديدين إثر الفارة الجوية على النصب التذكاري، تبين أن جسد الزعيم الكبير غير موجود في

قبره

٢٧ أيلار. الساعة ١٩.٢٥

. مكان غير معروف.

كانت الوزارة قد اجتمعت . بثلاثة أشخاص فقط . ورئيس الوزراء يتابع التطورات أولاً بأول مع اتصال مباشر مع أنقرة.. وهو في حالة من الفضب الشديد. ولا يعلم ما الذي سيفعله.

وكانت شرة مرارة تفرض أعمقه. كان الشعب قد وضعه وصياً عليه.. أميناً على مصالحه والآن لا يستطيع أن يبعد عنه المصاعب والأخطار. وبالأساس كانوا قد فكروا بحل لوقف هذا الاحتلال.

عندما قرأ "طيب أردوغان" التقرير الذي بين يديه عرف أنه سيأتي بالاحتلال وفي الوقت نفسه سيخلصهم منه. قبل ثلاثة أيام كان قد عقد اجتماعاً من أجل هذا الموضوع. وقال للمجتمعين آنذاك:

أيها السادة: إذا كنا نملك طريقاً للخلاص.. فستتبّع ما قام به العثمانيون قبل مئات السنين.. وهي الدبلوماسية.

وقتها كان الوزراء والمساكر قد أصفوا إليه وفي كل عين من عيونهم مئة سؤال. كنت تقرأ في وجوه الجميع عدم التصديق.

أكمل رئيس الوزراء كلامه: "الم تقرؤوا التاريخ؟ عندما وصل الروس حتى يشيل كوي/ (حي من أحيا إسطنبول) ما القوة التي ردتهم إلى أعقابهم؟ إبراهيم باشا بن كافالالي محمد علي باشا.. هذا البasha الذي انتصر على ثلاثة جيوش ووصل حتى مدينة بورصة/.. ماذا كانت تلك القوة؟

قام أحدهم وتحدى بسرعة: "الدول الغربية يا سيدي.. كانوا لا يريدون سقوط الدولة العثمانية المريضة الضعيفة. لأن ذلك كان ضد مصالحهم.

قال طيب أردوغان: "نعم هذه الأراضي تملك من الأشياء الإستراتيجية الشيء الكثير. لا ترضى أية دولة كبيرة أن تكون حاكمة على هذه البلاد بمفردها".

فتح وزير العدل يديه بشيء من الضعف وقال:

- ولكن الشروط مختلفة هذه المرة يا سيدي. الولايات المتحدة الأمريكية.. هي الدولة الوحيدة القوية في العالم.. والاتحاد الأوروبي ليس في مكانة يستطيع مجابتها.. ونحن بالأصل علاقتنا معه ليست على ما يرام. إنكلترا وكما في كل مرة تدعم الولايات المتحدة. روسيا تحاول أن تُرضي مصالحها الاقتصادية. وبالأصل فإن الولايات المتحدة بنت لها قاعدة كبيرة في /أذربيجان/ أما الصين فليست جاهزة لتقابلها وجهًا لوجه.. لا تتحرك إلا رويدًا رويدًا

قذف طيب أردوغان التقرير فوق الطاولة وقال:

"كتير كويس وإذا ما عرفوا ماذا كتب في هذا الملف؟ وإذا ما أرادوا هذا البلد يقع تحت أنفاس الأميركيكان بمفردهم".

وضع يديه فوق الطاولة ونظر في عيون الجميع وقال:

- الطاقة المستقبلية موجودة في أراضينا. أمريكا تريد أن تحافظ على مستقبلها من حيث الطاقة الأرضية والتكنولوجية الفضائية وتركيا بمفردها تملك من معدن /البور/ الثمين من ٧٠ - ٨٠٪ من احتياطي العالم.. وكما تعرفون البترول لم يكن في بلد واحد والاليورانيوم كذلك. ومع هذا بنت سياستها العدوانية ومنذ سنوات طويلة على القوة والبطش والسيطرة على بترول العالم. ولكن البور بيد دولة واحدة وهي تركيا. ولهذا السبب فالدولة التي ستسيطر على هذا المعدن معناه تسيطر على العالم كله".

نظر الجميع في عيون بعضهم وبريق الأمل تلمع فيها:

- "نعم إن أمريكا دولة قوية وذات قطب واحد.. ولكن إذا استطعنا شرح مشروعنا السياسي هذا للأخرين فيستطيعون الوقوف في وجهها مجتمعة". وانتهى الاجتماع وهم في غاية السرور. وتم إرسال تقارير سرية إلى كل سفارات تركية في الدول الكبيرة وطلب من السفراء أن يقدموا التقرير للإيليا في كل دولة مثل رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية. وبعد أن تم تسليم التقارير اتصل طيب أردوغان مع كل المعنيين في تلك البلدان بالهاتف.

النتيجة...

صمت!!

وضع طيب أردوغان رأسه بين يديه.. كان يشاهد المناظر المروّعة في النصب التذكاري... جثث الناس هنا وهناك. فكرَ بيته وبين نفسه: "لماذا لم يتحركوا حتى الآن؟"

بعد تقديم التقرير إلى تلك الدول... لم يصدر منها أي صوت على الإطلاق.. لا من فرنسا ولا إنكلترا ولا إيطاليا ولا ألمانيا ولا الصين ولا اليابان ولا روسيا ولا الهند. ربما أخطئوا في هذه الفكرة. ومن خلال هذه التقارير أوضحنا لهم الأهداف التي دعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى احتلال تركيا.

وربما فكروا على عكس ذلك.. أن يتم سحق تركيا كليةً من الوجود ومن ثم يلعبون أوراقهم وفق مصالحهم وبطريقة صحيحة.

مثلًا باستطاعة الروس والصينيين مهاجمة /казاخستان/ والحصول على معدن /البور/ الموجود هناك.

تمت في نفسه: "أنا عملت اللي بآيدى".

ألف عام من التاريخ التركي في الأناضول. هل كان سينتهي في عصره هو؟ وقف على رجليه بغضب، بعصيان كان يُمزق أعماقه وقال: صارخًا:

- "لاتصل هاتفيًا وللمرة الثانية مع هؤلاء الأشخاص."

٢٨ - ٢٠٠٧ . أيار ١٩٠١ . الساعة

- أنقرة-

٥٠ حكم إلى الجنوب من /بولاتلي/

كانت الفرقة الأولى الخيالة المدرعة على وشك أن تتحرك كي تكمل العملية. أما الفرقة الميكانيكية الرابعة لل المشاة فكانت تتضرر كي تأخذ وضعيتها لإنتمام العملية. كانت الوحدات الأمريكية في قلب تركيا الآن. أما عربات /هوموا/ التابعة لفرقة المشاة الرابعة قد شوهدت في موقع متقدمة جداً.. يقومون بعملية استطلاعية في الأعماق التركية. أما فوج الخيالة الثالث.. فكان قد خسر قسماً كبيراً من قوته.. وأرسل بعضاً منه إلى منطقة /غازي عنتاب/ ولهذا السبب بقي هذا الفوج ضعيفاً مهزوزاً ويمكّن الاستفباء عنه. وكذلك لم تكن باقي الوحدات أفضل شأنها من ذلك الفوج. كانت القوات الأمريكية في حالة شديدة من الإنهاك والإرهاق الشديدين. وفي حالة نفسية سيئة جداً.. كانت أخبار الخسائر تتواتر في كل لحظة.

عقد الجنرال /هاري في جاكسون/ قائداً لفرقة المدرعة الأولى. اجتماعاً طارئاً مع قيادة اللواء والضباط الإداريين وذلك في مركز قيادة اللواء. حيث اصطفت أربع عربات مدرعة من طراز /برادلي/ وشكلت ساحة على شكل قوس. كان هنا الفراغ هو مركز قيادة اللواء الآن. كانت الفرقة قد دخلت عدة معارك طاحنة حتى مجئها إلى هنا. كانت ثياب الضباط والعساكر مغطاة بالغبار والوحول والتراب.

كان /هاري في جاكسون/ جندياً ممتازاً وهو متخرج من جامعة /Seattle/. وكان يملك من الأوسمة والنياشين وشهادات التقدير في كل مرحلة من مراحل خدمته في الجيش الأمريكي. وكان في الثالثة والخمسين من عمره.. وبما أنه تواجد في تركيا لمرات كثيرة.. كان يعرفها جيداً. عندما بدأت العملية سيطرت

عليه بعض المشاعر الغريبة. الأماكن التي زارها في الماضي.. كان الآن مع دباباته ومدرعاته يعيث فساداً في هذه الأرض وقريباً من أنقرة التي زارها عشرات المرات. كان الجميع منفعلاً وفي حركة دائمة. لأنهم كانوا يخاطبون الـ **CENTACOM**/ مركز القيادة في العراق. حيث يأخذون منهم التعليمات والأوامر الجديدة ويقدمون لهم التقارير. ولهذا السبب كان مجبراً على الرد على المواقف التي كانت تأتيه تباعاً أثناء الاجتماع.

أشار هاري في جاكسون / وبحدة بيده إلى جندي الاستخباراتي الذي كان معهم ليترك الاجتماع. عندما خرج العسكري وقف على رجله ونظر نحو بلدة /بولاتلي/. عندما يُنظر بمنظار جيد يستطيع رؤية جنود الأتراك وهم يحفرون الخنادق. ولكن يجب أن يكون الجميع على علم بأن هذه الخنادق لا تستطيع أن تعيق تقدم العدو بأي شكل كان. هذه الخنادق كانت مرآة لحرب طاحنة ستقام في تلك المنطقة.

تحدى بصوت حاد وكأنه يصرخ: "احتلال أنقرة لن يكون صعباً في الوقت الذي سندك فيه المدينة من الخارج.. ستفتح ثفرات كثيرة في خطوط دفاعهم... وبنتيجة الفوضى التي ستتسود الخطوط.. سيتحطم ترابط الخطوط وعندما سيكون الجو مناسباً لتدخل الفرقة /١٠١/ للإنزال الجوي.

- "كم سنشق بالغارات الجوية يا سيدى"
هذا السؤال جاءه من نقيب قائد إحدى الفصائل.

قال هاري في مبتسمه: "بقدر الكفاية، الغارات الجوية ستفتح الطريق أمامنا تماماً. وكما هي العادة.. نحن سنظل مشغولين بالجزئيات والتفاصيل و/١٠١/ ستضرب الضربة الأخيرة.. في هذه الأثناء ستعتمد الفرقة الميكانيكية لل المشاة إلى ترسيخ الأمن من خلفنا وستدعم القوات الأخرى عند الحالات الضرورية"

قال العميد، جون فلوبارت / القائد الثاني في اللواء:

- "معارك المدينة ستكون صعبة يا سيدى"
- "معارك المدينة من شغل الفرقة /١٠١/ .. نحن لن نقدم سوى الدعم الدباباتي.. ولكن سنخسر كثيراً منها.. الأتراك سيقاومون بشدة. طبعاً لا يوجد أي

شك في أننا سنستولي على مدنهم. إن الغارات الجوية تتبع لها طابعاً غريباً.. مثلاً ضرب قبر مصطفى كمال..

- إننا نتبع استراتيجية مختلفة وهذا واضح من هذا ...

بعد أن قال هذه الكلمات تذكر زيارته إلى النصب التذكاري. وتذكر الإعجاب الذي لفه عند دخوله إلى ذلك المكان.. كان قد أحس نفسه قزماً.

دام الاجتماع طويلاً. كان لا يُمزق صمت الليل وظلامه سوى تحركات الدبابات التي كانت تأخذ لها موضع. وانفجارات القنابل التي كانت تنزل على أنقرة. وكان شدة المعارك قد خفت بعض الشيء. كان الجيش الأمريكي قد توقف لتحليل حركاته وفي الوقت نفسه يقوم بالتحضيرات لشن الهجمات ثانية. كانوا متقطلين كثيراً في عمق الأراضي التركية. وهذا بحد ذاته كان وضعية أو موقفاً خطيراً في شروط الحرب: كانوا قد انتصروا إلى حد ما بفضل قواتهم الجوية.

كان التكتيك الحربي الأمريكي قد أظهر حقيقة للعيان وهي: إذا ما دخلت آية دولة في حرب مع أمريكا يجب عليها تقبل كل الخسائر وإخراج نظامها الأمني والإستراتيجي من دائتها. ذلك من قوة وضخامة قواتها الجوية الضاربة. يجب على النظام الحاكم أن يُفرغ نفسه من نفسه حتى يخلص نفسه فيزيائياً. ويتحول إلى نظام قابع تحت الأرض. وكانت هذه الحقيقة قد تحولت بشكل عام إلى منطق مروري للجهة المضروبة.

ولا تستطيع آية قوة أن توقف الدفع الأمريكي وتقدمه إلا بحرب العصابات والشوارع. وكان / هاري جاكسون / يرى أن هذه القاعدة ما زالت تعمل.. وصار كما أراد.

بفضل الدعم الجوي. كانوا قد صاروا قربين من أنقرة.. والخسائر التي منوا بها تعتبر قليلة بالنسبة للانتصارات الكبيرة: ٨٥ دبابة من طراز / M1A2 / و ٦٥ عربة مدرعة من طراز برادلي.

أما خسائرهم من الجنود.. كانت ١٤٣٠ جندياً ميتاً. وأكثر من ٢٠٠٠ جريح. أما اللواء التركي المشهور والمتوارد خارج البلاد وهو اللواء ٢٨ الميكانيكي قد

أظهر مناعة ومهارة بشكل كبير حيث حاصر اللواء الثاني المدرع للقوات الأمريكية وذلك بمناورة تكتيكية رائعة وضرب أكثر من عشرين عربة مدرعة من طراز /ستريكر/ أما الخسائر الأخرى فكانت كبيرة من حيث الموتى، الجرحى: وكان الجيش الأمريكي وللمرة الأولى قد أبطل مبدأه الداعي إلى عدم ترك جثث القتلى من الأمريكيين في أرض المعركة. وبقيت عملية جمع الجثث على عاتق الجنود الأتراك. ولكن اللواء الميكانيكي ٢٨ من الجيش التركي قد تم قذفه بعد هذه المعركة من قبل طائرات B52 الأمريكية وبكثافة. حيث شُرِّقَتْ. وكانت القوات الأمريكية المتقدمة تتقابل بين وقت وآخر بمقابر الدبابات التركية. أما القوات الخاصة التركية /كوموندو/ قد ردت على أعقابها من قبل عربات المدرعة الأمريكية من اللواء الثاني وبوساطة الصواريخ المضادة للدبابات TOW /ولهذا السبب كان تقديم الفرق الأمريكية لم يتوقف مع نيلها كثيراً من الخسائر.

لم يكن /هاري في جاكسون/ يريد الانتظار أكثر من ذلك. لأنه كان يعرف بأن الوقت مهم جداً بالنسبة لأنقرة والدفاع عنها. لم يكن يريد إعطاء هذا الوقت للأتراك.. كان سيقوم بالتحرك في اليوم التالي مباشرة لينهي هذا الأمر. والحقيقة لم يكن أحد يستطيع الاعتراض عليه.

٢٨ آيار . ٢٠٠٧ . الساعة ١٠،١٥
. إستانبول .

كانت أمل تمام فوق سريرها دون حراك. جامعة رأسها بين ركبتها. ويفضلقطن الذي وضعته على أذنيها كانت لا تسمع صوت الطائرات ولا انفجارات القنابل. كانت أعصابها قد انقلبت رأساً على عقب من شدة القنابل التي لا تعرف التوقف والانهاء. وبما أنها تأخذ كثيراً من الحبوب المهدئة للأعصاب. كانت لا تستطيع الوقوف على رجليها.. مع أن التوصل إلى الحبوب صار صعباً جداً ومستحيلاً. يجب أن تتحرك من سريرها وتخرج من البيت. لأن الخبز كان يوزع في أوقات معينة. وال محلات تغلق أبوابها بعد الظهر. كانت الأفران تعمل بين الساعة الثامنة إلى العاشرة صباحاً.

خرجت من لسرير بصعوبة بالغة.. كانت رجلاتها تسحبانها نحو الخلف.. أسدلت رأسها إلى زجاج النافذة ونظرت إلى الشارع بعيونها الفارغتين. المارة قليلون جداً. رأت عدة أشخاص يتوجهون نحو الفرن بخطوات سريعة مركزين عيونهم نحو السماء. وهم في حالة شديدة من القلق والاضطراب.

لم تكن الحرب قد ضربت بعد إستانبول مثل المناطق الأخرى. كانت الغارات الجوية تتراهى بشكل كثيف جداً. ولكن الأماكن المضروبة هي الثكنات والمواقع العسكرية فقط. كانت الثكنة السليمة قد دُمرت تماماً. وبنية الثانية العسكرية في /مكولي/ قد صارت شقين.. وكانت بعض الأحياء قد تعرضت لبعض القنابل عندما كانت السفن تضرب /البوغاز/.. إلى جانب ذلك كله لم يكن التيار الكهربائي مقطوعاً وكذلك المياه.. كانت الطائرات الأمريكية لا تضرب البنية التحتية للمدينة. كان الناس يتلقون أخبار الحرب عن طريق التلفاز. بالأصل لم يكن لهم عمل آخر يقومون به. طوال النهار أمام التلفاز. يشاهدون القوة التي لا تستطيع أي إنسان أن يتحملها ويقابلها. يشاهدون ويستغربون. كانت دمة

فتاتان تزوران أمل بين وقت وآخر. وهم زميلاتها في العمل. كانت هاتان الفتاتان قد بقيتا عندها ليلتين.

كان النظام المصري قد توقف. أما نظام البطاقات فكان يعمل. البيع والشراء إلى حرب ما شئال.. ولكن الأمر كان صعباً بالنسبة لأصحاب محلات. لأن الصادرات كانت قد توقفت تماماً والموظفون لا يأخذون رواتبهم. توتر غريب يضيق على المجتمع بسرعة زائدة. ولكن لا تستطيع أن تسميه سقوطاً تاماً.. لأن الحرب كانت قد بدأت منذ يومين أو ثلاثة فقط. تعاملات الدولار كانت بيد العسكري فقط. والمصانع الحكومية كانت تعمل على مدى أربع وعشرين ساعة وبكل سرعتها وطاقتها.. حتى إن بعض العامل الخاصة المهمة كانت قد أدمت أو صارت بيد الدولة. معامل الأغذية كانت تعمل تحت إشراف عناصر الجندمة.. كانوا يعطون العمال بدلاً من الراتب أغذية ووقدواً.

غطت أمل ظهرها بخرقة سميكة وخرجت إلى الشارع. استفريت من الهدوء السائد لعدة دقائق.. الناس كانوا متواضعون لشراء الخبز في الدقيقة نفسها.. الجميع كانوا يهرون نحو الفرن.. وثمة ذيل طويل قد تكون عندما وصلت أمام الفرن غطت وجهها علامات التشاؤم بقيت بعض دقائق هكذا.. كانت تفكير الخلاص من الدور.. ولكن عندما نظرت في عيون الواقفين. عرفت أنه من غير الممكن أن تفعل ذلك.

ثمة يد بدأت تمسح الرطوبة عن زجاج الفرن... وتراءى لها الماسح على شكل صورة ضبابية. كانت لا تحظى سوى زوج من العيون تبرقان أو تلمعان. ثم .. وكان الصورة قد أشارت لها بيدها "تعالي / ثمة فرح عابر غطى أعماق أمل، ابتسمت للولد الفران.. في لحظة واحدة كانت ثمة راحة قد لفت قلبها.. ما أجمل هذا الشيء... الخبز صار مضموناً. وكان عندها متسع من الوقت.

يجب أن تستغل هذه الفرصة.منذ وقت طويل لم تزر شارع الاستقلال. مشت ببطء.. كان الناس قد رموا بأنفسهم إلى الشارع.. وكما هي العادة كان شارع الاستقلال مزدحماً.. آلاف من البشر يدورون هنا وهناك.. كانوا منهكين.. وصامتين وكأنهم قد كبروا وصاروا يفكرون بعقلانية شديدة. هكذا كانوا

يتراون.. مشت حتى نهاية الشارع.

كانت بعض المحلات مفتوحة وبعضها الآخر مغلقاً. همة أشياء كثيرة على الواجهات.. لا تختلف شيئاً عن جو ما قبل الحرب وكان الزمن قد جمد في تركيا. همة طاقة غريبة كانت تتوزع بشكل سري إلى عروق البلد المدنية. تسممها طاقة لا تشع ولا ترحم أبداً. كان الناس لا يلاحظونها. سُمٌّ خاص صنع من أجلهم.. يمسحهم بالنظام الذي يجمعهم ضمن قالب واحد.

كان هذا السم قد بدأ فعله منذ وقت طويل.. صنع وجّهَّز بعد تحليلات معمقة ووضع قيد التطبيق.. الكريزات الاقتصادية، ومشاكل الأقليات وغسل دماغ الشباب والبرمجة الجديدة والآليات الخيالية التي كانت تطبق لرفع معنويات القتال في روح المجتمع. كلها وُضعت رويداً رويداً في إحدى الزوايا وجعلت من المجتمع كله لا يعرف اتجاهها له. وحتى منعوا من التوجه إليه.

بدأت أمل تمشي نحو ساحة التقسيم قادمة من جهة ثانية /غلطة سراي/ وكانت تمشي فوق خط الترامواي الذي لا يعمل. كان عقلها مليئاً بآلاف الأفكار بحيث أنها أصبحت لا تقدر على التفكير. تأخرت بعض الشيء عن سماع الضجيج الذي كان يملأ أذنيها في هذه اللحظات ولم تقدر أن تفرقه عن باقي الأصوات التي كانت تسممها. نظرت نحو السماء بعينيها الفارغتين. أحسست بأن طائرة لم ترها تحلق في مكان ما من السماء. وكان هذا الصوت الغريب يزداد باضطراد. يشبه صوت جسم يتقدم بسرعة وهو يُمزق الفضاء.. كل الموجودين في الشارع رفعوا آذانهم نحوه. كان الزمن قد بدأ بسحب الجاذبية رويداً رويداً.

خمسة.. أربعة.. ثلاثة.. اثنان.. واحد.

انفجار قوي يضمُّ الأذان أحسوا بأن ضوءاً كثيفاً صادراً بقوّة بين الأبنية وبقوّة الانفجار تهافت زجاجات واجهات المحلات على امتداد الشارع دفعة واحدة. ومن كلا طرفي الشارع.. مئات المحلات ومئات الواجهات. آلاف الألواح الزجاجية تناولت على الأرض وفي كل مكان.. حيث تحول المشهد أمام الناس إلى موجة كبيرة من البطلولات الزجاجية.

وكأن الشارع وللحظة صغيرة قد لفَّ بطبقة من الضباب أو الدخان" دام لعدة

ثوانٍ فقط ولكن تم حفظه في ذاكرة الناس حتى يوم القيمة. عندما أزيلت الستارة الضبابية التي تكونت من الطول الزجاجي تكون مشهد يختلف كل الاختلاف عن المشاهد الأخرى... كان الناس الذين يسيرون على شارع الاستقلال قد تكونوا فوق بعضهم بعضاً كانت الأجساد كلها قد صبغت باللون الأحمر.. وليس بالإمكان أن تفرق واحداً منهم عن الآخر... وكما هي وجوه واحدة وشخصية واحدة... حتى ألوانهم صارت واحدة.

وبما أن أمل قد تأثرت بالانفجار.. فقد رمتها القوة الفجائية نحو الخلف كانت على بعد من المطر الزجاجي.

ومع هذا كانت الدماء تتزلف من الجراحات التي تكونت في أنحاء جسدها. وعيها رد المشاهد المتكونة أمامها.. لو وعى ذلك كانت قد جُنِّبت.. جلست على الأرض وبدأت تنظر أمامها بنظرات لا معنى لها ولا مفزي.. حاولت وبقوه أن تلقي نظرة إلى أطرافها وجسدها. كان كل مكان في جسدها يتقطر آلاماً ودماء.

أما الذين استطاعوا الحراك من داخل حمام الدم.. بدؤوا بالبحث عن أقربائهم بين كومات البشر.. كانت ثمة مرأة لا أمل لها أمامهم.. منظر مرسوم من الكوايس الحقيقية.. كان أحدهم لا يبعد عنها كثيراً.. يحاول جاهداً الوقوف على رجليه وساقيه اللتين بقيتا سليمتين فقط.. بين ذراعيه وشرابينه كانت تتدلى على جبال من الدم والاحمرار.

امرأة تدور هنا وهناك تترنح، تسقط فوق الأجساد الإنسانية. ثم تقف ثانية وتمشي.

وامرأة أخرى، صارت عمياء، وصماء، جالسة على الأرض لا تستطيع الحراك.. كانت ثمة مشاهد تعيش هنا وهناك.. لا يستطيع المرء أن يصفها بأي شكل كان.. رفعت أمل رأسها نحو الأعلى.. كانت الطوابق العليا للبنيات قد اشتركت في دعم الهطلات الزجاجية أيضاً.. والقراميد التي كانت تهوي تباعاً قد تحولت في لحظة إلى هطلات حجرية.. كانت هذه القراميد تنتظر أو تحرس الأجساد التي قضت على أرواحها.

كانت بعض الحرائق قد ظهرت في الطوابق العلوية لبعض العمارات ولأسباب

مجهولة. كانت غيمة كثيفة وكبيرة من الدخان قد بدأت ترتفع نحو السماء في الجانب الذي يربط شارع الاستقلال بشارع /جيها نفير/.. ولكي يرى الإنسان الهدم تماماً كان عليه الصعود نحو الأعلى.. / أو النظر من الأعلى/. وشمة ضفت غريب خرب الأزقة الداخلية بشكل مثير ومن عدة زوايا.

لم يكن بمقدور أي إنسان معرفة الزمن المنقضي.. بدأ الناس يسمعون صوت صفارات الإنذار.. واشتراك صوت الطائرات ثانية بصوت الإنذارات. وسمعت عدة انفجارات قوية من مكان لا يبعد عنهم كثيراً.. ولكن قوة تلك الانفجارات لم تكن توازي قوة الانفجار الذي حصل هنا. الناس في موقف من الجمود والذهول.. لا يأبهون لأي شيء حاصل في مدارهم. كانت الطائرات التي أرسلتها الـ/CENTCOM/ فوق سماء إسطنبول تلول وتتعجب وتصرخ في الأجواء تrepid ضرب النفوس وتزرع الرعب بين الناس.. كانت هذه الهجمات تعد الموجات الأولى لحرب نفسية تغزوها الطائرات الأمريكية.

ثمة انفجارات كبيرة حصلت فوق جسر /بوجازايجيبي/... وانشطر الجسر إلى قسمين. وبقي واقفاً دون أن ينهار. ولكن صار في وسطه فراغ كبير يُقدر بعشرين الأمتار.

اما جسر الخليج.. فكان يتدلّى بعد أن تحول إلى عدة قطع سوداء فوق البحر.. وشمة حريق ضخم حدث في الأحياء القريبة من الخليج. كان الناس يجررون ويسرعون نحو الساحل.

كانت الأشجار الكبيرة الكائنة في حديقة /ماجكا/ تحرق بشكل مثير للانتباه. اللهب الذي كان يصعد نحو السماء وبارتفاعات هائلة.. كان ينشد نشيداً حزيناً من أجل إسطنبول. أما صالون جمال رشيد بك فصار نصفين.. كانت عربات الإطفاء قد تخلصت من هذه الغارات لأنها كانت في الخارج. ولكن المركز قد سوى مع الأرض تماماً.

كانت ثمة حرائق تصدر من البناءات الكائنة على ضفة /اليوغاز/ هل كانت بعض الصواريخ قد أخطأت أهدافها يا ترى؟

اما حي /لفت/ المشهور بناطحات السحاب قد شكل بالنسبة لإسطنبول هماً

آخر.. لأن ناطحات السحاب قد انهارت كلياً وصارت مع الأرض. وفي بعضها الآخر.. كانت الحرائق تتسلل. وكانت إحدى الأبراج قد مالت واستندت إلى برج آخر.

كانت الانفجارات التي تضم الأذان لا توقف أبداً.. وكان القوات الجوية الأمريكية قد وضعت البشر في إسطنبول داخل جسم معدني كونيكي. تحاول جاهدة غسل دماغهم. كان الجميع قد فروا إلى منازلهم. ولكن لأول مرة كانوا لا يحسون بالأمان حتى داخل منازلهم. ولهذا السبب كان الجميع قد نزلوا إما إلى الملاجن أو إلى الطوابق الأرضية.

CNN انترناشيونال

بدأت غارة جوية ضخمة على إسطنبول. لم تصدر رأية تصريحات بعد. ولكن إسطنبول تتعرض إلى أشرس وأقوى غارة جوية في تاريخها. مدة العملية غير معروفة. انقطعت المياه في المدينة بعد غارات دامت أربع ساعات. والمرور توقف كلياً. الطرق والجسور كلها خربة وتعرضت لخسائر كبيرة.. والمعلومات تؤكد بأنه ثمة مدنيين كثيرون فقدوا أو ضاعوا أو ماتوا.. وأنير سماء المدينة بقدائف المدفع المضادة للطائرات التي تخرج من أماكن شتى من المدينة. والمعلومات تؤكد أيضاً بأنه ثمة حرائق كثيرة قد حصلت من ماس كهربائي لعدم انقطاع الكهرباء في المدينة. وقد صرّح المسؤولون في /البنتاغون/ بأن عدم انقطاع الكهرباء في المدينة له دليل هي على تخريب نظام الدولة آلية عملها. ردود أفعال كثيرة تأتي من جميع أنحاء العالم وهناك مئات من الأحداث التي سببها الأتراك في كل أنحاء العالم.. وتم القبض على الكثيرين منهم... حيث عمدت مجموعة من المسلمين الأتراك إلى الإغارة على مخفر للبوليس في مدينة /دنفر/ وقتل ستة من البوليس. وجرحت خمسة منهم. وفرَّ المسلمين الأتراك بعد ذلك من المكان.. والبوليس يبحث عنهم... حيث دخلت مجموعات كبيرة من الحرس الوطني الأمريكي إلى مدينة دنفر وتركزت في بعض النقاط المهمة من المدينة. وقد عقد الأمين العام للأمم المتحدة السيد /أيوشيم سويفاك/ اجتماعاً مع الممثل التركي في الأمم المتحدة السيد /أيتلا سيراك/. وذكر له بأن المناقشات تجري دون توقف مع الأمريكية كي

يوقفوا الحرب على تركياً.

لم تكن أمل تعرف كم بقيت هناك. كانت أطرافها معلوّةً بسيارات الإسعاف وأخرى مشابهة لها. ولكن لم يكن أحد يساعدها.. ويظهر من هذا الشيء أن وضعها ليس سلبياً.. عندما نظرت إلى الحالات التي كانت تمر قريباً منها أيقنت أنها على حق في تفكيرها. وبما أن طريق الشارع مقطوع بعمارات كبيرة.. لم تكن تستطيع رؤية أي شيء. ولكنها كانت تسمع صوت الانفجارات الكبيرة والمرعبة.. حاولت الوقوف على رجلها وكان لها ما أرادت ولكن بصعوبة بالغة.. كانت تحس بدوران في رأسها وغثيان في معدتها. لا تقدر على الذهاب إلى المنزل وهي في هذه الحالة كانت تخاف أن يُفعى عليها في كل لحظة.. وفي اللحظة نفسها تماماً.. امسكت ذراعها بدّ وبشدة... ونظرت إلى الخلف دون إرادة منها.. ثمة شخص مدنّي طويل عريض يقف أمامها. رأت بندقية أوتوماتيكية من هاركينا /كلانشنكوف/ تتدلى من كتفه. وكان ملتحياً.. كانت الضحكة تنفجر من بؤبؤ عينيه وثمة ابتسامة حزينة ترسم على شفتيه. ويتصرف وكأنه يعرفها منذ وقت طويل. أما هي لم تعرف إليه.

بدأت المشي وهي تستند إلى ذراع المسلح المدني.. كان الرجل يأخذها نحو منزلها. فكّرت أمل في نفسها: يجب أن يكون عارفاً مكان إقامتي.

مرا بخطوات خفيفة من بين الزحام والفوضى والاضطراب.. صارا شاهدين على هذه المناظر المرعبة. مع عودة الوعي إليها رويداً رويداً بدأت أمل تحس بأبعد هذه الغارات والانهيارات والانقضاض. لأول مرة ترى مثل هذه الهجمة منذ بدء الحرب. وربما كانت هذه الغارات هي الخطوات الأولى لل العاصفة الرهيبة. ويدون أي شك. كانت الحياة ستتصعب أكثر فأكثر بعد هذه العاصفة الصغيرة. وهذه هي الغاية المنشودة لهذه الهجمات: جعل الحياة صعبة.

عندما وصلت إلى حارتها.. انفتحت عيناهما بالدهشة والاستغراب بما أن حارتها تقع فوق هضبة مرتفعة.. كانت إسطنبول على مرأى نظرها.. كانت الأدخنة السوداء الكثيفة قد غطت سماء المدينة. استطاعت رؤية مجموعة كبيرة من النقاط في السماء.. الطائرات لا تعرف أهدافاً محددة. جاءوا إلى البيت.. كانت

الزجاجات محطمة. ولكن الاحتياطات التي اتخذتها أمل تجعل الزجاجات تتبعثر في جميع أرجاء المنزل.

وصلا أمام الباب. بعد بحث طويل عن المفتاح.. دخلا المنزل.. أخذها الرجل دون أن ينطق بكلمة واحدة إلى الصالون وساعدها على التمدد فوق الصوفة.

- "معك أي شيء؟"

- "لا أبداً. فقط عدد من الجروح. أعتقد أنه لا يوجد شيء مهم. وبالأصل إذا ذهبت إلى المشفى وأنا في هذه الحالة يطردونني من هناك"

ابتسم الرجل ابتسامة فيها دفء وآمان وقال:

- "ربما يجب أن تذهب إلى هناك للمساعدة.. إذن انتظريني بعض الوقت سأجلب لك بعض الخبر."

وخرج من البيت بسرعة دون أن يقول شيئاً. كانت أمل قد أحسست بالاستغراب.. هذا هو الرجل الذي رأته صباحاً داخل الفرن من خلف الزجاج الضبابي والذي هز يده لها.. تذكرت الحرارة التي كانت تصدر من داخل تلك العيون.. مدت رأسها من النافذة وصرخت.

- "لا تأتِ بأي شيء.. ثم إنني سأذهب إلى المشفى".

عندما نظر الرجل إليها هزّ لها يده وابتسم وقال:

- "من أجل المساعدة".

في لحظة واحدة أضيئت الفرقة فجأة.. كانت الكهرباء قد قطعت لفترة وجيزة وعاد التيار ثانية. فتحت التلفاز. كان على الشاشة صحفي طال شعر ذقنه وانتفخ تحت عينيه، كان يحاول التعليق على بعض المشاهد التي كانت **الكاميرات** قد صورتها.. والحقيقة لم تكن المشاهد من النوع الذي تحتاج إلى تعليق. رأت في وجه الصحافي نظرات مملوءة بالرعب والخوف.. وكانه يريد أن ينتهي هذا الكابوس في لحظة قريبة جداً.. كان صوته يصدر من أعماقه متقطعاً.. كان يتحدث ويؤكد أن باستطاعة تركيا أن تعدد اتفاقاً مع أمريكا وتوقف الحرب.. إذا ما تمت الحركة الصحيحة، بالتأكيد تعمد الحكومة الأمريكية إلى تصحيح علاقاتها مع الأتراك.. أحسست أمل بالغثيان ثانية.. وفي الوقت الذي كانت فيه تقوم

من أمام التلفاز، وإذا بمشاهد أخرى ظهرت على الشاشة.
كان وزير الخارجية على الشاشة. استفريت أمل فجأة.. كانت هيئته نظامية وثيابه لطيفة ورائعة. كان معه بعض الدبلوماسيين الأتراك. كانوا يجلسون داخل غرفة وإلى جانب بعضهم بعضاً.

كان هذا المشهد مأخوذاً عن محطة CNN إنترناشونال.
إلى أسفل الشاشة. كانت قد كتبت هذه الكلمات:
Turkish Ministen in Custody
فلashes الكاميرات تلمع في أرجاء الغرفة... وكان ثمة موظف مدني يعطي بعض المعلومات لمسؤول عسكري.

قررت الكاميرا وجه عبد الله غول / عبد الله غول / على طول وعرض الشاشة. كانت علامات الغضب المفروزة على وجهه تظهره مرعباً. وبالاصل كان المسؤول المدني يحاول البقاء بعيداً عنه بقدر المستطاع. كان يتذكرة بوجهه المتسم على الدوام. امتدت الكاميرا نحو مساحة خضراء .. وأظهرت الميكروفون الذي كانت تتحدث فيه وزيرة الخارجية الأمريكية / كونديزاري / .. كانت الأخيرة تجيب عن أسئلة الصحفيين.

- لا.. لا نفكّر الآن بمحاكمتهم.. ولكن الحكومة التركية مذنبة أمام عيوننا.. لأنهم هجموا على جنودنا وقتلهم. ولأجل هذا السبب لا أعطيكم الضمان لمحاكمتهم.

- "أين هم الآن مأسورون؟ وهل ستقولون شيئاً حول هذا الموضوع؟"

- لا.. لن نفعل هذا الشيء للحاجة الأمنية.. ولكنهم ضيوف عندنا."

عادت المشاهد الثانية إلى تركيا.. كانت ثمة مشاهد تسيل عبر الشاشة من بعض الكاميرات الموضوعة في عدة نقاط من إسطانبول. أما الفارات الجوية فلم تكن قد توقفت حتى لحظة واحدة.. وكان التلفاز يعرض القنابل التي كانت تنفجر في الأحياء السكنية. حيث كانت إسطانبول تحترق بكل معنى الكلمة.

ثم بعد ذلك ظهرت قاعدة / أنجيлик / الأمريكية في تركيا. كانت أمريكا قد فرّغت هذه القاعدة بعد عام واحد من الانتخابات العراقية. وبعد الفارة الجوية

التي ضربت مدينة / أضنة / كان الشعب قد هجم على هذه القاعدة وسلب الأشياء الموجودة فيه والتابعة للأمريكيين.

CNN أنترناشيوнал:

"القوات البرية الأمريكية على أبواب أنقرة.. يجهزون أنفسهم لمعركة شوارع كبيرة وقاسية. وصرّح أحد المسؤولين العسكريين الأتراك وهو برتبة عميد، بأن أنقرة ستكون قبراً للقوات الأمريكية".

خرجت أمل بسرعة من البيت بعد أن وضعت شيئاً ما على ظهرها، كانت تريد الذهاب إلى أقرب مشفى لتقدم المساعدة التي يطلبون منها.

٢٨ .٢٠٠٧ .الساعة ٢٠١٥

- واشنطن -

كان /كوكمان/ قد تحول إلى ما يشبه الوحش /المكتب/ منذ رؤيته للنصب التذكاري الذي سُوي مع الأرض. وكانت يده اليمينى ما زالت توله بعد أن لكم سقف السيارة بلحمة قوية من شدة غضبه.. كان قد وصل إلى واشنطن بعد سفر دام يومين دون توقف. وها هو الآن في واشنطن منذ ساعتين أو ثلاثة. ولكي يخلص نفسه من المراقبة الشديدة. كان قد تصرف بكل دقة وحنكة شديدين.

وكان قد اختار أحد الكهوف الموجودة في إحدى الحدائق العامة في واشنطن.. انتظر ساعات طويلة موعد منتصف الليل حتى يذهب ويبرمي القنبلة.. وفي هذه الفترة. أخذ وقتاً طويلاً من الاستراحة والهدوء.

بالأمس عندما كان في مدينة /نيويورك/.. عمد إلى وضع نسخ من المشاهد التي صورها في صناديق بريد وكالات الأنباء العالمية أو في مكاتب استعلاماتهم. طبعاً كان تصرف بحذر شديد وهو يصور نفسه يضع للقنبلة.. بعض من المكياج وستر الوجه بحيث لا يعرف من قبل الآخرين. كانت المشاهد ببساطة موجهة للمسؤولين والشعب الأمريكي.

مفادها: إذا لم تسحب أمريكا قواتها من تركيا فمدىهم ستعرض للأذلة المنطارية/٦ (الفطرية)

وكان قد صور نفسه ومن خلفه منظر من مناظر مدينة نيويورك كي يؤكد أنه موجود فيها.. كان تمثال الحرية يظهر من يمينه والمحفظة على ظهره.. وتحده بأن طلبه وما يرونه جديان.. وإنه يملك قنبلة نووية.

منذ الساعة الأولى كان يفكرا باستعمال هذه القنابل للرد على العدوان أو

ليكون رادعاً وكان الانفجار كان مرتبطاً بالتطورات الإيجابية التي كانت تستحصل.

أما الآن لم يكن أميناً من نفسه.. يعني من التفجير لأن غضبه كان يزداد باضطراد كلما تذكر النصب التذكاري لأتاتورك وقدف المدن التركية بوحشية. ووجوه الناس الذين صورهم جيش كثيرون من الصحفيين الأميركيين الذين كانوا يرافقون الجيش.

لم يكن كوكهان ينظر إلى الحياة في يوم من الأيام نظرة وردية متفائلة. وكان قد تعلم أثاء تدريباته كل شيء يتعلق بالجيش الأميركي وبوحشيته. الأميركيون الذين أعطوا بطانيات ملوثة بميكروبات الجدرى للهنود الحمر الموجودين في المعسكرات وقتلوهم بهذا الشكل. وهكذا.. هم الذين كانوا بدؤوا بالحرب البيولوجية قبل الجميع.

كان الجميع يعرفون المعسكرات الموجودة في ألمانيا أثاء الحرب العالمية الثانية.. ولكن لم يكن أحد يعرف المعسكرات الأمريكية المليئة باليابانيين أثاء تلك الحرب أيضاً.

كان الجميع يعرفون بأن الأميركيين لا يتربدون على استعمال كل الأسلحة الإستراتيجية دون شفقة ولا رحمة وذلك بعد عرض ترومان عضلات أمريكا بالقنبلة النووية والمجازر التي تعرض لها شعب فيتنام واستعمالها للفنابل العنقودية /والنابالم /الحارق.

عندما كان يتقدم نحو الكهف بخطىٰ وئيدة فكر في نفسه: "سأعطيهم اثنى عشرة ساعة بالأكثر".

في الوقت الذي كان يريد الدخول فيه إلى الكهف.. سمع صوتاً يقول له: - "هاي يا صاحبي هل تبحث عن موتك في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟" عندما دار نحو الخلف وجد أمامه خمسة أشخاص تابعين لإحدى العصابات.

اثنان منهم أحمران وواحد أبيض وزنجيان. ضحك وقال: - "شوف هالحظ... يريد أمريكي على أكمل وجه"

ضاعت الابتسامة من وجه الزنجي الطويل العريض الذي كان يحمل سلاحاً في

يده. ثم أعادها ثانية /أي الابتسامة/ وقال: "انظروا الواضح إننا وجدنا شخصاً كوميدياً" قال ذلك وذيل وجهه مع الغضب. وقال ثانية:
- "هيا لا تطلِّ الأمر.. أعطنا الشيء الذي تحمله على ظهرك حتى ثيابك ستخلعها لنا.. وإنما تذهب في ستين جهنم".

رمى كوكهان المحفظة التي أخرجها من جيبه على الأرض. وعندما كان يخلع ثيابه دار في أرضه وكأنه يقوم ببعض العروض العصبية الفريدة.. وكأنه سكران شل على أكمل وجه.. ضحك أفراد العصابة، في هذه الأثناء كان كوكهان يقترب من الترشري المسلح.
وعندما وصل أمامه تماماً قرفص ومدّ يديه له وكأنه يعبده وإذا بأحدهم يصرخ من الخلف: "هذا ولد يبحث عن حبيب".

ولكن. كان وقت الحركة قد آن. ومن بين يديه المفتوحتين المدوودتين.. أخرج قدمه بسرعة البرق وليبط بطن الزنجي.
تراجع الرجل نحو الخلف وسقط متمدداً على ظهره وهو يصرخ آه آه.. سبقي هكذا على المدى الطويل وربما يموت.. دون حراك ولا آفة.

دار كوكهان بسرعة نحو الآخرين.. في البداية وقعوا في بحر من الدهشة والاستغراب ولكنهم صعوا وأخرجوه أسلحتهم اليدوية للانتقام.. كان كوكهان سيقتلهم بالذوق والكيف وبيديه العاريتين. كان يستطيع أن ينزل شيئاً من غضبه باسم شعبه وباسم الأشياء والإجرام الذي قاموا به.
لم يستطع أي خنجر أو موس أو مشطرط أن يقترب منه.. كسر الأعناق والأرجل والأذرع والصدور //الأضلاع/ ولعب مع آخر واحد منهم كما يلعب القط مع الفأر.. كلما حاول الفرار وقف أمامه.

عندما قتلهم كلهم. نقل جثثهم إلى المغارة.. كانت رائحتهم ستخرج بعد يومين.. ولكنـه كان سيُغيّر القنبلة لاثنتي عشرة ساعة ولا شيء يهمه بعد ذلك الوقت.

٢٨ . الساعه . ٢٠٠٧ . آيار . ٢٠١٥

فلوریدا .CENTCOM

كان رئيس FBI روبرت مولر / يقف أمام الرئيس الذي كان يجلس بثياب النوم. وكان معه / هوارد ستريك / ومستشاره ومعهم رئيس CIA / بورتر كووس / سأل الرئيس. "نعم.. ما هذا الشيء المهم؟"
كان مولر يهز بيديه على كاسبيت وهو يقول: "سيدي الرئيس لقد وُزعت نسخ من هذا الشريط على عموم وكالات الأنابيب العالمية.

وإما أرسل بـالبريد. استطعنا حتى هذه الساعة أن نمنع نشرها وعرضها. ولكن ثمة أماكن كثيرة لا تصل إليها أيدينا أي خارج /كوندولنا/ ولا يريدون أن ينتظروا أكثر من هذا الوقت.

هُنَّ الرِّئَسُ يَدْهُ بَدْوَنْ صِبْرٍ وَقَالَ: "اَدْخُلْ إِلَى الْمَوْضُوعِ مُبَاشِرَةً يَا رُوِيْرَتْ. مَاذَا يَوْجُدُ فِي هَذَا الْكَاسِيْتِ؟ هَلْ فِيهِ تَهْدِيدَاتٍ لِرَئِيسِ الْوزَارَاتِ الْتُرْكِيِّ؟" وَضَحَّكَ بِصَوْتٍ مُرْتَفَعٍ وَكَانَ قَدْ مَرْحَةً ثَقِيلَةً.. وَلَكِنْ عِنْدَمَا لَمْ يَشْتَرِكْ مَعَهُ اَحَد.. اَنْزَلَ عَيْنِيهِ.

تحدث روبرت مولر مباشرةً: "تهديد نووي يا سيدي وأخاف أن يكون حقيقةً" عندما شاهدوا الكاسيات.. أطبق المصمت على الغرفة.

وأخيراً تحدث الرئيس: "كيف يحصل هذا الشيء؟ ألم تخبروني بأن كل الأسلحة الموجودة بيد الأتراك تحت /الكونتربول/ قال هوارد ستريك: "عندما كنا نجهز أنفسنا لهذه العملية أتيانا بهذه الرؤوس إلى هنا نفكها ونحطّمها استناداً للاتفاقيات القائمة بين الطرفين. ولكن فهمنا إن اثنين منها ليسا موجودين". أكمل /بورتر كروس/ الجملة: "الآن نعرف أين هما إنهم هنا، في قلب الولايات المتحدة الأمريكية".

فتح الرئيس يده باستغراب ودهشة وقال: "طيب.. كويں:: ولكن كيف أتوا

بهاتين القنبلتين إلى هنا خلال يومين^٩

نظفَ بورتر كووس حجرته وقال: "لا يا سيدى.. هذه العملية ليست عملية يومين أو ثلاثة.. علمنا أن الملف السرى الذى جهزناه، قد تم كشفه وتقديمه إلى رئيس الوزراء من قبل أحد رؤساء الاستخبارات قبل شهرين أو ثلاثة.. عندما حاولنا المراوغة ودفع الرشوات والتهديد ولكن الذى فهمناه أن الملف قد وصل إليهم".

كان الرئيس ينظر إلى رئيس CIA بدهشة وهو يقول له:

"ولكن لا يوجد عندنا تدابير خاصة؟ لا تقدرون إيجاد هذا الشخص"^٩
فرح /كووس/ بعض الشيء لأنه كان سيعطي جواباً إيجابياً على الأقل لهذا السؤال حيث قال:

من تمسيطرنا للملفات عرفنا شخصيته.. نحن واثقون بأن هذا العميل هو /
كوهان بيرداغ/. الآن يتم توزيع صوره على جميع قوات الأمن.. ونستطيع القبض
عليه خلال أربع وعشرين ساعة بالكثير. ولكن أعتقد لا نملك هذا الوقت".

تدخل هوارد ستريك بالحديث: "يا سيدى الرئيس إن كلام الرجل ليس /بلوف/
لقد تم تدقيق المشاهد والأماكن. والقنبلة جاهزة للبرمجة والتبيير والاحتمال
الأكبر أنها موجودة في نيويورك لأن الرجل قد وزع الكاسيتات هناك ولكن لا
نعلم إن كان وحده أم لا. وواشنطن ونيويورك من أهم المدن والأكثر خطراً. حتى لو
بدأنا بعملية تفريغ المدينة ستخلق توترة شديدة".

قال روبرت مولر: "ستعمد وكالة ما إلى عرض الكاسيت خلال ساعات من
الآن. حتى ولو منعنا المرض في عموم الولايات ستعمد الأقمار الاصطناعية
والإنترنت إلى عرضها.. والنتيجة طبعاً فوضى وتوتر شديدان".
قام الرئيس على رجله بسرعة وقال صارخاً: "أيها السادة: في الوقت الذي يقوم فيه
بلدنا بحرب مهمة جداً ونحن في وسطها وإذا بارهاب نووي يهددنا.. بمعنى أنت
تقولون لي هذا الكلام أليس كذلك؟"

إذا رضخنا لهذا التهديد من يسمع كلام الولايات المتحدة بعد الآن؟ ويتراجع
تأثيرنا بين دول العالم إلى الصفر.

يعنى هل ستأسننا هنبلتان نوويتان؟ اذهبوا الآن واقبضوا على ذلك الإرهابي أو

الإرهابيين.. أوجدوا القنابل. من غير الممكن أن نوقف هذه الحرب بالتهديد والابتزاز.

عندما خرج الرئيس من الغرفة نظر الجميع إلى بعضهم ودار فجأة ونظر إلى روبرت مولر بعيون مهددة وقال:

”اعطياك الصلاحية الكاملة.. أوجد نسخ هذا الشريط وأمنع نشره بأي شكل كان.”

كان روبرت مولر قد فهم الآن أنه يعمل مع رئيس مجنون حيث قال له: ”هل تعطيني أمرك هذا كتابياً يا سيد الرئيس؟”

ظهرت ثمة ابتسامة قذرة على وجه الرئيس وقال: ”طبعاً.”

٢٠٠٧ أيلار.
ضواحي أنقرة الأمامية

كانت نيران المدافع من عيار ١٥٥ مم ومن طراز /هوتيلز/.. شديدة الانفجار بدأت تمطر الجنود الأتراك بشكل نظامي.. أما المروحيات من طراز أباتشي وكيوا وهي طائرات هجومية واستطلاعية فكانت تطير من ارتفاعات قليلة تستطلع مساحات شاسعة من الأرضي. وتساعد بعض القذائف التي تقاد بأشعة الليزر إلى أهدافها، منيرة ذلك المكان الذي تسقط فيه.

وتجهز نفسها للهجوم الكبير الذي كان سيبدأ بعد قليل.

وبين وقت وآخر كانت تصدر بعض النيران من المدفع التركية..

ولكن القوات الأمريكية كانت تسكت هذه النيران. إما بالمروحيات أو بالمدافع بعد أن تكشف أماكنها أو مواقعها. كان الجنود المتواجدون على الخط الأمامي من الفرقة المدرعة الأولى قد حموا أنفسهم بخنادق عميقه لأن نيران الأتراك الصغيرة كانت تصدر من عشرات المواقع والخنادق.

كان الجنود الأتراك يُفرّغون ما في جعبتهم من نيران جميع أنواع الأسلحة دون توقف فوق القوات الأمريكية.

كان الجنرال هاري في جاكسون ينظر إلى عدوه الذي أمامه بكل جدية. وكان يستطيع التخمين بأن الأتراك قد تخندقوا بشكل جيد. وإنهم سيحولون المدينة إلى جهنم. ومن أهم الجوانب الجيدة للجيش التركي هو دفاعه.. كان الجيش التركي يستطيع أن يقوم بهجمات مضادة. وبشكل سريع. ولكن إذا بدأ بالهجوم المضاد لم يكن بمقدور أية قوة على سطح الأرض أن توقفه.

لم تكن القوات الخاصة قد قابلتهم حتى الآن. وكان /هاري في جاكسون/ يعرف كما يعرف نفسه أن مدينة أنقرة مليئة بالكمائن وبالقوات الخاصة. وإنهم سيتصارعون معهم في أقرب فرصة. مشط بمنظاره الخطوط التركية. كان

بمقدوره رؤية النيران الكثيفة حتى داخل الخطوط الأمامية. هذه الخطوط لم تكن تهمه بأي شيء. كل هؤلاء الشباب الموجودين على هذه الخطوط كانوا سيخرجون من الدقائق الأولى للمعركة. عندما تبدأ الفارات الجوية. و عندما يبدأ هجوم الدبابات. كان الخط الأمامي س يتميز من منتصفه ولكنك كان فلماً من أجل أنقرة. عندما يحتلونها... كان البتاغون قد خطط لاحتلال إسطنبول على شكل عرض سينمائي.. هوليودي.

في هذه الأثناء أعطاه جندي الاستخبارات الرسالة التي توكل بدء المفارات الجوية. وبعد أن أبلغ الرسالة إلى قادة الألوية والكتائب في جيشه.. ظهرت الطائرات الحربية على شكل أسراب في الجو. بدأت الطائرات تمطر الجنود الأتراك بالقنابل والصواريخ ومن مسافات بعيدة وهي تُنقض انقضاضات قاسية. كانت الطائرات من طراز A15 تطير على ارتفاعات منخفضة وتنقض على الجيوب التركية الصغيرة.. كما ينقض الدب على فريسته. بمدافعتها التي تسمى /غاتلينك/.. وتقيم الدنيا ولا تعمدها بالدخان والغبار.. بعد وقت قصير حصل شيء.. جعل من الجميع ينفعلون ويهيجون. حيث ظهرت الطائرات B5 القاذفة وبدأت برمي آلاف الأطنان من القنابل فوق الخطوط التركية.. حيث فتحت فيها ثغرات كبيرة وعميقة.. كانت الخطوط الأمامية قد سكتت تقريباً.. ولم يكن هناك من معنى لانتظار الدبابات بعد الآن. ربما إن الجيش التركي.. امتنع عن تحويل أرضه إلى حقل ترعى فيه الأغنام ... فالعملية لم تكون تتوقع كثيراً من المصاعب

بدأت مئات الدبابات من طراز MIA2 والعربات الحربية المدرعة من طراز برادلي /والعربات المدرعة من نوع /هومفا/ المحملة بصواريخ مضادة للدبابات قد بدأت بالحركة. كانوا يستطيعون رؤية المروحيات وهي تصيب النيران من أفواهها من مسافات بعيدة. كانت طائرات الأباتشي قد دخلت في معركة شديدة.

عندما شاهدت الدبابات الأمامية العربات المتحركة بدأت بإطلاق نيران مدافعتها.. تقدمت الدبابات والعربات المدرعة بشكل سريع وهي تصيب نيرانها حتى توقفت، عندما شُوهدت الأحياء الأمامية من /بولاتي/ ولكنهم كانوا قد تأخروا كثيراً عن ملاحظة الخطر الذي كان يأتيهم من تلك البلدة كان الجنود الأتراك

قد افتقروا من بعضهم ويدرّوا باصطدام الدبابات الأمريكية المتقدمة. والحقيقة كان انفجار الدبابات وأحتراقها والأدخنة والغبار المتصاعد والجنود الفائدون المتشدرون داخلها قد أنزلت من معنويات الجنود الأمريكيين كثيراً. كانوا لا يصدقون أنهم وصلوا حتى ضواحي أنقرة الأمامية. وكان اعتقادهم هذا سيطّلع حقيقة ولكن خسائرهم الكبيرة في معارك البر ومساعدة المجموعات الجوية الكثيفة غير المنقطعة.. قد وصلوت إلى هنا.. كانت خسائرهم كبيرة بحيث أنهم كانوا لا يقدرون على إحسانها ومعرفتها. والأصلح أن القيادة الأمريكية لم تكن تهتم كثيراً لا بالخسائر البشرية ولا المعدات. وبما أنهم على علم بأنهم داخل جهنم وبئس المهداد.. يعطون بعض البيانات الكاذبة كي يسكنّوا وسائل الإعلام التي معهم. وإذا ما تقدمو هكذا بعض الشيء. كانوا سيفجّدون أنفسهم داخل منظومة قوية من حرب الشوارع والمدن. بحيث أن العملية كلها تقع تحت سطوة الحظر... كان قد طلب منهم الابتعاد بقدر الإمكان عن الجيش التركي في حروب البر. كان عليهم أن يتركوا كل شيء للقوات الجوية والمساعدة الجوية. كان عليهم التقدم إلى مركز أنقرة دون أن يُضيّعوا وقتهم في مناورات ثانية داخل الأحياء السكنية وكل التجمعات البشرية الأخرى.

كان الأمريكيون يعرفون حق اليقين بأنهم إذا ما تقابلوا وجهاً لوجه مع الجيش التركي فإن احتلالهم لن يكون حقيقة. ولهذا السبب ولضرورة النظريات الحرية المعروفة.. كان عليهم تحريض المجتمعات التي تفكّر بالانفصال عن تركيا. وحتى الآن لم يكن قد صدر أي صوت من هؤلاء الانفصاليين.

وإذا دام الأمر على هذا الشكل فإنهم سيفجّون خلال وقت قصير داخل بحر من النار وأمامهم الجيش التركي الذي ملاً الحقد قلبه ضدهم.

ومن ذا الذي كان يستطيع إخراجهم من داخل هذه الوضعيّة أو الموقف. كانت ثمة ملاقات رشاشة تخرج من داخل هذه الوضعيّة أو الموقف. وكان واضحاً أن غاية هذه النيران.. سحب القوات الأمريكية إلى حرب المدن والشوارع. من يدرّي ما الذي كان سيصيّبهم لو أرخوا أنفسهم وانجروا خلف هذه النيران المتقطعة. ولم يكن بإمكانه /هاري في جاكسون/ المرور من قرب /بولاطي/ وهو يعلم أن العدو

متخندق فيها وبكثافة. كان عليه أن يفرض سيطرته على ذلك المكان. ولكن كان ذلك نوعاً من المستحيل. هذا معناه إضاعة المزيد من الوقت والزير من الخسائر البشرية. لم يكن أمامه سوى اختيار واحد يجب تطبيقه. وهو إفقاء البلد عن بكرة أبيها بناسها وأبنيتها وجنودها تفادياً لضياع الوقت والأرواح.. كان يتمنى ويريد أن يجعل هذه البلد مركاً للدعم والإسناد.

فاتصل مع القوات الجوية مباشرة وأمرهم باستعمال قنابل /سلاير/. كان بمقدوره بعد الآن أن يشير إلى كتائب الدبابات بأن مركز أنقرة هدف لها.

كان يكفيهم تمزيق الخطوط قبل أن يتقدموا كثيراً نحو الأمام.. كان يفكر هكذا.. ولكن كثافة الدخان فوق سماء المعركة لا تريهم أي شيء. كان قد بدأ يقول في نفسه: إن الأمور لم تكن تجري كما يشتهونها. أو يريدونها.. كانت فرقة الإنزال الجوي ١٠١ /تنظر خلفهم للاشتراك في المعركة على بعد اثنين عشر كيلو متراً من شرقهم. كانوا سيعاجمون مركز أنقرة تماماً. وسيسيطرون على القصر الجمهوري وبناء مجلس الأمة التركي. وبدأت الفرقة المدرعة الأولى بالتوجه نحو الشمال الشرقي بكل سرعتها وطاقتها وقوتها... بدباباتها وعرباتها المدرعة. وكانت المروحيات ترفع كل الحواجز من أمامهم وتقدم خطأ دفاعياً هجومياً لهم وبكل دقة. وتضرب الخطوط الدفاعية التركية بقوة لا ترحم. أما القوات التركية التي فقدت دباباتها وعرباتها المدرعة. كانت تقوم بتحكيم حرب العصابات. حيث كانوا يقتلون الجنود الأمريكيين دون توقف.

أكملت الدبابات خلال ساعة من الوقت كل صيانتها وتجهيزاتها وإكمالها. وبدأت بالحركة والتقدم على استقامة أنقرة.. كانت القوات التركية المخفية والمتخندقة داخل /بولاتلي/ تطلق النار وبكثافة على هذه القواقل الأمريكية المتوجهة نحو أنقرة. كي تسحبها إلى داخل البلد. ولكن الفرقة المدرعة الأولىتابعت طريقها دون تدخل في معارك ثانية... كانت تريد الخط الدفاعي الرئيس في أنقرة. في هذه الأثناء ظهرت الطائرات القاذفة من طراز ١٣٠ - C. فوق سماء

الأفق البعيد.. هذه المشاهد لم تكن تبشر بالخير للبلدة وسكانها وجنودها. كانت هذه الوحدات المتعددة داخل البلدة ترمي مدافعها على القوافل الأمريكية. ولكن ليس من مستجيب لهم. كانت مهمتهم مقتصرة على تأخير هذه القوافل. ولكن القوات الأمريكية كانت قد غيرت من قواعد الحرب بشكل سافر.

لأن هذا الخطر المحدق الكامن في نقطة ما. كانت ستتحول إلى أرض مستوية كما يريدونها. إذا كان أحد الأطراف المتصارعة أو المتحاربة لا يأخذ أهمية /للرأي العام/. فإنه يُغيّر التوازنات الحربية مباشرة.

عندما وصلت أربع طائرات من طراز /C-130/ فوق بلدة /بولاياتي/ ففتحت أغطيتها السفلية وتركست الكتل العملاقة. بدأت القنابل تنزل نحو الأسفل تاركة صيحات وحشية وكأنها خارجة من فم واحد حيث سقطت على الأحياء الجنوبية الشرقية من البلدة. وبتأثير انفجار هذه القنابل حدث زلزال حقيقي كان قوته ٢.٨، بعد الانفجارات الحاصلة وبعد أن تحولت البلدة إلى خراب حقيقي بدأ لواء المدرع الثاني الذي كان يدعم الفرقة المدرعة الأولى. بدأ هذا اللواء بتنظيم حركات استطلاعية نحو بلدة /بولاياتي/ بشكل سريع وكثيف. كانت ثمة أصوات أسلحة كثيفة قد بدأت بالخروج من /بولاياتي/. لم يكن أحد يعرف ما الذي كان يحصل في داخل المدينة. طلب /هاري في جاكسون/ تراجع العربات المدرعة من أعماقها. فانسحب اللواء المدرع الثاني مباشرة إلى خارج المدينة. وأعطيت الأوامر للقوات الجوية الكوردييات ثانية لوجود المزيد من القوات.

فقمت الطائرات F-15 الموجودة في تلك المنطقة على إفراغ كل قنابلها التي تقاد بالليزر فوق بولاية ثانية. وكانت المنازل قد خربت وهدمت تقريباً. كانت أنقاض المنازل من طابق واحد أو اثنين. قد انتشرت في أماكن واسعة. فاعطى /هاري في جاكسون/ أمر إيقاف إطلاق النار. كانت المنطقة قد صمتت لا أصوات طلقات ولا مدافع ولا قنابل.. القوات التركية ما زالت هناك. كان يعرف هذا الشيء.. يجب أن تكون الخسائر البشرية في المدينة قد جعلتهم يصمتون ويعرف بأنهم سيظلون هكذا لمدة طويلة.

كان /CENTCOM/ يريد الارتباط به. حمل /هاري في جاكسون/ الهاتف بيده. وأجلس على وجهه ابتسامة وقال:

- "سلام هودي... أعتقد أن كل الأمور على ما يرام: سأقوم شخصياً بتشتيت الخط الدفاعي الرئيس والباقي على عاتقك - ١٠١ / ولكن لست واثقاً من هذا التصرف الذي نقوم به، وهو إرسال جنودنا إلى داخل المدينة. ربما تكون خسائرنا كبيرة جداً".

في الوقت الذي كان يتحدث بالهاتف أكمل تمثيل المنطقة بمنظاره. كان يحب البقاء في ساحة المعركة. وتعجبه الحرب إلى جانب جنوده. من يدرى كم كان يشتهي أن يصير مع قواته في الصفوف الأولى.

- "وكما في كل مرة فإن القوات الجوية تقوم بواجبها على أكمل وجه ويجب على الخطوط الدفاعية الرئيسة أن تبعثر خلال ساعة أو ساعتين.. الآن تقوم الطائرات بقذف تلك المنطقة دون توقف. وقد وصلتنا معلومات بأن ثمة ثغرات كبيرة قد فُتحت في هذه الخطوط حتى قبل الهجوم البري. وأعتقد أن الأمر سيكون سهلاً جداً".

- "أعرف.. أعرف.. ولكن لن تكون بهذه السهولة. ولكن انتبه لا نريد أن تسيطر على كل الأحياء والحرارات.. بالأصل ما في ضرورة لذلك. سأحاول جاهداً استعمال القسوة والشدة حتى تقطع النظام إلى أشلاء مبعثرة... بعد ذلك يأتي دورك.. وأنا لا علاقة لي بالأمر".

أغلق الهاتف. أحس بأن بارقة من الثقة بالنفس قد غزته.. هذه الفكرة جعلته في وضعية نفسية غير مررتاح لأنه كان قد بدأ بتقزيم عدوه.. من الناحية العسكرية هذا الأمر مرفوض وغير مقبول أبداً.. ولكن المعطيات كانت تشير إلى أن كل الخطوط الدفاعية ستقلب رأساً على عقب.. على الأقل من الناحية النظرية. ولكن كلما كان ينظر إلى العربات التي كانت تمر قرب مركز القيادة حاملة القتلى والجرحى.. كان يحسُّ بأن الثقة التي تعلوه مشكوك في أمرها. هذا ما كان قد بدأ يُحس به. كانت أجساد جنوده الصغار تحمل إلى الخيم العسكرية الطبية.

كانت المروحيات قد تركت نقل الجنود والذخائر وبدأت بنقل الجنود المصابين إلى العراق.

بدأ بالتصنت إلى اللاسلكي. سمع صوت العساكر الذين كانوا يصرخون بين حزب الجهاز، كانت الدبابات المتقدمة قد كشفت أماكن وجود المدرعات التركية وبدأت بإطلاق نيران كثيفة فوق تلك المدرعات. كانوا وسط صراع مرير ووجهًا لوجه مع الأتراك /أي بالسلاح الأبيض/.

أسرع الجنود ودخلوا إلى المنزل. كان الجميع معجوبين بالدخان والفبار.. وفي بحر من العرق. حتى أنهم يتفسرون بصعوبة بالغة.. أغلقوا الباب من خلفهم وتحذدوا خلف النافذة.. كانت القذائف تمطر فوق المنزل. خمسة عساكر أفرغوا آخر قذائفهم من سلاح 3 - G إلى أهداف لم يروها. وخرجوا من خلف المنزل واختفوا عن الأنظار عندما غادر الجنود المنزل وإذ بقذيفة صاروخية مضادة للدبابات قد انفجرت على باب المنزل من الخارج. هذه كانت أولى القنابل التي تتفجر في الأحياء الخارجية لمدينة أنقرة.

كانت الفرقة الأولى المدرعة قد فتحت ثفرات مهمة على جميع الخطوط. كانت عربات الـ /هومفا/ المدرعة وعربات /ستريكر/ المدرعة أيضًا. تدخل عبر هذه الثغور إلى الدخل حيث تشتبك مع الأتراك وتتسحب ثانية.

ولكن لم يكن هذا العمل سهلاً بقدر ما يتصورون. ففي خلال ساعة واحدة كان الأتراك قد أحرقوا اثنى عشرة عربة مدرعة من طراز /هومفا/ مع رجالها وعساكرها وذخائرها. كان الجنود الأميركيون يحاربون بشكل قوي وسريع لم يكن أحد ينتظر منهم ذلك.. كانوا لا يبالون بالخطر أمامهم. وكانوا يحاولون شق الخطوط الدفاعية لمدينة أنقرة بأي شكل كان. كان الجنود الأتراك يخرجون من كل ثقب تقريباً ويحاربون الأميركيين دون أن يفكروا بالموت.. في بعض الأماكن كانوا قد صاروا وجهاً لوجه ودارت الحرب الطاحنة بالسلاح الأبيض والأيدي العارية.. كانت ثمة معركة في الخارج تذكر الإنسان بحرب فيتنام.. كان الجنود الأميركيون يدخلون من الثغور ويتقدمون نحو الداخل..

ولكن فترة قليلة وإذا بخط دفاعي آخر يقام من خلفهم. وكان هذا الخط لم يُضرب أبداً. وكان الجيش التركي بأكمله قد صار داخل أنقرة.

لم تقدر الدبابات على تحطيم الخطوط الأمامية.. والأحياء الخارجية لأنقرة كانت تشتعل بشكل مثير من شدة المعارك الدائرة. توقفت دبابات وعربات الفرقة الأولى المدرعة. كانت ثمة ثفرات موجودة على الخطوط التركية. ولكن إذا ما دخلوا من هذه الثفرات.... كانوا سيكونون في قلب المدينة مباشرة. ولكن وجهاً لوجه أمام الكمانات التركية دون دفاع ولا رجوع. وربما يعادون بالكامل. لم يكن في نية /هاري/ الوقوع تحت الكمانات التركية. كما وقع الروس تحت كمانات الشيشان.

كان عليه أن يفعل شيئاً ما. ولكن كان عليه أن ينهي العملية بالسرعة القصوى.. تردد بعض الوقت. ثم أعطى الأمر للدبابات للدخول من هذه الثفرات. كان هذا قراراً خطراً. ربما كانت هذه الثفرات قد فتحت قصداً على أنها طرق عادلة.

ولكن إذا لم تتجه العملية.. ربما تتعرض القوات الأمريكية للتقهقر والتبعثر والانتشار على أبواب أنقرة. وكانت التقارير الواردة من الاستخبارات تؤكد أن القوات الخاصة التركية المتمركزة حول مدينة /فيصري/... قد أغارت بأسلحتها الثقيلة المتقللة على قوافل الإمدادات الأمريكية وأفانتها عن بكرة أبيها. كانت هذه القوات تتقدم نحوهم بشكل غاضب.. ولم يكن بمقدورهم تخليص القوافل اللوجستية منهم. حتى أنهم لم يكونوا واثقين من تخليص أنفسهم.

كان الزمن يقترب بالنسبة لفرقة الإنزال الجوي /١٠١/ حيث أكملت المروحيات تحضيراتها واستعداداتها وبدأ الجنود استعدادهم بشكل هادئ وصامت. كانوا على الدوام يضعون الدهانات على وجوههم.

كانت الحركة ستبدأ في الليل... عندما بدأوا سماع هدير أصوات المحركات تماماً آذانهم... أسرعوا في الاستعداد والتجهيز.

كان مركز قيادة الفرقة /١٠١/ يقع على بعد عشرين كيلومتراً من شمال /بحيرة الملح/. كانت هذه القيادة تحوي العشرات من طائرات الآباتشي وـ CH

و 53 – CH ويلاك واك، و 53 – MH. حيث بدأت كلها بالإقلاع دفعة واحدة... كانت الأصوات المتداخلة مع ظلمة الليل والأضواء الكاشفة قد خلقت صورة تذكر الإنسان بجهنم.

كانت كتائب الطائرات تقل المئات من الجنود إلى أهم مهمة أعطيت لهم حتى الآن.. صراخهم وعويلهم كانت تصاعد في كل مكان.

كانت أصوات الطائرات القاذفة تتراكم في أعلى السماء.. عشرات الأضواء.. وكانت ستفرغ أحمالها من القنابل بعد قليل فوق المنطقة التي ستهاجمها الفرقة ١٠١ / ستنزل القوات الأمريكية إلى قلب أنقرة بعمليه تمد الأخطر من نوعها. وبعد السيطرة على امتداد عرضه عشرة كيلو مترات من الأرض. كانت الفرقة المدرعة الأولى ستتحرك أيضاً وتلتقيان هناك وتتوحدان داخل قوة واحدة. في المرحلة الأولى سيتم إنزال الفوج ٣٢٧ لل المشاة التابعة للفرقة ١٠١ / ومن خلفه سيتم إنزال فوج المشاة ٥٢٢ / على طريق عام / أنقرة - بولو / الواقع إلى شمال أنقرة. والغاية من هذا الإنزال هو دعم القوات من الناحية الشمالية عند الحاجة إليها.

كان ليل أنقرة يضاء بقنابل اللهب الصاردة من دبابات M1A2 / من نوع ابرامس /.. أما المدنيون من سكان أنقرة. فكانوا لا يعرفون ماذا سيفعلون.. كانوا قد دخلوا إلى بيوتهم محبطين من الرعب والقلق.

اما الأدخنة فقد غطت وجه السماء المظلم. وثمة حرائق كانت تشتعل في بعض البيوت. وكانوا يستطعون رؤية العربات المدرعة الأمريكية في الأحياء الخارجية. تمر قرب بيوتهم بسرعة.

صرخ الرجل بقوة: " تعالوا .. هيا بسرعة تعالوا إلى هنا".

تحركوا بسرعة وجاء قرب الرجل أربعة أطفال وامرأتان. كان الرجل متختداً خلف منزل متهدِّم يحمل على كتفه بندقية من طراز M1 / ومنظاراً قدِيماً. كان الأولاد والمرأتان يخافون الخروج من مكان تواجدهم. كانوا قد ستروا أنفسهم داخل حفرة تبعد عن الطريق مقدار عشرة أمتار تقريباً. كانوا في موقف خطير جداً. في كل لحظة يمكن للموت أن يطرق بابهم من نار الطرفين. كانت المدرعات الأمريكية تمر من الطريق الذي يمر من أسفلهم.. وبطلقو النار على

إحدى الحارات ويعودون من الطريق نفسها. وبين وقت وأخر كانت بعض الطلقات الرشاشة والصواريخ تصدر من تلك الأحياء. ورداً على قذف الأميركيين كانت هذه الطلقات تسقط حول الحفرة التي يختبئون داخلها.

كان الرجل يسمى /باركن جاغلابيان/ من موظفي وزارة الخارجية التابعين للدائرة المهمة بقبرص. قطع الرجل الساحة الفارغة... ورمى بنفسه إلى الحفرة. كان المدنيون الستة يرتجفون هلماً وخوفاً.. ألقى /باركن/ بنظراته نحو كل الأطراف.. كان الوضع يتراهى شيئاً إلى أبعد الحدود.. كانت أصوات الطائرات المنقضة تصم الآذان.. ومن خلفها تسمع صوت انفجار القنابل.

كان عدد الجنود الأميركيين يزداد في هذه المنطقة مع مرور كل دقيقة وثانية.. كانوا يسيرون مجموعات مجموعات.. وهم يحملون الأسلحة والذخائر وكل شيء يهمهم.. ثم يختنقون... ويركزون أنفسهم في نقاط معينة ويتقدون ثانية. نظر /باركين/ نحو المرأة التي خمن أنها أم الأولاد وقال لها:

- "عندما أقول لك أركضي يا خالة. خذني أولادك عل الفور وأسرعي نحو هذه الأنقاذه. وأنا سأتي معكم.. وبعد ذلك سنهرب معاً". أقتلت المرأة نظرات لا معنى لها. كانت تتظر إليه وكأنها تقول له: "إلى أين سنهرب؟؟"

ومع هذا لم تكن في وضعية يمكن لها أن تعارضه، كانت ستتفذ كل تعليماته. نظر باركن نحو الطريق ثم إلى الساحة الفارغة من حوله. كل دقيقة تمر وعدد الجنود في ازدياد.. شاهد عدة دبابات تتوجه نحوهم. كانت تتقدم وهي ترش أمامها برشاشتها الثقيلة والخفيفة. ولكن الأصوات الصادرة من خلف الظلام كانت أكثر فظاعة ورهبة. كان /باركن/ يحسُّ بأن ثمة حركة كبيرة قد بدأت. في لحظة واحدة ضرب كتف المرأة وجروا معاً. كان عليهم الإسراع في الجري حتى يصلوا إلى المكان الذي يودون الوصول إليه. ولكن المرأة المسكينة.. كانت قد تأخرت عنهم. أمسك /باركن/ ذراعها وسحبها نحو مكان تواجد الأنقاذه.

استطاعت المرأة الوصول إلى الأنقاذه وهي تزحف فوق ركبتيها ودون أن تقول شيئاً.. كانت أصوات الطلقات تمر من فوقهم. يجب أن يكون أحدهم قد

شاهدتهم. وربما لم يهتم كثيراً بأمرهم، هذه طلقات أطلقت من أجل التسلية فقط. شاهدوا كرات كبيرة من النار تتكون فوق الأماكن التي يتواجد فيه الجنود الأتراك. وكانوا يعرفون أن همة زحمة لا يرونها تتلاطم في السماء. كان الجيش الأمريكي يحارب داخل ساحة صغيرة جداً. ويُطبّقون تكتيكات مختلفة. كانوا قد وصلوا إلى العاصمة بصعوبة بالغة. وهم في حالة وكأنهم لا يهتمون لأية منطقة أخرى من البلد. وكانهم لا يريدون السيطرة على قسم من الأراضي ولا على نقاط إستراتيجية. كان /باركن/ موجوداً ضمن أول هدف تم قذفه منذ بدء العمليات العسكرية. كان قد عاش تلك اللحظة.. كانوا قد تدحرجوa على الأرض عندما اهتزت البناء بشدة.. مع اصطدام القنبلة الموجهة بالليزر، كانت البناء قد بدأت بالاشتعال من منتصفها حتى إلى أعلى الطوابق.. كانت أكثريتها فارغة. ولكن كان عدد أشخاص من /البيروقراطيين/ في الطابق العلوى من البناء ماتوا كلهم. أما هو فقد خرج من البناء وصار شاهداً على أحداث وصور شتى... كان قد رأى الطائرات وهي تناور في أعلى السماء وتلقى بقابتها على العمارت وبعض الأحيان على الشوارع والطرقات.. أحس آنذاك أنه استفاق من حلم عميق جداً.. الأوراق التي تحرق في وزارة الخارجية.. تحمل في مضمونها سياسات الدولة على مدى مئات الأعوام.. ومع احتراق تلك الأوراق أحسَّ بان التاريخ قد طمر منذ قيام الجمهورية وإلى الآن.. وأحس أنه أيضاً ينتمر مع ذلك التاريخ وتلك الأوراق.

لم يكن من السهل إزالة أو رمي هذه المشاعر والأحساس وتلك الأحداث.. كان قد ذهب إلى البيت مسرعاً ووجد زوجته تقف على الباب مرتجلة. كانت يدها ترتجفان بحيث أنها لم تجع بوضع المفتاح في القفل وفتح الباب، دخلا البيت ولم يخرجَا أبداً.. وجلسا داخل المنزل البارد من جراء تكسر أو تحطم زجاج النوافذ وانتظرا نهاية الكابوس:

فوضى للحظة واحدة.. تغير كل شيء.. ماذا حصل لحياتهم؟ كان كل شيء يسير على ما يرام.. حياتهما كانت رائعة. كانوا يتزهثان بالسيارات فوق شوارع انقرة العريضة والواسعة.. ويتحدثان عن الحياة والعالم وعن كل شيء.

ولكن خلال أسابيع قليلة تغير كل شيء. ثمة قوة غريبة كانت تخترق الجسد وتتقدم نحو القلب ولا يستطيعون فعل أي شيء.

طبعاً من الصعوبة بمكان أن تقف في وجه جيش متتطور بهذا الشكل. ولكن الجيش التركي كان مستيقظاً.. حارب الأمريكيين بشكل غير متوقع وأنزل بهم خسائر فادحة. كانوا يحاربون دون أن يفكروا بالموت. أما الآن راحت الأسلحة الثقيلة من تحت أيديهم.

كي يجاهوا هذه القوة الفاشمة.. كان /باركن/ يحسُ بأنه قد حان الوقت كي يجعل من صدره خندقاً مانعاً. للمحافظة على بلده والقيم والإنجازات الكثيرة التي تكونت على مدى عشرات الأعوام.. كانت هذه الأحساس غريبة بالنسبة إليه... لم يشعر بها من قبل.

كان الأصدقاء والزملاء والجيران يجتمعون ويناقشون كيفية الوقوف أمام هذه القوة الفاشمة. كانوا يجدون بعض الأسلحة في أماكن حكومية. كان /باركن/ قد تعرف إلى أحد العناصر من الوحدات الخاصة في رحاب عمله كموظفي يعمل في مجال جزيرة قبرص.. عناصر الجيش التركي الذي كان الأمريكيون يسمونهم /Hard soldiers/ (الجنود الأشداء) يجهزون أنفسهم للقتال وهم يرتبطون مع المدنيين.. ويحضرون معملاً لصنع القنابل.. ويدربون المدنيين على شكل مجموعات صغيرة للسلاح وقتال الشوارع ويخططون للدفاع عن مدينتهم.

عندما تدخل القوات الأمريكية إلى أنقرة سيحوّلونها إلى جهنم ويصبّون حممها فوق رؤوس الأمريكيين. وكان /باركن/ داخل هذه المخططات. وهو الآن ينفذ أمراً ومهماً.. وقد جاء إلى هنا ليعرف تقدم الأمريكيين وأين وصلوا وماذا يفعلون.. كانت البنادق التي استعملها في العسكرية /M1/.. وهي الآن من أحسن أصدقائه بلا منازع. وربما لا تساوي شيئاً.. عندما تقوم معركة حقيقة.

ولكن إذا استعملت من منطقة بعيدة.. فهي تفعل الكثير والأمريكيون يعرفونها جيداً لأنها من صنعهم.

أشار إلى المدنيين الذين كانوا معه وقال: "ذهبوا إلى هناك. ثمة أناس يقدمون

لكم المساعدة".

لم يكن باستطاعته أن يقدم لهم المزيد من وقته.. كان لديه مهمة. ويجب أن يُكملها. كانت المحادثة التي أجراها مع جنود الوحدات الخاصة شفافة جداً ومفعمة بالمشاعر الإنسانية. لم يكن أحد يصدق بأنهم سيحافظون على المدينة ويمنعون احتلالها. ولكنهم ويقدر الإمكان أن يقتلوا الأميركيين. ربما هذه العملية تجبرهم على الانسحاب وترك المعركة. ربما كان هذا الرأي أكثر تفاؤلاً. لم يكن أحد يرى سوى هذا الحظ أو هذه العملية. لم يستطعوا الدفاع عن المدرعات بالأسلحة العادية الصغيرة.. وخاصة ضد الطائرات الحربية. وكان يفكر بأنه لا محاربين سوى هؤلاء المدنيين من أمثاله.

الجميع كانوا يفكرون هكذا.. لأن القوات الجوية لم تستطع المقاومة سوى أسبوع واحد فقط. والمطارات قد ضربت والطائرات قد أُسقطت وبعضها تم ضربيها وهي متواجدة في أماكنها.

أما القوات البحرية فلم تستطع أن تفعل شيئاً وهي ترى سفنها تفرق في الأعماق. أما القوات البرية.. فقد صدت الأعداء بكل نظام.

وعملت مناورات نظامية ورائعة.. ولكن الجيش لم يكن قد جهز نفسه للوقوف أمام هذه القوة الفاشمة. وهذا كان واضحاً من مجمل تحركاته.

كان الجميع ينتظرون عملية شديدة من المدرعات الأميركيّة. وكان المتوقع هو أن تقوم الفرقة المدرعة الأولى بهجوم قوي وكامل على الخطوط الخلفية الداعية للأتراك. أما المقاومة فقد انعدمت تقريباً على الخطوط الخارجية. ولكن كانت ثمة أصوات أسلحة وطلقات تسمع خلف الخطوط الأميركيّة المقدمة. كان /باركن/ قد لاحظ أن القوات الأميركيّة تجتمع بشكل سريع.. وهذه المعلومة بالنسبة إليه كانت كافية كي يذهب ويخبر الآخرين بهذا الخبر. فخرج من بين الأنقاض وبدأ بالجري.. أذن قادم من السماء. صوت قاسٍ وشديد.. رفع رأسه ونظر نحو الأمام.. رشح الأفق بنظراته.. اصطدمت ريح قاسية على وجهه..

بعد الريح قابلت نظراته ظلال ضخمة تتحرك بسرعة وهي تمزق الظلمة. كانت مجموعة من المروحيات الضخمة المخصصة للنقل مرت من فوقه واحدة إثر

آخر.

لم يصدق عينيه. كانت المروحيات تتجه بسرعة نحو مركز أنقرة ستكون في قلبها خلال دقائق من الآن. كان هجوماً غير متوقع وغير متظر. لم يدر /باركن/ ما الذي سيفعله يجب أن ينتقل هذا الخبر مباشرة.. ربما تكون خطتهم انقلبت رأساً على عقب خلال وقت قصير. كانت المروحيات ما زالت تمر من فوقه. حتى إنه كان يستطيع رؤية الجنود في داخلها. صور سوداء، نظراتهم مرعبة.. كانت هذه المشاهد من المشاهد التي لن ينساها أبداً. في الوقت الذي كانت فيه المروحيات تمر تباعاً.. كانت الانفجارات قد بدأت في قلب أنقرة. الآن يستطيع رؤية المروحيات أكثر على ضوء الانفجارات. كانت المروحيات تطير بشكل منخفض وكأنها ستتصطدم بالبنيات.. ثم إنها كانت قد بدأت بإطلاق النار نحو كل الاتجاهات. بعد قليل كان كل مكان سيتحول إلى جهنم. كان على القوات الأمريكية المتحاربة بالسلاح الأبيض مع الأتراك ووجهًا لوجه.. مضطربة لذلك؟ كان باستطاعة باركن رؤية المدافع والرشاشات الأرضية وهي تتجه نحو المروحيات. وكانت طائرات /الأباتشي/ تقف أمام هذه المروحيات التي تقل الجنود، تدافع عنها وتسترها عن الطلقات. كانت الأجزاء قد انقلبت رأساً على عقب من الآن. وبعد ذلك ظهرت ثمة أجسام في الجو.. بدأت الانفجارات تسمع ثانية.. كانت أصوات المدفع وأصوات الدبابات قد امتزجت ببعضها بعضًا. كانت المروحيات قد بدأت تتقاض على الموقع كانت السنة النيران تنير المكان. في هذه الأثناء.. انفجرت واحدة منها وهي تحاول الهبوط على الأرض. وواحدة أخرى نزلت نحو الأرض بسرعة وهي تخرج صوتاً غريباً وتدور في الجو بشكل غير نظامي. يجب أن تكون قد اصطدمت بالأرض بقوة شديدة. كانت هذه أول خسارة بالنسبة للجنود الأمريكيين. كان /باركن/ يستطيع مشاهدة السماء بشكل جيد من النقطة التي كان يقف فيها.

كانت الطائرات الأمريكية تتلقى الخسارة تلو الخسارة على مدى تواجدها في الجو.. كان قد رأى بأم عينيه إسقاط خمس طائرات نقل ضخمة.. كانت هذه حركة جنوبية بكل معنى الكلمة.

ودون مسؤولية.. لا يحق لأي قائد أن يرمي جنوده داخل النار والدمار بهذا الشكل. وكان الجنود الأميركيين لا يعرفون ماذا يفعلون. كانوا يحاولون المحاربة وهم مخدرون من الخوف الشديد.

ما معنى الهجوم على مدينة بالمرحوميات ولم تسقط دفاعاتها بعد؟ يجب أن يكون مخططاً هذه العملية مجانية أو علاقتهم مقطوعة كلياً مع العالم. كانت الفرقة ١٠١ / للإنزال الجوي قد أعطت أكثر من مئتي قتيل قبل نزولها على الأرض.

لم يكن /باركن/ يحزن من أجلهم.. جرى بسرعة نحو الذين كانوا ينتظرونها.. كان الناس يخافون من إخراج رؤوسهم من منازلهم التي كانت غارقة في الظلام.. كان يسمع صوت خطواته فقط ويختلف من نفسه.. يا إلهي هل هذه حقيقة؟ أخاف الجري داخل مدينتي.. وبعد قليل سأخاف المشي في الشوارع.. قال ذلك في نفسه واهتز جسمه هلعاً.. في الوقت الذي كان يجري داخل الأزمة الضبابية لاحظ أنه يخاف من ظله. قهره الله.. أين ذلك المكان؟

وكان الأزمة كلها تشبه بعضها. كان المكان يتراهى كأنه كمين. كان السلاح لا يثبت على كتفه. وجسمه المبلل بالعرق يؤثر عليه سلباً ويجعله جاماً من شدة الرياح الباردة. أحسَّ بأن القوة التي كانت في ساقيه قد انتهت. كان ثمة أشياء في أعماقه تتطلب منه الانهزم والفرار.

بيته الدافئ، زوجته، وأحلامه الدافئة.. مقابل كل هذا. رياح باردة وقاسية، ووجهًا لوجه أمام المدرعات المميتة كان عليه أن يختار شيئاً كبيراً.. اختياراً كبيراً.. كان بحاجة إلى طاقة تجعله يطرد الإحساس الذي بدأ ينتشر في أعماقه وروحه.. كي يُسلم نفسه والبلد. ولكن ماذا كان بوده أن يفعل؟.. ماذا يستطيع أن يفعل ويقدم أكثر من هذا. كان قد شاهد كل الهجمات.. حتى ولو قتلوا بعضاً منهم ماذا كان سيحدث يعني؟.. هم أيضاً كانوا سيموتون.. وبالنهاية هم سينتصرون. إذا بقي على قيد الحياة.. ربما يُسوِّي بعض الأشياء. ربما يُغير شيئاً ما.. ربما استطاع الرجوع إلى أيامه الخالية اللذيدة... من يدري؟.. كان يتذكر على الدوام الأفلام الأمريكية وفجأة فهم ما الذي كانت تدعوه إليه تلك الأفلام.

ولكن عبثاً لم تعد تفيد بشيء بعد الآن. هو أساساً لم يكن يعرف الأميركيين. كان يحلل ويدقق بما يحدث الآن ب أيامات تلك الأفلام التي شاهدها. وربما كانت هذه هي الرسائل التي تريد أن توصلها تلك الأفلام وتشجعه على الاستسلام والتسليم في هذه اللحظات بالذات.

كان يسمع أصواتاً لم يسمعها طيلة حياته. إذا بقي على قيد الحياة وتذكر هذه الأيام . سيتذكر هذه الأصوات فقط... انفجارات جنونية. أصوات قدميه وهو يجري داخل الأزقة الفارغة. صوت تنفسه. شهيقه وزفيره. صوت الضفدع الذي كان يتكون داخل دماغه من جراء عمل القلب وبنيضه.

نعم.. هذا هو المكان.. دخل إلى بناية قديمة. ورنُّ جرس الطابق الثالث.. فتح الباب مباشرة.. صعد بسرعة نحو الأعلى.. كانت البناء مظلمة. عندما وصل إلى الطابق الثالث دخل إلى البيت مباشرة. كان في الداخل ثمانية شهانة أو تسعة أشخاص. كان أحدهم يختلف عن الآخرين بشكل جسده وبنظراته. كان هذا الرجل يعمل في الوحدات الخاصة برتبة صف ضابط.. كان الآخرون ينادونه بالسيد شاهين.

- لا تستطعون أن تُخمنوا ماذا حصل؟

- ماذا حصل؟

- "جاووا.. نعم جاؤوا بالمرحوميات وبهاجمون".

وقف الجميع من كان داخل الغرفة.. ووجوههم قد تغيرت. حمل السيد شاهين سلاحه مباشرة. وبدأ بلف أغراضه حول جسده كأن الوجه قد صارت بيضاء. لم يكن أحد ينتظر مثل هذا الشيء. كانوا قد ظنوا أنهم سيركزون بعض القنابل في بعض الأماكن.

ولكن السيد شاهين كان يجهز نفسه وكأنه سيدخل المعركة. كان قد علق بندقيته الخاصة من طراز M16 / ومنظاره الليلي على كتفيه. وثمة مسدس كان معلقاً على صدره فوق قلبه تماماً. وعلى خصره كانت مجموعة كبيرة من المخازن قد حُشرت تحت نطاقه وخارجها. ووضع على رأسه قبعة الخفيفة المصنعة خصيصاً، وقال:

- "نعم.. هل من المد يزيد المجيء معه؟ انسوا كل الخطط. إن الأوغاد يهجمون علينا من صرتنا تماماً. وهذا معناه: "نحن هنا إذا كنتم رجال تعالوا".

لاحظ باركن في نظرات الموجودين في الفرقة الانهزامية والفرار. وكان أحد لم يكن جاهزاً مثل هذا الشيء. كان السيد شاهين قد فهم الموقف. وكان يعرف أن الجميع عندهم عائلات. إذا أراد كان بإمكانه أن يجبرهم على ذلك.. ولكن لن يفعل ذلك. كانت أنظمة اللعبة قد تغيرت.. كان عليهم أن يجابهوا الجنود الأميركيين وجهاً لوجه وعنةً بعنق.

يُعد ذلك اليوم أصعب يوم في تاريخ أنقرة الحديثة. تقدم باركن خطوة نحو الأمام وقال:

- "ماذا تنتظري يا سيد شاهين؟ أعطني بندقية كلاشنكوف وكفى". أضيء وجه السيد شاهين. كان ينتظر هذا التصرف من باركن.

أسرع باركن وتناول بندقية كلاشنكوف وعلقها على ظهره. وتناول عدة مخازن وركزها على كتفه. وقال:

- "إذا كنت سأعيش تحت إمرة هؤلاء الأقدار. أموت أفضل لي." وفي الوقت الذي كان يغادر فيه المنزل أطبق الصمت في داخل الفرفة.. فكر الآخرون الذين كانوا على وشك أن يتفسدوا الصعداء ولكن كانت ضمائيرهم تونبهم من الألم والجبن والفنين. وكان سحابة من الأنانية قد كبست فوقهم.. كان الاثنان قد ذهبا ومن المؤكد أنها سيموتان. أما هم كانوا سيعيشون يوماً دافئاً ثانياً. ربما سيمرون كل شيء على ما يرام.. أليس كذلك؟.

مر باركن والسيد شاهين من بين الشوارع والأزقة. مثل شبحين وتوجهما نحو المكان الذي كانت الطائرات تنزل فيه. كانوا يصادفان رجالاً مسلحين وثمة وحدات عسكرية كانت متخفدة هنا وهناك.

كان أحد الجنود ينتظر صيده داخل أحد المنازل وهو يحمل صاروخاً مضاداً للدبابات من ماركة /إيركس/. لم يكن أحد يتحدث مع الآخر. وكان الجميع منحليين في بحر من الدهشة والحياء. ومع أن رئيس الأركان كان في حركة دائمة

ومستمر إلا أنه كان مرتبطاً مع الجنود على الدوام. كانت معنويات الجنود ترتفع بين وقت وآخر عندما يسمعون صوت قادتهم رئيس الأركان في جهاز اللاسلكي. كانت جميع الوحدات تحاول أن تعمل شيئاً ما على ضوء ما يأخذونه من معلومات. وكانت تشكيلاً للأمن والشرطة تحارب وكأنها وحدة من وحدات الجيش النظامي. كانت أنقرة داخل معممة من الفوضى والاضطراب.. ولكن الدفاع يجري تحت جناح النظام بكل معنى الكلمة. ثمة خمسون عسكرياً يخرجون فجأة من داخل إحدى البناءيات ويهاجمون على الغرفة ١٠١ هجوماً مباغتاً وينزلون أشد الخسائر ويخفون عن الأنظار ثانية.

كانت القوات الخاصة تحارب في عدة نقاط على شكل قيادات صغيرة. كأية وحدة نظامية أخرى.. وقوات الشرطة والأمن كانت تحت أمرتهم أيضاً. حتى أن بعض عناصر الشرطة المسنين الذين لا يتحركون في الأوقات العادية.. كانوا يحملون السلاح /الكلاشنكوف/ ويعاربون العدو ويستشهدون. أما الشرطة الخاصة بالمدنيين الذين كانوا يخدمون في أنقرة. فقد ركبوا سيارات مدنية وتحقروا تحت إمرة قائد منطقة إسطنبول وبدؤوا بتحضيراتهم للدفاع عنها. عندما كان الدور سيأتي إلى إسطنبول كان الناس سيشاهدون معركة حقيقة بكل معنى الكلمة.

كان باركن وشاهين قد بدأا بالزحف بعد هذه المرحلة. وعندما وصلا إلى منطقة الوزارات. كانت أصوات المعارك تصم الآذان من شدتها كان ثمة مشاعر قد تحركت في باركن. وكأنه قد ترك جسده في الخارج ويراقبه من بعيد. كان كل شيء يوقد لدى البشر إحساساً ما بعد الحقيقة. كان اللواء الأول من فرقا الإنزال الجوي ١٠١ قد تم إنزاله في قلب أنقرة تماماً. باركن يستطيع رؤيتهم... كانوا قد ستروا أنفسهم مع أسلحتهم المربعة وتجهيزاتهم الضخمة على إطراف البناءيات والمعماريات. ويطلقون النار على الدوام. كلّاهم كانوا يشاهد ظلال الجنود داخل العتمة. وكانت البناءيات التي فيها الجنود الأميركيون تتعرض لنيران شديدة أيضاً.. كانت الطلقات تصطدم بالجدران وتتصدر غباراً وقطعاً إسمنتية وتشرها في مساحات واسعة. والجنود الأميركيون يرمون بالنار من داخل الأبنية التي

سيطروا عليها.

وعندما تنتهي رصاصاتهم يبدؤون ثانية بملء المخازن وهم يدعون ويرسمون الصليب على صدورهم. أما بالنسبة للجرحى فلا مجال لفعل أي شيء على الإطلاق. كان الجميع قد بدأ بفقد حاسة الحقائق.. لا يهمهم أي شيء.. لا الذين قتلوا ولا الذين قُتل منهم. كانوا في داخل جهنم وبئس المهد.
وكانهم على علم بعدم خروجهم من هنا ولا يحملون ذرة أمل واحدة ترיהם الطريق القوي للخروج.

وأشار السيد شاهين بيده إلى ناحية. كان كلامهما يشاهد آثار معركة طاحنة تدور رحاها في مكان تواجد مبنى مجلس الأمة الكبير. كانت الطائرات لم تقذف تلك البناء خصيصاً. كان في نيتهم السيطرة على ذلك المبنى وخلق نوع من التأثير النفسي قال السيد شاهين: "اعتقد إنهم يهاجمون كي يسيطرلوا على مجلس الأمة الكبير" كان يتراءى غارقاً في بحور الأفكار. كان باركين يستطيع فهم حالته النفسية.. يجب أن يُحس بنفسه مسؤولاً عن كل هذا الذي يجري الآن. عليه أن يُجند الناس لتخلص البلد من هذا الاحتلال البغيض. ولكن حركة الاحتلال كانت مباغتة وسريعة بحيث لم يتمكنوا من جمع الناس وتدريبهم. من الصعوبة بممكان أن تخلق نوعاً من المقاومة الشعبية من الداخل. كان احتلال العراق بالنسبة لأمريكا يختلف كثيراً عن هذا الاحتلال.. كان العراقيون معتادين على جو المعارك الداخلية والخارجية ضد الديكتاتور وسواء حيث أذاقوا الأمريكيين درساً لن ينسوه. ولهذا السبب فقط كانوا قد دعوا الجيش التركي للدخول إلى هناك: يعني على أقل تقدير كانت البيانات الرسمية تظهر هذا الشيء. والحقيقة كان العراقيون قد أبدوا مقاومة قوية إلى أبعد الحدود.

كان السيد شاهين قد بدأ يضحك ضحكات لا معنى لها وهو يقول (شو بدننا نأكل خرى يعني؟): كان وجهاهما قد صارا قذرين ووسخين من آثار النار والدمار والشحار.. أسنانهما كانت تلمع من البياض.

حتى أعضاب باركين كانت قد خربت واهترأت. هو الآخر بدأ بالضحك

شخصان مسلحان منبطحان على الأرض ويضحكان وهما يمسكان ببنيهما وعلى بعد مئة متر منها.. كان جنود الأعداء يطلقون النار نحو المصادر التي تخرج منها النيران وهم يضمون على عيونهم المناظير الليلية.

يذكرون الإنسان بالمخلوقات القادمة من الفضاء. سكت السيد شاهين فجأة، لاحظ أن ثمة حركة قوية بدأت بين الجنود. في هذه الأثناء خرجت مدرعة من أحد الشوارع بسرعة جنونية وأمطرت البنيات من أمامها بوابل من نيران رشاش من عيار ٢٥مم. ثم رسمت خطًا دائريًا بمناورة قاسية ودارت نحو الخلف. ووقفت أمام الجنود لتجعل من نفسها سداً لهم.. خرجت دبابة من الشارع نفسه الذي خرجت منه العربة المدرعة فارتجمف الاثنان دفعة واحدة.. كانت الدبابة تسير بقوة وهي تطلق النار من مدفعتها.. كانت البنيات قد بدأت تهتز وبدأ زجاج النوافذ والأبواب السليمة يذوب.. كما الثلوج والجليد تحت الملح. وكان الأمر قد خرج من أيديهم أو من تحت سيطرتهم.

ازداد الضغط والشدة أكثر عندما انفجرت الدبابة الأمريكية بوساطة صاروخ. لم يعرف أحد مصدره.. كان الظرفان يهجمان على بعضهما بقوة أكثر. كان الجيش التركي يجادل بشكل رائع وكأنه يريد أن يسحب الأفعى الملتقة على عنقه. ويريد طرحها أرضاً. حتى مجيء أو وصول الأمريكان إلى هذه النقطة بحد ذاته شيء لا يحتمل.

نظر السيد شاهين إلى الجنود الأتراك الذين كانوا ينتشرون في الأطراف. كان يستطيع تقييم ظلالهم حتى من مسافات طويلة. فذكر بينه وبين نفسه: نحن أقرب شخصين إليهم: في الوقت الذي كان يفكرون. وإن بصاروخ آخر صنع قوساً في السماء وأصاب الدبابة الثانية من سطحها. حيث انفجرت بصوت قوي جداً وبدأت بالاحتراق. اجتمع الجنود الأمريكان في نقطة واحدة.. وابتعدوا من خلف المدرعات التي ستروا أنفسهم بها. حيث بدأت موجة شديدة من النيران تتوجه نحو النقطة التي خرج منها الصاروخ.. استطاع التخمين بأن أحد الجنود الأمريكان طلب المساعدة باللاسلكي الذي كان يحمله. أما الدبابة وما تحويها من جنود فلا يقدرون فعل

أي شيء من أجلهم.

كان صاروخ /أيركس/ قد أصاب هدفه تماماً. يجب أن يكون الأمريكان قد فهموا أنهم في نقطة خطيرة جداً. بعد دقيقة واحدة بدأت مروحة من طراز /آباتشي/ تمطر فوق النقطة التي خرج منها الصاروخ بوابل من القنابل والصواريخ. ولكن النيران التي أطلقت باتجاه الآباتشي صارت أشد. أصيبت الطائرة وبدأت تختفي نحو الأرض وهي تدور واصطدمت فوق بالبيتون بقوة.. الطيارون لم يموتوا ولكنهم كانوا لا يستطيعون الحراك.

ذهب بعض الجنود الأتراك إلى مكان سقوط الطائرة وسحبوا الطيارين نحو أماكن تسترهم أو تخندقهم.

كانت أصوات الصواريخ التي تقع فوق البيتون تخلف أصداً وتنعكس نحو كل الأطراف في الوقت الذي كانت فيه المجمات دائمة. سمع صوت طائرة في السماء، وحصل انفجار كبير في النقطة التي خرج منها الصاروخ قبل فترة قصيرة.. وكانتهم يريدون عدم خروج أي صاروخ أي صاروخ من تلك الحارة بعد هذه الضربة.. كانت هذه القنبلة التي ألقيت من الطائرة قد أحدثت خسائر في عدد من البناء.

كان صوت المدنيين يخرج على شكل صراخ وعويل وولولة. ولكن مساعدتهم كانت مستحيلة. من شارع موازٍ للشارع الذي خرجت منه المدرعة. خرجت عدة عربات مدرعة أخرى. وتوجهت نحو نقطة بعيدة إلى حد ما.

كانت تلك العربات قد فقدت صوابها. كانوا قد نزلوا وسط عاصمة قوية وجيشهما أقوى منها. ودخلوا في حرب مدن وشوارع قوية. بدأت أصوات الأسلحة تزداد شدة وضراوة من النقطة التي كانت العربات المدرعة تتجه نحوها.. يجب أن يكونوا قد كشفوا نقطة دفاع قوية.. خرجت من الشارع نفسه دباباتان واتجهتا بسرعة نحو مكان تواجد العربات المدرعة.. حيث وجهت مدافعتها وبدأت بإطلاق النار على النقطة نفسها. كان الجو قد أضيء مثل النهار من جراء النيران الكثيفة الخارجة من مدفع الدبابات. وكانت العربات المدرعة تدعم الدبابات بنيرانها أيضاً. خرج جنود فرقة ١٠١ / من داخل الدبابات وتحندقوا في نقاط معينة على الزوايا

وجانب الأبنية. نظر السيد شاهين وبارك في عيون بعضهما عندما عرفاً أن الجماعة يسيطرون على أنقرة خطوة خطوة.. نعم هم الأعداء أمامهم تماماً.. فكروا بالذى سيقومان به. كان باستطاعتهما الاشتباك معهم. ولكنهما سيموتان حتماً.

في هذه اللحظات كانت القوات الأمريكية.. الأكثر تدريباً وتعلماً وتكتيكاً تطبق عملية تعد من أقوى عمليات التاريخ الإنساني كله. من الصعب عليهم إيقاف هذه الهجوم. كانت هذه القوات تهاجم وبضراوة كل نقطة تصدر منها النيران وتنزل خسائر فادحة بين المدنيين. كانوا يشاهدون أناساً يرمون أنفسهم من فوق البنايات هرباً من الحرائق والموت.

في مثل هذه المواقف.. الدفاع يجلب الضرر أكثر من الانتصار.. سمعتُ أصوات مروحيات ثانية. كانت العشرات منها تمر من فوقهم وتجه نحو شمال أنقرة.. ولا تهمل إطلاق نيران رشاشتها في كل الأرجاء والأنحاء

كان الأمر قد اتضح مما سيُسفر عنه الصباح. القسم الأكبر من أنقرة سيكون تحت الاحتلال الأمريكي.

ولكن الموقف كان يتجه نحو استقامة على عكس ما كان يتوقعه الجميع. كانت خسائر الأميركيين كبيرة جداً. واستدامة العملية كانت قد دخلت في حيز الخطر.

- صباح الغد سيكون صباحاً آخر. هكذا فكر باركين بينه وبين نفسه.
ونظر إلى بندقية الكلاشنکوف التي كان يحملها. وتذكر زوجته وأمه كان
السيد شاهين يعرف ما الذي يدور في عقله، صاحبه.

- تذهب أن تحب

- "مستحلاً يا سيد شاهرين... لا... لا..."

اذهب الآن يا باركـنـ. لا يوجد شيء نفعله الآنـ. انظرـ! الجمـاعة نـزلـوا إـلـى مـرـكـزـ
المـدـيـنـةـ.. وـنـحـنـ سـنـخـلـصـهاـ مـنـهـمـ روـيدـاـ روـيدـاــ. كـلـ ماـ نـفـعـلـهـ الآـنـ عـبـثــ. إـنـهـ عـازـمـونـ..
وـعـنـدـهـمـ كـلـ الإـمـكـانـيـاتـ.. وـنـحـنـ لـأـنـرـيدـ أـنـ يـصـابـ المـدـنـيـونـ بـالـخـسـائـرـ.. أـلـيـسـ
كـذـاكـ؟

- "نعم.. ولكن؟"

ضحك السيد شاهين وصرخ: "روح ولنْ ولا بطير راسك ها"

- "وأنت؟"

- "وأنا الآخر سأذهب إلى عند عميدي"

هزَّ باركن رأسه وابتعد من هناك مسرعاً.. كان عليه أن يصل إلى زوجته.. من يدري كم خافت في الوقت الذي كان يجري بين الأزقة الخلفية.. كان يصادف الجنود والناس الآخرين.. كل واحد يحاول أن يفعل شيئاً ما.. ولكن كأنهم يعرفون بأنهم لن يقدروا على فعل أي شيء أمام أسلحة العدو الجباره.. فجأة تذكر.. رفع البندقية من كتفه ورمها على الأرض.

وقال في نفسه: في كل الأحوال أستطيع أن أحصل على سلاح آخر.

بعد أن وثق السيد شاهين من ذهب باركن.. نظر إلى تقدم الجنود الأميركيين.. كانت طلائع الجنود والدبابات التابعة للفرقة المدرعة الأولى قد بدأت تلتقي وتلامس طلائع فرقه الإنزال الجوي ١٠١/. ولكن كيف ستتطور الحالة، الأمر غير معروف.. كانت الفرقة المدرعة الأولى قد دخلت من الثغرات ولكن اتضح أن هذه الثغرات مليئة بالكمائن التركية.. وهذا ما كانوا يتوقعونه.. ومع إن كل التوقعات مجهولة فإن القسم الأكبر من المدينة كانت محاطة ومحاصرة بالقوات الأمريكية.

وكان ثمة جنود آخرون يلبسون ثياباً أخرى.. متواجدین هنا وهناك.. كان السيد شاهين يعرف بوجود القوات الخاصة الأمريكية.. وكان هدفهم الرئيس مبني مجلس الأمة التركي الكبير.. كان عليه الذهاب إلى هناك بأي شكل كان.. عليه المقاومة والدفاع عن ذلك المكان حتى الاستشهاد.. جمع أشتات ذهنه وبعد أن رسم الخط الآمن الذي سيوصله إلى هناك.. أخذ نفساً طويلاً وجرى بسرعة وعلى استقامة واحدة وباستقرار واحد.. وكأنه يجري في سباق أحد الماراتونات.. وعندئذ ثقة مطلقة بأنه سيجد الكثيرين من زملائه هناك.

كانت الشوارع قد فرغت كلية.. وأصوات الأسلحة قد ملأت مكان الناس.. لم يكن السيد شاهين يفكّر برد هذه الهجمة.. لأن العدو كان قد نزل في داخلهم.

واستطاع الارتباط مع الفرقة المدرعة الأولى التي كانت تحاصر المدينة.. مقاومة هذا الهجوم معناه زيادة في الخسائر البشرية. لأن النقاط المدافعة. كانت تتعرض لهجمات وغارات جوية كثيفة.. دون رحمة ولا شفقة.. كانت أصوات الانفجارات تتواли من عموم أنحاء المدينة ودون توقف.. كان السيد شاهين يقي نفسه من شظايا المعادن وقطع الإسمنت.. وهو يجري. عندما اقترب من المجلس. أحس بشدة المعارك. فتح أمان سلاحه. وأكمل جريه وسبطانة البندقية تنظر نحو الأسفل. كانت رائحة البارود قد غطت جو المدينة بأكملها. لم يكن يحس بأي شيء. عندما كان يجري أمام الأبنية رأى أناساً جالسين أمامها.. تخلصوا من الموت بأعجوبة كبيرة. وكانوا في موجة من القلق والاضطراب. كان بوده مساعدتهم وتقديم يد العون لهم.

ولكن كل الروابط كانت قد خلت تماماً. نظام جمهورية عملاقة كان يجادل كي يبقى واقفاً على أرجله. ولا أهمية بعد الآن لزيادة الخسائر البشرية.

عندما اقترب السيد شاهين من بناء المجلس وقف في إحدى الزوايا وألقى نظرة فيما حوله. لم يكن يصدق ما تراه عيناه. كان بعض المدنيين يحملون إشلارات من الأضواء يلوحنها نحو السماء.. ومن ثم كانت المروحيات تتزلق فوق تلك النقطة وتتنزل ركابها من الجنود الخاصة الأمريكية. حيث كانوا يتوزعون نحو كل الجهات وهم يحملون عشرات كيلو الفرات من التجهيزات. ويكونون نقاط أمان مباشرة. لم يكن السيد شاهين يرى الأشخاص الذين يؤশرون للمروحيات.. ولكنه كان واثقاً أنهم ليسوا من الأمريكيين. امتلاً قلبه بالغضب والحدق. وبدأ بمراقبة أحدهم.. شاب في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً "شخص أسمى إلى حد ما". بعد نزول المروحية كان قد دخل إلى إحدى الأرقاف الداخلية جرياً. بدا السيد شاهين بالجري كي يقبض عليه. دخل من شارع جانبي وأوقفه. كانت عينا الشاب قد فتحتا من الخوف. عندما قابلت نظراته نظرات السيد شاهين.. احتار في أمره. كان يريد أن يقول شيئاً ولكن صوته لم يكن يخرج. لم يجد السيد شاهين ضرورة حتى يسألة. سحب زناد بندقيته لمرة واحدة.. فتمدد الشاب طولاً وعرضأ على وجهه من جراء انفجار الرصاصية في وجهه.

عاد السيد شاهين جرياً إلى النقطة نفسها التي كان فيها. كان الجنود الأميركيون قد شكلوا سدوداً في مناطق عدة. قال في نفسه:
“فهرم الله.. هل كان بوسعي أن أفعل أفضل من هذا؟”
والحقيقة لم يكن ينتظر هجوماً جريئاً بهذا الشكل.. كان السيد شاهين يظن بأن القوات الأمريكية تمسك بزمام الأمور في كل الاتجاهات. لأنه لم يكن يرى القسم الأكبر من اللوحة.. ولكن الأمر لم يكن كما كان يظنه شخصياً.
كانت كل التجهيزات التركية قد تركزت في الضواحي الخارجية للمدينة. وذلك لإبادة دبابات الفرقة المدرعة الأولى. مع أن الأميركيين كانوا قد دخلوا المدينة من نقطة ضيقة /أو كوريدور ضيق/ وكانوا يحاولون السيطرة على قلب أنقرة بالتعاون مع عساكر الإنزال الجوي /١٠١/ وكانوا قد تقدموا بعض الشيء في هذا الصدد. كان يستطيع رؤية الجنود الأميركيين داخل بعض المباني الحكومية التي نجت من الهدم. وكان قصر الجمهورية أيضاً تحت /كونتول/ العربات المدرعة. مهما كانت المشاهد سيئة هنا، فالقوات الأمريكية كانت محاصرة تماماً.. كانوا ينتظرون الصباح ومجيء كاميرات التلفاز. ويجب أن تأتي قوات جديدة حتى تخلصهم مما هم فيه إلا أن القوات الخاصة التركية المتمركزة في قصري كانت قد شنت هجوماً على الفوج /٥٢٧/ الذي أرسل لإغلاق طريق بولو / وأنزلت بها أفدح الخسائر.

والحقيقة أن هذه المراة التي قدمت للجيش الأميركي ستسجل في تاريخ جيشهم مذكرة المراة والألم. كان اللواء الخاص قد طبق تكتيكات رائعة في حربه مع الفوج /٥٢٧/ الأميركي: حتى أن القوات الخاصة قد اقتربت منهم كثيراً وقدفت مركز قيادة الفرقة والفوج. وقتلت من الضباط ذوي الرتب العالية عدداً كبيراً. كانت الحرب قد بدأت تتحوّل منحاً غريباً.. مصير أنقرة كان مجهولاً. كان ثمة فوضى تعاشر بكل معنى الكلمة.

قام السيد شاهين من الأرض وجري ثانية. لم يكن قد صادف بعد أحداً من زملائه.. انتقل من الشارع القريب من المجلس إلى الجهة الأخرى المقابلة.. كانت آثار سلاسل الدبابات واضحة على الشارع.. اختبا خلف الجدار البيتوبي الذي يحيط

بالحديقة الموجودة في حي /كافاولي دارا/. فكُر للحظة: أنه تصرف خطأً.. كان في قلب المركز تماماً. كانت ثمة رصاصات طائشة تطير فوق رأسه. وبمقدورهم كشفه في كل لحظة. كان يسمع صوت الجنود الأميركيين وصرارهم. وإطلاقهم النار فقط. في تلك اللحظة شاهد مجموعة من المدنيين. وهم نازلون نحو الأسفل.. فرح كثيراً لرؤيتهم كان قد عرف أنهم من القوات الخاصة.

وذلك من حركاتهم وتصرفاتهم.. كانوا ثلاثة أشخاص.. أحدهم يحمل رشاشاً ثقيلاً والاثنان الآخرين يحملان بندقية من طراز /M16/. كانوا قد ستروا أنفسهم خلف صخرتين كبيرتين. ولكن وضعهم كان سيئاً وحرجاً.. كانوا يحاربون دون أمل. في الوقت الذي كان فيه السيد شاهين يريد محاديثهم وإذا بحزمة كبيرة من الضوء قد نزلت وأصطدمت بالصخرتين. حيث صار الجو مضاءً. رمى السيد شاهين نفسه على الأرض. للحظة واحدة صارت عيناه مكفوفتين. عندما استطاع فتح عينيه رأى العساكر الثلاثة يتلاؤن فوق الأرض. كان عليه الابتعاد من هنا مباشرة.. وإنما.. في الوقت الذي كان يبتعد فيه من هناك نظر إلى الخلف وإذا بعده من جنود الأعداء بلباسهم الأسود ومناظيرهم الليلية جاؤوا ووقفوا فوق جث العساكر الثلاثة. في تلك اللحظة رفع أحد الجنود رأسه ونظر نحو السيد شاهين.. حيث تقابلت نظراتهما: مدَّ السيد شاهين يده إلى سلاحه مباشرة الرصاصتان جسم الاثنين معاً. ولكن الجندي الأميركي كان يلبس صداره معدنية واقية. في الوقت الذي كان فيه السيد شاهين متمدداً على الأرض كان يشاهد السماء. كانت ثمة أجسام أكثر سواداً من الليل تدور داخل الظلمة. وكان يرى الطلقات الخطاطة التي تشق السماء. مررت الثوانی بسرعة كبيرة. وإذا بالجنود الذين يلبسون الفورمات السوداء ظهروا فوق رأسه. لم يكن في حالة يستطيع التحدث فيها. كان الدم ينزف من الجرح الذي في بطنه. إحساسه بالألم لم يدم طويلاً. حيث وجه الجندي الأميركي سلاحه وأنهى عمله.

في صباح اليوم التالي. كانت أنقرة مغطاة بالأدخنة الكثيفة والشجار الأسود الرهيب. وكان الأصوات قد قُطعت أيضاً.. وبين وقت وآخر كان يخرج صوت

سلاح ما ويتصدى في الأجواء. كان المشهد مرعباً بكل معنى الكلمة. كانت المدينة قد لاقت وبالاً من الخراب والانهدام.

والخسائر البشرية فادحة جداً. البنيات الموجودة في منطقة الوزارات والمجلس قد صارت سوداء. وكان المرور قد توقف كلياً في الأحياء المجاورة لكثر الأنفاس في العمارت والحرائق التي كانت تشتعل فيها.

ومن رابع المستحيلات أن ترى أحداً من الناس والحيوان في الشوارع لأن الجنود الأميركيين كانوا يطلقون النار لكل حركة يرونها.. كانت خطوط التموين قد قطعت ولكنهم كانوا لا يستطيعون الخروج من أماكن تواجدهم. ومجيء الدعم والمساعدة إلى الأميركيين كان من رابع المستحيلات. كانت فرقة الإنزال الجوي ١٠١ / قد خسرت أكثر من ثمانين طائرة مروحية.. كانوا في حالة مخيفة جداً. كانوا يفكرون بأنهم ما زالوا يملكون المزيد من القوة كي يروجوا دعاية لأنفسهم.. إذا ما بدأت قوة الحركات الانفصالية المرتقبة.. لعادت الأمور على ما يرام.

نظر باركين من زجاج منزله إلى الشارع.. كانت زوجته تبكي على الدوام. كان المنزل قد فرغ كلياً من المأكولات والمشروبات.. كانت برودة الصباح الشديدة تملاً جو الغرفة دون شفقة ولا رحمة. وإذا أردنا قول الصراحة كانا يدعوان ربما لأن بيتهما كان متيناً ولم يصب بأي أذى.

كانت العربات المدرعة الأمريكية تمرُّ من الشارع والجنود على سطحها يراقبون البيوت بدقة متناهية وهم في حالة من التوتر الشديد.

لم يُرد /باركين/ أن تتقاطع نظراته مع نظارات الأعداء.. فتراجع عدة خطوات نحو الخلف.. كانت زوجته في البيت. وإن...

فتح التلفاز.. هذا الموقف لم يكن يفهمه أبداً.. الكهرباء شغاله والتلفاز شغاله على الدوام. وكان الأميركيين يفعلون هذا الشيء بملء إرادتهم. نعم.. نعم.. كانوا يفعلون ذلك بملء إرادتهم.. لا شك في ذلك. كان هذا سلحاً مهماً بالنسبة إليهم. مشاهد الأنفاس كانت تؤثر أكثر من الأنفاس نفسها.

ولكون العمارة عالية كان باستطاعته رؤية القسم الأكبر من أنقرة يا إلهي؟!

وكان كل شيء قد ضُربَ. لم يعد هناك من شيء يستطيع المرء أن يفعله. كان الجنود الأميركيون موجودين في مركز المدينة وقد صبغوا أنفسهم بالدهان ولبسوا الألبسة المرعبة. بقوا هناك منزولين في حيز ضيق جداً.. كانت مدرعات الفرقة الأولى قد شكلت خطأ دفاعياً أمامهم. بعد قليل كانت القوات التركية ستتهجم على هذه الخطوط.. يجب أن يرتاحوا بعض الوقت ويجتمعوا بعض قواهم. في هذه الأثناء لم يكن يعرض التلفاز شيئاً هاماً. فقط كانت المشاهد الخام تسيل عبر الشاشة.

لاحظ أن ثمة مشاهد تعرض من القصر الجمهوري. كان ثمة جنود يدورون في حدائق القصر. والأدخنة كانت تتصاعد من داخل المنزل. وبعض الجدران كانت قد تهدمت. تغيرت الكاميرا.. كان يعرض الغرف الآن. كان الجنود قد جلسوا على الكراسي يرتحون ويتمازحون. وكان بعض الجنود يتصورون قريباً من الجدران.. كان واضحاً أنهم خرجوا من معركة شديدة. لم تتح لهم الفرصة حتى يمسحوا الدهان الذي على وجوهم.

كانت ثمة كتابة على الشريط الذي يظهر أسفل الشاشة تلخص أحداث اليوم. CNN أنترناسيونال: "تمت السيطرة على قسم من مدينة أنقرة.." بعد حروب دامية وقاسية تم الاستيلاء على بناء المجلس والقصر الجمهوري وبعض الأبنية الأخرى الهامة. التوتر شديد جداً. منذ البارحة وإلى الآن مات ٦٢٨ عسكري أمريكي. والخسائر منذ بدء العملية وحتى الآن ٥٨٠٠ قتيل أمريكي. وعدد الجرحى ٩٨٠٠ جريح. والخسائر لدى الجيش التركي غير معروفة".

بقي باركن متمدداً فوق الكتبة. وكان طاقته كلها قد سُحب منه. وما الذي رأه على الشاشة لم يكن سوى الكذب بعينه. ولكن كان بمقدور هذه الأخبار أن تقلب معنويات الشعب رأساً على عقب.

كانوا يريدون أن يظل الشعب واقفاً لا يحرك ساكناً، يا ترى ماذا يفعل الآن السيد شاهين؟ هل يستطيع أن يصل إليه؟

منذ وقت طويل لم يصدر من المسؤولين الكبار كلمة واحدة. حاول باركن فهم الهوة التي كانت تتعقب رويداً رويداً في أعماقه.. هذا النظام الذي صار

كالبيتون. على مدى سنوات طويلة... عبارة عن ماذا يا ترى؟^٦
وصار الآن عبارة عن نجار ليس إلا. والحقيقة.. كان الجيش الأمريكي قد
جلس بقوة وبشكل سريع في قلب البلد. أما الحياة في باقي المناطق كانت تسير
بشكل عادي. كانت القوات الأمريكية قد قامت بهذه العملية بمساعدة القوات
الجوية.. ولكن هل بمقدورها المحافظة عليها.
هذه العمليات. كانت قد صارت ميزة جديدة في حروب اليوم والمستقبل. لأن
الدول التي دخلت الحرب مع الأمريكيين لم تكن تستطيع الاحتفاظ بقوتها بسبب
القوى الجوية الأمريكية.
وخلال وقت قصير سيضيع معنى الجيش النظامي الكلاسيكي.. وهنا أيضاً
ـ صار الجيش التركي هكذا لم يضيّع بشكل كبير بنيته التحتية والقوية،
ولكن على وشك . والشيء الوحيد الذي فعله هو حرب العصابات الدفاعية. ولم
يتمكن يتراءى بعد مرحلة المهمة المضادة.

٢٠٠٧ أيار
مكان غير معروف

كانت الغرفة حارة جداً.. كان أحدهم يحمل رشاشاً ثقيلاً.. بلباس مدنى يقف أمام الباب.. كان رئيس الأركان يجلس فوق كنبة واسعة وإلى يمينه رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان.. وإلى شماليه قائد القوات الجوية الجنرال /أورهان أق يورك/ وإلى الكرسي الذى بجانبه يجلس قائد القوات الخاصة الجنرال /سلامى ديك باش/ كانت وجوه الجميع باردةً وعليها علامات الظلمة.. كان حكمت باشا يتراهى أكثرهم ديناميكية وطاقة.. كان الجيش الأمريكى قد حاول قتله.. وفي بعض الأحيان اقتربوا كثيراً من هدفهم.. كان حكمت باشا يأخذ الأمر نوعاً من المزحة ويقول لزملائه: "الظاهر أنهم لا يجدون في قتلکم أهمية..".. والحقيقة كان هذا الاجتماع يعد نوعاً من النصر.

ما معنى أن يجتمع رئيس الوزراء مع جناح العسكر وفي وضع يزداد التوتر فيه والفوضى في البلد.. ليقدموا استشارتهم لبعضهم.. هذا بحد ذاته كان حادثة مهمة.. لو تم ايصال هذا الاجتماع إلى باقى المناطق في البلد.. لارتفاعت معنويات الشعب.. ولأثر إيجاباً على الجو العام.. ولكن التلفازات لم تكن تفهم معنى هذه المسئولية.. كانوا يظنون أنهم إذا ما عرضوا هذه المشاهد على الشعب.. عند ذلك تحاسبهم القوات الأمريكية لم يكن الاحتلال قد اكتمل بعد عملياً.. ولكن في نظر الناس كان القسم الأكبر من الاحتلال قد تم.

أعطى حكمت باشا التعليمات للمصور الذي كان موجوداً في الغرفة كي تكون الصور جيدة ومناسبة للعرض.. كان التصوير سيتم في بعض أقسام الاجتماع.. وهذه الأقسام ستكون في حالة من المناوشات والصحبة الرائعة.. الوجوه مبتسمة وكل حركاتهم تدل على الوفاق والنجاح.. هذه ستكون رسالة موجهة للشعب.. انظروا نحن هنا ونقاوم العدو.. الكاميرا ستتغنى الآن البداية، كان

عليهم البحث عن الوضع الحقيقي. وبالاصل الفایة الأساسية من الاجتماع كان هنا، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى قسم المناقشات اللذينة والحرّة.

تحدى حكمت باشا بصوت ضبابي: "هذه العملية لم تكن قد طبقت بعد ولم يرها أحد.. بعض الأحداث منها من الطراز المتوقع مثلًا محاولة إبادة البنية التحتية بوساطة القوات الجوية. والقيام بعملية سريعة بمدرعات الاحتلال.. وافقه الآخرون بهزة من رؤوسهم.. ما حصل كان طبيعياً وهو ما يجب أن يحصل.

- "اما الاشياء غير الطبيعية. فهي حصول الحركة في منطقة ضيقة وبشكل محدود. وبصورة سريعة جداً. إلى جانب هذا كله. كانوا يهاجمون المدنيين أيضاً.. مع انه يجب على القوات المحتلة ان لا تأخذ المدنيين أنداداً لها. ولكنهم يهاجمون بغایة خلق نوع من الخوف عند المدنيين.

تدخل رئيس الوزراء طيب أردوغان: "الدنيا كلها لا تهمهم بشيء.. وجميع الدول بقيت صامتة مع إننا أرسلنا لهم كل الوثائق والأدلة".

أكمل الجنرال /أورغاھان أق يورك/ قائد القوات الجوية... وحالياً قائد بلا قوات وكان على الدوام ملازماً الرئيس الأركان:

- "هذا ليس طبيعياً.. العالم صامت بشكل غريب.. حتى إنهم لا يذكرون الخسائر البشرية".

قال حكمت باشا: "إن الأوغاد يتحركون كالعاصفة. يحركون قوة ضخمة بنظام فريد من نوعه.. ويحافظون عليها بالقوات الجوية. إنهم يدخلون إلى داخل نظام البلد. ولكن قواتهم الموجودة في أنقرة محاصرة تماماً.. لم يفعلوا شيئاً رموا بقوة مهمة إلى المركز وتمسكوا بها هناك. يجب أن تتحرك بسرعة وتفنّيهم عن بكرة أبيهم".

كان الجميع يوافقون حكمت باشا برأوسمهم. وبالاصل فهو محل رائج وتلقى المزيد من شهادات التقدير. ومشهور في هذا المجال، وأضاف حكمت باشا: "اعتقد أنهم يريدون تهديم النظام.. وتحريك الانفصاليين ل تقوم حرب أهلية داخلية.. وتمزيق البلد إلى دويلات. وصلوا إلى العاصمة دون أن يمسوا بقية المناطق بأذى.. بعد ذلك

سيكون هدفهم إسطنبول.. ثم سيسيطرُون على الانفصاليين الموجودين في الداخل وربما الخارجين أيضاً.

الجملة الأخيرة من كلمات حكمت باشا جعلت من شعر أجساد الآخرين أشواكاً.. يا ترى هل يفعلون هذا الشيء حقيقة؟ كان هذا سؤالاً لا معنى له. إذ نظرنا إلى كل شيء فعلوه. معناه لن يتركوا شيئاً إلا وسيفعلوه. تخيلوا القرى والبلدات التي صارت بأيدي اليونانيين والأرمن أرواح كثيرة سترهق. والدنيا كلها ستغمض عيونها.

- يقولون إن كتيبتين من الفرق المدرعة الثالثة قد أقامتا خطأ دفاعياً أمام سد أتانورك / للوقوف أمام كل هجمة مضادة.

نحن الآن نهاجم خطوط التموين عندهم. ولهذا السبب فعندهم نقص كبير في المعدات والتموين والوقود. أما وحداتهم الموجودة في أنقرة قد ضيّفت كل قوتها الحربية.. القوات الموجودة في الخارج قابلة للحركة فقط. وخاصة من الدعم الجوي.. ولكن إذا هجموا على إسطنبول وربما نضرهم هناك الضربة القاضية. طبعاً إذا لم يعمدوا إلى إنزال بحري في إسطنبول.. والأخبار الواردة إلينا تقول: السفن التي تحمل مشاة البحرية تتوجه نحو بوغاز / جنق قلعة /

سحب السيد طيب أردوغان شهيقاً طويلاً. كان الجميع يشتراكون معه في أفكاره لأن واقعة أخرى أو حرياً في قلعة جنق قد صارت من نصيبيهم.. حيث قال:

- ثمة احتياطات في قلعة جنق. وضعنا كثيراً من الصواريخ المضادة للدبابات على الخنادق الساحلية ولكن. لست أدرى.. ربما يقذفون المنطقة بقوة بواسطة الطائرات"

الكل وافق على ما قاله. الخنادق الساحلية الموجودة هناك لن تكون نقطاً أمنية.. كان من الصعب إنزال الخسائر بالسفن وبالصواريخ المضادة للطائرات. أما بطارات المدفع لم تكن تستطيع الحراك لأنها كانت تحت القذف على الدوام. تحدث قائد القوات الخاصة الجنرال سلامي ديك باش لأول مرة: "عندما يصلون إلى إسطنبول يا سيدني ستتغير كل الأمور الخطط الدفاعية في أنقرة ناجحة جداً. لأن العدو قد حُصر في المركز. وضيق ارتباطه بالخطوط الخارجية" رفع رأسه

للحظة واحدة نحو الأعلى وصمت عن الكلام.. ثم جمع أفكاره ثانية وقال مضيفاً: "لقد نقلنا كل عساكر الوحدات الخاصة إلى إسطنبول.. حتى قوات الأمن المدنيين في باقي المدن تم إرسالهم إلى هناك أيضاً.. ضباط القوات الخاصة سيترأسون هذه العناصر. وسيشكلون نقطاً دفاعية في عموم أرجاء إسطنبول".

للحظة واحدة امتلأت عينا حكمت باشا بالدموع. وقال: "أردنا نقل عناصر الكوماندو الموجودة في /بولو/ بالحافلات المدنية إلى إسطنبول.. ولكن وصلتهم هذه الأخبار.. القافلة تعرضت لهجمة شرسة.. سقط مئات الشهداء ومن بينهم قائد اللواء شخصياً".

تمت الجميع دفعة واحدة: "يرحمهم الله"... وهز حكمت باشا رأسه قال: "أكثرهم تخلصوا من موت محقق.. ولكن الوحيدة ابتعدت عن مركزها وهي الآن منتشرة هنا وهناك.. ونخمن أن هذه القوات ستتجمع وتلتحق بنا إلى إسطنبول.. في هذه الحالة سنستعملهم في الهجوم على الوحدات الأمريكية التي ستحاول أو ستجرب احتلال إسطنبول".

قال السيد طيب أردوغان: "تقول الأخبار إن فرقة الإنزال الجوي ٨٢.. ستتفدّع للجمات". ولكن السيد أردوغان لم يكن واثقاً من هذه الأخبار.

- "ربما يكون هذا الخبر صحيحاً يا سيدى.. تلك الفرقة موجودة الآن قريباً من لواء إسكندرон.. ولكن لديها من الإمكانيات التي تستطيع الوصول إلى إسطنبول خلال عدة ساعات.. ولكن هذه الفرقة فقط.. تستطيع المجيء من البحر والبر أيضاً هذا ضروري من الناحية المنطقية.. وإلا لا تقدر الوصول إلى نتيجة".

أخرج السيد رجب طيب أردوغان من جيشه ورقة وبدأ بقراءتها: "الوضع في الجنوب الشرقي متواتر جداً.. ليس عندهم هناك قوات سوى الوحدات الخاصة.. يقولون إنهم قد هجموا إلى بعض القرى التي لم تقف معهم بالرشاشات والقنابل وبواسطة المروحيات".

- "إنهم تحولوا إلى وحوش"

سأل حكمت باشا: "وما وضع الحكومة؟" لم يكن مخاطبة سوى السيد طيب أردوغان أجا به:

- يقولون إنهم قد ألقوا القبض على وزير الداخلية. فعینت مكانه، ظهرت الابتسامة على وجوه الحاضرين. لأن وزير الخارجية كان بمثابة أسير في الولايات المتحدة.. كان وضع وزير الخارجية أصعبهم وضعًا. أكمل رئيس الوزراء: "اعتقد أن السيد عبد الله غول محجوز في غرفة لأنه على حسب ما يقولون.. كسر أنف أحد الدبلوماسيين الأمريكيين حين زاره في غرفته.. كان أكثر وزرائي في أنقرة. قلت لهم: إذا ساءت الأمور كثيراً نظموا المقاومة في مدنكم وأعتقد أن الجميع قد انتشر了وا أما والي أنقرة فلكلهم العمر.. يقولون: إنه لم يستطع التحمل أكثر فقط أحد الداخلين إلى مبني الولاية." انحنت الرؤوس ثانية نحو الأمام وتممت: "يرحمة الله."

"أما رئيس الجمهورية فهو موجود في إسطنبول مع زوجته وهو بخير وأمان." مرة أخرى كان حكمت باشا قد صار رئيساً للمجتمع حيث قال: "إذا نظرنا بشكل عام.. فإن جيشنا قد فقد كل بنائه التحتية والفوقيه المصرية. وبالاصل فإن هؤلاء الأقدار يروجون الدعاية العصرية لأجل هذا السب.. وبما أنهم يعرفون العصر والعصرية.. فبابادتها تسهل كثيراً. بعد الآن يجب علينا أن نصنع المقاومة في كل مكان ونجعلهم يندمون لقدومهم إلى هنا.

ولا أعلم متى نلتقي ثانية. أنا شخصياً سأذهب إلى إسطنبول. وإذا ما سقطت تلك المدينة مثل أنقرة.. فإن بقية المناطق في البلد تسوء معنوياتها تماماً. يقولون إنهم يرسلون رسائل إلى أزمير كي تسلم نفسها.. وأنهم رموا بعض الأحياء منها بتلك القنابل الضخمة وحوّلوا الأحياء إلى أنقاض. كانت قنابل /سلاير/ قد صارت معروفة من قبل الأتراك: بعد الآن يستطيعون القيام بأول عملية إنزال بحري إلى أزمير.. وفي نقطة سيئة جداً.. من البر والهواء ومن كل مكان..

فهي مكشوفة ودون دفاع. وكما قلت لكم إذا سقطت إسطنبول فاعرفوا أنا ميت. عندها العمل يبقى لكم.. لا تجعلوا هذا الوطن علهاً لهؤلاء".

الضوء الذي ظهر على وجه حكمت باشا.. أعطى الجميع القوة. والعزيمة التي كانت على وجهه قد انتشرت للجميع فجأة.

وأضاف قائد القوات الخاصة الجنرال /سلامي ديك باش/:

"احسبي أنا أيضاً في أعداد الشهداء، أنا الآخر سأكون في إسطنبول.
والمكان الذي سأتوارد فيه سيكون حتماً من أدمى الأماكن، إن جنودي
ينتظرونني".

الكلمات التي وصلت إلى لسان السيد طيب أردوغان قد علت في حلقومه حيث قال: "انا أيضاً سأكون قريباً من إسطنبول في إحدى ضواحيها. طبعاً لن يجعل هؤلاء يرتحون هنا. ولا توجد أية مشكلة في قيادة الوحدات الموجودة خارج أنقرة وأعتقد أن الضواحي الخارجية لأنقرة ستبقى هادئة لفترة طويلة، وسأحاول إعداد الوحدات بشكل بطيء وهادئ لهجمة مضادة".
وافقه حكمت باشا قائلاً: "هذا جيد.. عشت وشاهدت أشياء كثيرة.. وأنت أيضاً صرت جندياً".

أشار حكمت بارس بشكل شديد إلى المصور.. كانت وجوههم قد تغيرت خلال لحظة واحدة.. توزعت كؤوس الشاي وانتقل الحديث إلى مواضيع أخرى.. بدؤوا يتحدثون عن مقاومة الشعب الرايعة وكيف أذاقوا الأميركيين درساً لا ينسوه أبداً.. كان سلامي ديك باش قد حلَّ شيفرة كيفية عرض الشريط أو الكاسيت.. في إحدى ساعات الأخبار سيذهب إلى إحدى الأقنية الفضائية وسيعتمد إلى عرض الشريط بقوة السلاح.. وإذا ما جاء الأميركيون وحققوا مع مسؤولي القناة.. فهي مسؤoliتهم بمفردتهم.

كانوا يتحدثون في الاجتماع عن الضربات التي ستشن بالقوات الأمريكية ولكن الخبر الأصلي كان على وشك أن يصل من بعيد، بعيد جداً.

٢٨ . الساعة ١٥.٢٣ ٢٠٠٧ أيار

نيويورك . واشنطن

كان كوكهان قد ألقى عن كاهله تعب السفر الذي دام يومين متتاليين ودون توقف. بعد أن نام عدة ساعات في /موتيل/ صغير. وطلب طعام الإفطار بوساطة الهاتف.. كان قد انتقل إلى نيويورك بعد أن عير القنبلة في واشنطن. وكان من حسن حظه أنه قد اجتاز حاجز الأمن بمرونه عبر الطرق الفرعية أو الجانبية. كان التلفاز مفتوحاً على الدوام.. دار على الأقنية.. ولكن لم يجد قناة تعرض الكاسيت الذي أرسله.. قال في نفسه: "إما أنهم لم يأخذوا الأمر بالجدية الكافية وإما قد شغلوا ميكانيكية الحظر والمنع.. المهم.. عندما تفجر القنبلة في واشنطن فإن صوتهم سيعلو كثيراً".

نظر إلى الساعة وقال: "الآن.." كان سيمرّوتآلاف من البشر الأبرياء. ولكنه كان يرى في التلفاز ماذا يفعلون بشعبه. لم يشعر بأي عذاب في ضميره ووجوده. في الوقت الذي كان فيه كوكهان يدخل إلى الحمام.. كانت صورته التي صورت أثناء عودته إلى تركيا في ٢٧ كانون الثاني. تعرض على شاشة التلفاز.. كان /جنكيز/ أو رجاله هم الذين أخذوا له هذه الصورة.. كانوا يقولون: "كل من يساعد على إلقاء القبض على هذا الرجل ستقدم له مكافأة مالية مقدارها عشرون مليون دولار: كانت عينا الشاب الذي يعمل في الاستعلامات قد فتحتا مثل حجر الفال/ وهو ينطف ما بين أسنانه من بقايا اللحم المحشو.. هذا هو الرجل الذي سجل اسمه في دفاتر /المotel/ كان واثقاً من ذلك حيث طلب الرقم الذي كان يظهر على الشاشة مباشرة.

كان ذلك اليوم بالنسبة /لسوزان ساندون/ كحقيقة الأيام. كانت جالسة في بيتها المطل على نهر /بوتاماج/.. ثمَّت نفسها بيقائهما في البيت وانتهائهما من العمل.. كانت قد تركت البحث عن الأقنية في التلفاز. المحطات لا تعرض سوى مشاهد

الحرب وآثارها. كانت قد ضاقت ذرعاً من هذه المشاهد. ولداها الاشان كانوا على وشك خروجهما من المدرسة. عندما يصلان كانت ستتهم بهما وترعاهما.. فكانت: عندما يكبران لا ت يريد أن يكونا جنديين. هذا شيء كثير بالنسبة إليها. كانت تعني بهما كاعتائهما بعيينها. اهتز جسدها وتحولت أشعارها إلى أشواك تُعزز في أعماقها.. وهي تفكر بهما: بعد وقت سيكبران ويصيران جنديين ويدهبان لقتال أولئك البربر قاطعي الرؤوس.

هذا الاحتمال كان وارداً جداً. كانت تريد تصدق أن أولئك البشر ليسوا كما تصفهم المحطات التلفازية. ولكن المحطات كانت تقنن الناس بطريقة غريبة.. على الأقل يجب أن تبقى بعيدة عن تلك العوالم. والحقيقة أن واشنطن لم تكون آمنة أيضاً بقدر ما كانوا يتصورون.. على الأقل كان ولداها معها.

كانت تستطيع حمايتهم.. وكانت قد أجبرت نفسها لتكون لهما آباءً بعد أن افترقت عن زوجها /جيسي/... ولداها كل شيء في حياتها.. نظرت إلى صورهما وشعرت بالشوق نحوهما.

سمعت صوت حافلة تضفط على المكابح.. يجب أن يكونا هما /ميكي ودوني/.. ولداها. وبما أنهاهما يدرسان في مدرسة واحدة كانوا يعودان معاً. أسرعت نحو الباب. عندما فتحت كان ولداها قد نزلَا من سرفيس المدرسة الأصفر. وكان يجريان نحوها.. انتشرت ابتسامة عميقة على وجه سوزان، وهي الأخرى خطت نحوهما عدة خطوات.

تلك اللحظة كانت لحظة مختلفة. لم تستطع سوزان فهم ماهيتها إذا استطاعت تذكر حياتها في الدنيا.. لتذكريت هذه اللحظة والضوء السمعي الذي يعمي الأ بصار. وموجة الحرارة التي سحبت جلدها عن جسدها كشرشف. كانت هذه الموجة الحرارية والضوئية التي نشرها الانفجار.. تسير بسرعة الضوء تقريباً وانتشرت على مساحة عشرة كيلومترات تقريباً. في اللحظة الأولى من الانفجار كان الناس والمعادن وكل شيء قد تبخر كلياً: وسوزان أيضاً كانت قد تبخرت ولكنها تركت أثاراً أمام بيتها. وكان أحدهم قد صورها ولم يظهر منها سوى /النيكاتيف/.

كانت قوة القنبلة التي ركزها كوكهان تعادل ضعف قوة القنبلة التي أُلقيت على هيروشيمما. ولهذا السبب كانت تعد صغيرة. والحقيقة كان الناس الذين فروا قبل سماع صوت الانفجار محظوظين جداً.

أما الغيمة المنطارية التي تشكلت بعد الانفجار فكانت مشهداً ستظل أثاره محفورة في ذهن الإنسانية إلى الأبد. عندما تشكلت السحابة.. كان تأثير الضوء قد خفَّ بعض الشيء أو قد بدأ يضعف من قوته.. أما الذين بقوا خارج مساحة خمسة كيلومترات. كانت عيونهم قد غُميت من الإشعاع النووي. وبقوا جامدين دون حراك داخل بحر من الألم مصابين بحرق من الدرجة الثانية. وأخرون كثيرون كانوا قد فقدوا صوابهم وعقولهم وتوازنهم من تأثير الانفجار.. كانوا يجرون من هنا إلى هناك.

كل البيوت تقريباً كانت قد تعرضت للانهيار وتحولت إلى أنقاض وثمة نساء كنْ قد حملن أولادهن بأحضانهن يجرين هنا وهناك في عالم ساده الظلام فجأة. وكانت ثمة رياح حارقة قد تكونت من جراء الضغط الذي فعله الانفجار نحو الخارج بسرعة مئتين كيلومتراً في الساعة. أما في الجهة المعاكسة لهذة الرياح كان الهواء يجذب الأشياء نحو الداخل ويرتفع نحو الأعلى مكوناً سحابة المنطارية. كانت الفوضى والتوتر قد نزلت فجأة فوق مدينة واشنطن بتأثير الرياح المتجاذبة نحو جهتين. كانت الأبنية قد سقطت على الأرض من أساساتها بتأثير من العواصف النارية والرياح الإشعاعية، ويفيها الموت من كل جانب.

كان ارتفاع المنطار قد وصل إلى أربعة عشر كيلومتراً. لم يكن ينشر ضوءاً بعد الآن. ولكنـه كان منطاراً حاراً وعملاقاً. أما الأشياء المسحوية نحو السماء.. فكانت قد بدأت تمطر مطرًا أسوداً فوق المدينة.. كانت سرعة الريح قد نزلت إلى أربعين كيلومتراً في الساعة الآن والإشعاعات النووية كانت قد وصلت إلى بعد عشرين كيلومتراً.. كان مركز واشنطن وكل آثارها الرمزية قد أبيدت كلـياً.. بناية **FBI** والبيت الأبيض ومركز **CIA** وزارة الدفاع.. كان كل شيء قد فُني.. كان الذين تعرّضوا للإشعاعات النووية داخل مساحة خمسة كيلو مترات.. في حالة لا يستطيع المرء أن يقترب منهم لمدة طويلة. والذين بقوا على قيد الحياة كانوا

سيموتون خلال وقت قصير. الذين بقوا خارج الحلقة الأولى يمكن تقديم المساعدة لهم. ولكن نسبة الوفيات عندما وصلت السحابة المنظارية إلى أعلى مستوى لها. كانت الرياح قد بدأت بالانتشار. كانت قد أخذت حالة ظلامية بكل معنى الكلمة: وحرارتها كانت على وشك الانتهاء. كل من تنفس الهواء الإشعاعي كان سيصاب بالسرطان.. كان ثمة انفجار نووي قد حصل فوق الأرض الأمريكية. ولكن سيختلف ردات فعل سياسية قوية.

كان الانفجار قد أحدث نوعاً من الاضطراب والقلق في جميع أنحاء العالم.. كانت عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ذات تاريخ يرجع لمئتي عام قد أبيدت كلية تحت سحابة منطارية كبيرة. ولم يبق من البيت الأبيض سوى كومة من الأنقاض.

كان الخبر قد وصل الرئيس وهو يأخذ مساجداً. كان جاك أرغوسيأن. قد دخل بسرعة وهو يصرخ بأعلى صوته: "لقد فجرها.. لقد فجر القنبلة في واشنطن.." كان الجميع قد أمضوا نصف الساعة التالية بالتوتر الشديد. كانت المشاهد تأتي تباعاً عن طريق الأقمار الصناعية والطائرات المرتفعة جداً. لمكان الانفجار ذات الإشعاعات الكبيرة.. كانت وحدات الجيش قد أقامت منطقة محظورة حول المكان.. والمدرعات السميكة تجمع الجرحى من المنطقة.. كان مكان العاصمه سيقى مقبراً ودون حياة على مدى طويل جداً.

قال الرئيس: صارخاً "سننتقم منهم.. سنقتل كل الأتراك."

فقال له روبرت مولر: "لا أظن أن هذا سيخفيفه يا سيادة الرئيس. بالأصل نحن نفعل ذلك."

كان يجب إلقاء القبض على هذا الرجل الجنون وتوفيقه عند حده، وبما أن جميع النواب والشيوخ قد ماتوا فإنهم أعلنوا بذلك إدارة أو حكومة طوارئ غير عادلة.

كان الرئيس سيتحدث إلى الشعب في عرض تلفازي مباشر. وكان العالم كله سيسمع هذا الخطاب عن طريق الإذاعات والتلفازات. رن جوال روبرت مولر.. كان الخبر القادم.. من أحسن الأخبار في ذلك اليوم. جاؤوا بالخبر المجهز على ورقة وقرأوها على أذن الرئيس: "قد تم كشف مكان وجود الرجل.. هو موجود في أحد

/موبيلات/ نيويورك.. بعد قليل سيتم القبض عليه".
رفع الرئيس يديه الاثنين نحو الأعلى وهزّ قبضته وقال صارخاً: "هذا هو.. هذا
هو.. والتلتف فجأة نحو الخلف وقال: "في هذه الحالة لنوجل الخطاب ولنعطي خبر
القاء القبض عليه ثم وقف على رجله وأمسك بيافة روبرت مولر الذي كان ينظر
إليه بنظرات حائرة وقال: "الأفضل من هذا: لنقم بالإغارة عليه بشكل مباشر وأنا
على الهواء. وهذا يظهر قوة الولايات المتحدة".

٢٨ آيار ٢٠٠٧ . الساعة ١٦,١٠

- نيويورك -

كان عدد المطلقات الموجودة في سلاح كوكهان.. أقل بكثير من مطلقات الذين كانوا ينتظرون الإغارة على غرفته. كان كوكهان يعرف إن نسبة خلاصه من هنا قليلة جداً.

كان قد رأى وجهه على الشاشة مع المشاهد القادمة من واشنطن وعندما أراد /كونترول/ الخارج.. فهم أنه حوصل منذ وقت طويل.. وكان ينتظر.

لو قبضوا عليه ستكون مصيبة كبيرة.. من جهة يكون غير مخلص لوطنه وشعبه.. ويعطي للأمريكيين دعاية كبيرة ضد بلده: كانت وسائل الإعلام ستعتمد على إعطاء الحق للأمريكيين.. كونهم لم يهجموا على الأتراك بغير حق شرعي.. كانت ستظهر الحرب ضد تركيا على أنها نوع من العقوبة لدولة إرهابية.. والناس بعد ذلك لن يتحدثوا عن الأحداث إلا كما تتحدث وسائل الإعلام حول هذا الموضوع. ولن يتذكروا إلا ما قالته ووضعته /الميديا/ العالمية.

يعني قبل قيام الحرب ضد تركيا.. قام الأتراك بعملية إرهابية قدرة في داخل الولايات المتحدة الأمريكية وفجروا قبلة نووية وبعد ذلك هجمت أميركا على الأتراك. كانت مثل هذه التعليقات تسمع من الآن.. كشفت الاستخبارات الأمريكية بأن دولة نووية مثل تركيا ستقوم بتغريب العالم بالإرهاب النووي ولهذا قامت القوات الأمريكية بالهجوم على تركيا ليخلص العالم من شرها الإرهابي النووي.

يجب الهروب من هنا وإنما الضغط على الزناد وقتل نفسي فـكـرـ بـانـ ثـمـةـ اـحـتمـالـاـ صـفـيرـاـ مـنـ الحـظـ يـصـادـقـهـ.

حيث اتصل بالاستعلامات وطلب من الشاب الموجود هناك زجاجة من ال威سكي وإنه مستعد أن يعطيه مئة دولار.

في الوقت الذي كانت فيه التحضيرات تقام في الخارج لنقل القبض على كوكهان مباشرة على الماء.. كان التلفاز يعرض مقاطع من حديث الرئيس وفي الوقت الذي كان فيه وجه الرئيس يملأ الشاشة وإذا بالباب يطرق. فتُفتح كوكهان الباب /راندي/ وقال له: "ضع الزجاجة فوق الطاولة أياها الشاب". عندما كان /راندي/ يترك الزجاجة فوق الطاولة. كان كوكهان يتصرف وكأنه يأخذ المال من محفظته وقفز خلف الشاب كان راندي يتراءى وكأنه يستمع إلى خطاب الرئيس وقد شبك ذراعيه على صدره. كان توتره واضحاً.. كان يُخفى وجهه الوسيم بقبعة رخيصة. في هذه اللحظة تماماً أنزل قبضة سلاحه على رأس الشاب بقوة إلى حربما. كان عليه أن يستعجل.. حيث خلع قميص وينطال الشاب وليسهما.. ومن حسن حظه أن طوله كان من طول الشاب ووضع القبعة على رأسه وأنزلها تماماً فوق وجهه. وبقطعة /روج/ صغيرة عمل الخطوط الحمراء على وجهه وشفتيه مثل الشاب تماماً. عندما يُنظر إليه عن قرب يتراءى المكياج الذي على وجهه. ولكن الذين في الخارج يجب أن يكونوا في حالة من الانفعال الشديد.. وثم أخذ حقيبة من الخزينة ووضع فيها سلاحه والقنبلة التي كانت داخل محفظة أخرى.

عندما فتح الباب قال: وهو يُقلد صوت راندي صارخاً: "تمام يا أفتدم أنا الذي سألني الزيارة".

كان الواقفون على جانب الكوريدور من البوليس والأمن السري المدني يشرون له بالاقتراب منهم بسرعة. كانوا لم يفهموا التغيير الحاصل: قال قائد العملية: "هيا أسرع.. سينتقلون إلى النقل المباشر هيا أبق خلفنا" ودفعه بقوة.

بدأ الرجال التقدم نحو الباب زحفاً. كان كوكهان يقف قرب امرأة مسنة إلى حربما مصبوغة الشعر وتعلّك على...
النفت المرأة نحوه للحظة وقالت: "متى ستأخذ مالك.. يارا.. ولكن تقابلت نظراتهما.. سكتت مدهوشاً.. أنت... أنت"
في لحظة واحدة دارت الرؤوس كلها نحو كوكهان. أما الذين كانوا يزحفون على الكوريدور لم يلاحظوا أي شيء: ويشرون إلى الصمت وعدم التحدث.

أخرج كوكهان سلاحه وبدأ يراجع الموت في الكوريدور. كان يسدد خارج الصدارة المعدنية التي كانوا يلبسونها إما على أنفاسهم أو على ظهورهم. عندما انتهت طلقات مسدسه. أخرج رشاشة الأوتوماتيكي.

كان العالم بأجمعه يتابع على الهواء مباشرة الدهشة التي زرعها كوكهان هناك. كان العنصر الذي سينفذ المداهمة.. صار قرياناً. كانوا في حالة من الحيرة والدهشة. بحيث أن واحداً منهم لم يكن يفكّر بقطع العرض التلفازي المباشر.. في إحدى زوايا الشاشة كان فم الرئيس يبدو مفتوحاً من حيرته الشديدة ودهشته. أما الرجال الذين كانوا يزحفون فوق أرضية الكوريدور.. فقد بدؤوا على بإطلاق النار عشوائياً لقتل كوكهان. ولكن أحد زملائهم قد تحول إلى ما يشبه الغريال.

لا يستطيع البقاء هنا أكثر من هذا.. فجذبت انتباهم النافذة الموجودة على طرف الكوريدور. نظر إلى العلبة التي تحوي القنبلة الموجودة على الأرض. من المستحيل أن يلتقطها.. كان في الطابق الثالث ولكنه قرر القفز من هناك. في الوقت الذي أسرع فيه نحو النافذة وكسر الزجاج.. أحس بألم في ساقه.. كان مصاباً بطلقة نارية.

أغمض عينيه للحظة واحدة. عندما فتحهما لاحظ الأسلاك المشدودة.. ثلاثة أدوار من الأسلاك.. فخلعها كلها. كانت هذه الأسلاك قد خفت بعض الشيء من قوة سقوطه.. عندما اصطدم بالأرض. فحوال قوته كلها إلى يديه ودفع نفسه نحو الأمام متذرجاً.. من المهم أن تعرف كيف تسقط.

كان على قيد الحياة.. ولكن ذراعه الأيسر قد انكسرت.. وكان مصاباً من ساقه أيضاً. أحس وكأنه سيغمى عليه. ولكنه ضرب ذراعه بقوة حيث فسح المجال للألام كي تنتقل إلى باقي أنحاء جسده. هذه العملية تجعله في وعيه وتقيمه يقتطاً.

كانوا قد بدؤوا بإطلاق النار من النافذة المكسورة.. وكانوا يتحدثون بالأجهزة اللاسلكية.. المئات من الناس سيكونون خلفه بعد قليل. وسيطاردونه.. لفَّ من الزاوية وبدأ بالهروب.

كان عليه إيجاد مكان يختبئ فيه.. لم يكن في موقف جيّر أبداً..

٢٩ أيار ٢٠٠٧ . الساعة ٠٩:٢٣
- أنقرة -

كانت شمة ذيول بشرية قد تمددت في مركز المدينة. كان الناس مضطربين إلى الذهاب إلى نقاط معينة كي يؤمنوا احتياجاتهم من الطعام والشراب. قبل يوم من الآن. كانت الإذاعات والتلفازات قد قطعت إرسالها فجأة. ومع أنهم كانوا محاصرين في نقطة ضيقة جداً. إلا أن مساحة كبيرة من المدينة كانت تحت سيطرتهم. كانت القوات الأمريكية تتوارد وبشكل كثيف في نقطة ضيقة جداً. وكانت تطلق النار دون مبالاة بالخسائر البشرية من المدنيين لم يكونوا في موقف وكأنهم باقون.. ومع إنهم كانوا في داخل أنقرة. كانوا في وضعية الجاهز للخروج منها طبعاً.. إذ وصلت المساعدات في الوقت المناسب.

وكما بدأت العملية بشكل غريب... كانت تكمل بهذا الشكل أيضاً.

كانت بعض الوحدات من الفرقة الأولى المدرعة موجودة في مركز أنقرة. أما الفرقة الميكانيكية الرابعة لل走路 فقد كانت قد تحركت باتجاه إسطنبول. وكان لواء المروحيات التابعة لفرقة الإنزال الجوي ١٠١ / قد تحرك، أيضاً مع الفرقة الميكانيكية الرابعة... لم يكن عندهم أية نية لتخلص القوات المحاصرة في داخل أنقرة.. كانوا مضطربين إلى الدفاع عن أنفسهم.. إذا ما تم دفنهم في أنقرة.. معناه أنهم قد تعرضوا للهزيمة.

كانت الإبرة تتجه وبشكل سريع نحو إسطنبول.. والتوتر يزداد باضطراد. كانت الأرضي التركية تشبه ملعباً كبيراً للعبة أكبر منها. كانت القوات المعادية تحرك وبشكل غير عادي.. خارج الحرب الكلاسيكية: وتهاجم بشكل مفاجئ موضع لم يتوقعها أحد.. حتى تضرب معنوية الشعب وتنزل من عزيمته وإصراره.. أما القوات الخاصة الأمريكية التابعة لعناصر /SOCOM/ ... كانت تغير على المناطق.. وتلتقي مع الشعب محاولة جذبهم إلى طرفهم.. لم يكن أحد

يعرف ماذا فعلوا في هذا الخصوص. كانت التشكيلة السرية المسماة /أرغونكـونـ/ التركية. تفرض النظام في تلك المناطق بتدابير قاسية وشديدة وفجائية بأسلوب التكتيكات الأمريكية بنفسه المسماة /الإعصار/ وتنتظر نتيجة الحرب. أما الرمز القاتل للعملية كان إسطنبول.. عندما تقع هذه المدينة.. سيتم الكبس على الزر.. وكانت العملية الثانية ستبدأ.

/sever/ عملية

كان /باركن/ قد عاد إلى بيته.. ينتظر التطورات.. يحاول إدامة حياته مع زوجته.. لم يكن يترك زوجته /هالا/ بمفردتها. حتى عندما يذهب إلى أماكن توزيع الطعام يكونان معاً. بعض الأحيان كانوا يتناولان طعامهما حتى قبل وصولهما إلى البيت. عندما كان باركن يسير في الشارع يُحس بأن كل دمه قد تجمّع على رأسه. كان الجنود الأمريكيون يملؤون الأطراف ويعاملون البشر والبيئة بشكل قذر جداً. وكان الأرصفة قد تحولت إلى مراحيض. كانت بعض المستشفيات الموجودة في المدينة قد أغلقت.. كانت ثمة مشافي مفتوحة فقط. إلى جانب ذلك ثمة مراكز طبية أمريكية كانت تقدم بعض خدماتها: كانت أنقرة صامدة بكل معنى الكلمة.

لا تسمع فيها صوتاً واحداً.. كان جنود الفرقه الأولى المدرعة محترفين ومدهوشين في كل حركاتهم وتصرفاتهم لأنهم كانوا محاصرين في المراكز. في الوقت الذي كان فيه الجميع ينتظرون المقاومة بشدة وقوه.. كان الهدوء يعم المدينة بكل معنى الكلمة.. وكان سبب ذلك واضحاً. لأن الجمهورية كانت قد تعرضت لهجوم كاسح مفاجئ.. القوات الموجودة داخل أنقرة لم تكن تشكل أهمية إستراتيجية... المهم توقيف القوات المتجهة نحو إسطنبول. وإنزال الخسائر الكلية بالعدو وبشكل نهائي.

قام باركن من مكانه وهو يتأنف واقترب من النافذة. كانت ثمة عريبة حرية من طراز /برادلي/ تقف أمام البناء. كان الجنود يريدون تفتيش رجل وامرأة.. وكان الرجل يعارضهم. وكانت زوجته تريد التخلص منهم. وهي تدفعهم بيديها.. شعر /باركن/ بأن ثمة حادثة سيئة ستحصل. فكر بالذى سيفعله.. وبما أن زوجته

نمشي
www.namshi.com

تألقي بأحدث
صيحات الموضة

تسوق الان

استبدال مجاني

توصيل مجاني

شنط نسائية من أشهر الماركات العالمية المميزة

توصيل مجاني لباب بيتك
منتجات أصلية 100 %
تخفيضات كبيرة وعروض مميزة
وسائل دفع متعددة منها الدفع عند الإستلام
استبدال مجاني خلال 14 يوم

أضغط هنا للدخول على موقعنا والتعرف
على منتجاتنا المميزة

توصيل مجاني

استبدال مجاني

ماركات أصلية

دفع عند الإستلام

أكبر موقع للتسوق في
الشرق الأوسط

نائمة كان بمقدوره الخروج من البيت بكل أريحية.. ذهب مباشرة إلى الباب وفتحه من دون أن يحدث ضجيجاً يشعر به زوجته وتستيقظ. ونزل من الدرج بسرعة. عندما وصل إلى باب البناءة وجد أن الجنود قد أنزلوا الرجل الأرض بضربيات من مقابض أسلحتهم. حيث تجمّع دمه في دماغه وأحسّ بأن طاقته الموجدة في ساقيه قد طارت. لم يستطع أن يتحكم بنفسه /أو يتمالك نفسه/ وقفز نحو الأمام. كان الجنود مشغولين بضرب الرجل بشكل غريب بحيث أنهم لم يشعروا باقتربان باركين منهم. اندفع باركين بقوّة ودفع الجنود نحو الجدار. وأخذ الرجل من بينهم. والجنود الذين كانوا ينسرون قبل وقت قليل. جاء بدلاً منهم مجموعة من الجنود المتواترين وقد صوّبوا أسلحتهم نحو باركين.

كان الرجل الذي أهين وضرُب قد عانق زوجته بقوّة . وكان وجهاهما تتزفان دماء. عندما رأى باركين الأسلحة الموضوعة على رأسه عاد إلى وعيه. ورفع يديه نحو الجانبين مشيراً للجنود كي يهدئوا مثله. ولكنهم لم يكونوا يريدون ذلك. كانوا يصرخون على الدوام ويطلبون من باركين التمدد على الأرض. كان الجنود الشباب وكأنهم قد فقدوا صوابهم. ولم يكن على رأسهم أحد من الضباط. في هذه الأثناء تماماً سمع صوت امرأة تصرخ في الطوابق العليا. رفع الجميع رؤوسهم نحو مصدر الصوت. شاهدوا رأس امرأة تصرخ وتولول وتحول وجهها إلى بياض الخوف. كانت هذه /هالا/ عند رأها باركين كان قد ذهل تماماً. وكأن أعصابه قد خرجت من تحت سيطرته. كان الجنود الأميركيون يطلبون منها السكوت وإدخال رأسها. ولكنها لم تكن في حالة تفهم طلبهم..

صرخ باركين من الأسفل: "رجاءً يا هالا ادخلني إلى الغرفة".
لكن المرأة لم تكن تسمع شيئاً. كانت تبكي وت بكى وتصرخ وتطلب من زوجها العودة إلى المنزل. رفع الجنود بنادقهم نحو هالا. وطلبوها منها إدخال رأسها إلى الداخل. ثم إنهم كانوا قد سددوا نحوها تماماً.

خرجت إحدى الطلقات منفجرة حيث صمت آذان الجميع للحظة واحدة. كانت الرصاصة قد اصطدمت أسفل النافذة وارتدى ثانية.. حيث تكونت سحابة صغيرة

من الدخان مكان الاصطدام.. سكنت المرأة ولكنها كانت تبكي بشكل مستور. نظر باركن بداية إلى زوجته ثم إلى الجنود ودخل البناء جرياً. كان يسمع الصرخات التي تصدر من خلفه.. كانوا يستطيعون قتله في كل لحظة. ولكن حتى الموت لم يكن يهمه بشيء بعد الآن. المهم لم يسمع صوت السلاح الذي انتظره. وأسرع بالصعود من الدرج نحو شقته. كان ثمة صوت يسمعه أكثر خطورة وسوءاً من صوت السلاح.. وهو صوت خطوات الجنود الذين كانوا يتبعونه.. كان صوت الأحذية العسكرية تصطدم بالجدران وتصل إليه.. كثيرون يأتون من خلفه. عندما وصل إلى الطابق الذي يسكن فيه.. دخل إلى شقته بسرعة وقفل الباب من خلفه.. كان قد لاحظ أنه تصرف تصرفاً خاطئاً.. تصرف لا منطقياً ولا عقلانياً. ولكنه لم يكن يدرى ما الذي يفعله. بعد وقت قصير بدؤوا يطرقون الباب بلكماتهم وأرجلهم.. لم يكن للباب أية قدرة على التحمل. بعد عدة ضربات متالية سمع تكسر الباب ودخول الجنود من خلفه وهم يتضاحكون ويصرخون. نقل باركن زوجته إلى الصالون وأغلق الباب من خلفه. كانت أقدام الجنود تتراءى من أسفل زجاج الباب.. وفي هذه اللحظة نفسها نزل الزجاج كاملاً على الأرض. كان يراهم.. غاضبين، شامتين يتجرح الحقد من وجوههم.. كان ثمة ثلاثة جنود شقر واحد زنجي. لم يكن باركن يعرف ما الذي سي فعله.. والحقيقة كان الوعي قد عاد إلى رأسه بعض الشيء. لم يكن يلاحظ أنه يعيش في مدينة محظلة. ومع مرور كل ثانية كان باستطاعة الجنود كسر القفل والدخول إلى الصالون.

كانت النيران تتطاير من عيونهم.. فهم في تلك اللحظة أنهم لا يمزحون. صرخ في وجوههم: "رجاء.. رجاء.. أهدؤوا قليلاً".

كان صوته يرتجف.. وحنجرته قد جفت.. ومفاصل ركبتيه كانت على وشك أن تتحل من الخوف. وكان الجنود الأميركيون يصرخون في وجهه أيضاً.

- "تمدد على الأرض أيها الغبي.. لماذا تدخلت في شؤوننا؟"

- "ستموت أيها التركي القذر.. ستموتون جميعاً.. لقد أفنوا واشنطن تماماً.. يجب أن نقتلهم جميعاً".

كان باركين قد سمع الجملة مع أنه كان يبحر في أزمات نفسية وجسدية قاهرة: "لقد أبادوا واشنطن من أساسها". ردّ في نفسه هذه الجملة. إذن من أجل هذا السبب كان إرسال التلفاز قد انقطع فرح للحظات ولكن كان عليه التفكير بنفسه وزوجته هالا.

فتح باركين ذراعيه ووقف أمام هالا. كانت المرأة في حالة نفسية كئيبة جداً. كان صوتها وأنفاسها قد قطع. وفي الوقت الذي كانت تنظر فيه نحو الجنود. كانت كأنها لا ترى شيئاً. رفع الجندي الزنجي سلاحه نحو باركين وطلب التمدد على الأرض. وبإشارة من يده طلب من زوجته أن تقترب منه. احتار باركين في أمره.. لم يكن قد فهم شيئاً.. أوضح هذا الشيء بنظراته إلا أن الجنود لم يكن عندهم طاقة للتحمل أكثر من هذا. أنزل العسكري الزنجي السلاح نحو الأرض وضغط على الزناد. بعد خروج الطلقة انعكس صوت باركين المخنوق داخل الغرفة وتدرج على الأرض.

نظرت هالا نحو زوجها الممدد على الأرض دون أي رد فعل. نظرت إلى وجهه المشحون بالألم والى عينيه. ثم إلى الجنود. كانت ثمة ابتسامة قذرة ممزروعة في وجوههم. أشار الجندي الزنجي لها كي تقترب منه. حاول باركين الوقوف على رجليه. إلا أن أحد الجنود أنزل على ظهره لبطة قوية.. بدأ الدماء تسيل من أنفه ونزل على الأرض ثانية. أمسك الجندي الأسود يد هالا وأراد إدخالها إلى غرفة النوم. امتنعت المرأة في البداية. إلا أنها تركت نفسها عندما رأت البندقية تتوجه نحوها. خرجت ثمة كلمة مضبوطة من فم باركين.

- "لا... إلا إنهم لم يسمعوا هذه الكلمة. غادر الجنود كلهم الغرفة. لم يكن باركين بعلم إلى أين ذهبوا. ولكن كان ثمة إحساسٌ سيءٌ يراود أعماقه. دخل إلى الغرفة الأخرى زحفاً. كانت ساقه تتزف بشكل سيء.

كانت الأماكن التي قطعها زاحفاً.. قد امتلأت بالدماء. لاحظ صدور الأصوات من غرفة النوم. كان قلبه قد بدأ ينبض كالمحجنون. استجمع كل قواه حتى وصل إلى باب غرفة النوم. وغض لسانه من ذلك المشهد الذي رآه. كان يريد الصراخ. إلا أن ردة الفعل الشديدة الصادرة من دماغه قد جعلته يفتح فمه بشكل غير متوازن

وغضٌ لسانه بشكل قوي جداً.

كان الجنود الأربع يقفون حول السرير والقسم السفلي من أجسادهم عارية كانوا قد أستدوا بنادقهم على الجدار.. وكانهم غير مبالين بأي شيء من حولهم. كان الزنجي يفتسب هالا أمام الآخرين "باركن كالجنون.. صرخ بأعلى صوته نظروا إلى خلفهم إلى مصدر الصوت.. تقابلت عينا باركن بعيون زوجته للحظة واحدة. يجب أن تكون هالا في حالة جنونية كاملة.. كانت نظراتها جامدة ورطبة.

وكان ثمة فراغاً قد تم فتحه بين باركن وهالا. لم يكونا يسمعان أي شيء كانوا يعيشان جهنم بنظراتهما فقط.

وقف أحد الجنود فوق رأس باركن وصرخ بأعلى صوته: "هل أعجبتك زوجتك في هذه الحالة أيها القذر: سنتصرف مع الجميع هكذا وسنقتلكم جميعاً". كان يقول ذلك وهو يرش البصاق من فمه. حاول باركن الوقوف على رجليه.. انتقل الجندي النصف العاري إلى الجدار وتراول بندقيته من هناك لم يكن يفهم ما يفعله الآخرون. أما الآن كان أحد الجنود البيض قد بدأ على باغتصاب هالا. كانت طاقتها تنتهي رويداً رويداً. كانت على وشك أن يغمى عليها. نظر باركن إلى البندقية الموجهة إليه. انفجرت البندقية ثانية. في هذه المرة كانت الرصاصة قد دخلت من بطنه انتشرت القطعة المعدنية في جسده كله. كان يحسُّ بان ثمة سائلاً ساخناً ينزف من الثقب الحاصل في بطنه.. في البداية لم يشعر بأي ألم.. وأخيراً ارتجَّ جسده بالألم. كانت عيناه تزوغان.. كانت أصوات القهقهات قد امتزجت بالطنين الصادر من أذنيه. وبكاء زوجته المؤلم الذي كان قد بدأ بالضعف.

لم يكن يستطيع تخمين الوقت الذي مر. عندما فتح عينيه رويداً رويداً كانت الظلمة قد غطت كل شيء. كانت ثمة نقطة ساخنة على بطنه وهي من القساوة. وكانت ثمة بحيرة من الدم قد تكونت في مكان تمدده مدّ جسده بصعوبة وأشعل المصباح. كانت غرفة النوم قد انتهت رأساً على عقب. رأى زوجته المتمددة فوق السرير. كان جسدها العاري جاماً وكأنه قد صُدمَّ بشكل قوي. وصل إلى السرير زاحفاً.. وتسلقه كانت ثمة نقاط سوداء وبنفسجية على وجهها وجسدها..

دقق نبضها. لم يكن يشير بأية حركة استمع إلى قلبها.. لم يكن موجوداً.. لم تكون أية علامة من علامات الحياة. لم يكن عقله يتقبل ذلك.. بدأ يهز جسدها بقوة ولكن عبثاً.. تكؤم فوق جسدها وأجهش بالبكاء. هو الآخر كان ضئلاً كثيراً من دمه.. وعلى وشك الموت.

فَكُرْ بِأَنَّهُ سِيقَابِلْ هَالَا ثَانِيَةٌ وَسِيكُونَانْ مَعَ بَعْضٍ.

٢٩ آيار ٢٠٠٧ . الساعة ١٠:٥٥

موسكو. كرملين

كان بوتين يشاهد للمرة الثانية الغارة على الموتيل وحدث الرئيس وما أعقبته من الفضائح والرذائل. لم يكن يستطيع إمساك تلك القهقهة التي تعقب كل ورطة يقع بها الأميركيون وهو يصرخ: "الأميركيون الأغبياء".

كان هذا التركي قد ظهر جوزة قاسية جداً. لم يكونوا قد قبضوا عليه بعد ولكن الأطباء كانوا يقولون: إنه سيموت حتماً من فقده للدم حتى وإن لم يتم القبض عليه.

طرق الباب فصرخ بوتين: "ادخل" .. دخل سكرتيره الخاص / فالدمير / وقال: " جاء البروفسور جاركوا يا سيدي ". وفتح للرجل ذي اللحية البيضاء الباب. قام بوتين ومشى مع البروفسور حتى الكتبة ودعاه للجلوس. وجلس مقابلة وقال: " هل بحثت عن محتوى ذلك التقرير يا سيدي البروفسور؟ " ضرب جاركوا الملف المخالف بقطاء / كريم / وقال: " طبعاً يا سيدي . ومنذ يومين أنتظر إشارة منك كي أحضره إليك " .

منذ فترة الرئيس بوتين كان يفكر بالتقدير الذي وصله من الأتراك .. كانت المعطيات العلمية حقيقة ومطلقة ولكن السياسة والعلاقات الدولية لم تكن تشبه أحجار الشطرنج. ثمة لاعبون كثيرون يلعبون هذه اللعبة.

- " ماذا تقولون؟ " هؤلاء لا يقولون شيئاً جديداً يا سيدي .. بالأصل كل شيء كُتب عن معدن البور.. معروف سلفاً. إن العلماء الأميركيون وعلماءنا يقومون ومنذ فترة في البحث والتدقيق لبناء سنترالات بهذا الخصوص".

هزّ بوتين يده وقال: " انتقلوا إلى المعطيات العلمية .. ورجاءً أريد النتيجة فوراً ". ابتسם جاركوا وقال: أنا رجل علم.. ولكنكم تريدون مني نتيجة تخص

مستقبل وطني.. وأستطيع أن أقول إن الأتراك محقون.. هذه الحرب قامت من أجل البور. وإذا ما استولى الأميركيون على هذا النبع فمستقبل العالم كله سيكون بأيديهم.

قام بوتين من مكانه ودار حول الغرفة. كان في حالة وكأنه قد نسي البروفسور. وبعد عدة دقائق وقف أمام مكتبه وضغط على الجرس. فدخل فالدمير/ إلى الغرفة فقال له بوتين: "دعوا السيد البروفسور واتصلوا مباشرة مع بكين وبرلين وباريis" كان البروفسور قد ترك الملف فوق الطاولة.

- في هذه اللحظة . الشيء الظاهر البقاء إلى جانب الأتراك. ولكن يجبأخذ الدعم من برلين وباريis وبكين. وعليهم التحرك معًا. وإذا ما كونوا الضغط اللازم لإخراج الولايات المتحدة من تركيا.. فهذه تغير كل شيء. طبعاً يجب بناء لجنة خاصة لاستخراج معدن البور.. وتقسيم الحصص. يعتقد أن روسيا ستأخذ نسبة مئوية عالية من هذا المعدن. ولم يكن يعتقد أن يقول رئيس الوزراء التركي طيب أردوغان: لا ، أو من غير الممكن أن يعارض رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ما سيطلبه بوتين به.

٢٩ أيار ٢٠٠٧ . الساعة ١١:٥٢

نبراسكا . أوقفت

مقر القيادة الإستراتيجية الأمريكية

كانت القنبلة التي انفجرت في واشنطن قد أثرت وبشكل كامل على إستراتيجية الحرب الدائرة في تركيا . ولكنهم كانوا مضطرين للمضي قدماً في هذه الحرب .

سأل أحدهم: "ما وضع فوج المدرع الثالث؟"

- "أخذ كل الاحتياجات حول سد أتاتورك . وبمساعدة إضافية لهذا الفوج استولى على سد / كابان/. في هذه اللحظة فالسدان تحت سيطرتنا كلياً . ولا ضرورة كي نتقدم نحو الأمام . وبما أن السدين في يدنا فاكثريه إنتاج الكهرباء صارت تحت سيطرتنا أيضاً .

- ما زال السدان يتجانس الكهرباء .

- "كان الجيش التركي لم يفقد قابلية الحركة بعد . ما زالت هناك مقاومة شرسة . أنا شخصياً ما كنت أخمن ذلك . والحقيقة أن اعمالي تتواتر أكثر فأكثر .

- "إذا جئنا إلى الحقيقة ما زالوا يملكون بعض المدرعات والدبابات . ونستطيع أن نقول: إن قسماً من مروحياتهم مخبأ . ولكن أيها السادة إن الجيش التركي قد صُلِّمَ بشكل مفاجئ ."

- "نعم.. إننا قبضنا عليهم بشكل فجائي وسيء . وأية حركة من أي جيش أثناء الغارات الجوية تكون نوعاً من الانتحار .. فهم جربوا عدة مرات ولكن..."

- "نعم اللواء الجبلي للقوات الخاصة في بولو."

- "إذا جئنا إلى الحقيقة.. كانت فكرتهم رائعة جداً . وهذا يوضح بأنهم جديون في موضوع إسطنبول .. خرج اللواء بأكمله بالحافلات المدنية نحو إسطنبول ."

إلا أن طائراتنا من طراز ١٥ f.. أبادتهم تماماً.

- "نهاية سيئة جداً".

- "نعم. ولكن الأكثريّة منهم قد تخلصوا. ولا ندري ماذا يفعلون الآن. وربما يتقابلون مع الفرقة الميكانيكيّة الرابعة للمشاة قريباً. وأتمنى أن يكونوا شجاعاً حتى يتقابلوا مع جماعتنا".

- "والدور بعد ذلك؟"

- "إستانبول".

- "نعم. مدينة مقدسة حقيقة. يجب أن تعود إلينا بعد احتلال دام أكثر من خمسة عام".

- "الوضع هناك سيكونأسوا من أنقرة".

- "وأنا أيضاً أخمن أنهم يجمعون هناك قواتاً كثيرة.. أثناء الحرب العالمية الثانية . لم يكن الأتراك قد فكروا بالدفاع عن أنقرة. وبما أن جهة التهديد قد تغيرت فهم يفكرون الدفاع عن إستانبول. هؤلاء الجماعة بالأصل عندهم عاصمتان".

- "لقد قضوا على عاصمتنا ودمروها تدميراً".

- "أتمنى لا يظهر مجنون من طرفنا ويرسل بصاروخ إلى إستانبول".

- "يستحقونه".

- "المهم.. لنعد إلى عملنا.. ماذا ننتظر من عملية إستانبول؟"

- "ها ها !!!.. عندها يجب أن نسمى قائد الوحدة التي ستحتل إستانبول /الفاتح/".

- "ستعمد الفرقة الرابعة للمشاة على رفع الحواجز عن طريق إستانبول. وستبني على الطرف الجنوبي الشرقي في بحر /مرمرة/ نقطة للفوز. يجب أن يكونوا الآن حول مدينة /أسكي شهير/. ومن هنا وضعنا أمامنا هدفاً وهو الساحل الجنوبي لخليج /إزميت/ وستتمركز في هذه النقطة فرقة الإنزال الجوي ٨٢ وموريحيات الأباتشي التابعة للفرقه ١٠١ / وستعمد الوحدات التابعة لفرقة المشاة ١٥ و ٢٦ إلى اجتياز مضيق جنق قلعة عن طريق البحر وتقوم بالتحضيرات

هناك. ثم تبدأ الغارات الجوية التي صارت بالنسبة إلينا كلاسيكية. ثم سنعمد إلى إعطاء تعريف جديد لغارات الجوية.. بعد الغارة الجوية ستنزل وحدات ٨٢ والمشاة البحرية إلى مراكز التجمع في الساحل وستبني عدة جسور.. وسيتم السيطرة على الأحياء المركزية.

- وستعمد الفرقة الميكانيكية الرابعة لل المشاة بالتحرك نحو إسطنبول. وسنرسل لهم فوج الإنزال ١٧٣ دعماً أي للفرقة الرابعة لل المشاة.

- "وكيف هو الوضع في أسكى شهير؟"

- "اسكن جداً.. تم تخريب المطار هناك تخربياً كلّياً. وتم ضرب عدة نقاط في داخله.. الحركة العسكرية قليلة جداً."

- "الا يوجد شيء ناقص في هذه اللحظة؟"

- "كثوة ضاربة.. قليل جداً. لا يستطيعون إرسال أربع فرق دبابات إلى هناك. هذه العملية تؤدي إلى اشتداد المقاومة في الطريق الوacial إلى إسطنبول. لاتسوا هدفنا. تدمير النظام وفتح الطريق للعملية الأصلية أو الأساسية."

نعم.. يا إلهي يحاول الجميع فهم الذي يحصل الآن.. يحاولون فهم التكتيك الحاصل في هذه العملية.. عندما يعرفون.. ستكون قد انتهت."

- "نعم كما تقول تماماً. هذه بكل معنى الكلمة.. عملية من نتاج هندسة نظام ليس إلا. لقد تم تحديد النقاط الأساسية للجمهورية التركية.

- وطبقاً لهذا الشيء.. تطبق الغارات الهجومات. سيعمد النظام إلى التفكك عند نقطة معينة ثم ستتفرق إلى قطع صغيرة وهي القطع الأساسية للنظام.. غايتنا إظهار هذه القطع إلى حيز الوجود.. ثم سنشاهد الذي فعلناه."

- "يعني تريد أن تقول.. بعد هذا، ظلام دامس، أليس كذلك؟"

- "وفقاً لهذه النظرية نستطيع أن نقرأ المستقبل ولا نستطيع قراءته ولكن الظلام مسيطر على الدوام".

- "أتمنى أن نتوقف في عملنا. ولا تخرج مفاجأة أخرى من القنابل النووية".

- "أتمنى ذلك".

- "المستقبل مظلم.. أنت قلت هذا الكلام".

١٥٠٠ . الساعة ٢٠٠٧ . حزيران .
إسطنبول .

لم تكن هنا إسطنبول القديمة.. كان كل شيء قد تغير.. التغير الأول كانت رائحة المدينة. وأصوات النوارس ثم الإفادات المرسومة في وجوه البشر ونظرات المحبين في عيون بعضهما بعضاً.

كانت الطاقة المخبأة داخل البارود تغير العالم. واستانبول كانت تتراءى وكأنها قد أخذت نصيبها من هذه الطاقة. كان البارود هو الوسيلة الأكثر قوة وخلقًا للتغيير في التاريخ، وما فعله كان ظاهراً للعيان. كانت البنيات العملاقة التي أقيمت وأنشئت خلال عشرات الأعوام وبمبالغ طائلة قد سُويت مع الأرض. كانت ثمة نقطة عملاقة، فراغ عملاق قد حدث في وسط جسر /بوجازايجي/. أما الجسر الآخر كان سليماً لم يضر بعد. أما جسر الخليج كان قد صار قسمين ونزل إلى القاع إثر عدة هجمات متالية. وكانت ثمة قبلة طولها ثلاثة أمتار تمام في وسط الخليج تحت الماء. لم تتفجر. ولكنها كانت قد أخذت شكلاً غريباً من تأثير قوة الصدمة. كانت الأدخنة تصاعد من الأحياء القريبة من الخليج. وعندما ينظر المرء من الأعلى يستطيع رؤية سحابات سوداء من الدخان متجمعة فوق تلك الأحياء.

كانت الطائرات الأمريكية تقذف الأحياء الشعبية الفقيرة بشكل بشع جداً لم يكونوا قد لمسوا الأحياء الفنية أبداً. كانت الحياة قد صارت مستحيلة في الأحياء الشعبية. كان الناس ينتقلون إلى الأحياء الفنية في وسط المدينة جماعات.. جماعات. كانت الإستراتيجية الأمريكية قد بدأت تظهر نفسها في هذه المناطق. وبالرغم من شدة المعارك وقتها. كان الفقراء قد سببوا نوعاً من الفوضى والتوتر داخل الأحياء الفنية التي جاؤوا إليها. ولم يكن ساكنو الأحياء غير المضروبة ينظرون إلى سكان الأحياء المضروبة بعدم الرضا. عدم الأمن والأماكن

التي خلفتها الحرب.. كانت تأثر بشكل نظامي بتوترات أخرى وبأشكال مختلفة.

كان العدو يعرف بما يفعله. كانت إسطنبول بالنسبة إليه الخطوة الأخيرة.. هذه المدينة الكبيرة ربما تصير عنواناً للنصر أو الهزيمة.

كان العدو قد بدأ يطبق قواه وبشكل كثيف في هذه المدينة. لأنها تهمه كثيراً. ويسبب الفارات المتواصلة.. كانت الأعصاب وردود الأفعال طريقة واحدة وتتفذها كي تمزح التوترات الفردية والشخصية بتوترات اجتماعية.. كانت تخلق إشاعات بأن الناس الفقراء يشكلون فيما بينهم مجموعات ضد الأحياء الفنية والأغنياء.

كانت قوة الحرب وشتها تُسْرُّ غايتها وتحدم من ولأجل أي شيء.. كانت القوات الأمريكية تقدم أو تعرض الإعلانات الرايحة والحياة الجميلة في الأحياء الشعبية وبين الفقراء والمدومين وإن الاحتلال قد جاء من أجلهم فقط ليقدم لهم الحياة السعيدة. أما في الأحياء الفنية فكانت قوات الاحتلال تطالب بحكومة حليفة لها كي تقدم لها العون والمساعدة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.. لم يكن أحد يعلم من الذي يصدر هذه الإشاعات. ولكن بالنتيجة.. كان هناك همة أناس يتاثرون بها. لأن الناس الذين هدمت أرواحهم كانوا ميالين لتصديق أي شيء وكل شيء.

اما التخريبات في الطرق الرئيسة فكانت شديدة جداً.. كانت الطرق الواسعة والعرضية والتي كلفت مليارات الدولارات.. كانت قد تحولت إلى ما تشبه الحقول العادية من قوة الضربات الجوية وشتها.

مع تناقص البضائع المنقولة عبر الطرق الرئيسة كانت الأزمات تزداد في مركز إسطنبول من حيث إيجاد الأغذية والماء والبضائع الأخرى. الجمات الجوية الأمريكية. كانت تؤذن بمقدم حرب كبيرة.. لم تكن الراحة موجودة كيما هو الحال في القديم. إذا أراد المرء البحث عن الراحة فعليه دعم المصالح الأمريكية والتلاؤم معها.

كانت إسطنبول قد تحولت إلى ما يشبه لون الرماد. والفصول قد امتزجت

بالأحزان ورائحة البارود. كانت النيران التي أشعلتها الصواريخ الليزريّة ترقص فوق سطح الماء من جهة غروب الشمس. كانت المعمات التي تضرب وجوه الناس من النوع الذي يحرقهم الآن. كانت تقني المنازل والأخيلة التي بُنيت على مدى عشرات الأعوام كانت قد بدأت بالذوبان.

كانت حيوانات /السوسيّة والمفازينيّة/ قد عفرّتها شهوات الحرب، كل شيء كان قد تبخرَ.. الاحتفالات الرائعة واللامبالاة.. والشعور باللامسؤولية.. لم يبق سوى /تورته/ الحقيقة. وعلى مدى فترة زمنية بقي الناس يسلقون حقيقة وجودهم بفضلات الحياة التي كانوا يعيشونها.. ولكن ديمومة هذا الأمر كانت مستحيلةً أيضاً...

لأن ذكرى تلك الأيام الجميلة. كانت تسبّب لهم الألم أكثر من قطع الشظايا. والإحساس بالاستسلام كان يُجلدهم أكثر من الإرهاب الذي تخلفه الأسلحة. كان الناس يحاولون إقناع أنفسهم كي يكونوا متناسبين مع الوضع الراهن. هذه المدينة الكبيرة.. العملاقة. كأنها قد فُصلت عن باقي المناطق. كان الناس الذين يعيشون خارج أماكن الاحتلال حزينين من أجل أهلهم وأقاربهم وذويهم في إسطنبول. أما شعب إسطنبول كان يؤدي البدل لأنّه سيصير صاحباً لتاريخ كبير. الآن كان قد نسي سبب مجئه إلى هذه المدينة. وكانت حيرته تتبع أساساً من عدم معرفته بالمكان الذي جاؤوا إليه. لأنه كان قد صار هدفاً رئيساً للعدو الذي بدأ بفصله عن العالم الخارجي.

كل الشعب كان قطعاً مادياً تجرب فوقها جميع أنواع الأسلحة والتكتيكات.. هذا الإحساس كان يخلق عنده حالة روحية مشتركة، هذا الخلق كان حقيقة. ولكن المصاعب كانت أقسى من كل التوقعات من جهة ستبقى على قيد الحياة.. من جهة أخرى صبغ العيون من قبل وعد الأعداء.

هذه هي الحاجز التي كانت توضع أمام الذين عندهم ميل للمقاومة. لم تكن روح المقاومة الحقيقية قد تكونت بعد لدى الناس. كان ثمة أناس مسلحون كثيرون هنا وهناك. ولكن لم تكن هناك وحدة للمقاومة حتى تتحقق فيها روح /ستانفورد/ كان المقاومون يحسون بالقهر والإحباط لأنّهم لم يكونوا يرون تلك

الروح. كان بعضُ منهم يلتقي مع مجموعات كبيرة. ويُودُّ أن يزرعوا فيه روح المقاومة. ولكن علامات وجوهه المرتخية. كانت تأخذ الطاقة من أعماقه.

يجب أن تكون ثمة أشياء تُقدم لهؤلاء الناس المتعبين. والحقيقة إنهم لم يكونوا يعرفون الشيء الذي يحاربونه. حتى إنهم لم يكونوا في حالة حرب.. الشيء الوحيد الذي كانوا يفعلونه الانهزام من القنابل الهائلة فوقهم من أين لا يدرُون.. كانت انقطاعات المياه لم تصل بعد إلى ذروتها. ولكن انقطاعات الكهربائية لم تكن دائمة.. بعض الأحيان يعود الجريان الكهربائي وتعمل التلفازات.

عندما انفجرت القنبلة في واشنطن.. كانت قد خلقت نوعاً من الانفعال والتوتر في بداية الأمر.. كان الجميع قد علقوا على أنها ضربة كبيرة لعدو كبير لا يهزم. هذه الأفكار السلبية كانت تهدم روح المقاومة لدى البشر.

◆ صحفي مشهور.. دائم الصيت ومعروف بإدمانه للخمر.. عندما بدأت الحرب.. سافر إلى إنجلترا وبدأ يرسل من هناك مقالات يطالب فيها بالاستسلام الكلي حتى تصير تركيا ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية. وبالأصل لم يكن الجميع يسعون للحصول على البطاقة الخضراء حتى يستقروا في أمريكا؟ كان يقول: «ها هي تركيا ستكون بالكامل مضبومة لأمريكا».

كانت ثمة توترات قد بدأت تظهر على الناس مع مرور كل يوم وساعة. في كل مرة كانوا يفتحون فيها التلفاز. كان يرون الفرقة الميكانيكية الرابعة لل المشاة تتحرك نحو إسطنبول. والسفن البحرية الأمريكية الحربية التي كانت تتقل عناصر المشاة البحرية تقترب من إسطنبول بعد أن اجتازت مضيق /قلعة جنق/. وكانت الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي المتمركزة على الحدود السورية قرب لواء إسكندون. قد بدأت بنقل آلاف الجنود وبطاريات المدفع إلى داخل تركيا ونحو جهة غير معلومة.

كان يسيطر على الأجواء انتظار غريب. كان الناس يشعرون بأن ثمة شيئاً غير طبيعي سيحصل.. هذا غير ممكِّن... يجب لا تذهب إسطنبول هكذا. كان أحدهم يريد تجربة هذا الشيء. والآن لم يكن أحد يعلم ماذا سيحصل: كانت ثمة أيام سيئة تتربّص بهم. الجنود والغرباء كانوا سيطرون بأقدامهم أماكن زيارات الناس

ولبؤهم وعيثهم.

وربما سيضعون قوانين وأنظمة جديدة في تلك المناطق. والسفن التي كانت تنقل الركاب إلى جزر إسطنبول ستترك عملها.. ستختفي والبنيات الموجودة في شارع الاستقلال.. ستكون قمراً للضباط والعساكر الأميركيين. وسيتحول استاد آنينو/ إلى مطار للمروحيات.. وسيعمد الجنرالات إلى رفع أقدامهم في سراي/ دولما بقجة/. وسيتحول اسم مطار ريشيل كوي أتاتورك، إلى اسم بيزنطي جديد.. وستخصص كل القصور الموجودة على ضفتي البوغاز للموظفين الأميركيين الكبار.

وستتحول الحياة في الأحياء الشعبية إلى حياة لا تُحتمل أبداً.. وستخرج المقاومة من تلك الأحياء.. وسيعمد العدو على الرد على المقاومة بأقصى قوته.. وستعتمد الفرقة السمفونية الأمريكية إلى إقامة حفلات في المركز الثقافي المسمى أتاتورك. وسيجبر المدعون على الذهاب إلى تلك الحفلات.. وسيفتح مجلس الشيوخ الأميركي ببرامج المساعدة.. بمليارات الدولارات لصالح تركيا.. حيث ستستعمل هذه المبالغ الضخمة لبناء المدارس التي هدمت أثناء الحرب وعندما ينتهي إنشاء جسر بوغازياجي.. سيلقي أحد الضباط الأميركيين خطاباً أثناء حفل التدشين أو الافتتاح. وربما يعود كل شيء إلى حالته الطبيعية.. بعضهم قال هكذا وبعضهم الآخر قال إن الأمر سيسوء أكثر فأكثر ولكن الذين كانوا يتحركون قليلاً جداً.

٢٠٠٧ حزيران

- غولجك الجديدة.

الشواطئ الجنوبية لخليج /أزميت/ ١

كان ثمة صمت عميق يطبق على الجو. وكأن الزمن قد توقف. كان البحر ساكناً. وثمة برودة جافة تسسيطر على الجو. كان خليج /أزميت/ يبدأ بيوم لا حرارة فيه ولا رياح. لو كان الزمن غير هذا الزمن لبدأت الحركة تحسس البشر بذاتها. من حيث هدير المعامل أو المصنع أو عبر تبادل الورديات بين العمال.. كل هذا كان يخلق نوعاً من الأنين الممزوج بالهدوء يتوزع في أرجاء منطقة المعامل والضواحي مؤكداً أن الحياة لم تتوقف هناك.

المنطقة الملوءة بأحياء العمال. وعلى بعد من تلك الأحياء . تبدأ منطقة المصانع التي تذكر المرء بالانقلاب الصناعي الأوروبي.

كان الضباب والأدخنة يُشكل ستارة رفيعة فوق تلك الأحياء. وكأن العمالة نوع من قانون ينتقل من الأب إلى ابنه. وبروابط عائلة كبيرة وواسعة.. كانت قد تكونت مساحة كبيرة للإنتاج في المصانع.

طبعاً كل الذي ذكرناه. كان قبل بدء الغارات الجوية على هذه المنطقة.. ومن أجل الدخول إلى إسطنبول مباشرة.. كان لا بد من إيجاد نقطة مناسبة هذه العملية وكانت قد جهزت خصوصية المنطقة كلها و نهايتها. كانت الأحياء الصناعية والمصانع العملاقة. قد سُويت مع الأرض تماماً.. وعلى مدى عشرات الكيلومترات لم تبق بناية واحدة سليمة. حتى الأحياء المدنية كانت قد نالت نصيبها من هذه

١ ((ـ "غولجك: بلدة صغيرة على الشاطئ الجنوبي من نهر مرمرة.. وفيها أكبر قاعدة نحرية عسكرية تركية. وقد سوت الأرض أو غطست في البحر أثناء المعركة الأرضية التي ضربت منطقة مرمرة في عام ١٩١٩ .. وراح فيها الآلاف" ملاحظة المترجم)).

الغارات. كانت أكثرية هذه الأحياء تذكر المرء بالبلدات التي تسكنها الأشباح.
كانت برودة الصباح تجعلك تشعر بنفسك، والذين بقوا على قيد الحياة.
كانوا قد للموا أنفسهم في إحدى الزوايا خوفاً من الموت.

وكان كلهم مثل النائمين بعمق وهم يستمعون إلى الصمت. في الوقت الذي بدأ فيه الصباح يفصح عن نفسه جيداً.. كانت ثمة أصوات هادرة تشبه الأنين قد أزاحت الأمان عن كاهل الأحياء. حيث بدأت الطيور تتظاهر نحو كل الأطراف بعيون مملوءة بالخوف وهي تحفظ أجسحتها.

كانت المخلوقات التي تحسُّ أو تشعر بأن ثمة شيئاً مكروهاً سيحصل، قد بدأت بالحركة.. كانت القحطان والفتراهن قد بدأت تتحرك بين أنقاض المعامل وهياكلها العظمية بشكل غير واعٍ.. هذه التحركات كانت قد أخافت الطيور أيضاً. حيث خرجت من أو كارها الدافئة وبدأت تطير هنا وهناك. وكأنها تريد أن ترى ما الذي كان يقترب منهم. كانت الشمس قد أظهرت نفسها كاملاً.. في الوقت الذي كانت فيه الشمس ضوءاً عادياً تستطيع النظر إليه. وإن بطلال غريبة بدأت تظهر فوقها.. ثم بدأت تكبر بسرعة.

هذه كانت المروحيات العملاقة التابعة للفرقه / ٨٢ / للإنزال الجوي، منها:
مروحيات / 47 - ch / ذات مروحتين و 53 - ch / وهي مروحيات واسعة وناقلة بشكل كامل وأخرى من طراز / uh - 66 / المسماة // الصقر//. كل هذه المروحيات كانت تطير قريبة من بعضها بعضاً. أما طائرات آباتشي من طراز / AH - 64 .. كانت قد انتشرت ضمن مساحة كبيرة.. تمشط الأطراف. أما مروحيات / كيوا / من طواز / 85d - OH / .. فكانت تفتشر عن نقاط الدفاع الجوي بكاميراتها المتقدمة. ولكن من المستحيل أن ترى شيئاً.. لأنه حتى يوم أحد من هذا التاريخ، كان الناس لا يفكرون حتى بالمجيء إلى هنا وذلك بعد عدة أيام من القذف الجوي المكثف. ولكن قد طلب من القوات الأمريكية تجهيز هذه المنطقة لتزيل الفرقه ٨٢ . قاما بتجهيزها بشكل لا يخطر على بال أحد. كان المشهد مؤثراً إلى حد كبير عشرات المروحيات وقد أخذت الشمس خلفها.. كانت المروحيات العملاقة قد غطت السماء وهي تنقل اللواء الثاني التابع للفرقه ٨٢ أكثر

من أربعة آلاف عسكري بعرياتهم المدرعة من طراز /هومفا/ ومدافعتهم ومعداتهم.. كانوا سينزلون إلى الشاطئ الجنوبي من خليج /ازميت/. وعربات ثقيلة ستقللها الطائرات العملاقة 130-C. وكانت ثمة مروحيتان من طراز /53 - MH/ تطيران أمام المروحيات الأخرى. كانت تقل مجموعة من الوحدات الخاصة الأمريكية. اقتربت هاتان الطائرتان بمناورة قاسية فوق بعض الأراضي قادمة من البحر. وقبل أن تلمس عجلاتها بالأرض أنزلت الجنود. أسرع الجنود نحو المصنع المضروب على طرف تلك الساحة. كلهم كانوا جاهزين على أكمل وجه ومستعدين للقتال في كل لحظة.. فحص جنود الوحدة الخاصة الأنفاس وما بينها بمناظيرهم الليلية.. كان تربط بينهم اتصالات سريعة جداً. مهما كانوا بعيدين يسمعون بعضهم بعضًا. كان الجو يبدو ساكناً. وكانت الطائرات /53 - MH/ تطير فوق المنطقة وهي ترسم الدوائر وفي أسفلها الرشاش الثقيل ذو ستة سبطانات جاهزة لإطلاق النار في كل لحظة. ولم يكن بإمكانه أي مخلوق حي التخلص من رقابة هذه الطائرات ولا بأي شكل من الأشكال.

أخبر الطيارون الجنود بأن المنطقة نظيفة وبمقدورهم التحرك بحرية. نظر الجنود إلى بعضهم وأخبروا سرب المروحيات بأن الأطراف ساكنة من حولهم. نزلت المروحيات /53 - MH/ إلى طرف الساحة... وبدأت بالانتظار دون أن توقف محركاتها. عندما اقتربت الأسراب الأخرى.. وتشكل أنين هادر في الأجواء.. كانت عملية الإنزال تتفذ وتسمع من على بعد كيلومترات.

كان الناس الذين يعيشون خارج منطقة القذف قد استيقظوا من نومهم وخرجوا من بيوتهم مذعورين.. يراقبون ما يحصل من حولهم.. كانت أشعة الشمس تضيء السماء. ولكن ثمة ظلاً غريباً. كان يمنع وصول أشعة الشمس إلى بيوتهم. عندما شاهدوا هذه الأجسام العملاقة فوقهم أغلقوا نوافذهم وسحبوا ستائرهم وجلسوا داخل بيوتهم. اتجهت الطائرات العملاقة نحو مكان نزول الوحدة الخاصة الأمريكية.. نزل من الطائرة الأمامية خمسة وأربعون جندياً بأسلحتهم وعتادهم. ورموا بأنفسهم نحو النقاط التي أشار إليها الجنود الآخرون. ثم بدأت المروحيات

الأخرى بالنزول . والتي كانت تقل بطاريات المدفع .. خلال نصف ساعة من الوقت كان أكثر من أربعة آلاف من المظليين قد احتلوا منطقة واسعة حتى حدود مدينة /فوجة علي/ / عمد الجنود إلى بناء خيمة القيادة كي يكلاوا / كردوناً من الأمان/ وتحركوا لتنظيف المكان وعلى اتساع أربعة كيلومترات من حول الخيمه . وبعد فترة قليلة بدؤوا بتمشيط منطقة المعامل وما بين الأنقاض إذا كان ثمة مسلحون أتراك هنا . وذلك بوساطة العربات المدرعة / هومفا / التي أنزلتها طائرات النقل من طراز 130 - C . ثم دخلت هذه العربات إلى داخل الأحياء التي فرقت من سكانها .. وعملت / كونترولا/ .

وبين وقت وأخر كانت تسمع صوت رمي طلقات .. ولكنها لم تكن تطلق في معارك عاديه . ولكنها كانت تطلق نحو أماكن ونقاط مشبوهة لا مجال للحظ في مثل هذه الأماكن . لكي تكون رأساً جيداً لأحد الجسور يجب أن يكون آمناً .. كانت الفرقه ٨٢ للإنزال الجوي تجهز مكاناً للواء الثالث الذي سينضم إليها بعد عدة أيام وهكذا .. سيكون أكثر من عشرة آلاف جندي قد جهزوا أنفسهم جيداً من أجل المجهوم على إستانبول .

في هذه الأثناء حصل شيء جذب انتباه الجنود . كانت ثمة حركة تتراهى في منطقة بعيدة جداً . حركة خفيفة جداً .. لا ضرورة للمراقبة .. تم إعطاء الإنذار وبدؤوا بإطلاق النيران نحو تلك النقطة . تحولت النيران بعد فترة إلى أكثر كثافة . لم يكونوا يتظرون هذا الشيء .

كانوا تحت هجوم كبير وشديد . لم تكن الاستخبارات قد أعطتهم أية معلومات عن هذه القوة التركية . يجب أن تكون هذه المجموعة هي مقدمة الذين تخلصوا من الغارات الجوية وهم من اللواء الجبلي للوحدات الخاصة المتمركة في / يولو / والتي تم قذفها وهي تتجه نحو إستانبول بالحافلات المدنية .

إمساك رأس الجسر لن يكون سهلاً هنا . كانت المعارك الشديدة قد بدأت على مدى خط طويل .

كانت الفرقه الرابعة للمشاة قد بدأت تقطع المسافة بين مدينة / بيلجيك / و آدا بازارى / .. وكانت الفرقه تتوقف بين حين وآخر وتتجبر على الحرب .

كانت الوحدات التركية. توقع بمقدمة القوات الأمريكية الخسائر الفادحة وذلك بالصواريخ المضادة للدبابات وبناء الكمائن. إذا لم تتم الحركة بسرعة مناسبة كانت الفرقة الرابعة الأمريكية للمشاة.. سُلِّمَتْ من قوتها وهبها إلى حين وصولها إلى إسطنبول.

كانت مدينة بيلجيك هي نقطتهم للقفز نحو الأمام. وعندما يصلون إلى مدينة آدا بازارى / فالطريق إلى إسطنبول ستكون مفتوحة.

دون أية حواجز تذكر. كانت هاتان الفرقتان تأخذ تعليماتهما ودعمهما الأساسية من مقر القيادة الموجودة في أنقرة.

كانت الارتباطات البرية تقريباً مقطوعة بين فرق الماشة السابعة الخفيفة التي دخلت الأرضي السورية وعناصر الفوج الثالث الذي كان يتحكم بسد / أتانورك / وسد كابان / وبين الوحدات المنتشرة من أنقره حتى منطقة خليج / ازميت / .. كانت الإمدادات تتوصلك في البداية إلى أنقرة عن طريق الجو. ثم ترسل إلى القوات الأمامية.. أما اللواء الثاني فكان في حالة حركة في الوسط بوساطة عرباته المدرعة / هومغا / يساعد الدرع الأساسي للقوة المهاجمة الرئيسة. حتى ولو على حساب خسارته هنا وهناك. وقريباً كان سيعلن فناءه رسمياً.

كان الإستراتيجيون الأمريكيون قد فكروا في بداية الأمر استعمال نصف جزيرة / باندرما / نقطة للانطلاق بالنسبة لفرقة الإنزال الجوي ٨٢. ولكنهم لم يكونوا يريدون ابعادهم عن الفرقة الرابعة للمشاة.

إذا ما حصل هجوم تركي مفاجئ، تعمد المدرعات التابعة لفرقة الرابعة للمشاة لدعمها حتى ولو لعدة ساعات.

كانت فرقة الإنزال الجوي ٨٢ تريد أن تربط الأمور بروابط سليمة. حيث بدأوا بتحويط منطقة واسعة من الأرضي بكل الأشياء السلبية التي تجبرهم على البقاء هنا لفترة طويلة. فـأى أمر عابر من الأمور السلبية يجبرهم على البقاء لمدة طويلة. وفي هذه الحالة يجب عليهم صد كل الهجمات التي تأتיהם. ولهذا السبب كانت بطاريق المدفع تركي جاهزة على الدوام. حتى إنهم كانوا قد ركزوا بعض مدافع الهاون في مناطق ملئت بأكياس الرمل. حتى ولو لم يكن أحد يتضرر أية غارة جوية

من قبل الأتراك. كانت عريتا / هومفا / قد تركزتا وسط المنطقة التي كانت تحول إلى قاعدة عسكرية. تراقبان الجو على الدوام. إلا أن المجمات التركية كانت قد زادت على هذه القاعدة. وكانت الخسائر تزداد على الدوام.

كان الناس الذين يعيشون في الأحياء الجنوبية لخليج ازميت - يحسون بالإحباط والتوتر عندما يرون الجنود الأميركيين ويصابون بمشاعر غريبة جداً..

وكما أنهم يرونهم بعيون عارية.. كانت ثمة قوات كبيرة تتمركز هنا وهناك. وعملهم الوحيد هو الجلوس والمشاهدة. لم تكن القوات الأميركية في حالة يريدون الاقتراب منهم.. كانوا قد فهموا أن التجهيزات التي تقوم بها هذه القوات لا علاقة لهم بها. كان الجميع قلقين ومتوترين.

لم يعد هناك أي عمل يقومون به. ولا يقدمونه للآخرين. في الوقت الذي كانوا فيه قد ضمداوا جراح الزلزال الكبير منذ وقت قصير.. كانت مصيبة كبيرة تنتظروهم.

كانت القاعدة التي بدأ الأميركيون بإنشائها.. قد بدأت تتشكل أمامهم في ساعات الظهيرة وبالعيون المجردة. كان الناس يشاهدون بناء القاعدة بوجوه قلقة.. كان كل واحد يسأل الآخر.. كيف يحصل هذا الشيء.. كانت بعض الحرائق قد ظهرت هنا وهناك من القاعدة إثر هجوم عناصر الوحدات الخاصة التركية.

منذ أن قُذف مركز قيادة الجندوبة ووحداتها ومركز القوات الحديدية لم يكن أحد يعرف مكان تواجد قوت الجندوبة. ولكن عناصر الشرطة كانوا موجودين يدورون بسيارات مدنية. وهم أكثر المراقبين توتراً للقاعدة الأمريكية.

كانت قوات الشرطة الحديدية ينتظرون بلباسهم الحربي وقد وصفوا رصاصاتهم على جيوبهم. ولم يكونوا يخبرون أحداً بأماكنهم الجديدة لأحد. وكانوا يبتعدون عن بعضهم بعضاً بكل السبل والوسائل. كانوا مجبورين على فرض الأمن داخل المدينة وخارجها. وإذا ما جاءت القوات الأمريكية ما كانوا يعرفون ماذا سيفعلون ولا كانوا يفكرون. العمل الوحيد الذي كان في مقدورهم هو محاربة الأعداء.

في الوقت الذي كانت فيه شمس الظهيرة تلمع في السماء. كانت السحب السوداء تمر سريعاً وتحجب أشعتها. كان ثمة جماعة يجلسون أمام أحد المقاهي في

مركز المدينة.. يتحدثون عن الشيء الذي سيقومون به.

تحدث أحد الحرفيين وهو في متوسط العمر: يقولون إن هؤلاء الأوغاد قليلو الشرف والناموس يقدرون كل منطقة تظهر المقاومة فيها يا عم فوزي.

لم يعد دكان هذا المتحدث موجوداً.. كان الجميع قد اشتروا منه كل شيء، ولكن المال الذي يملكه لم يكن يساوي شيئاً. كان قد خرّ بعض المأكولات له ولعائلته.. يُدبر حاله بهذه المواد. وبين وقت وآخر كانت قوات الشرطة توزع بعض المأكولات للشعب.

ولم يكن أحد يعرف من أين أتوا بها. ولكن كان الجميع واثقين بأنها من مستودعات إحدى الوحدات العسكرية.

- "انا شخصياً لم استغرب أبداً. كنت اعرف بأنهم سيفعلون بنا هذا الشيء".
كان في كلماته نوع من اليأس والإحباط.

لم يكن العم فوزي في حالة تسمح له التفكير في كل شيء. كان الرجل في الخامسة والستين من عمره. وكان قد عاش في حالة من الفقر المدقع على الدوام. ولكن الشيء الذي يتفاخر فيه. هو أنه خدم الوطن في الحدود أكمل كلامه: "عندما كنت جندياً.. كنا نراقب الحدود كالنسر. عندما كان المهريون يحاولون اجتياز الحدود. والله كنا نرمي السيجارة التي أمام أنوفهم".

- "لا تقل هذا الكلام يا عم فوزي.. تغير الآن كل شيء".
كان المتداخل في الكلام رجلاً آخر غير ذلك الحرفي. كان وضعه مثل ذلك تماماً. وأضاف الرجل: "صعب علينا أن نجا بهم أسلحتهم.. انظر في الصباح لم يكن في هذا المكان شيء. أما الآن استقر فيه جيش عرمم".

في الوقت الذي كانت فيه الساعات تمضي تباعاً.. كان الناس في كل مكان قد بدؤوا بمناقشة مثل هذه الأمور. وفي كل المجتمعات. من جانب كانوا يتحدثون عن كيفية الدفاع ومن جانب آخر: إذا جاؤوا حقيقة فكيف كانوا سيعيشون مع هؤلاء الأوغاد.. كان الشباب هم الأكثر تأثراً من هذه المناوشات. كانوا على علم ولو صغير بحقيقة هؤلاء.. وذلك من خلال الأقلام التي شاهدوها. ولكن هل كان بمقدورهم العيش معهم مع القيم التي تعلموها؟.

عندما جاءت ساعات المساء. تواجه سكان الأحياء بمشهد لن يصدقوه أبداً...
كان ثمة /جيب/ عسكري قد لفَ من أمام الزقاق وبدأ بالاقتراب منهم بسرعة.
كان في داخل الجيب أربعة جنود أمريكيين. كان كل واحد منهم قد ركَّز إلى
جانبه سلاحاً من نوع /أوزفا/. حاول جميع الجالسين أمام المقهى الدخول إلى
الداخل.. لكن الصوت الصادر من الجيب عن طريق /مكبر الصوت/.. جعلهم
يقفون في مكانتهم وكان عليهم أن يفعلوا هذا الشيء.. تابع الجيب طريقه نحوهم
بين صفين من الأبنية حتى وقف أمام المقهى. كانت هناك ساحة صغيرة، بسيطة..
مقابل المقهى.. و昊وض صغير. ونزل الجنود وأسرعوا نحو الواقفين. الناس لم
يلاحظوا شيئاً. ولكن هؤلاء الجنود الأربع كانوا من خيرة القوات الخاصة
الأمريكية. الشيء الذي فعلوه كان يُعد جنوناً بكل معنى الكلمة. ولكنهم
كانوا قد أظهروا الشجاعة في هذا التصرف. يجب أن يكون ثمة عرض عضلات.
وكيف كانوا يجدون الطاقة في أنفسهم للدخول إلى قلب مدينة لم تُحتل بعد؟

وإذا ما جاءت قوات الشرطة الآن؟ عندها ماذا كان سيحصل؟
في الوقت الذي كانت فيه هذه الأسئلة تتوارد في عقول الواقفين. وإذا بأحدهم
يقترب منهم. وكان الثلاثة الآخرون يراقبون الأطراف بأسلوبهم.

سأل ذلك الجندي الذي كانت الثقة تملأ عينيه إذا كان يوجد بينهم شخص
يعرف الإنكليزية. لم يكن أحد بينهم يعرف التحدث بها. ولكن كان أحدهم
يفهم بعض الشيء. كان قد تعلمها خلال دورتين فتحتها لهم المعمل الذي كان يعمل
فيه. قال له الجندي بداية: "مرحباً" فأجابه الرجل بقدر معرفته. كان الجندي
يتحدث بشكل بطيء وبالشكل الذي يقدر على إفهامه.. فقال له: إنهم ليسوا
ضدhem في أي شيء.. أوصى الرجل هذا الكلام للآخرين. وإذا لم تظهر رأية مقاومة
فلن يلمسوا مدينة أزميت أبداً. وأنهم جاؤوا إلى هنا مخاطرين بحياتهم كي يوصلوا
هذه الكلمات. لأنهم لم يجدوا طريقة أخرى للتواصل معهم. كان الجميع يحاولون
معرفة الذي حصل. ولم يكونوا يعرفون ماذا سيقولون لهؤلاء الجنود الذين يحملون
أسلحة ثقيلة. سكتوا فقط وهزوا رؤوسهم. بقي الجنود هناك بضع دقائق فقط.
وعندما همّوا بركوب عربتهم. سمع صوت طلقة واحدة. وإذا بأحد الجنود

الأمريكيين.. يهوى على الأرض بقوة.. أما الآخرون تمددوا تحت السيارة.. بدأت الطلقات تهمر فوقهم. وسكان الحي رموا أنفسهم بصعوبة داخل المقهى. كان الجنود الأميركيون يقولون لبعضهم كلمات دون أمل. عندما رفع الموجودون داخل المقهى رؤوسهم عن الأرض. شاهدوا في طرف الشارع مجموعة من الجنود الأتراك من إركوماندو كانوا عراة من الأعلى ويطلقون النار كالمجانين.

لم يكن أي أمل بالنسبة للجنود الأميركيين في تلك اللحظة. كان إركوماندو الأتراك مملوئين بحب الانتقام لزملائهم.

بعد دقيقة واحدة انفجر صاروخ وأنهى المعركة. كان الجنود الأميركيون قد ماتوا. أسرع الجنود الأتراك ووقفوا على رأس الجنود الأميركيين. كانت ثيابهم ملطخة بالسواد والشحاذ.

دخل من بينهم واحد، يجب أن يكون قائدهم، إلى المقهى. عندما رأوه ابتسموا ابتسامة ممزوجة بالخوف.. كان القائد غاضباً..

- لماذا لم تجاهوهم؟

لم يتحدث أحد من الموجودين.

- إنهم يضعون لك كل واحد منكم وفي داخل وطنكم أموراً سلبية.. ولا يخرج من أي واحد منكم صوت أو رد فعل لو رأيت الجميع هنا فتلى لسعدت أكثر..

وأغلق الباب بقوة وخرج والتحق مع بقية الجنود وابتعدوا عن المكان..

كان رواد المقهى قد عادوا إلى وعيهم.

كانت العملية تتراكم وكأنها تقدم أكثر من كل التوقعات. وكان ثمة سباقاً قد بدأ للوصول إلى إسطنبول. وبهذا الشكل يستطيعون الانتقام لواشنطن. في الوقت الذي كانت فيه القوات الأمريكية تريد البدء بحرب إسطنبول. كانت الوحدات التركية تؤخرها بكل السبل والوسائل.

كانت بعض الوحدات التركية الجاهزة للقتال، والمسلحون المدنيون يتحركون داخل الطرق وبشكل خطر. حيث يعرضون أنفسهم للمخاطر. يريدون الدخول إلى إسطنبول قبل بدء الغارات الجوية والهجوم العام. حتى يركزوا أنفسهم في أماكن تحميهم من الغارات والقنابل والصواريخ.

في هذه الأثناء، كانت القوات البحرية الأمريكية قد حرّكت وحدتين من المشاة البحرية وهما الـ ۱۵ و ۲۶.. بوساطة سفينتين. كي تُسهلاً من السيطرة على المدينة. كانت السفينتان على وشك الوصول إلى بوغاز جنق قلعة. وكانت القوات الجوية الأمريكية قد بدأت قذف البوغاز. كانت تريد مرور السفينتين بأمان وسلام. كانت الانفجارات قد بدأت تسمع في تلك المنطقة أي / جنق قلعة / بعد مرور تسعين عاماً من حرب جنق قلعة المشهورة.. في الوقت الذي بدأت فيه السفن بالاقتراب من البوغاز.. كانت التربة قد بدأت تسخن.

كان الجنود المتخدنو على طرف البوغاز لا يقدرون الوقوف على أرجلهم مع شدة سخونة التربة تحت أقدامهم. وبما أنهم كانوا لا يعرفون من سيقولون أو يوصلون مصيّبهم. فإنهم خرجوا من الخنادق فقط هرباً من الحرارة.. في الوقت الذي كانت فيه السفينتان تمران من البوغاز.. كان ثمة إحساس غريب قد بدأ يضفت في أعماق البشر وقلوبهم. أما قاطنو المدن المجاورة كانوا يحسون بأن ثمة كابوساً أسود يضفت فوق رؤوسهم. لأنهم كانوا لا يعرفون ما الذي يحصل. كان البوغاز يتراهى وكأنه أقل حماية من أيام الحرب العالمية الأولى. كان الجنود الذين تركوا خنادقهم قد بدؤوا بالتراجع نحو الخلف رويداً.. رويداً. لم يكونوا يستطيعون تفسير الذي يحصل أزيداً درجة الحرارة تحتهم.. بعضهم كان يفكر بأن ثمة زلزالاً سيحصل. وبعضهم كان يفكر بأن القيامة ستقوم. أما القذف الأميركي لم يكن يتوقف أبداً. وكان اللال والهضاب الموجودة على أطراف القناة المائية قد بدأت تغير أشكالها. حتى بطاريات الدفاع القديمة. لم يكن قد بقي أحد من الناس لحماية البوغاز. وعندما تم توصيل هذه الأخبار إلى رئيس الأركان.. كان حكمت باشا قد قفز من مكانه غاضباً.. ولكن له لم يكن يفعل أي شيء. لأن الجنود كانوا لا يبقون داخل الخنادق.. وكأنها مملوءة بأشيء مجهولة.

٢ حزيران ٢٠٠٧ . الساعة ١٤.١٥

CENCOM . فلوريدا.

كان ميامي قد صارت العاصمة الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية. كان الرئيس ورئيس الأركان يديرون العملية من هنا. كان الموظفون الجدد يعينون هنا.

كان شعب الولايات المتحدة الأمريكية يعيش جو الحرب التي وصلت إلى سواحله لأول مرة بعد عملية /بيرل هاربور/ وكان صوت المعاشرة قد بدأ يخرج بقوة.. وذلك الإرهابي التركي لم يتم القاء القبض عليه بعد. وإذا ما تم انفجار قنبلة نوبية أخرى في نيويورك لطافت الخسائر بتريليونات الدولارات. والحقيقة كانت المحطات التلفازية قد ذكرت بأنه تم السيطرة على القنبلة الثانية أشاء الفارة للقبض على الإرهابي التركي.. ولكن الأكثري لم يكونوا يصدقون ذلك..
كان الشعب يهرب من المدينة وهو في حالة توتر شديد. هذه العملية كانت قد بدأت تشكل أزمة /وكابوساً/ كبيراً بالنسبة للاقتصاد الأمريكي.

كان احتمال انفجار القنبلة الثانية في نيويورك. وكانها ستلتحق بالولايات المتحدة الأمريكية خسائر فادحة أكثر من فناء مدينة واشنطن نفسها. لأن تلك القنبلة كانت قد خلقت في رؤوس الناس خوفاً لا يجاريه أي خوف على الإطلاق.
لأن تلك الدنيا الفانية قد صلت أمام أبوابهم تماماً.

عندما فنيت واشنطن كانت قاعدة تنظيم الولايات قد أظهرت إيجابيتها.
لأن جميع الولايات كانت تدير نفسها بنفسها. وكان كل الأمور ستكون على ما يرام حتى يتم تشكيل البيروقراطيين الجدد.

كان رئيس الأركان هوارد ستريك يتعجب من الأضرار والخسائر التي سببها شخص واحد. تركي واحد كان قد حصل على بعض المعلومات عن هذه العملية. وهذا الشخص كان على وشك أن يقضي على دولة جبارا هي القطب الوحيد في

هذا العالم وسيجعل نهايتها وخيمة.

كان قد شاهد مشهد الغارة لإلقاء القبض عليه . مرات كثيرة. لم يكن قد صدق نفسه من حركات الرجل وتصرفاته داخل ذلك الكوريدور الضيق وأمام عشرات من الأعداء. كل حركاته المسلسلة كانت قد أنجبت الموت باضطراد . قال في نفسه وهو يلقي نظرة إلى الخريطة: "أتمنى أن يكون ذلك الرجل القذر مرمياً في حفرة وميتاً".

كانت تُعاش ساعات انفعالية شديدة من كثرة المعلومات التي كانت تتهدر على مركز القيادة. كان ضباط العمليات جالسين حول حواسيب ذوات شاشات كبيرة في غرفة القيادة.. ينتقون الأخبار الواردة ويصنفونها ويقدمونها للضباط الكبار. كان هذا اليوم يوماً مختلفاً. كان الضباط يفتشون عن الأخبار وينتقون منها الصحية أو الخاطئة ويتبعون كثيراً في ذلك.

كان هوارد ستريك لم يتحرك من على الطاولة منذ سبع عشرة ساعة ونصف. كان أمامه مئات الأشياء والأخبار التي يجب أن يهتم بها. كانت فرقة الإنزال الجوي ٨٢ تتبع إنزالها على أزميت وضواحيها. وأية حركة معاكسة خارج إرادتهم في تحفييف أو تبطيء عملية الإنزال. كانت ستؤدي إلى تأخير الهجوم على إسطنبول. كان يقرأ التقارير الواردة من /أزميت/ حتى أدق تفاصيلها.

كان الوضع يتراوّي مضطرباً وبسبب المعارك الشديدة.. ربما كانوا لا يستطيعون استعمال الفرقة ٨٢ بكل طاقتها.

وكان عليه تعقب متابعة مسيرة الفرقة الرابعة للمشاة وانتقالها. وبما أن الفرقة مجهزة بأحدث الوسائل الاتصالاتية الديجيتالية. كان عليه متابعة أخبار كل دبابة على حدة. وطريقة سيرها وحركتها ومعاناتها. كان كل ذلك مهماً بالنسبة إليه. في مثل هذه العملية المعقدة والكبيرة كان على كل ضابط وقائد أن يكون جزءاً من هذه العملية.

حتى هوارد ستريك نفسه كان يجد حركتهم هذه نوعاً من الجنون ليس إلا. وكل جندي نال تدريباً كلاسيكيأً.. كان عليه أن يفكّر هكذا.

فرقة مدرعة كبيرة تقدم نحو الأمام وداخل الأراضي المعادية التي لم يلمسها

أحد بعد. ولا يحميها شيء سوى القوات الجوية. وحقيقة الأمر كانت هذه الفرقة تجبر نفسها للدخول في معارك مع بعض الوحدات التركية المنتشرة.

وكانت عدد الهجمات قد وصلت إلى أربعين هجوماً وخمسة وعشرين هجوماً من خروجهم من أنقرة. هذه الهجمات نفذت من قبل الفرقة الثالثة المدرعة.

والفرقة الرابعة الميكانيكية للمشاة هي التي كانت قد ردت كل هذه الهجمات. وخسائرهم حتى الآن كانت كبيرة جداً.. وكان هذا السؤال يتشكل في ذهنه على الدوام، ماذا كان سيحصل عندما تبدأ حرب إسطنبول؟ بعض الأحيان كان يجد نفسه يدعوه الله: "ماذا يحصل يا إلهي لو كانت مثل عملية بغداد دون مقاومة".

كان الجيش التركي قد رد بشكل شديد.. كانت قابلية المناورة عندهم قليلة وصفيرة تحت تأثير الهجوم المفاجئ. إلا أنهم كانوا ما زالوا يشكلون خطراً عليهم. وهم حريصون جداً وسريعون لإنزال المزيمة في كل لحظة بالأميركيين. كانت الوحدات الكبيرة قد ضيعت كثيراً من عددها وسرعتها وقابليتها للحرب بعد أن ضُربت بقوة بواسطة القوات الجوية الأمريكية. كانت القوات الجوية تضرب كل عريبة تحرك ما بين المدن.. وبهذا الشكل تكون قد قطعت كل الإمدادات والتموين عن كل الوحدات المتحركة والمتمرضة. كان الجيش التركي قد انقسم إلى مئات من الكتائب المشاة.. تحارب حرب العصابات بأقصى قوتها وشدة لها.

وتحول كل مكان داخل الوطن إلى حقل للموت.

كان هوارد ستريك وبقية الضباط المخططين يعرفون أن الجيش يستطيع أن يخلق فوقهم نوعاً من التأثير السلبي وهم يقومون بتطبيق ما طلب منهم. كان الجيش الأمريكي ضعيفاً أمام الهجمات الإرهابية. لعدم وصول الإمدادات إليه. ولا يستطيعون الوقوف أمام أية حركة شعبية عارمة. وإذا ما أخرج الأتراك العريات المدرعة التي ستروها.. سيقومون بالإغارة والقضاء عليها.. حتى المداخلات من الدول الأخرى. كان قليلة ولا خطوة لها. كان كل شيء يمضي قدماً كما خطط له. ولكن إذا ما سقطت إسطنبول. عندها تكون المشكلة قد حلّت لأنها مكان

العقدة تماماً. وبعد ذلك سيكون للخسائر التي قدمت معنى خاص. كانت الضغوطات تهال على هوارد ستريك من الجهات العسكرية.. كان على الجيش الأمريكي احتلال الأراضي التركية بكل طاقتة وقوته. كي تُسهل من عملية السيطرة على إسطنبول. وربما لا تبقى حاجة للحرب بعد ذلك. ولكن كان عليه الوقوف في وجه هذه الضغوطات.

إذا قام باحتلال الأراضي التركية بأكملها.. يواجه بمقاومة عنيفة. لم يكونوا يعرفون ماهية هذا الشيء. ولكن الشيء الوحيد الذي كانوا يعرفونه: أن التاريخ كان يقول لهم إن هذه الأراضي ليست وحيدة دون صاحب ومدافعة.

فتح باب ستريك دون أن يُطرق. عندما رفع القائد رأسه. كان الرئيس قد دخل الغرفة وثمة إفادات ذات معانٍ كثيرة ممزوجة على وجهه كما هي العادة. لم يكن قد ضحك منذ ذلك العرض التلفازي. ولكنـه كان قد جمع نفسه وشخصه بسرعة. لم يكن يبقى في /CENTCOM/ كما كانت العادة في بداية الحرب. كان يمر إليها بين وقت وأخر ويأخذ المعلومات الواردة والضرورية. كانت العملية بالنسبة إليه ناجحة في مرحلتها الأولى. وكان عليه أن يضغط على الزر إذاناً لبدء المرحلة الثانية من العملية.

”كيف الحال يا هوارد؟“.

هذا السؤال وصل للعسكري المحترف وكأنـه نوع من السخرية أو المزاح.
- ”شكراً يا سيدـي الرئيس.. أنا في حالة جيدة جداً.“

كان بمقدوره الإجابة بكلمات أكثر فظاظة وتنلاً. لم يكن لها أية ضرورة. كان هوارد ستريك عسكرياً محترفاً.

- ”هوارد.. أريد أن تبدأ عملية /سيـفر/ لقد انحل نظام الأتراك. وليس بمقدور أية قوة أن توقف حقوق طلاب تلك الأرضيـن.“

كان الرئيس قد جلس حول طاولة الاجتماع. يدقق الأوراق التي وجدها هناك. وكانت مساعدـته /كيـتي/ قد جلست على الكرسي المجاور له. كانت تهز رأسها إلى كل تعليق يصدر من الرئيس. رفع الرئيس رأسـه لوهلة عن الأوراق ونظر إلى هوارد ستـريك وقال له:

- لا يكون لك أي تفكير يا هورد سنتهي هذا العمل.

هز العسكري الخبر رأسه وقال: أنت على حق يا سيدي. نستطيع أن نبدأ المرحلة الثانية.. في كل الأحوال سنحتل إستانبول.. الآن الدور عندك. وأعتقد بأن الانفصاليين الموجودين في داخل تركيا واليونانيين القبرصيين سيتحركون. إذا طلبت منهم التحرك.

- وكيف الوضع في قبرص؟

- القوات التركية تتعرض لهجمات شديدة ومكثفة ومنذ أيام طويلة. وماذا ننتظر أن يكونوا وقد جمعوا في مساحة ضيقة.. الجو بالنسبة إليهم.. ليس إلا مصيبة وبلاء.

- وهل ينجح الجيش الروسي اليوناني في قبرص؟

هم مجبورون على النجاح. لقد اشتروا أسلحة كثيرة. أما إذا كانوا لا يعرفون استعمالها. معناه لا نستطيع أن نقدم لهم أي شيء.

- أنا لا أستطيع أن أضع فرقة من المشاة البحرية مكتوفة الأيدي من أجل تلك الجزيرة.

- يقولون إن ثمة تطورات كثيرة تحصل يا هوارد. وأن محادثات كبيرة تحصل بين روسيا وألمانيا وفرنسا والصين. وأن ثلاثة فرق دبابات روسية قد تأهبت أقصى درجات التأهب.. وتركـت مقراتها. والتقارير الواردة إلى من الـ CIA وصور الأقمار الصناعية تؤكد هذا الأمر.

- إذا كان ما تقولونه صحيحاً يا سيدي الرئيس فهذا يعني: إننا سنتظر ضيفاً جديداً.

كان هوارد ستريك قد احتار في أمره أمام هذه المعلومة الجديدة. ولكن وبما أن نتيجة هذه العملية غير معروفة سلفاً فيمكن توقع مثل هذه التطورات. ضرب الرئيس يديه بقوة فوق الطاولة وقال: يا إلهي. لا أتمنى أن أقابل الروس الأقدار ثانية. ولكن كما تعرف. إن طلبهم لمنطقة /قارس/ وأردهان/ ما زال جارياً حتى الآن.

كان الرئيس واثقاً من نفسه وهو يقول هذه الكلمات. وإذا أراد كان بمقدوره إيقاف الروس عند حدتهم، ولكن لم يكن هناك أية ضرورة لذلك. حتى دخولهم إلى هناك يكون فيه فائدة لهم. لأنهم يساعدونهم في إتمام بقية الخطوات وتتطفل المنطقة من الجنود الأتراك المنتشرين في كل مكان.

- "أنا شخصياً كنت أحبذ دخول الأرمن إلى تلك المنطقة. لأن الروس ربما يخربون علينا عملنا ويقلبون كل شيء رأساً على عقب."

- "ولكن إذا ما تحركت فرق الدبابات الروسية. ربما نضطر إلى ترك منطقة /فارس/ لهم. وأظن أن الأرمن لن يقولوا شيئاً عن ذلك."

تحدث الرئيس بصوت غطته الفشاوة: "حتى الآن لم يخرج أي صوت من الأكراد".

كانت في نظراته ثمة مقاومة. وهذا ما كان يظهر تفكيره بشيء مهم. وأضاف: ستتجعل أم لا. على الأقل أريدهم أن يفكروا بهذا الشيء."

وللحظة واحدة ضرب يده بقوه فوق الطاولة ثم أردف: "ستستغرب لما سأقوله لك الآن. اتصل معي رئيس الوزراء اليوناني وطلب مني ألا تنزل بـ /دوقيا التاريخية/ أية خسائر أثناء الهجوم على إسطانبول".

كان الرئيس قد غضب تماماً ثم أردف: "هل تستطيع أن تتصور بأن رئيس الوزراء اليوناني يحدرنني".

وغادر الغرفة بسرعة تحت نظرات هوارد ستريك القلقة. إذا ما دامت هذه الحرب إلى فترة طويلة.. لتحرك الرأي العالمي والدولي.. وتلخصت كل الأمور. كانت إسطانبول عالقة أمام نظر الجميع.. لا تهرب منها الأنوار والعيون أكثر من اللازم.

تحولت عيناه لوهلة إلى التلفاز.. كانت ثمة ذيول طويلة من السيارات تُعرض على الشاشة.. كان هؤلاء الماردون من نيويورك. فكر هوارد ستريك للحظة بالأشياء التي ستأتي بها هذه الحرب من غنائم وانتصارات. هل ستكون الأرباح موازية لهذه الخسائر التي تقدر /بألف تريليون/؟

كانت نيويورك هي القلب النابض لاقتصاد هذا البلد. أية علة تظهر عليها. كانت ستؤدي إلى انتكاسات متالية في عموم جسده. كانت ستتفق آلاف المحلات والدكاكين الصغيرة والكبيرة، ويبقى أناس كثيرون عاطلون عن العمل.

٢٠٠٧.٦.١٨٠٠

. صالون المؤتمر الصحفي لـ CENTCOM .

دخل هوارد ستريك إلى صالون الاجتماعات بخطوات سريعة ووقف أمام الميكروفونات التي كانت قد صُفت فوق منصة قليلة الارتفاع إلى حد ما.

وبعد أن وضع الأوراق التي كان يحملها. حول نظراته نحو الصحفيين الذين كانوا يملؤون الكراسي بين لعات فلاشات الكاميرات وأصواتها. وبعد أن نظف حنجرته وغير نبرات صوته. قال مخاطباً الصحفيين.

"السادة الصحفيون الأعزاء . كما تعلمون - إن الإرهابي التركي لم يتم إلقاء القبض عليه بعد. ولكن سيطرنا على القنبلة النووية الثانية لم يعد هناك أي خطر محدق لمدينة نيويورك بعد الآن .

والحراس الوطنيون يقومون الآن على إقامة وتأمين الجو النظامي العام للمدينة وإعادة ضخ روح الحركة والاقتصاد فيها . وستعود الحياة الطبيعية إليها في أقرب وقت . أما لو عدنا إلى الحرب بعد قليل ستكونون وجهاً لوجه مع قيادات الوحدات الموجودة في داخل الأراضي التركية . وستكون المقابلة على شكل / فيديو كونفرس / وأعتقد أننا لن نتعرض لأية انقطاعات سوى التأخير الحاصل من الأقمار الصطناعية ."

في هذه الأثناء تماماً ظهرت ثمة تقطيعات وانقطاعات على الشاشة البيضاء الموجودة خلف المنصة . كانت الأصوات تسمع ولكن المشاهد لم تكن قد ظهرت بعد .

"أظن أن صاحب هذا الصوت الذي نسمعه هو للجنرال / هارولد فلين / ."
كلمات هوارد ستريك هذه فتحت أبواباً للضحك بين الموجودين داخل الصالون .
- "هوارد هل أنت المتحدث؟"
خرجت ثمة ضحكات للمرة الثانية .

كان المشهد قد ظهر على الشاشة بعد عدة ثوانٍ.. كانت الصور تأتي جامدة بين وقت وآخر. ولكن الصوت يصل بشكل نظامي. كان الجنرال /هارولد فلين/ قائد الفرقة الميكانيكية الرابعة للمساحة يشترك بالنقاش من داخل إحدى الغربات المدرعة التابعة للفرقة. كان الجنرال يظهر مرهقاً وفي الوقت نفسه يتراءى ديناميكياً. كانت شهادة إهاده مظلمة في وجهه. كان قسم من جبهته يظهر مفرغاً لأنه كان قد حلق شعر رأسه بشكل خفيف جداً. ومع هذا كان شعره لم يتساقط كلياً. ومع أنه كان في نهاية الأربعينيات من عمره. كان يعطي انطباعاً بأنه عسكري في ريعان شبابه. جاهز للمعركة أو الحرب في كل لحظة. أما الذين كانوا يجلسون معه داخل دبابة. كانت نظاراتهم توحى بأنهم يشتركون في البث المباشر من السماء. أما إذا تم النظر في شروط وضعهم.. فهم كانوا محقفين في نظراتهم هذه وعبراتهم.

قال هوارد ستريك متوجهاً نحو الصحفيين: "نعم الآن نرجو من السيد /فلين/ أن يعرفنا على نفسه ويجيب على أسئلتنا التي نود طرحها له. ضحك /هارولد فلين/ وقال: "سأجرب يا هوارد. ولكن عندما أتذكر الصحفيين. يجب أن أقول مخمنا بأن وجودي أمامهم أصعب علىِ كثيرة من التقدم في الأراضي التركية".

٩٩٩١ و آخری ضحاکات نئے حصے

- أريد أن أرحب بكل المشاركين في هذا المؤتمر الصحفي. نحن الآن داخل حدود ما يسمى منطقة /مرمرة/ في داخل الأراضي التركية وعناصر الفرقـة في حالة حركة مستمرة، وإذا جئنا إلى الحقيقة والواقع أجبرنا على إقامة هذا الاجتماع أو المؤتمر الصحفي.

تضارب الضحكات في عموم أرجاء الصالة واختلطت الأصوات بعضها.

- قبل كل شيء أحب أن أقول لكم وأؤكد بأنني أحس بالفخر والاعتزاز لأنني قائد هؤلاء الجنود الأبطال الذين أرسلوا لأداء مهمة وطنية شريفة وفي ظروف صعبة جداً. منذ خروجنا من أنقرة وإلى هنا دخلنا في عدد كبير من المعارك الطاحنة. ولم نستطع التقدم إلا بسرعة طول رمح أمام جيش قوي يدافن عن هذه

التربة.. ومنينا بالكثير من الخسائر. ولكنها لم تستطع إيقافنا (أي الخسائر)..
تكنولوجيتا على أكمل وجه.

وفي كل معركة تخلصنا من مواقف صعبة. وطبعاً تزد المزيد من الخسائر
للعدو.

حتى الآن تقابلنا مع مقاومة شديدة ولكن الجيش التركي / مضيق عرض /
مضيق الأوصال إلى حمل كبير. آخر مرة تقابلنا مع كتيبة ميكانيكية متخدقة
تخندقاً رائعاً. وتم القضاء على هذه الكتيبة بشكل كامل بالدبابات والمروريات
إلى جانب الدعم الجوي الكامل. أثناء المعركة استعملنا أجود وآخر أنواع
التكنولوجيا المتوفرة لدينا. واستطعنا السيطرة على وحداتنا المقابلة من مسافات
بعيدة. ولكن منينا ببعض الخسائر من جراء القذف المدفعي التركي الثقيل الذي
طالتنا ومن مسافة بعيدة جداً.

نحن كفرقة مشاة رابعة.. نطبق ونقدم بسرعة كل ما هو مطلوب منا وأنا واثق
بأن جنودي سيقومون بإنتهاء هذه العملية.. وبما أن الشعب التركي منظم وبارع
ومنتظم فسنعمل بكل شيء نستطيع القيام به.. نعم الآن استطاع الإجابة عن
أسئلتكم ولكن أسرعوا بعض الشيء لأننا مقدمون على بعض الأعمال التي نود
إنهاها".

سمعت ضحكات من داخل الصالون.

- "أنا روجر بينمورا من BBC. كما هو معلوم أن الجيش التركي يعد من
طراز جيوش حلف الناتو. والسؤال هل نجاحكم في الوقت نفسه يعد فشلاً من
الزاوية الأوروبية؟".

- "إن الطراز والماهية الأمريكية مفتوح دائماً للأصدقاء وأظن أن الذين
سيطبقون هذا الشيء لن يجدوا أية مشكلة أمامهم".

- "هل أنت واثق من نفسك يا سيد/ميزو/ بأنك لست صحيفياً تركياً؟"
اختنق الصالون ثانية بالقهقات.

- "من المستحيل أن أجيء عن هذا السؤال. ولكن اجتنزا منطقة /أسكي
شهير/ ومرورنا هنا لم يكن إيجابياً بالنسبة لأسكي شهير.. لقد هجموا علينا

عدة مرات. وبما أننا قابلنا المجمات بأقوى منها فقد شهدنا تهدم بنايات كثيرة جداً. ما زال القتال دائراً في تلك المنطقة حتى هذه اللحظة.

- يعني هل تم احتلال المدينة من قبلكم؟

- لا.. لا نستطيع أن نقول هذا. لقد كشفنا عن أماكن خروج النيران وتم تخريب تلك النقاط فقط.

- كيف كانت نوعية هذه المجمات؟

- هجمات بكل الأسلحة الثقيلة تقريباً. بعض الأحيان تداخلت المربات المدرعة ببعضها. وتم القضاء عليها كلها. ونحن خسرنا عشرين دبابة في هذه المناوشات. ولكن كل هذه الخسائر طبيعية. لأننا نقابل جيشاً نظامياً وقوياً بكل معنى الكلمة. إنهم يحاربون بشكل ممتاز.. ولا أستطيع أن أذكر أنني معجب بهم كثيراً. ولكن كما قلت. لا أستطيع أن أعطي لكم أرقاماً عن الخسائر البشرية في مدينة /أسكي شهير/.

- أنا جون غوشيون/ يا سيد الجنرال من CNN.. هل عندكم القوة اللازمة كي تحتلوا إسطنبول التي هي هدفكما التالي؟

مع طرح هذا السؤال تماماً... تركزت نظرات الجنرال المجنونة نحو الكاميرا..

وبقي عدة ثوانٍ هكذا. وكان ثمة ستارة قد غطت عينيه وهو يشاهد الأشياء من خلالها.

احتار الصحفيون من موقفه هذا.

- هل ترغب أن أطرح عليكم السؤال ثانية يا جنرال؟

عاد هارولد فلين إلى وعيه وقال: "لا.. لا. جواب هذا السؤال سنأخذه بعد قليل. أظن يجب أن أعود إلى رأس عملي.. لقد وصلتني بعض الأخبار بأن جنودنا في مقدمة الخطوط يشتباكون مع الأتراك.

يجب أن أكون قريباً منهم كي أعطيهم الأوامر والتعليمات.

قال هوارد ستريك ملتفتاً نحو الصحفيين: "نعم. أيها السادة الصحفيون إننا نتهي نقلنا. ونعطي الأمر إلى القائد كي يعود إلى رأس عمله".

في هذه الأثناء كانت صورة الجنرال موجودة على الشاشة. ونظراته كانت

مركزة على الكاميرا. كل الموجودين هناك ظنوا بأن هذا الجمود في الشاشة حصل من جريان الصور عبر الأقمار الاصطناعية.

٣ حزيران . وقت الظهيرة .

إسطنبول . تارلاباشي .

اجتماع السناسر (جمع سنسار الدلق)

كانت مئات العيون الفلقة والعازمة تتضرر إليه . كان متعمداً على هذا الشيء .

ولكن مع تذكرة لاقتراب الوقت . كان لا يستطيع الضغط على انفعاله .

كانت كل الأشياء قد تطورت وبشكل سريع جداً بالنسبة لأمل . كانت قد

قررت مراقبة ذلك الرجل الذي ساعدتها بعد الانفجار الهائل الذي حصل في شارع

الاستقلال ومن ثم بدأ يترأس فصيلاً مدنياً من المقاومين . كانت قد بدأت تشعر

نحوه بحب خلال وقت قصير . ولكن المهمة الوطنية كانت أكبر منها .

بحيث كانت لا تستطيع أن تعطي من وقتها الشيء القليل لهذا الحب .. بعض

الأحيان كانوا يقapan على نظرات بعضهما .. وتكون ذروة الحب عندها في تلك

اللحظة .

إذا نجحوا في المقاومة ... ربما يكون لها بعض المستقبل . ربما ...

كانوا يحاولون عقد مظاهرة مدنية كبيرة / ميتونغ / كما فعلوا في إسطنبول

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . عندما كانت محتملة .

" أحس بالاعتزاز بكم ." كان صوت أمل يرتجف من الانفعال الشديد ، يصير

رفيعاً ثم يفلطف .. كان مئات الشباب قد تجمعوا بين أنقاض حي / تارلاباشي / وهم

ملتصقون بأسلحتهم .

- " لا يستطيع أي واحد منا أن يعطي ولو تفسيراً واحداً حول ما حصل لنا . لقد

تقابلنا بأشياء كثيرة حتى لم نتخيلها أبداً . ولكن الذي حصل قد حصل . وأكثر

من هذا حصل الذي كنا نقول عنه لن يحصل لنا أبداً . نحن الآن مقابل الحقيقة

الباردة التي تسقط على رؤوسنا " .

- " ربما نحن الجماعة المدنية المدافعة الوحيدة ، نحن إسطنبول ونحن جميرا في

حالة صعبة جداً.. أيام طويلة لم نذق فيها طعم النوم.. وفقدنا الكثير من أهلانا وأقربائنا. ولكن كان علينا أن نقوم بذلك. وربما نحن الذين سنكون المؤهلين لأنفسنا ذاتها.

- اعتوا بأنفسكم جيداً.. من نكون ومن نحن وماذا سنفعل؟ انظر إلى أطرافي. تحول جهود مئات السنوات إلى ما يشبه الرماد. وكلما طال أمد الحرب سيغنى كل ما استثمرناه.. وسيدوم التزيف على الدوام. وإذا ما جاء يوم وانتصرنا في هذه المعركة لا ندري ما الذي سنفعله.

مع إن هذا اليوم مختلف عن الأيام الأخرى.. نحن الآن معًا كي نبقى على قيد الحياة.. فكر أشخاص بالوقوف إلى جانبنا في هذه المعركة. وتشجعوا على ذلك.. طيب ونحن ماذا نستطيع أن نفعل غير الحرب وتقديم الموت لأنفسنا؟

اختنق صوتها.. كانت الجمل تصل إلى فمها وتتوقف.. تقابلت نظراتها مع نظرات فرحتها الذي كان يقف قريباً منها ويستمع إلى خطابها.. كان فمها قد جفَّ. كان الشباب المبللون قد طرحو أنفسهم بين قطع الحديد والخشب يستمعون إليها. في الوقت الذي كانت فيه أمل تنظر إليهم كانت تفكر بالذي ست فعله بعد قليل.. ماذا كان سيصير حالهم بعد فترة قصيرة؟ من كان سيموت ومن سيبقاء على قيد الحياة؟ أحس بفرح ربما كانت تحس به.. ولكنه لم يتدخل. كانت لحظة صعبة، إذا لم يقف إلى جانبها سوف تتلاشى الثقة من نفوس الشباب بالنسبة لأمل. شُدَّ جسد أمل. وقالت:

- أنا جاهزة للموت عند الضرورة في مثل هذا اليوم الصعب. وأطلب منكم أن تكونوا معي. الذي يريد الذهاب معي ليتقدم خطوة إلى الأمام والذي يريد الذهاب في حال سبيله ليذهب. اختاروا بأنفسكم.

بدأ الشباب بالتقدم اثنان اثنان ثلاثة.. ثلاثة نحو الأمام.. وبعضهم بقي وكأنه لم يقرر. ولكن لم يكن أحد ينتظر أن يحول الشباب خلال يوم واحد إلى محاربين. في الوقت الذي كانوا يعيشون فيه حياتهم الطبيعية حتى الأمس.

- نحن موجودون باختيارنا. ولا نتراجع قيد أنملة عنها. وكل من يريد أن يقول شيئاً، فإن عندنا الجواب القاسي.

كان صوتها يرتفع باضطراد. والستار الذين كانوا يستمعون إليها كانوا ينفعلون. وكان نبضات قلوبهم قد بدأت بالتسارع.

- "بمقدور الأميركيين خداع العالم كله.. ولكنهم لن يقدروا على خداعنا أبداً نحن كشعب تركي نريد أن نحافظ على قيمنا الراسخة لتبقى رؤوسنا مرفوعة على الدوام".

بدأ الستار الذين تقدموا نحو الأمام بالصراخ. وكانت وجوههم ممزوجة بالفرح والغزارة.. وألاف الأشخاص الذين مدُوا رؤوسهم من التواجد كانوا يصفقون

.٣٩

٣ حزيران ٢٠٠٧

عربة الكونترول الأرضية. مكان مجهول

كانت ثمة مشاهد مختلفة تظهر على كل الأجهزة الموجودة داخل عربة الكونترول الأرضية لـ TV الموجودة في نقطة غير معروفة. كان الصمت يسيطر داخلها. كانت ثمة أصوات /الكترومانتيكية/ قد ملأت الجو فقط، كان المعنيون في أمر الأجهزة التلفازية المتعددة الموجودة داخل العربة.

يتعقبون الصور الظاهرة عبر الشاشات ويختارون منها الصور التي تعجبهم ويرسلونها عبر الأقمار الاصطناعية إلى مركز القيادة في العراق ومنها إلى الـ /CENTCOM/.

كان المعنى الرئيسي بالأمر يزداد فضوله عن تصور الموجودين في المركز وطريقة تفكيرهم لأنه كان يتعقب هذه السلسلة من الصور... كانت إحدى الطائرات التجسسية الصغيرة من طراز /هواك/.. دون طيار تظهر على الشاشة. وبين وقت وآخر كانت الكاميرا تأخذ وضعية /زوم/ حيث كانت الصور تظهر بشكل كامل.. كانت المشاهد المأخوذة عن طريق كاميرا تلك الطائرة تظهر الناس المجتمعين في /ساحة التقسيم/. أكبر مساحة مشهورة في إسطنبول^٦. كانوا يأتون إلى الساحة عبر الجهات الأربع.

أشكال وألوان من البشر. صغيرهم وكبيرهم.. يسارهم ويمينهم الداعون إلى السلام والمطالبون بالحرب.. والقوميون المتطرفون. حتى مشجعوا النوادي الثلاثة الكبيرة بأعلامهم /وفورماتهم/ كانت المباريات الأخيرة ومن الأسبوع الأخير للدوري التركي قد تم إبطالها وجميعهم كانوا يقدمون اعتراضهم وتذديدهم للأمريكيين عن طريق الإعلام. حتى أن بعضهم كان يحمل الأزهار من أجل السلام.

حتى لو لم تكن المشاهد واضحة وجلية بكل تفاصيلها إلا أن هذه المجموعة

يجب أن تكون منفعلة وأكثر حركة. اقتربت الصورة أكثر على الشاشة.
كان بعضهم يتراءى وهو يحمل السلاح.. داخل هذه المجموعة.

نقل المعنى بالمشاهد هذه الصور الانفعالية إلى مركز القيادة في بغداد هذه المشاهد المرسلة المصورة عبر الفيديو.. هي التي خلقت نوعاً من الانفعال.

كان بمقدور المرأة أن يسمعها عبر خطوط الاتصالات. لأنهم كانوا قد التقاطوا صوراً لمجموعة من المقاومين الجديدين وهم في حالة من الاجتماع العام حيث بدأت حركة سريعة في مركز القيادة في بغداد. حيث تم التدقيق والبحث إذا ما كانت هناك أية طائرة تطير في سماء تلك النقطة.

والشيء الآخر طارت ست طائرات من طراز /F / A18E من حاملات الطائرات التي كانت تبحر في بحر إيجة والسماء /USS. NIMITZ/ واعطيت لها الأوامر بقذف هدف في إسطنبول. ثم أعطيت الأوامر لطائرتين. بتغيير هدفهمما. حيث قاما بمناورة فاسية واتجهتا نحو الهدف الجديد.
كان بعد الهدف تقرباً خمسين كيلو متراً. ولكن كان عليهم الذهاب إلى هناك.

كل هذه الأحداث حصلت خلال عشرين دقيقة... جهزت الطائرات إحداثيات الأهداف وجعلتها جاهزة للقذف وإرسال صواريخها من طراز SOW.
كانت كل طائرة ستزمي صاروخين.. ومن أجل ذلك طلبت الموافقة الأخيرة من المركز.. وحيث قام مركز القيادة باستشارة عربة الكونترول الأرضية.. وتم إعطاء الأوامر بقذف نقطة تجمع المقاومين.. وتم إرسال الصواريخ.

- المظاهر الدامية -

كانت المظاهر التي نظمتها جماعة السناسير قد كبرت واتسعت.. واشتركت فيها تقريباً من جميع المستويات السياسية والإيديولوجية.. كانوا يتحدثون بحرارة.

- "نحن الذين سنتنصر أليس كذلك يا علي؟".

هذا السؤال طرحته الفتاة الشابة حبيبها.. كانت ثمة بياض غريب على وجهها.

- "نعم يا /إيلين/.. مجبورون على الانتصار..

- "هل نستطيع تصديق الذي يحصل لنا الآن؟ قبل عدة شهور كنا مع بعضنا بعضاً في المدرسة. وكنا نتفق على قضاء العطلة في /مرميريس/. أما الآن انظر إلى حالنا. نحمل الكلاشينكوف وتتحدث عن محاربة الجنود الذين سيأتون إلى هنا".

- "أعرف يا روفي.. وأنا أيضاً لا أستطيع تصدق الذي حصل.. أولئك الجنود دربوا تدريباً جيداً وأظن أنني سأستطاع استعمال هذا السلاح..

- "أنا لا أظن يا علي.. ولست واثقة من نفسي على أنني سأستطاع استعماله".

- "إذا أردت اذهب يا إيلين".

- "لا.. أريد البقاء هنا معك".

كانتأمل تحاول جاهدة كي لا تُضيع الشباب الذين ارتبطوا بها. ففازت من المكان المرتفع الذي كانت واقفة عليه.. كانت أمثل تربيي سناساراً في حدائق بيتها في ألمانيا.. واسم السناسير جاء من ذلك. حيث بدأت بالدوران داخل المجموعة. وكانت تعيش مشاعر لا تستطيع أن تُعرّفها. كانت قد وجدت نفسها في شخصية لا تستطيع أن تخيلها. ربما كان السرطان يُغضّنّ أعماقها ويُحطمها. وربما كانت ميتاً يمشي. وربما هي اللحظة التي كانت تبحث عنها وتتصورها عندما كانت طفلة.. كي تجد نفسها امرأة ناضجة ومقدّرة.. نعم.. كانت لحظة مخيفة. ولكنها كانت مهمة وطنية لخلاص الشعب التركي من هذا النفق المظلم. كانت هي وحبيبها /فرحات/ قد خطوا الخطوة الأولى لرسم مستقبل الوطن.

كانوا الآن معاً ومعهم المئات من الناس. كانوا يجهزون أنفسهم لحرب كبيرة. وإذا ما انتصروا في هذه المعركة.. سيكون معهم الآلاف وربما عشرات الآلاف. كان الشباب المسلحون يضربون بأيديهم على كتف معلمتهم أمل ويظهرون لها الحب والولاء. كانوا على مستوى عالٍ من المسؤولية وربما يتحولون إلى رمز للنضال والمقاومة.

كانت الصواريخ SOW قد تسللت من بين العمارت متوجهة نحو الجموع الغفيرة. والجميع يراقبونها حيث قدمت لهم مشاهد لم ولن يروها أبداً. حيث نزلت الصواريخ بسرعة مذهلة فوق الهدف.

كانت الانفجارات قوية بحيث أن اللهب الصاعد نحو الأعلى كان يُرى من ناحية الأناضول بأكمله.. كانت البنيات المتضررة سابقاً قد تأثرت نحو كل الجهات من شدة الانفجارات وقوتها.. الساحة التي كانت مليئة بمئات الشباب الأتراك.. قد تحولت إلى منطقة مكفهرة بدخان أسود فقط. بقيت المنطقة صامدة على مدى دقائق طويلة.. بعد فترة بدأ الناس وسيارات الإسعاف بالمجيء إلى المنطقة المنكوبة.

كانت الصراخات تهدر في كل مكان من أجل الذين سقطوا صرعي في تلك الساحة. كان بعض الناس يحاولون إخراج أجساد الشباب الذين صاروا رماداً من تلك المنطقة. وسيارات الإطفاء كانت ترش الحياة فوق الذين يساعدون الآخرين ويخرجون الأموات حتى يقدموا لهم بعض الراحة والبرودة.

لأن الحرارة الناتجة عن الانفجارات كانت قوية وشديدة. حتى إن بعض الأشخاص الذين كانوا يحاولون مساعدة الجرحى والموتى كان يغمى عليهم من الحرارة الشديدة.. والجميع كانوا يبقون مت柯ومين على الأرض لأنه لا أحد يهتم بهم. كان الجنود والإطفائيون الذين يحاولون انتشال أجساد الموتى من بين الأنقاض حيث تحولت جثثهم إلى ما يشبه الفحم. لم يكن أحد في وضع يستطيع التعرف إلى الآخر. كان الدخول إلى هناك ما زال خطراً.. أما الأسلحة والرصاصات التي كانت موجودة فيها فإنها تنفجر بشكل عشوائي وتطلق نحو كل الاتجاهات. ولم يكن أحد يعرف إذا كانت هذه الطلقات تصيب أحداً ما.

فرح الناس عندما رأوا أن بعض الأجساد المنتشرة تتحرك . حيث وضعوهم على سيارات الإسعاف وأرسلوهم إلى المشافي الأخرى.. سيارات الإسعاف كانت مملوءة.. أما الأطباء والممرضون فكانوا يعيشون نوعاً من الضغوطات النفسية الشديدة. لكثره أعمالهم وتعرض المدينة لمزيد من التخريب. كانوا يحاولون مساعدة الجرحى بكل السبل والوسائل المتاحة لهم. ولكن الأكثرية منهم أي الجرحى. كانوا يتقطون أنفاسهم الأخيرة هناك.

كان الأطباء يقدمون المساعدات لشخصين في إحدى الزوايا. شاب وفتاة يشدان على أيدي بعضهما بعضاً ولا يريدان ترك أيديهما أبداً . كان صدر الشاب مليئاً بالشظايا. كانت هذه القطع المعدنية قد دخلت إلى أعماق جسده وخررت بعض أعضائه. عندما كان يريد التحدث فلا يقدر. وبسرعة زائدة كان أخذ الشهيق عنده يصعب. حاول الأطباء فتح ثقب تحت حنجرته بقطعة معدنية كي يستطيع التنفس. أما جسد الفتاة فكان ملوثاً بالدم من رأسها إلى أخمص قدميها. ولكن أعضاءها الداخلية. كانت تتراهى سليمة ولكن عندما لاحظ الأطباء ذلك، ضربوا بعضهم بسبب هذا الإهمال الذي وقعوا فيه. حيث رفعوا الفتاة ونقلوها إلى غرفة العمليات لإجراء اللازم.. في تلك اللحظة خرجت كلمتان من فمهما :

- ”علي.. إيلين“ في الوقت الذي كان فيه الأطباء قد يئسوا من حالتهما. كانوا على وشك لفظ أنفاسهما الأخيرة. في تلك الأثناء حصلت ثمة حركة أخرى على الباب. كان ثمة جرحى وموتى يأتون بهم. وكان موظفي المشفى قد غيروا أنفسهم آوتاً بالمرأة.. أسرعوا نحو تلك الجهة مباشرة. في هذه المرة. ثمة موقف عاجل بكل معنى الكلمة.

أتوا بالمرأة - قائد السناسير جريحة. لم يكن وضعها يتراهى حسناً.. بعد إجراء عدد من الاختبارات.. تبين للأطباء أنها فاقدة الوعي تماماً وأن أكثر عظام جسدها مهشم أو مكسور. وأن هناك نزفاً في أعضائها الداخلية.. حظها في الحياة كان معدوماً تقريراً.

ولكن عينيها كانتا تتظران بمعانٍ عميقـة.

وكانها داخل نهر قد تكون من الأصوات المخنوقة. كانت قد سمعت بأنها ليست في وعيها. لم تكن تستطيع أن تجيبهم. كان يلف كل مكان في جسدها نوع من انعدام المشاعر والأحساس. ربما كانت فاقدة الوعي علمياً. ولكنها لم تكن تعرف هذا الشيء المفتوح عندها. كانت تحس بالرطوبة التي تلف جسدها. وبالأحداث التي جرت قبل الانفجار. كانت تريد أن تضحك من أعماقها. ولكن هذا أيضاً كان مستحيلاً. قالت في نفسها فقط:

- "إذن لا شيء.. أنا مجرد هدف بسيط ومجرد خسارة بسيطة داخل هذه الحرب. وكل الذين كانوا معي لم يكونوا سوى قرابة نتقاسم أقدارنا مع بعضنا". وعندما كانت تفكير بالسرطان الذي يأكل جسدها وبألمانيا.. وجدت نفسها.. عندما كانت تصفي إلى أصوات النضاوي.. و.. نعم. كان ثمة ضوء غريباً يرشح من بعيد.. وربما هي سحابة ضخمة من الغبار... وكانت تستطيع رؤية الفرسان المتقدمين من خلف الستارة الضبابية.. على شكل ظلال وأخيلة. كانت ثمة ابتسامة سعيدة قد حطت على وجهها.. هذه العملية أذابت من وجوه المرضات اللواتي كن يعرفن أن هذه الابتسامة تقرب المرء من الموت. مدت أمل يديها للمرة الأخيرة نحو الفرسان الذين كانوا يقتربون منها. كانوا لا يريدون الذهاب إلى الأماكن البعيدة جداً. كانت تعرف بأنهم سيبقون قريبين من هذه الأماكن وسيداومون على الحرب. وكان هذه الحرب ستخدم حتى اللانهاية.

كانت هذه الحرب ستخدم حتى لو لم تعرف نتائجها مسبقاً. سأل الفرسان وذهبوا واحتفلوا خلف السحب.

كانت الأصوات والحركات قد خفت داخل المشفى.. كانت اليد الباردة للحياة قد غطت وجه الحقيقة.. كانت الأحداث التي جرت قبل قليل قد بدأت تعشاش على شكل أهداف في الأدمة قبل أن تنتهي عملية النسيان رويداً رويداً.

كان قد تم إخراج كل الموتى من بين الأنقاض ونقلوا إلى أماكن أخرى. وكانت ثمة سحابة خفيفة من الدخان قد بقى في مكان انفجار القنابل. وهذه السحابة كانت ستلاشى بعد قليل من تلقاء نفسها.

- مركز القيادة الرئيسة في بغداد -

كان الضباط الموجودون في المركز وضباط العمليات. قد بدؤوا يهنتون بعضهم بعضاً. بدأت المعلومات تتسكب على العالم عبر كثير من الأقنية الفضائية وأحدثت ضجة ضخمة.. كان المسؤولون في الجيش الأمريكي يحسبون هذه العملية نجاحاً كبيراً بالنسبة إليهم. لأنها تحطم نفسية المقاومين من أساسها. في الوقت الذي كانوا فيه يجهزون أنفسهم وهم الأكثريّة وإما إخراجهم من المعركة على شكل جرحى... كان الضباط الكبار الموجودون في مركز القيادة يقولون: إن هذه العملية هدية إلى الجنود الأمريكيين الذين كانوا يتوجهون نحو إسطنبول. وبواسطة هذه العملية كانوا قد أخرجوا الآلاف من المقاومين خارج المعركة. وهذا يعني خلاص مئات الجنود الأمريكيين من الموت...

كانت الصور القادمة عن طريق الأقمار الاصطناعية تظهر على الشاشات العملاقة المركزة على الجدران وتعرض في هذه الصور الثنائي التي سبقت الهجوم وما بعده. كان كل شيء يبدو جلياً وواضحاً. آلاف البشر كانوا مجتمعين.. وهذا كان دليلاً ظاهراً على ضرب المقاومة، لأن المسلحين كانوا يظهرون بوضوح بين الناس والازدحام بشكل مكثف.

كانت العقوبة قد نفذت بالذين جهزوا أنفسهم وتسلحو لقتال الشباب الأميركيين. وعندما يرسل العائلات أولادهم إلى العسكرية يجب الا يخافوا. و مباشرةً! كانت هذه الرسالة قد بدأت تعطى عن طريق وسائل الإعلام ويشكل دائم إلى الرأي العام الداخلي في أمريكا وخارجها.. وكانت الوحدات الأمريكية وخاصة الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي وفرقة المشاة الرابعة قد فرحت كثيراً لهذه الضربة، وبما أنهم كانوا يتذكرون المقاومة العراقية وعدد الجنود الذين قتلهم العراقيون أثناء الاحتلال العراقي. فإنهم يشعرون بكثير من السعادة. ويشروا أخيراً ووجدوا في هذا الخبر. خبراً حسناً.. كانوا يتذمرون بأنفسهم بعد الآن ثقة مطلقة.. وقلت إشارات الاستفهام في رؤوسهم.. أولئك البشر الذين قضوا نحبهم. كانوا لا يستطيعون إيذاءهم بعد الآن.

- إستانبول -

عندما وصل الخبر إلى حكمت بارس قرفص على الأرض مباشرةً. ويفي مدة من الوقت صامتاً. من الذي كان يستطيع أن يجمع كل أولئك البشر في مكان واحد غير قلة الخبرة؟ يا ترى ألم يتعرفوا إلى عدوهم بعد؟ لأن الحرب كانت لا ترحم أبداً. الخطأ لا يسمح به أبداً مرة أخرى بقي صادقاً مع مبادئه وثوابته. لا معنى للحزن الآن. كان عليه ضخ المنطقة بعناصر جديدة ومن أماكن أخرى. ربما كان لن يفعل شيئاً من أجل الدفاع عن تلك المنطقة. لأن العدو

الذي سيدخل إلى هناك سيجد نفسه محاصراً من كل الجهات.. وأي قائد لا يعمل على وضع جنوده في داخل الخطر.

في المجتمعات التي عقدوها. كانوا يرون أن منطقة /بيشيل كوي/ ومطار أناتورك.. ستكون من الأهداف الأولى للعدو. ولا مجال لأية شبهة في تفكير العدو لأنه كان يريد السيطرة واحتلال هذه المناطق قبل كل شيء.

كان المطار مناسباً لاستعماله كنقطة مركز وأطراقه واسعة ومنبسطة. وبهذا الشكل يكون الدفاع عنه سهلاً. كان يُنتظر إنزال جوي على هذه المنطقة، ولكن قبل هذا الإنزال كانوا سيقذفونها من الجو بشكل كثيف. وهذه لا شبهة فيه أبداً.. كان /حكومة بارس/ لم يقرر بعد إذا كان سيدافع عن المطار وضواحيه. كان العدو سيحمل على هذه النقطة بقوات كبيرة جداً.. ومهما كانت القوات المدافعة كبيرة.. كانوا سيخسرونها.

بدلاً من ذلك كان عليهم زرع المنطقة بالألغام وإنزال الخسائر الكبيرة. بالعدو عن طريق جيوب صغيرة... ضاربة هاربة. وعن طريق مدفع الماون والصواريخ. بهذا الشكل تكون الخسائر قليلة وخسائر العدو كبيرة جداً. كان حكمت باشا قد ركز قوة تتشكل من خمسة جندي من القوات الخاصة بين /بيشك تاش/ وسيران تابه/. كانت هذه العناصر المختارة والمتدربة تدريباً جيداً ستشارك في الدفاع عن هذه المنطقة.. كانت قد أخذت أوامر مشددة بأنها ستحارب العدو وجهاً لوجه وبالسلاح الأبيض.

كانت الأرضي المتواجدة في شمال /سيران تابه/.. بما فيها من غابات وسهول.. في خطر مدقق. هذه الأرضي مناسبة للقوات الأمريكية لعمليات القفز السريع بين المناطق. وإذا ما صار هجوم على هذه المنطقة، كان عليهم ردها مباشرة وبكل الإمكانيات. كانت الأخبار ترد إلى بنك المعلومات الأمريكية بالنسبة لهذه المناطق. وتقلل من هناك إلى الرئيس مباشرة. كانت إدارة القاعدة الأمريكية تعرف بأن المقاومة ستكون شديدة أثناء احتلالها لإستانبول.

ولكنها كان تخفي هذا الأمر سراً. وبدلًا من ذلك كانوا يتتحدثون عن التفكك الحاصل في الشعب التركي وحصول التمرد والعصيان. ويشعرون بأن المقاومة ستضرب في مهدها ويشيرون إلى ضرب المظاهر.

٤ حزيران ٢٠٠٧ . الساعة ١٨,٠٠
الساحل الجنوبي لخليج ازميت . قريباً من بلدة قرة مرسل
قاعدة الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي .

كانت البناءيات التي بُنيت أو أُنشئت بعد الهزة الأرضية الشديدة تلمع داخل الظلام . كان رئيس الأركان الأمريكي قد قرر ضرب البنية التحتية لجميع مناطق تركية في اللحظة نفسها التي ستبدأ فيها الهجوم على إسطنبول . عبر غارة جوية كثيفة ستطال جميع المناطق التركية . إذا ما قاومت إسطنبول .. كانت هذه الغارات ستدوم دون توقف . أما إذا استسلمت ستتوقف . كانوا يفكرون بضرب المحطات الكهربائية والمناطق الاصطناعية كلها . على جانب مستودعات الحياة والغاز والطرق الرئيسة والجسور هذه المجمة ستكون بمثابة رسالة موجّهة لبعض المجموعات . إذا لم يبدأ العصيان والتمرد الداخلي الذي كان ينتظره أمريكا . سيكون الجميع أمام اختيار وتقاسم القدر نفسه .

إذا لم تبدأ المدينة في الجنوب الشرقي وتهاجم القوات التركية كانت ستكون هدفاً للطائرات الأمريكية . كانت هذه المعلومات ترسل إلى هناك بعدد كبير من الأقنية والاتصالات المباشرة وغير المباشرة .

ولكن لم تظهر أية حركة من هذا القبيل الذي كانت تتظره أمريكا . كانت قوات /أرغانكون/ تتحرك وبشكل سريع وفي كل مكان من المنطقة على شكل مجموعات صغيرة .

كانت هذه المعلومات قد بدأ بالتحقق في قاعدة الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي الحقيقة كانوا لا يعلمون شيئاً عن العملية الثانية . ولكنهم كانوا يعرفون تحركات المجموعات الداخلية . كان الجنرال /جوزيف ريد/ يعد من أكثر جنرالات الولايات المتحدة الأمريكية قساوة وسفكاً للدماء . بحسبه العملاق ونظراته القاسية وشعره الأسود بالنسبة لعمره ويحاججه الرقيقين كان يوقظ في

الناظر إليه الخوف والرهبة كان يُعرف على أنه مظلي حقيقي وعنصر من عناصر الكوماندو الأشداء. وكان من في الجيش يعرف بأنه مظلي حقيقي وعنصر من عناصر الكوماندو الأشداء وكان من في الجيش يعرف بأنه يملك طاقة لا حدود لها لتدريب كل جندي في القفز بالمظللات.

كان جوزيف ريد يقف أمام طاولة مستديرة داخل الخيمة. يجил بنظراته على خريطة إسطنبول الموجودة فوق الطاولة. وفي الوقت الذي كان يفكر فيه اقترب من الطاولة قائد اللواء الأول والثاني وألقى بنظرات إلى الأمكنة التي كان يشير إليها /ريد/ بنظرات دقيقة.

كان جوزيف ريد قد فكر كثيراً بالمهام التي أعطوها له. وبما أن وقت الحركة قد اقترب كان عليه أن يزن الأمور بأكملها من الأول.. كانت العملية خطيرة جداً كان هو القائد الثاني الذي سيجرب الدخول إلى هذه العملية بعد عملية أنقرة الأولى التي تمت بالنسبة إليهم بسلام ونجاح. كان الموقف في إسطنبول مختلفاً عن الوضع في أنقرة. كانت تنتظرون مقاومة شديدة وقاتلة. كان يستطيع أن يُحس بهذا الشيء. كان يتذكر بأنه سيلقي جنوده إلى داخل النار وهو يعرف ذلك ولكنه كان يتذكر أيام تدريباته الأولية وهذا ما كان يدفعه إلى التفكير بعده تكتيكات عسكرية وتجعله يجهز نفسه ذاتياً للدخول في هذه المعركة تحت أية خطورة. كان قادة الكتائب والسرايا واقفين على أرجلهم.. وقد كانوا حول الطاولة ما يشبه الإطار في مسافة معقولة منها. كان الضباط قد جهزوا أنفسهم وثيابهم بالجاهزية القتالية الكاملة. حتى بآدق تفاصيلها. كان ثلة جنود دخاني يسيطر داخل الخيمة. كان الجميع ينظرون إلى وجه ريد ويحاولون قراءة الإفادات المزروعة على وجهه والشيء الذي يفكر فيه.

- "هذه المرة الأمر مختلف جداً.. جداً"

وضع يده فوق نقاط أخرى في الخريطة.

- "ستعمد المروحيات إلى الطيران منخفضةً وستذهب نحو جهتين. إحدى الأذرع ستلف من الجنوب وستسيطر على منطقة مطار أتاتورك.
وهنا سنبني قاعدة للتحرك.

- "هذا الأمر يعرفونه يا سيدى" هذا ما قاله قائد اللواء الأول هنرى سافناه / "ونحن أيضاً نخمن بأنهم يُخمنون هذا الأمر يا هنرى" قال ذلك وابتسم وأضاف قبل أن تنزل إلى هناك ستتحول تلك المنطقة إلى جهنم وأعتقد بأننا سننزل داخل النار واللهب. وسيعمد اللواء الأول والثاني من فوق رانجر ٧٥. بتنظيم المنطقة من أجنا"

- كل شيء يجب أن يتم سريعاً جداً. يجب أن نسيطر على المطار مباشرة ونبني خطأ دفاعاً قوياً. وبما أن الكلية الجوية قد قذفت سابقاً لا ضرورة لأن تفكير فيها ثانية أريد من الكتبة التي تستسيطر على المطار أن تسيطر على الوضع بشكل جيد. وإذا ما دعت الضرورة ستحاربون بالسلاح الأبيض معهم لأننا بحاجة ماسة إلى تلك النقطة".

سأله أحد قادة الكتائب: "أليست إسطنبول بالنسبة إلينا هدفاً كثيراً يا سيدى؟"

- "نعم.. الهدف هو إسطنبول ولكن مهمتنا هناك محصورة في السيطرة على الأماكن التي نستطيع تسيير عملنا فيه. هذه الصورة نريد أن نعطيها بحركتنا هذه ومساعدتنا لفرقة المشاة الرابعة عندما تهجم على إسطنبول". التقت جوزيف ريد نحو الضباط الذين كانوا يحيطون به.. كانت شمة نظرات قاسية وقاطعة على وجهه وقال:

- "من الأهداف الأخرى التي نريدها هي المنطقة التي تسمى /المسلح/ فيها مركز قيادة الجيش التركي الثالث.. وهي مناسبة لتكون لنا قاعدة أخرى، وهي قريبة من مركز المدينة ومهمة بالنسبة إلينا كثيراً".

- ولكي نسيطر على تلك المنطقة سننزل إلى شمال منطقة /سيران تابة/ ومن هناك سنتحرك ونسطير على ذلك المركز. إذ حلّت هذه المناطق الثلاث دون مشاكل تذكر ستكون فرقة المشاة الرابعة قد وصلت والبقية ستكون مراقبة وتتغاضف تلك الأماكن من العناصر المدنية المقاومة".

- "ستبدأ مروحياتنا بالإقلاع اعتباراً من الساعة الخامسة من صباح الغد، وعندما نصل إلى هناك آمل أن تكون قوات رانجر تكون مشتبكة مع الأعداء انتبهوا جيداً إلى هذه النقطة ولا تبقو بين النارين".

في الوقت الذي كان فيه الجنرال /جوزيف ريد/ يقول هذه الكلمات. كانت تُسمع أصوات الطائرات المتجهة نحو إسطنبول. لو لم يكن الجو ضبابياً لكانوا قد شاهدوا من مكان تواجدهم ألسنة النيران المنبعثة من جراء الانفجارات ومن كل مكان في إسطنبول.

- الساعات نفسها في إسطنبول -

كانت الأماكن المستهدفة بالقنابل معروفة وواضحة في إسطنبول ولعدم وجود رياح قوية أو ضعيفة كان ثمة دخان كثيف قد غطى كل مكان.. لم يكن يرى في الشوارع سوى الجنود والمسلحين. لم تكن توجد أية صعوبة كي تخمن أن المدينة تجهز نفسها للدفاع. كانت ثمة أحجار قد صُفت أو وضعَت هنا وهناك كي يستر المرأة نفسه خلفها.

كان الجنود والوحدات الخاصة والمسلحون المدنيون يدورون داخل المدينة على شكل دوريات مشتركة.

أما في الأحياء الخارجية لإسطنبول فكان يسودها جوًّا مختلف كلياً. كان الناس متواترين كثيراً. وبما أن الفرقة الرابعة الميكانيكية الرابعة قد بدأت بالاقتراب من المدينة. فكانت الطائرات المنخفضة والعالية ومن جميع الأنواع قد بدأت تمطر الأحياء الخارجية بوايل من القنابل والصواريخ.

كان القوات الأمريكية تطبق ما أخذته من تجارب أثناء مرورها ضمن الأراضي التركية

كانت التواحي /غبزة وتوزلا وبلجيق كويو وكوزال تبة وسلطان بيلي وأورهالي كديو وبنزيك. كل هذه التواحي كانت تحت النيران الكثيفة. كانت الطائرات المدرعة من طراز 10 - A تطير بشكل منخفض (وهذه الطائرات مخصصة ومصنوعة خصيصاً لضرب الدبابات بشكل خاص) كانت هذه الطائرات تمطر كل مكان فيه حرقة مقاومة أو بناء أو عربة بوايل نيران كثيفة من مدافعتها ٣٠ مم. وكانت القوات الخاصة الأمريكية تقصف الأطراف الخارجية من تلك الأحياء بمدافعتها من عيار ١٠٥ مم ومدفع 130 - C / وتمكن من إقامة كل الخطوات الدفاعية بأي شيء كان. هذا الوضع لم يكن قد رأه أحد بعد.

كانت القوات الأمريكية لم تفكّر بعد الآن بالخسائر البشرية بعد أن وصلت إلى هذه النقطة الحساسة جداً. المدنيون الذين كانوا تحت النار قد بدؤوا بالهروب نحو حوض / سد عمرلي / آلاف البشر كانوا يجرون نحو تلك المنطقة وهم يحملون شيئاً من أغراضهم ومتاعهم اليومي.

كانت مقدمة الفرقة الرابعة للمشاة قد بدأت تتراجع على أطراف الأحياء السكنية. كانت الرصاصات الخطاطة تمزق القضاء في الظلام بشكل ملفت للنظر كانت القوة الرئيسة للفرقة قد تجمعت إلى شمال بلدة / درينجة / على بعد من صفر إلى أربعة كم. كانت الوحدة العسكرية تتقدّم وهي في جاهزيتها القتالية العالية.

في الوقت الذي تبدأ فيه الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي بالهجوم.. فإن أيضاً فرق المشاة الرابعة سيهجمون ويخططون للوصول إلى منطقة / مال تبة وعمرانية / خلال عدة ساعات. في ذلك الوقت تكون الضفة الشرقية من البوغاز قد احتلت تماماً. إذا ما استولت الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي على أهدافها.. فإن الأمور بعد ذلك ستسير سيراً حسناً دون مشاكل.

وربما تنتهي الحرب بسرعة على عكس كل التوقعات.

كانت السفينتان اللتان تقلان وحدتي المشاة البحرية ١٥ و ٢٦.. قد وصلتا إلى مدخل مرمرة. وبعد عدة دقائق كانتا ستتجاذزان مضيق جنق قلعة رسمياً. وعند الصباح ستكونان قد وصلتا إلى إسطنبول.

كان هدف هذه الوحدات هو الفوضى إلى / البوغاز / وإقامة جسر للحركة بين الضفة الشرقية والغربية للاتصالات والتحركات.

كانت الكتيبتان التابعتان لفوج / رانجر / ٧٥... وقد وصلتا إلى إسطنبول منذ وقت طويل. وكانوا قد بدؤوا بالقيام بعدة عمليات داخل المدينة بوساطة المروحيات التي تطير منخفضة. كان الناس الذين يسكنون ضواحي المطار قد بدؤوا بسماع أصوات لم يسمعوها من قبل.. بعد القذف الجوي الشديد عند ساعات المساء. كانوا قد بدؤوا سمع أصوات المروحيات.

وكانت هذه الأصوات قد قطعت لفترة وجيزة. ولكن كانوا قد بدؤوا سمع

أصوات الرشاشات الثقيلة تتصادى في الأجواء. كانت قوات الجندroma المتمركزة حول المطار قد وجدت نفسها. وجهاً لوجه. وبشكل مفاجئ أمام الوحدات الخاصة الأمريكية التابعة /لرانجر ٧٥/. كان القتال يدور في بعض الأحيان بالسلاح الأبيض. كان كل طرف يُحسّن الآخر.

كان هذا الوضع بالنسبة للمدنيين نوعاً من الضياع والاندهاش والاستغراب يا ترى هل بدأ الهجوم الذي كانوا يتحدثون عنه منذ أيام. ولكن كيف يكون هذا الأمر.. خلال لحظات يجدون الأمريكيين إلى جانبهم !! كانوا قد بدؤوا بأخذ الاحتياطات لحماية أنفسهم في أقباء بيوبتهم. حيث أطفؤوا الأنوار وغطوا نوافذ البنيات، وتم إخفاء الأسلحة الموجودة داخل المنازل تماماً. بدأ الناس بالانتظار دون أن يفارقا عائلاتهم.

كان هذا انتظاراً غريباً. كان كل واحد ينتظر ولا يدري ما الذي سيقوم به. كانوا يربدون أن يفعلوا شيئاً ولكن شيئاً. ولهذا السبب كانوا يشعرون بشيء من تأنيب الضمير وعدم الراحة. لم يكونوا يعرفون الحاصل حول المطار.. وعندما كانوا يقرؤون الجرائد التي كانت تصدر بصうوية.. كانوا يحسون بدوراً في رؤوسهم وتلخبط في أفكارهم. قبل أيام كان رئيس تحرير أحدى الصحف الأكثر شهرة قد كتب مقالة.. وجدوا فيها بعض المنطق والتعقل. يا ترى هل كان عليهم التفكير بما يفكر فيه ذلك الصحفي؟

"إن تركيا تمر في زمن صعب جداً. أعرف أن كل واحد منكم ينضر تحت وابل من نار الانفعالات.. لم يكن أي واحد منكم قد فكرَ أن يتقابل مع هذه الكابوس ولكنه حصل. إن تاريخ العالم مليء بمثل هذه المفاجآت وحياتكم التي ظنونها لن تتغير أبداً.. ها هي ذي قد تغيرت بين لحظة وضحاها. وهذا هو ما حصل الآن."

جيشنا الذي كنا نثق به.. أضمحل وانصرم وانهزم تحت سيطرة التكنولوجيا. وهذا هي الدبابات الأمريكية تعرِيد فوق ترابنا.. وإنهم سيهجمون على إسطنبول خلال أيام قلائل.

تعالوا لنهدأ.. ونبحر في السكينة ولنحاول التفكير بالعقل والمنطق.. نحن

كأمة تركية مررنا بعدة تجارب صعبة وانتهينا منها حتى هذا الأيام.
في بعض الأحداث انبثنا عبر ماد جثثنا.. وفي بعض منها نزلنا إلى أسفل
السافلين. وأنظر الآن إلى أطرا في فلا أجد شيئاً نستطيع القيام به.

كان بمقدوري أن أكتب لكم مقالة أدعوكم فيها إلى المقاومة.. أدعوكم إلى
الموت. ولكن لن أقول هذه الكلام. وأعرف يقنياً بأنني سأجذب لنفسي المزيد من
الحقد والكرابية.. نعم.. أنا أريد ألا يعارض أحد الاحتلال الأمريكي. وأن نجلس
 حول مائدة الحوار حتى نتفاهم.. هل من إنسان يريد أن يناقش هذا الأمر معى؟⁶.
 كان الذين قرؤوا الجريدة قد احتاروا كثيراً وانقلب عقولهم رأساً على عقب..
 في الأوقات العادية كانوا يفكرون بكل كتابة في مثل هذا النوع ويمضون..
 ولكن.. الآن.. نعم الآن.. ليس وقتاً عادياً ولا طبيعياً.

كيف كان عليهم التفكير بالمنطق والعقل.. وقيمهم تداس تحت الأقدام
 وكرامتهم تهان وشرفهم كذلك؟⁷.
 كانت القنابل والرصاصات والدبابات والأجوبة.. لا تستطيع البقاء معاً. في
 الوقت الذي تكون فيه الدبابة أمام المنزل.. كيف يطلب من صاحب ذلك البيت
 الإستانبولي أن يفكر بعقله ومنطقه؟⁸.

يشعرون بأنهم محصورون من كل مكان ومن كل شيء... كانت إستانبول في
 حد ذاتها.. مثل مملكة تعيش في حال سبيلها. كان العالم ينتظر سقوط هذه
 المملكة عبر المحطات الأرضية والفضائية. إذا ما سقطت مملكة إستانبول فهذا
 يعني أن باباً سيفتح لغير العالم بأكمله. ألم يحصل هذا سابقاً؟ ألم تكن
 إستانبول قد أغلقت عصراً وفتحت عصرآ آخر.

ليس بالإمكان أن يدرك الإنسان العادي شيء الذي سيحصل بعد الآن.
 كانت الحرب لعبة كبيرة. وعندما يتواجد مكان للاعبين آخرين فإن الأبطال
 بمفردهم هم الذين يتحولون إلى أنوار مضيئة لهذه الحرب. مع ان الحرب بحد ذاتها
 كل شيء. الحرب لدى بعضهم تعني أسهل طريق للحياة الصعبة.

كانت الحرب تقترب من أشد نقاطها كثافة. وكلما تقدمت ساعات الليل
 كانت القوات الأمريكية تريد أن تضرب ضربتها القاضية وتكسر شوكة

المقاومة لدى الشعب التركي... كانت الخطوط والقرارات المأخوذة في الدقائق الأخيرة تغير تباعاً.. وكان الانفعال في الحدود القصوى عند الجميع.. كانت الأخبار تتواجد وتصل إلى كل مكان على أن كتيبتي وحدة رانجر قد بدأت الاشتباك مع القوات التركية حول مطار أتاتورك الدولي. وكان العالم قد انقلب رأساً على عقب عندما سمع هذه الأخبار. متى وصلت القوات الأمريكية قلب المدينة؟ كانت الأسئلة تتواجد داخل الأذهان خلف بعضها بعضاً.

وموظفو وزراء الخارجية الكبار في كل دولة يحاولون جاهدين جمع الأخبار والمعلومات عن تطورات الحرب.
مكان غير معروف من إستانبول -

كانت الحرب قد بدأت تأخذ حد السخونة القصوى في إستانبول من جهة ومن جهة أخرى. كانت هناك حرب أخرى داخل أروقة وزارة الخارجية في كل دولة وبين وحدات الاستخبارات الدولية المتافسة لجمع المعلومات. وتقصي الحقائق. كانت التغييرات التي ستحصل في تركيا ستؤثر سلباً أو إيجاباً على كل مصالح الدول المجاورة والكبيرة. في الوقت الذي كان فيه الجيش الأمريكي يحاول الوصول إلى أهدافه بسرعة البرق. كانت دول العالم الأخرى تحاول التأثير على التطورات الحاصلة من خلال الحملات الدبلوماسية المكثفة.

كانت ثمة مقابلات مكثفة تجري بين الدول الكبيرة. وذلك من خلال الأيام المنصرمة وإلى الآن. كان بوتين الرئيس الروسي يحاول إقناع الدول الأخرى. هذا لم يكن سهلاً أبداً وكأنهم قد توصلوا إلى نتيجة ما في المدة الأخيرة.

في الوقت الذي كان فيه /طيب أردوغان/ يأخذ المعلومات من رئيس الأركان /حكمت باشا/ في مركز القيادة السرية.. وإذ بهم يخبرونه بأن /بوتين/ يريد التحدث معه هاتفياً. كان في وضع يائس تقريباً وكأنه قطع الأمل الأخير من تحرك الدول الكبرى لتخليص تركيا من هذه الجمجمة الظالمة.

قال بوتين باللغة التركية /إيهِ أخشملا رصاين باش بكن/.. أسعد الله مساءك يا سيادة رئيس الوزراء ثم أكمل بالروسية /أعرف أنكم كنتم تريدون أن تأخذ قراراً مشتركاً مع الدول الأخرى/.

تحدث طيب أردوغان عن طريق مترجمه الروسي: "أنا أفهم ما تقوله تماماً..

ولكن الأحوال هنا سيئة جداً دولة تُدمر وشعب بأكمله يُحرق. أعتقد أن التقرير الذي أرسلته لكم قد قرأته وكما تعرف هلاكنا سيؤدي إلى هلاكم أيضاً.

- نعم.. نعم.. نعرف هذا جيداً ولكن لا نستطيع أن نتحرك بمفردنا وأخيراً توصلنا مع فرنسا وألمانيا والصين إلى اتفاق كي نتصرف معاً. ولكن هناك شيء نريده منكم.

كان طيب أردوغان قد فرح بعض الشيء لأن ثمة بريقاً من الأمل قد ظهر أخيراً ولكنه كان يعرف أن الطلب الذي جازوا به ليس صغيراً ولا يستطيع هضمها وبلهه سهولة.

إن هذه الدول تريد مقابل دخولها في مواجهات خطيرة نسبة متساوية بالمثلة من معدن البور والتوريوم والبيورانيوم من عندكم. يعني أن ألمانيا وروسيا وفرنسا والصين وتركيا ستأخذ حصصاً متساوية من هذه المعادن وستعمل معاً في استخراجها وكل شيء يخصها بها.

بصعوبة بالغة سيطر رئيس الوزراء على نفسه.. كاد على وشك أن يرسل صيحات من الفرج.. ولكن كان عليه أن يكون هادئاً في هذه اللحظات.

- إذا كانوا يطلبون مني ذلك فمعنى ذلك أنهم فهموا أهمية هذا الشيء: وقرروا التحرك مباشرة// هكذا فكر طيب أردوغان في نفسه.

واليآن كانوا يقولون: /شو ما أخذنا كويوس/.

قال بوتين وهو يفقد صبره: "نعم يا سيد أردوغان".

استجمع أردوغان نفسه ونصب كمينه /بلوف/ وقال: "لا يا سيد بوتين لا نعطي نسباً كبيرة بهذا الشكل." عندما تغير وجه المترجم من الخوف وأشار له بإكمال عمله وترجمته: " وأنتم تعرفون جيداً. حتى ولو وافقت الولايات المتحدة على الانسحاب ستطلب نسبة كبيرة من هذه الشراكة. وفوق ذلك كله ستتدخل إنجلترا في داخل هذه المعمدة. وهذا يعني إن نصيب تركيا سيقلص كثيراً".

كان بوتين يستطيع تخمين كل ما قاله أردوغان حيث قال: "نعم إن الوضع ليس حسناً. ولكن أعتقد أنه ليس عندكم حظ آخر.. على الأقل ستتخلص دولتكم".

فكراً أردوغان لحظة وقال: "في كل وقت هناك اختيار ثانٍ يا سيادة الرئيس..

القسم الكبير من بلدي سوي مع الأرض... وأنتم بقيت مدة طويلة تتظرون. نحن
بحاجة إلى تلك المعادن.. وإذا ما أردتم وضع مستقبلنا ووطننا تحت هذا الخطر
فالأفضل لنا مساومة الأميركيين والاستسلام لهم تماماً.

نعم هذا كان /بلوفا/ من نوع خاص.. كان لا يحق لهم الانتحار حتى لو كانوا
دولة. ولا يجوز لهم الاستسلام هكذا. ولكن عند حدوث ذلك فالدول التي معهم.
سيذهب مستقبلها من أيديهم أيضاً.

في الطرف الثاني من الخط الهاتفي جمد وجه بوتين القاسي لوهلة . ثم ابتسם
ثانية وقال:

"أنت مساوم كبير يا سيد أردوغان وما هو تكليفكم؟".

شعر رئيس الوزراء بالفرح وترك نفسه وقال:

- "ستعطي لكل من روسيا وألمانيا وفرنسا والصين وإنجلترا والولايات المتحدة
خمسة بالمائة من هذه الشراكة. ولكن سيكون مقابل تعويض؛ حيث ستقوم هذه
الدول أو ستشارك أو تساهم بإعمار تركيا. مثلًا نأخذ من روسيا غازاً لمدة عشر
سنوات. وهذا لا يعني شيئاً أمام معدن البور في حال تطوره واستخدامه جيداً".

دامت فترة صمت قصيرة على طرف بوتين وأخيراً نطق بكلمة: /قبلنا/ كانت
هذه أجمل كلمة يسمعها طيب أردوغان منذ وقت طويل.

وأضاف بوتين: "اعتقد أنكم تقومون بعمل /بلوف/ يا سيد أردوغان ولكنني
أوافق على أقتراحك. أعطوني مهلة يوم أو يومين لاقناع بقية الدول.

وضع طيب أردوغان ظهره على الكرسي بكل راحة.. وكان المترجم يصدر
نداءات صغيرة من شدة فرحة.. نظر رئيس الوزراء حجرته وقال: "طيب يا سيادة
الرئيس.. ولكن استعجلوا.. وإذا ما سقطت إستانبول فلن تبقى لكم أية حظوظ.
ولا تستطيع أية قوة إخراج الولايات المتحدة الأمريكية من هنا".

كان القسم الصعب من العمل وكأنه قد انتهى. وكان بمقدور السفراء حل
بقية التفصيلات. طلب طيب أردوغان محادثة السفراء المعتمدين في تلك الدول
وأعطى لهم التعليمات لإقامة هذا العمل المشترك بين الأطراف.. كانت ثمة أعمال
كثيرة يجب القيام بها.. كانت تركيا تقاوم.. وكان العالم قد بدأ بالتفكير

ل الوقوف إلى جانب هذه المقاومة.
من العالم .

كانت روسيا قد حرّكت ثلاثة فرق دبابات بهدف إملاء الفراغ وبسبب قرب حدودها من تركيا. وكانت هذه الفرق الثلاث قد تحركت بسرعة إلى أرمينيا. وإلى جانب ذلك كانت القوات البحرية الروسية في حالة تيقظ واستفار كامل في البحر الأسود. وكانت أرمينيا قد عبّأت كل طاقتها وقوتها ووضعتها على الحدود التركية. كي تمنع الهازدين واللاجئين إلى داخل أراضيها وتدفع عن حدودها. أما الجيش القبرصي اليوناني فكان قد تجمّع في عدة نقاط من الحدود، وهو جاهز للانطلاق والعبور إلى الطرف الآخر. وكانت بعض المروحيات القبرصية اليونانية تجتاز الحدود بين وقت وأخر وتعود ثانية ولكن كثافة الطائرات الأمريكية.. منعت القبرصيين. لأن إحدى المروحيات الأمريكية كانت قد أسقطت إحدى المروحيات القبرصية من النوع الفرنسي عن طريق الخطأ.. بعد هذه الحادثة ابتعدت عن الحدود التركية ولم تقترب منها أبداً.

وكان الجيش اليوناني مستفراً بكل معنى الكلمة. كانت الجمادات التي جرت على إسطنبول قد خلقت ردود أفعال كبيرة داخل المجتمع اليوناني. الجمات المشوائية على إسطنبول قد أغضبت اليونانيين كثيراً.

كانت المظاهرات المندهضة بأمريكا تدوم في عموم المدن اليونانية ومنذ أيام طويلة. وكانت تصريحات رئيس الوزراء اليوناني /بابا ندريس/ ضد أمريكا على وشك أن تقطع الحال بين الاتحاد الأوروبي وأمريكا.

وبما إن الجيش الأمريكي والرئيس كانوا قد ركزوا نظراتهم نحو تركيا فقط. فكانوا لا يلقوا بالاً بكل هذه التصريحات والتنديدات وأغلقوا عيونهم في وجه العالم بكل معنى الكلمة.. كان أمامهم الآن عشرات الآلاف من الجيش التركي يقودهم حكمت باشا وإلى جانبهم قوات الأمن والشرطة والمقاومة المدنية.

القسم الرابع مركز الدنيا

حرب إسطانبول الكبيرة

٥ حزيران ٢٠٠٧

كان /ارسين/ ولدًّا قصيراً وبديناً. وعلى الرغم من أن عمره قد بلغ الثالثة والعشرين، فكان الذين يرونوه يظنونه في الخامسة عشرة. وبما أنه كان مريضاً نفسياً، لم يخرج من البيت منذ أربع سنوات.. ومنذ أن بدأت الحرب، كانت حالته قد ساءت كثيراً. كانت عائلته تسكن في حي أو ناحية /يشيل كوي/ القرية من مطار أتاتورك الدولي. كان منزلهم منزلًّا قديماً مكوناً من ثلاثة طوابق.. كان بقاوئه في القبو /البودروم/ يخنقه أكثر. كان يشعر بأنه يعيش داخل كابوس لن يخرج منه أبداً.

كان يشعر بأن الأمور تسير من سيء إلى أسوأ وذلك عندما كان ينظر في وجه أبيه وأمه ويرى علامات الخوف والرهبة كانت مشاهدة بياض وجهيهما تصعب عليه كل شيء.

كانت أصوات الأسلحة والدفاع عن نفسيهما تصل حتى حدود القبو الذي يقع في داخله. كانوا يحاولان معرفة أي شيء عن طريق المذياع. ولكن من الاستحالة بمكان سمع خبر يحوي في مضمونه معناً معيناً.. لم يكونوا يملكان الاحتياط من الطعام والشراب.. كانوا يأكلان ما يجدانه. كان /ارسين/ يشعر بأن دماغه على وشك الانفجار. كان يفكّر بأنه يمشي في طريق لا نهاية لها دون أن يدرى ماذا سيفعل.. هذا التفكير كان يزيد من حالته المرضية والنفسية من سيء إلى أسوأ. حتى الأدوية. كانت قد أصبحت لا تجدي نفعاً له.

كان يحس بأنهم يسحبونه إلى أعماق الظلمة مع مرور كل دقيقة وساعة. لم

يُكَنْ بِمَقْدُورِهِ تَحْمِلْ ذَلِكَ، إِمَا كَانَ سِيفُلْ شَيْئاً أَوْ يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ دَاخِلْ نَفْقَةٍ مِنَ الْأَنْفَاقِ.

تَحْرِكَ أَرْسِينَ بِسُرْعَةٍ مِنْ جَلْسَتِهِ الْمُعَادَةُ وَهِيَ وَضْعَ رَأْسِهِ بَيْنَ سَاقِيهِ، وَوَقَفَ عَلَى رِجْلِيهِ.. كَانَتْ يَدَاهُ تَرْتَجْفَانِ، وَجَسْدُهُ قَدْ شُدَّ تَامَّاً.

حَاوَلَ أَبُوهُ وَأَمَّهُ أَنْ يَفْهَمَا الَّذِي جَرَى لَهُ، كَانَتْ عَيْنَاهُ تَنْظَرَانِ إِلَى نَقَاطٍ لَا مَعْنَى لَهَا، جَرَى نَحْوَ الْبَابِ فَجَاءَهُ، أَسْرَعَتْ أَمَّهُ وَأَمْسِكَتْهُ مِنْ ذَرَاعِهِ، وَصَرَخَتْ فِي وَجْهِهِ:

- "تَوقَّفْ.. مَاذَا تَفْعَلُ؟" فَهُمْ أَرْسِينَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِعُ السِّيَطَرَةَ عَلَى نَفْسِهِ، دَفَعَ أَمَّهُ إِلَى جَهَةٍ، وَفَتَحَ بَابَ الْقَبْوِ، وَبَدَا بِالصَّعْدَوَةِ مِنَ الدَّرْجِ بِسُرْعَةٍ، عَنْدَمَا خَرَجَ أَمَّهُ بَابَ الْبَنِيَّةِ.. وَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ، الرِّياحُ الصَّبَاحِيَّةُ الْبَارِدَةُ، وَصَدِّيُّ صَوْتِ الرِّشَاشَاتِ، وَعِنْدَمَا نَظَرَ إِلَى الْمَشَهُدِ الَّذِي أَمَّاهُ، حَصَلَتْ ثَمَةُ أَشْيَاءٍ غَرِيبَةٍ.. وَكَانَ السُّرْطَانَاتُ الَّتِي كَانَتْ تَقْرُضُ دَمَاغَهُ، قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ، كَانَ الْجَوْ صَافِيًّا وَالرِّياحُ الْخَفِيفَةُ كَانَتْ تَدْغُدُغُ أَعْمَاقَهُ، مُشَطَّبُ بَعْيَنِيهِ الْأَمْكَنَةُ الْمُعْروَضَةُ دَاخِلَ زَوْيَةِ نَظَرِهِ.

كَانَ يَسْتَطِعُ مَشَاهِدَةُ الْأَحْزَمَةُ الْضَّوِئَيَّةُ الْمُتَفَجِّرَةُ مِنْ قَلْبِ الشَّمْسِ وَتَحْوِلُ إِلَى الْأَوَانِ بِرْتَقَالِيَّةِ آنِيَّةٍ تَعْكُسُ نَحْوَ الْأَطْرَافِ.

قَالَ: "يَا إِلَيَّ.." كَانَتِ الْكَلْمَاتُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ تَلَقَّائِيَا، كَانَ يَسْتَطِعُ تَخْمِينَ أَمَاكِنَ تَوَاجُدِ الْبَشَرِ، كَانَ يَسْتَطِعُ رَؤْيَةَ آثَارِ إِطْلَاقِ نَارِ كَثِيفَةٍ حَوْلَ الْمَطَارِ، وَقَفَ أَرْسِينَ وَنَظَرَ نَحْوَ كُلِّ الْجَهَاتِ، مَاذَا أَفْعَلَ وَالسَّمَاءُ جَمِيلَةٌ بِهَذَا الْقَدْرِ؟ الَّذِينَ يَطْلُقُونَ النَّيْرَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا شَجَعَانَ.

هَكَذَا قَالَ فِي نَفْسِهِ، كَانُوا يَصَارُعُونَ الْمَوْتَ وَيُعَانِدُونَهُ، مَا مَعْنَى أَنْ تَأْتِيَ مِنْ بَعِيدٍ.. بَعِيدٌ جَداً، وَتَدْخُلُ إِلَى بَلْدَ غَرِيبٍ وَتَحَارِبُ الَّذِينَ يَدَافِعُونَ عَنْهُ.

كَانَ هَذَا بِالنَّسْبَةِ لِأَرْسِينَ نَوْعاً مِنَ الْإِعْجَابِ الْخَاصِّ، كَانَ يَعْرِفُ أَنَ طَرِيقَةَ تَفْكِيرِهِ هَذِهِ لَيْسَ سُوَى نَوْعَ مِنَ الْعَبْثِ وَرِيمَا لَوْ سَمِعَ أَحَدٌ أَوْ عَرَفَ مَا يَفْكِرُ بِهِ أَرْسِينَ لِكَانَ قَدْ عَيْبَهُ وَوَبَّخَهُ.. وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ شَخْصٍ يَسْتَطِعُ قِرَاءَةَ مَا يَدْوِرُ فِي أَعْمَاقِهِ، كَانَتْ ثَمَةُ طَاقَةٍ كَبِيرَةٍ قَدْ تَجَمَّعَتْ فِي قَلْبِهِ، وَكَانَ يَحْسَنَ بِأَنَّهُ مُجْبُرٌ عَلَى إِخْرَاجِهَا مِنْ قَلْبِهِ وَأَعْمَاقِهِ، التَّفَتَ نَحْوَ الْخَلْفِ... كَانَ أَبُوهُ وَأَمَّهُ يَرَاقِبَانَهُ بِدَقَّةٍ شَدِيدَةٍ بِعَيْنَيْنِ وَاثِقَةٍ.

وكانهما يقرأان ما كان يدور في رأس ولدهما.. بدأ أرسين بالجري نحو المطار. نحو المكان الذي كانت فيه النيران تلعل بجنون. نحو المكان الذي تم فيه إنزال الكتبة الثانية من وحدة /رانجر ٧٥/ حول المطار لتطهير تلك المنطقة. والتي خسرت فيها ولأول مرة خسائر بشرية فادحة جداً.

لبس الجنرال /جوزيف ريد/ قائد الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي.. ثيابه القتالية لم يكن الآن أي فرق بينه وبين آلاف العسكري الذين تحت إمرته.

كان مسدسه معلقاً تحت أبيضه. وبندقية من طراز 16 - M بمنظارها الليلي قد وضعها على ظهره. كان يرش بنظراته المرعبة إلى الجنود.

- "جهزوا المروحيات. القوات الجاهزة إلى المروحيات. يجب أن نستفيد من الظلام قدر الإمكان".

نقل ضابط الأمر هذا الأمر عن طريق اللاسلكي إلى جميع الوحدات. مع نقل الخبر مباشرة بدأت حركة كبيرة في الخارج. كانت أصوات مراوح الطائرات تهدر بقوة.. بحيث لا يستطيع أي إنسان سمع أي صوت آخر. خرج جوزيف ريد إلى خارج الخيمة ونظر نحو كل الأطراف للإلاعاع. راقب القائد بذوق صعود العناصر إلى المروحيات بأحمالهم الثقيلة. وبعد أن غادر الجميع المكان.. صعد هو الآخر إلى مروحيته الخاصة من طراز 53 - MH/. ليشارك مع الجنود الآخرين في الهجوم على إسطنبول. هكذا كان يفعل جوزيف ريد من واقع احترافه للجندي والمعركة. يجب أن يكون مع الجنود حتى يواظب عندهم الهمة والعزمية. في الوقت الذي كان فيه الجنود يمرون قرب خيمة القيادة ويرون قائدهم بالثياب القتالية. كانوا يجرون نحو المروحيات بهمة أكبر وأنفعال شديد. كان هذا هو السلاح الأهم في مثل هذه الحرب.. الجندي الذي يذهب إلى القتال بقلبه.

كان جوزيف ريد ي يريد أن يتتأكد بأن كل جنوده قد صعدوا إلى المروحيات. كان أكثر من مئة وأربعين خمسين طائرة مروحية قد اصطفت على مدرج طويل تقدر بمئات الأمتار.. ومراوحها تهدر وتهدر. ستكون هذه الهجمة مروحية كبيرة عصرية فريدة من نوعها حتى الآن. لم يكونوا في هذه المرة في مهمة مساعدة لوحدة أخرى. كانوا يشاركون بهذا الهجوم بقوة تجبر الأعداء على الاستسلام.

كانوا سيجربون طريقة القوات الخفيفة التي طبقوها وتدربوا عليها في السنوات الماضية. كان أكثر من ٣٨٥٠ جندياً بأجهزتهم الثقيلة ينتظرون بدء الهجوم وهم داخل المروحيات، عندما نظر ريد نحوهم أحس بأن شعر جسده قد تحول إلى أشواك من هول المنظر. بعد قليل ر بما كانوا سيدخلون في أكبر معركة في التاريخ الأمريكي لحرب المدن. وكانت عيون الجميع مرکزة إليه كي يعطي لهم الأمر بالانطلاق.

كان الظلام سيقدم لهم الفائدة والمصلحة الكبيرة. كانت المروحيات ستعود ثانية من مهمتها بعد إنزال اللواء الأول إلى المطار وإلى المساحة الفارغة في شمال غابات /سيران تبة/ كي تنقل عناصر اللواء الثاني إلى الأماكن المطلوبة. تذكر جوزيف ريد الوعد الذي قطعه لوالده العميد المتყادع عندما التحق بالجيش: كان قد وعد أن يجعل من كنيته /ريد/ من الأسماء اللامعة في تاريخ الحروب. كان الوقت قد جاء الآن لإيفاء ذلك الوعيد. أسرع الجنرال جرياً وذهب إلى آخر نقطة بين المدرج.

كان يريد أن يبدأ بها شخصياً. عندما وصل إلى تلك النقطة إلى المروحيات المصطفة على مئات الأمتار. كان العميد /هنري سافناه/ قائداً اللواء الأول موجوداً في المروحية الأولى. كان ينظر إلى جوزيف ضاحكاً.. قابله جوزيف بمنطق الضحك نفسه. ثم رفع يده وطلب من المروحية الإقلاع. في الوقت الذي كانت فيه طاقة كبيرة قادمة من الأعماق لتدفع بالمروحية نحو الأعلى. بدأ جوزيف بالجري وهو يحمل بتجهيزات يُقدّر وزنها بعشرين كيلو غراماً على الظهر. كان يرفع يده طالباً الإقلاع وهو يمر أمام كل مروحية.. كان وجه السماء يتراهى وكأنه مملوء بمخلوقات غريبة الأطوار والأجنحة.. وبعد أن تحركت آخر مروحية ذهب ريد إلى مروحيته الخاصة من طراز /MH - 537/ كان العميد المتقادم /هنري دوبوا/ قائد اللواء الثاني يقف قرب باب المروحية حيث قال الجنرال:

- "لتكن على اتصال مباشر يا سيدى. سأحاول إدارة اللواء حسب الأوامر التي ستعطونها لنا".

- "انظر يا دوبوا.. إذا صار لنا أي شيء فالقيادة ستكون معك.. هل فهمت؟".

لم يكن ثمة وقت يُضيعه جوزيف وكانت هذه المحادثة بعيدة عن المشاعر والأحساس قطعاً.

- "سمعاً وطاعة يا سيدى وأتمنى أن تجري الأمور كما نريدها".
 - نظر جوزيف بنظراته السحابية إلى /دوبوا/ وقال:
 - "وانا ايضاً أتمنى ذلك".
 - "هاي بيل كييف تحس نفسك يا صديقي؟".
 - "ليقهر الله هذه اللحظة. كان ثمة حجر كبير موضوع فوق معدتي".
 - "هل سننجح؟".
 - "أظن ذلك يا ابني".
 - "ليقهرهم الله.. لا أريد الموت هنا".
 - "لقد مات منا الكثيرون.. الكثيرون".

لم تكن قد مرت سوى ثلاثة دقائق لتحلِّي المروحيات.. كانت الطائرات التي
تطير فوق بحر /مرمرة/ قد غطت مساحة واسعة من السماء. وكان الجنود
يستطيعون رؤية بعضهم بعضاً من الأبواب المفتوحة. كانوا يطيرون على ارتفاع
خمسة وعشرين متراً فقط عن سطح البحر. كان في كل مروحية ثلاثون جندياً
يجلسون خلف بعضهم وراء الباب الخارجي والجاني. كان موقفاً صعباً. غير مريح
بالنسبة لهم. والحقيقة.. الراحة أو عدمها آخر شيء كانوا يفكرون بها في تلك
اللحظة.

كان /جيفير بيش/ أصفر ولد لأحد الفلاحين الذين كانوا يعيشون في مقاطعة إداهولو/.. كان جييري في الثانية والعشرين من عمره.. الحقيقة لم يكن يعرف إلى أين كان يذهب. وكان واثقاً بأن أكثرية الجنود الذين معه مثله لا يعرفون شيئاً. وكان صديقه الذي لازمه منذ دخوله على الجيش ولم يتركه أبداً كان هو الابن الوحيد لأحد السماسرة في /البورصة/ وهو من نيويورك ويدعى /بيل فوللر/. عندما سأله والده عن سبب اختياره العمل في الجيش لم يكن قد أجابه بجواب حتى شخصياً هو لم يقطع به. ولكنـه كان يتذكر أشياء وكأنـه قد ذكرـ بأنـ المال لا يستطيعـ أنـ يشتريـ كلـ شيءـ منـ هذاـ القبيلـ. ولكنـ كانتـ ثقـتهاـ

بأنفسهما كاملة. وبتدريباتهما وموافقتها كذلك. كانوا وجداً في حياة العسكرية أشياء كثيرة لم يصادفوها في حياتهما المدنية. كانوا يحسان بأنهما جزءٌ حقيقيٌ من طاقم كامل.. والشيء السيء في هذا الأمر هو تراجع الأشياء الإيجابية في بعض الأحيان نحو الخلف.

*
وكانت هذه اللحظات من اللحظات المطلوبة منها. عندما بدأ مهتمماً مع الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي.. كانوا قد شرحوا لهم مهماتهم وعملها.. هم دائماً كانوا في المقدمة.. أينما ذهبوا وأينما حلوا. وكان جنرالات الأركان الكبار قد وضعوا أحدث التكنولوجيا في هذه الفرقة. كي يتم إنزالها إلى أعماق الأرضي المعادية وخلف الخطوط الدفاعية.

كانت المروحيات التي تنقل الجنود.. مهمتها العودة ثانية إلى مركز القيادة بعد إنزال الجنود.. وتحميل التجهيزات العسكرية والعربات المدرعة من طراز /هومفا/ وبطاريات المدفعيات للواء الأول. حتى يشنوا بها هجومهم المتوقع ونقل عناصر اللواء الثاني إلى مواقعها القتالية التالية. وكان على طائرات / ١٣٥ - C / النقل الكبيرة مساعدة المروحيات في النقل والتوزيل.

- "جييفيري.. ماذا سيحصل يا ترى؟".

"كان بيل فوللر قد عانق سلاحه بقوة. ومع مرور الدقائق كان شمه إحساسٌ غريبٌ يملأ أعماقه.

- "كفى ذلك ابني بيل.. قهرك الله.. كفى.. روح من رأسى.. لا تسأل أسئلة لا أعرف أجوبتها. ماذا سيحصل يعني؟ طبعاً لن نذهب إلى هناك كي نلعب مع الأتراك مباراة بكرة القدم".

- "الحرب ستمضي صعبة وقاسية ولك ابني.. حقيقة ستكون هذه الحرب قوية وقاسية".

- "اقطع الثرثرة يا بيل وافعل المطلوب منك. حتى الآن غلبناهم.. وليس هناك من سبب كيلا نغلبهم ثانية. إذا كانت الفرقة ١٠١ / قد نجحت في ذلك.. نحن أيضاً نستطيع أن ننجح".

- "أريد أن أصدقك يا جيفرى".

التفت / حيفير بيش / نحو الخلف وأرسل إلى صديقه نظرات غاضبة كان على بيل فوللر أن يسكت. ولكن إحدى ساقيه كانت ترتجف على الدوام من الغضب والعصبية. مرت المروحية من جنوب الجزر التي كانت تبعد عدة كيلو مترات عن /يشيل كوي/. كان هدفهم المباشر هو المطار الموجود في /يشيل كوي/ كانت الأخبار قد وصلت إليهم بأن عناصر /رانجر ٧٥/ قد نظفت المنطقة. وبما أنهم كانوا قادمين من جهة البحر فكانوا آمنين إلى حد ما.. ولكن مع هذا كانت الخطورة قائمة.

ولكن إذا ما حولوا تلك المنطقة إلى ما يشبه القاعدة. فالتقدم بعد ذلك سيسهل كثيراً.

عندما كانوا يطيرون فوق الجزر والبحر كانت نيران المدافع قد بدأت تتراهم وكانت حشرات الليل المضيئة قد ملأت سطح بحر /مرمرة/. وعندما بدأت المروحيات تتجه نحو الشمال... لم يكن البر بعيداً منهم كثيراً. كانت الغارات الجوية قد بدأت ثانية.. كانوا يستطيعون رؤية آثار طائرات /الجيت/ .. في السماء العالية.. كانت القوات الجوية قد بدأت عملها في مساعدتهم في الهجوم على إسطنبول.

كان جيفري قد وضع يديه المرتجفين بين ساقيه كيلا يظهر على أحد رجفانها وكان يُحس بأن المحفظة التي كان يحملها على ظهره قد زاد وزنها من العرق الذي كان يليل ظهره. نظر نحو كل الجهات.. لم تكن وضع الذين في الداخل يختلف كثيراً عن وضعه.. كان بعض الجنود يستمعون إلى موسيقى الروك الصاخبة عبر الأجهزة التي ثبتوها على آذانهم.. وبعضهم كان يدعوه.. وبعضهم الآخر كان واقفاً.. جاماً في أماكنه مثل /الروبوت/ لا تصدر عنه أية ردة فعل.. كان الجميع تقريباً يفكرون بالذي سيحصل لهم بعد وقت قصير. هذا الشيء واضح من العلامات المرسومة على وجوهم.

كان الخوف هو العامل الأول واللامجهول والحادثة التي ستحقق بعد قليل والعامل الذي سيمعن عنهم الخوف واللهمه واللامبالاة: عندما شاهدوا الرصاصات تتطاير في السماء مثل شرارات النيران الصفيرة.

كانوا قد فهموا أنهم قد اقتربوا كثيراً من كل شيء. كانوا يستطيعون رؤية المارك التي تدار في الساحة التي اتجهت المروحيات نحوها. كانوا يقتربون من /ميشيل كوي/ والمكان الذي سينزلون فيه ليس آمناً بكل معنى الكلمة. كانوا ينزلون في قلب مدينة ضخمة جداً وهذا الشيء كم يكون فيه من الأمان يا ترى؟ وبالأصل كانوا قد بدؤوا رؤية الرصاصات وهي تتجه نحوهم. كانت قد أصابت المروحية ولكنها لم تؤثر عليها.

كان الرئيس قد فتح الأزرار وبدأ بالاستماع إلى أصوات جنوده الموجودين في تركيا. بدقة كبيرة. تلك الأصوات التي كانت تصل إليه عن طريق الخطوط الموجودة داخل الدبابات. كان بمقدوره الاستماع إلى آية محادثة مختارة من أجله وذلك بالانتقال عبر الأزرار إلى القناة التي يريدها.

وكانه يراقب المعركة التي كانت قد وصلت إلى آخر مراحلها وكأنه في داخلها تماماً. وكان رئيس الأركان /هوارد ستريك/ مثل الرئيس يحاول الاستماع إلى بعض المحادثات ولكن عبر أنظمة مختلفة وكثيرة.

كان بمقدوره وفي لحظة واحدة تعقب وحدتين أو ثلاث ويتابع تقدمها ويستطيع رؤية الأهداف واتجاهها عبر شاشة الحاسوب.

- هوارد.. الجنود هنا يصرخون على الدوام.. وشخصياً لم استطع أن أتعلم كيفية عمل هذا النظام وقيادته.. رجاءً هل تخبرني بالذى يجري الآن هناك؟.

ضرب الرئيس بقوة على المقابض الذي في يده. ودار بالكرسي الدوار دورة كاملة.. التفت إليه هوارد ستريك وعلى وجهه علامات الغضب وقال:

- إن الجنرال /جوزيف ريد/ بدأ العملية باكراً على مسؤوليته الشخصية دون أن يخبرنا بذلك يا سيادة الرئيس.. ربما تكون هذه الحركة من أهم الحركات في تاريخنا الحربي.

كان ثمة تباين في كلماته. وكأنه يريد سكوت الرئيس. كانوا قد طوروا في التكنولوجيا بحيث كانوا يراقبون في أماكنهم وهم يتحدثون عن سداده الأسلحة لفرقة المشاة الرابعة. ربما كل هذه التكنولوجيا المتقدمة ليست جيدة على الدوام. وخاصة إذا كان يجلس قريباً رئيس يحب الكلام أكثر من أي شيء آخر.

- "نستطيع أن نقول إن كتيبة رانجر قد سيطرت على المطار. تقربياً. وتصننا أخبار جيدة. ولكن الأطراف بشكل عام خطرة جداً. لقد مات أكثر من خمسين من جماعة رانجر، وجُرحَ كثيرون جداً.. ستبدأ المروحيات بعد دقائق بالهبوط على المطار.. وستعود حالاً بعد تفريغ حمولتها. ستجده بعض منها نحو الشمال كي تُعد النقطة الثانية. يجب أن تكون سريعاً جداً. وإنما سنخسر كل جماعة رانجر".
- "هل الجنود في خطر؟" كان الرئيس قد سأله سؤالاً منطقياً ولأول مرة.
- "لا يشاهد أية حركة للمدرعات. ولكن الخطر كبير هناك مقاومة شديدة جداً. إذا دامت هذه الحرب لفترة طويلة فإن احتلال النصر قليلٌ عندما تقوم القوات الجوية بقذف الواقع التي تشير إليها القوات الخاصة، معهم أوامر بضرب كل شيء يتحرك في الطرق".
- "هذا جيد.. أمان يا إلهي. لا أصدق ذلك. إن الأمور تسير بشكل جيد جداً جداً".

نظر هوارد بنظرات غاضبة إلى الرئيس وقال في نفسه: "إذا كان هذا الرجل المجنون يقول: إن الأمور تسير على ما يرام. فستظهر مشكلة ما بالتأكيد. أقول له: لو دامت الحرب لفترة طويلة لن ننتصر. وما زال يردد: الأمور تسير على ما يرام.

- "سيدي الرئيس: الآن وصلتنا بعض المعلومات عن الوحدات البرية. القوات التي تحركت من منطقة /درینجة/ تقابلها مقاومة عنيفة جداً إلى جنوب حوض سد عمرلي".

عندما سمع الرئيس كلمة المقاومة اهتز كل جسده فجأة. وكأن شيئاً غير عادي قد وصل إلى أذنيه. العملية التي كانت تجري على شكل حسن.. كانت تدخل المرء في احتمالات كبيرة.

- "من أي نوع هذه المقاومة يا هوارد؟ لا أعتقد أن الدبابات ستخرج أمامنا. لأنك قد ذكرت لي بأن كل دباباتهم قد سوتَّ مع الأرض".

- "هذا صحيح يا سيادة الرئيس.. هذه ليست مقاومة مدرعاتية".

فكَّرَ بعض الشيء. وقرأ التقرير الذي وصله بدقة: "اعتقد أن المقاومة تجري عن طريق الصواريخ المضادة للدبابات والمحملة على السيارات الصغيرة: يقولون:

انهم قد ضربوا لنا دبابات كثيرة.”

ثم أدار زرأ في المقبض الذي في يده وبدأ الاستماع إلى قائد فرقة المشاة الميكانيكية الرابعة الجنرال /هارولد فلين/ عندما فعل ذلك كان الجنرال يعرف ذلك. لم يستطع هارولد فلين السيطرة على نفسه عندما شعر بأن رئيس الأركان ينصلت إليه وهو داخل عريته حيث بادره بالتحية والسلام.

- “سلام هودي. أظن أن خبر المقاومة قد وصل إلى عندكم ولكن لا يوجد شيء مهم.. هي حركة شجاعة من طرفهم ولكن مدرعاتنا حللت المشكلة.. وتم حرق عربات كثيرة منهم.”

في اللحظة نفسها دخل الرئيس على الخط نفسه. “أنا أثق بك يا هارولد. الفرقة ٨٢ بدأت، يجب أن تتقابلاً معهم مباشرة.”

- “سلام يا سيادة الرئيس. ونحن أيضاً بدأنا حركتنا نحو الأمام قبل قليل. ولهذا السبب لا تستغروا إذا وصلتكم أخبار عن المقاومة.”

- هذا طبيعي جداً.. الأتراك يدافعون عن أرضهم ولا تستطيع أن تفهمهم من أجل ذلك. ولكنهم الذين يتحملون نتيجة أعمالهم يا سيادة الرئيس.”

- ”هارولد.“ كان صوت الرئيس آمراً.

نعم يا سيدي أجا به هارولد بنبرة صوت.. وكأنه يقول له فهمت ما تقصّده.

- ”لا يهمني بالذى يفعله الأتراك.. أنا أتخيل في رأسي تقابل الفرقة ٨٢ والفرقة المشاة الميكانيكية الرابعة في مكان واحد.“

- ”لو تخبروني مباشرة يكون خيراً“ وأنهى كلماته بقهقهة. كان يُفكّر بأنه قد مزح مزحة جميلة.

- ”إلى جانب الخطط التي صنعتها يا سيدي يجب أن أفكّر بحياة جنودي. انقطع الخط بشكل غريب. كانت ثمة علامات استقرار في وجه الرئيس. وبدأ ضرب المفاتيح وكان في الأمر عطلأ.. كي يزكي عن نفسه بعض الكآبة والقلق. تدخل هوارد ستريك مباشرة:

- ”اعتقد أن ثمة عطلأ قد حصل في الأقمار الاصطناعية يا سيدي الرئيس.“

(كانت عيناً أرسين قد فتحتا مثل /حجر الحظ/)

عندما شاهد العربات العملاقة فوق سطح البحر شعر بأن صابونة ركبته قد حللت من الخوف. لم يكن يعلم المدة التي سار فيها. ولكنه كان قد وصل إلى الطريق الساحلي. بين /أتاكوي/ والمدرسة الفنية العسكرية. كانت الرصاصات تتطاير حوله. والمعارك قد انتشرت بين منطقة /أتاكوي/ و /شيرين آفلر/. كانت كتائب رانجر قد ردت الوحدات التركية المدافعة عن المطار إلى مسافة بعيدة.

كانت بعض الحرائق تتراءى في بعض العمارت العالية. أما المطار فقد هدأت فيه الحركة وساده السكون. وكانت تتراءى بعض النقاط الدفاعية الصغيرة التي أقيمت بعجلة. كانت المروحيات التي شاهدها /أرسين/ قد بدأت تقترب من البر وهي تطير منخفضة فوق سطح البحر كأنها تلامس البحر من شدة انخفاضها. ربما ستنزل بعد دقيقة على المطار وستعتمد على إقامة قاعدة قوية هناك. في تلك اللحظة تماماً سمع أرسين صوتاً.

وعندما التفت نحو الخلف شاهد بعض الرجال المسلحين يخرجون من بين الأعشاب الكائنة بين الطريق والبحر. وبعض منهم كان متمدداً. كانوا يؤمنون له بأيديهم كي يذهب إلى مكان تواجدهم. وبعد أن نظر أرسين بهفة نحو المروحيات للمرة الثانية.. ذهب إلى الجنود جرياً. ورمى بنفسه على الأرض مباشرة. كان الجنود يلبسون ألبسة خضراء غامقة وعلى رؤوسهم /بريهات/ خضراء أيضاً. كلهم كانوا ضخام الأجسام. كانت القوات الخاصة للشرطة قد تمركزت في تلك المنطقة.. كانت أعدادهم غير معروفة.. وكانوا يتراوون وكأنهم قد حولوا منطقة المطار إلى ما يشبه حدائق للأزهار. كان الجميع يحملون في أيديهم بنادق من طراز 16 - M.

كانوا قد ملزوا ظهورهم بالمخازن وثمة مسدسات كبيرة معلقة على أكمارهم. وكان عدد منهم يحمل رشاشات أوتوماتيكية من طراز FN/. ذات الألف طلقة. وكان الإرهابيون يسمون هذه الرشاشات بـ /الفتاة المجنونة/.

عندما تمدد أرسين على الأرض اقترب منه رجل عرّف نفسه على أنه /الكوميسير الأول/. وبدأ يضع فوق أرسين أعشاباً ليستره. كانت المروحيات ستمر من فوقهم بعد قليل وتنزل إلى المطار.. بالأصل لو أطلقوا النار عليها ربما

يسقطون عدداً منها. ولكن هذه تكون نهايتم أيضاً. كانت كل المروحيات الناقلة معززة بجميع أنواع الأسلحة الثقيلة.

- انظر يابني ألا ترى ذلك الرجل الذي يحمل السلاح الكبير.. اذهب إليه مباشرة واحمل عليه السلاح التي بقريه.. هل فهمت؟

كان من المستحيل أن يعمد /أرسين/ إلى معارضته **كلمات هذا الشرطي الذي ينظر إليه نظرات مرعبة.. وله شارب كثيف وشعر مجعد.. كان ضغطه تقريباً قد وصل إلى الذروة. وكان يفكر بأنه سيموت في كل لحظة جراء أزمة قلبية حادة.. كان عليه الاشتراك في المارك وهو يحمل مثل هذه الأفكار.**

لم يكن حتى للخيال مكان في تصوره على أنه سيقوم بذلك. ولكنه حصلحقيقة. كانت أطرافه مملوءة بالرجال المسلحين. وكانت ثمة طاقة مرعبة تحل فيهم.

- تكرم يا أخي لم يستطع أن ينطق سوى بهاتين الكلمتين.. كان يرتجف مثل أوراق الشجر.. ابتسم الشرطي.. ودحرجه على الأرض. حتى أوصله إلى جانب الشرطي الآخر الذي كان يحمل الرشاش الثقيل.

وقد أنزل صفة على رقبة أرسين وقال له: تعال لهون ولكْ كانت ثمة عليه كبيرة موجودة قريه.. كانت مملوءة بمخازن الرشاش.

- عندما أصرخ لك.. أعطني.. تعطيني مباشرة.. هل فهمت؟ ولكي تكون سريعاً. ستتحمل على يديك مخزناً على الدواو.. عملية احتياط ليس إلا.

- تكرم يا أخي.. لم يكن أي شيء يقوله أكثر من هذا. عندما بدأت أصوات هدير محركات المروحيات العملاقة الناقلة قد ملأت أذنيهم.. جمد الجميع في مكانه وبدؤوا الانتظار. كان أرسين لا يتفس.. يجب أن تكون نبضات قلبه قد زادت عن المئة والخمسين.

في لحظة واحدة صار الظلام أكثر حلقة عندما اقتربت المروحيات من الأرض... لم يظل أي شيء فيه.. كل شيء تبعثر نحو الهواء... حيث تعكّرت الأجواء بالأدخنة والغبار.. لم تكن العين ترى العين التي أمامها مباشرة وكان آذان الجميع قد صارت صماء.. شعر أرسين بأنه وحيد تائه.. لم تكن الأصوات تتقطع لحظة

واحدة. للحظة واحدة رفع رأسه ونظر نحو السماء من بين أصابعه. كأنهم داخل إعصار قوي. ثمة مخلوقات عملاقة كانت تمر من فوقهم. كان يستطيع رؤية أرجل الجنود المهزة. حتى أنه استطاع رؤية السبطانات الخارجة من التواخذ. قال في نفسه: كم أنا قريب من الموت يا إلهي.. شعر فجأة أن سرعة نبضات قلبه قد خفت بعض الشيء.

هذا غير ممكن أبداً. في الوقت الذي هو قريب من الموت.. لا.. مستحيل أن تعود النبضات إلى حالتها الطبيعية. ولكن كان قد حصل. كان جسده قد أعطى رد فعل إيجابي. وقلبه يخفق بكل حرية. لم يشعر به من قبل. حتى الخوف من الأزمة القلبية كان قد تلاشى. كان واثقاً من جسده.. الإنسان الذي بمقدوره أن يعطي أو يفتح صدره لهذه الأسلحة الضخمة. لا يمكن أن يتفاعل مع الخوف.

لم يستطع فهم الدفائق التي مرت بهذه السرعة. بعد فترة شعروا بأنه لا يمر شيء من فوق رؤوسهم. ولكن نزول الغبار من السماء أخذ مدة من الوقت. قام الكوميسير على رجليه وأشار بيده للأخرين بالبقاء على الأرض. وجرى بسرعة إلى الطرف الثاني من الطريق. وبدأ يراقب عملية إنزال الجنود بمنظاره بعد أن ستر نفسه خلف جدارٍ قليل الارتفاع الذي يفصل الطريق عن الساحة. كانت عناصر الشرطة الخاصة قد جهزت أسلحتها أيضاً. نظر حامل الرشاش إلى أرسين وابتسم وقال: "لا تخاف ولدك".

- "لا.. يا أخي".

عاد الكوميسير إلى مكانه القديم جرياً. ولكنه بقي واقفاً على رجليه في هذه المرة. وقال:

- "ما رأيكم لو نهاجمهم من هذه الجهة؟"

كان أرسين لا يصدق أذنيه. كيف يستطيع التفكير بالهجوم على هذا العدو بعدد قليل من الرجال؟ للحظة واحدة لم يستطع أن يتمالك نفسه حيث قال: "هذا جنون ولدك أخي.. كلكم تموتون.. عدكم لا يصل حتى الخمسين".

سكتت عناصر الشرطة الخاصة للحظة ونظرت نحو أرسين... فحصه

/الكوميسير/ بعيون مشقة وقال:

- "الولد على حق والله" ثم أشار بيده نحو المنطقة المشجرة التي تلي المنطقة العشبية: التفت أرسين أيضاً نحو تلك الجهة. لم يستطع أن يُصدق عينيه.. كانت مئات الأجساد قد بدأت بالحركة والظهور من بين الأشجار. كانوا كلهم من عناصر الشرطة الخاصة المدججين بالسلاح من رأسهم حتى أخمص قدمهم. عندها فقط فهم أرسين مكان وجوده. اهتز جسده من الهول. عندما عرف بأنه سيكون في الخطوط الأمامية لمعركة إستانبول المتوقعة. حيث اصفر جسده من الheit.

كان الكوميسير قد فهم موقفه.

وقال له: "هل أنت معنا أم لا يا ابني؟"

كان ثمة جواب واحد يستطيع أن يقدمه: شعر بأن شعر جسده قد تحول إلى شوك من التوتر والخوف. وبأن كل مكان في جسده قد تعرق. كان يشعر بالدوار والغثيان. وإذا لم يقدر أن يتمالك نفسه ليقى في أرضه. في الوقت الذي كان ينظر فيه إلى وجه الكوميسير شعر بأن شيئاً غريباً قد بزغ من أعماقه وبدأ بالسيطرة على دماغه. نزل نحو الأسفل ببطء شديد. وإذا بطاقة حارة تلف قلبه. كان الخوف قد تحول إلى دخان وطار عنه فجأة.. كان يشعر بأن أحاسيسه قد بدأت بترك جسده.. تلك الأحاسيس التي أسرته على مدى سنوات طويلة مملوءة بالخوف.

أدبر رأسه ونظر إلى حامل الرشاش. أسرع إليه وحمل العلبة المملوئة بالمخازن. ووقف إلى جانبه. كان أرسين أيضاً جاهزاً للقتال.. كان زمن الخوف والحكايات والأشخاص قد ولَّ بعيداً. الآن يجب التفكير فقط بالحياة والبقاء فيها.

في هذه الأثناء لاحظوا أن مروحيات أخرى قد ظهرت فوق سطح البحر. وقف أحد العناصر على استقامة المروحية. التي كانت تطير في الساعة مئة كيلو متراً تقريباً. وهي من طراز / بلاك هوك / كان يقف على رجليه برشاشه FN كقاعدة من حجر. كان الطيار لم يره. فكيف بالسلاح الذي إلى جانبه.. كان قد صار عددهم ثلاثة مروحيات الآن.

عندما وصلت إلى مسافة مئة متراً تقريباً.. بدأ الرشاش يراجع السننة نارية. كانت واجهة المروحية الأولى قد تهشممت. ونزل رأس الطيارين نحو الجانب. كانوا وكأنهما قد أغما عليهم. في البداية ظهر دخان أبيض من المروحية.. ثم تلاه

دخان أغمق من البياض وتحول إلى دخان أسود.

دام سقوط المروحية خمس ثوانٍ فقط. أما الآخريان كانوا قد اتجهتا نحو الجانبين وكانت الرشاشات الأربعية الموجودة على أطرافها قد بدأت بإطلاق نيرانها.. كانت هذه النيران قد جلبت نهايهم. حيث تم ضربهم من جاهم بوساطة القناصين الشرطة الذين كانوا مسترين. ثم سددوا على الطيارين الذين كانوا قد بدؤوا بتهريب الطيارتين، كانت المروحيتان قد بدأتا تخرجان دخاناً أبيضاً وهما تبعدان من تلك المنطقة.

قال عناصر الشرطة في نفوسهم: "بكل الأحوال ستسقطان بعد قليل". في هذه الأثناء كانت القوات القوات الأمريكية التي نزلت إلى المطار، بدأت بالاشتباك مع الشرطة الذين حاصروا المطار من كل الأطراف.

كان قسمٌ من مروحيات الفرقة ٨٢ للإنزال الجوي قد هبط في مكان يُعد نظيفاً إلى حد ما. لأن جماعة /رانجر/ كانوا قد نظفوهَا ثم لاحظوا أن القوات الخاصة للشرطة قد حاصرتهم هناك. حيث بدؤوا بالاشتباك معهم. أما القسم الآخر من المروحيات فقد اتجهت بسرعة إلى الناحية الشمالية الشرقية من هـ/سيران تبة/. هذه العملية كانت بحد ذاتها نوعاً من الجنون ليس إلا. كان الهبوط إلى المطار أكثر منطقية وتعللاً من الهبوط إلى هناك. ولكن العملية بأكملها كانت تبعد رويداً رويداً عن المنطق والعقل. لأن إقلاعها للمرة الثانية ربما لا يحدث لشدة المعارك القائمة في تلك الساحة.. كان ضباط الأركان الأمريكيون يرمون جنودهم إلى الخطر الزائد. كي يرفعوا جنودهم وعساكرهم إلى الحد الأعظم. كانت الطيور العملاقة تتجه نحو أهدافها. مارة من فوق الأحياء الشعبية على شكل كومات معدنية.

في الوقت الذي كان فيه الصباح المظلم. يسلّم نفسه ليوم غائم جزئياً. كان الجنود الأمريكيون الذين يمرون من فوق الأحياء الشعبية. قد شعروا وللمرة الأولى بالتأثير المباشر للفارات الجوية الأمريكية على هذه الأحياء. وبهذا الشكل الواضح. كان كل شيء في الأحياء.. المسالك والعربيات وكل شيء. كان يتراءى محروقاً.. لم يكن أحد يدرى كم هو عدد الذين ماتوا.. وكيف ماتوا؟ ولكن هذه

الأمكانية كانت لأناس يصارعون الحياة قبل هذه الحرب بعدد قليل من القروش. كان الجنود الذين ينظرون عبر نوافذ الطائرات نحو الأسفل. يدعون ربهم كي لا تصاب طائراتهم بسوء وتسقط على الأرض. وخاصة إذا ما سقطوا فوق تلك الأحياء. وإذا بقي أحد منهم على قيد الحياة. ماذا كانت ستتصير حاله. كانوا لا يريدون التفكير حتى في هذا الأمر. كانوا قد شاهدوا قبل قليل ماذا فعل الشعب بالجنود الأميركيين الذين سقطت طائرتهم في منطقة شعبية مزدحمة. كان الطيارون يستعملون الأجهزة الخادعة للصواريخ عسى ولعل ترفع شيئاً من حظوظ بقائهم على قيد الحياة. حيث كانوا يرشون الشراارات الخادعة نحو كل الجهات.. والناس الذين يشاهدونها يغلقون أبوابهم ونواذهم ويسبحون ستائرهم خوفاً من الغارات ومن هذه الشراارات النارية الخادعة. كان بمقدور الجنود مشاهدة الناس في الشوارع.. لأن الصباح كان على وشك أن يشرق على العالم.

عندما بدأت المروحية الأولى بالانخفاض بسرعة نحو الأرض.. تعقبتها الآخريات... حيث اقتربت أكثر من ستين مروحية من الفابات والأماكن الخضراء الأخرى. خلف بعضها بعضاً. حيث وقفت في وضعية /الموفر/ لا ترتفع كثيراً عن الأرض. بحيث يستطيع الجنود النزول منها براحة تامة دون أن تلمس عجلاتها الأرض. وبعد إنزال دام عدة دقائق.. حلقت ثانية واتجهت ثانية فوق بحر /مرمرة//. كان عليها الوصول إلى البحر ومن ثم إلى قواعدها في /أزميت/ خلال وقت قصير جداً. كان الطيارون قد بدؤوا بالرجفان من الانفعال الشديد.

كان هو الجنون بعينه.. لم يكونوا يصدقون بأنهم لم يصابوا وأنهم على قيد الحياة.. فكرتهم هذه لم تدم طويلاً. في الوقت الذي كانوا فيه بعيدين عن البحر وإذا بهم يتعرضون لوابل من النيران الكثيفة. كانت هذه النيران تصدر من الرشاشات الثقيلة ومن نقاط كثيرة. كانت النيران تقريباً قد أصابت كل المروحيات التي تطير على نسق واحد. إلا أنهم كانوا محظوظين لأن هذه النيران ما كانت تستطيع إنزالهم. أما الطيارون الذين كانوا يأتون من الخلف فقد انتشروا في السماء ليخلصوا أنفسهم من هذا المأزق الذي وقعوا فيه.. وكانت الرصاصات الخطاطة تصيب الجيوب الخارجية للمروحيات وتتطفي هناك. بعد فترة غابت

الموهبيات عن الأنظار وهي تطير بشكل متارجع. أما الجنود الذين نزلوا داخل الغابة وضواحيها فقد شاهدوا سقوط إحدى مروحياتهم هناك. أما الآخريات فكانت قد نجحت في تخليص نفسها من النيران الكثيفة المتوجهة نحوهم.

كان حكمت باشا موجوداً في قبو واسع من أحد البيوت المجهولة. يناقش مع ضباطه الأوامر والتعليمات والعمليات الحاصلة. وبما أن الجيش الأمريكي يملك المعلومات الكاملة عن تركيا وكل شيء فيها. كان هذا المقر قد أقيم بشكل مؤقت في مكان سري غير معروف. كانت هذه البناء لأحد أصدقاء الضباط. وحقيقة كان قبواً واسعاً جداً يتسع لـكثير من الأجهزة. والأقمعة والأغراض. لم يكن أحد من الأعداء يعرف مكان هذه البناء حتى الآن. كان عليهم الابتعاد عن الأنظار بكل السبل والوسائل. ولكن كانت هذه المنطقة ستكتشف أمام كثير من البشر بعد فترة وجيزة. حتى أن الخطورة تتحقق. عندما يدخل كثير من الناس إلى هذه البناء. كان عامل الحظ في بعض الأحيان مهم جداً في الحرب: حيث يشكل نوعاً من /الافتتاح/ لـكثير من الأشياء.

- استيقظت إسطنبول هذا الصباح على الغارات الجوية.. وبناء على الأبناء التي وصلت لنا. أن الجنود الأمريكيين قد نزلوا إلى قلب إسطنبول بعملية تعداد الأكبر من نوعها حتى الآن. بوساطة المروحيات.

- المعلومات الواردة تشير إلى أن المطار تحت سيطرتهم وأن قواتنا الدفاعية المرابطة هناك قد انسحبت نحو /أتاكوي/ و /شيرين أفلر/ .. ولكن الجمة التي قامت بها قواتنا الخاصة أنزلت بالعدو خسائر فادحة. إن ميزانية الحرب بالنسبة إليهم أيضاً بدأت تزداد باضطراد.

- إن كل شيء يتحقق كما تصورناه. لو حاولنا إيقافهم قبل وصولهم إلى هنا.. وكانت خسائرنا كبيرة جداً.. وكنا نُضيئ المزيد من قواتنا التي نحن بحاجة إليها الآن.

في الوقت الذي كان فيه حكمت باشا يتحدث.. كان يشير بيده إلى بعض النقاط في خريطة إسطنبول التي كانت أمامه.

كان يتحدث ويفكر. ومع الأسف الشديد كانت أمامه الآن خارطة إسطنبول

فقط وليس خارطة تركيا بأكملها.. كان ارتباطهم مقطوعاً عن باقي المناطق في عموم البلاد. كان /بارس/ يتمنى أن يكون الضباط هناك يعملون سواسية مع الشعب. يديرون الأعمال ويضعون النقاط على الحروف في عموم المشاغل الحياتية. حتى الأخبار لم تكن تصلهم من أنقرة.. ومنذ وقت طويل.. كانت ثمة مسؤولية كبيرة قد وقعت على كاهله. كان عليه تشكيل وتنظيم مقاومة ضخمة جداً. كان مجبوراً على ذلك. إذا كانت المقاومة غير منظمة تبقى في حالة من التفكك والاضمحلال. ولا تستطيع التأثير أبداً. قال مؤنباً نفسه: "لماذا لم تفكّر بهذا الريسك وأخذنا الاحتياطات اللازمة قبل ذلك".

الشيء الوحيد الذي كان عليه القيام به هو تخليص المدينة من هذه الجماعة. كان ثمة صوت في أعماقه يقول له: إن العملية الأمريكية في إسطنبول ستكون النقطة الراجحة. إذا استطاع توقفهم هنا. كانت ثمة أشياء كثيرة ستتغير.. ولكن لم يكن يستطيع فعل أي شيء دون العودة إلى فكره وعقله.. ما هو وضع الجنود الأتراك الموجودين في قبرص ويقدر عددهم بستين ألف جندي؟ يجب أن يكونوا تحت المجمات الجوية ومنذ وقت طويل. حتى من الناحية الإمدادية والإكمالية يجب أن يكونوا في وضع سيء جداً. وكان بمقدور القبارصة اليونانيين التقدم نحوهم في كل لحظة.. الشيء نفسه يحصل لبقية الحدود أيضاً.

قال في نفسه: "ليقهرهم الله... كان علينا أن نكون جاهزين لأية غارة مفاجئة بهذا الشكل".

- "أيها الزملاء نحن بعد الآن كأي عنصر من عناصر المقاومة. أنا أيضاً معكم في كل لحظة. لقد أخذنا أسلحتنا وسنذهب إلى القتال.. ليس لنا عمل آخر نقوم به. ليكن الله ساعدنا ومساعدنا".
"ملا الفرفة صوت: آمين".

كان العميد /كمال تورك كان/ يقف على باب القبو.. فقال له حكمت بارس: "خذ رجالك كلهم يا كمال.. يقولون إنهم قد اجتمعوا في جوار /سيران تبة/ حاولوا بقدر المستطاع بسمتهم في مكانهم ليبقوا محاصرين.. إذا ما انتشروا داخل المدينة... يريحون نفسياً.. حيث يعطون للعالم رسالة. بأننا سيطرنا على المدينة.

وهذه تؤدي إلى قيام حركات أخرى.

كان /كمال تورك كان/ قد فهم طلب قائدہ مباشر. كان عليهم القيام بمعركة جبهوية عادية مع القوات الأمريكية وليس قتال شوارع. فـ**فکر في نفسه**. أنه لا ضرورة للانتظار أكثر من هذا. كان الأمر قد جاءه من أكبر مرجع أمر. وعليه أن ينفذه على الفور. كان قد بدأ بتهنئة نفسه بالموت. وكان مجبوراً وعليه فعل هذا. لأن العدو لم يكن من الأعداء الصغار الذين يستسلمون بسهولة. إذا لم يجهز نفسه للموت فكيف يطلب من جنوده ذلك؟

كان الرئيس يدقق تفاصيل العمليات الواردة إليهم في غرفة الحركة على الدوام. كانت الفرقة الميكانيكية الرابعة للمشاة قد بدأت بالهجوم.. ولا يذكرون شيئاً عن الخسائر. كانت التقارير الواصلة تشير على أن الخطوط الدفاعية التي أقيمت بعجلة لا تستطيع المقاومة أمام الدبابات. كانوا قد اقتربوا كثيراً من الأماكن السكنية بجوار حوض سد عمرلي.. كانت الدبابات الأمريكية تضفط وبشكل كبير على الناس الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق.

- "هوارد إن الأمور تسير على ما يرام بكل معنى الكلمة".

كان قد وجه هذه الكلمات إلى ستريك الذي كان مشغولاً مع بعض الضباط يملي عليهم الأمر. وكان الرئيس بالأصل منزعجاً منه لأنه لم ينفذ كل أوامره كما طلبها.. كان وجود الرئيس بينهم وتحركاته الصبيانية تخبّر عليه أنه وسكينته. كان قد تعلم شيئاً وهو لا يعطيه أي جواب. كان الرجل يلعب لعبة الحاسوب كالأطفال. ويتصرف تصرفات غير مرضية وهو يتحدث:

- "قهرهم الله..."

كان ستريك قد نظر إليه ليفهم سبب صراخه. ولكن وجه الرئيس كان ذابلاً.

- "انظر إلى هنا.. إحدى دبابات الفرقة الرابعة قد طارت في الجو.

وأظن أن سبب ذلك لغم أرضي".

بعد هذا نظر هوارد ستريك إلى شاشته وأكمل عمله.. من يدرى كم سيأتي من أخبار الخسائر بعد الآن؟ كانت المعركة الواقعة في المطار هي التي يفكر بها كثيراً. في الوقت الذي كانوا يفكرون فيه بالسيطرة. كانت المعركة تدور

رحاماً بشدة. وأعداد الخسائر حتى الآن كانت غير معروفة. كان الجنود قد طلبوا دعماً جوياً. كانت مروحيات /الأباتشي/ المتحركة من أزميت إلى جانب طائرات **A-10**.. تقدّف القوات التركية في المطار. وبما أن الهجمات لم تكون مدروسة بالدرجات فالنتيجة لن تكون إيجابية بالنسبة إليهم. كانت هذه المعركة من أكبر وأشد المعارك التي كان تدور وجهاً لوجه. وبالسلاح الأبيض.

وكان عناصر اللواءين من الفرقة ٨٢ قد صعدوا إلى المروحيات العائدة ينتظرون التحرك. ولكن الأخبار لم تكون تصلكم من الوحدات التي نزلت إلى إسطنبول.. كانت المعارك شديدة بحيث أن القوات الأمريكية لم تكون حتى تطلب الدعم والمساعدة من القاعدة.

كان قائداً الفرقة ٨٢ الجنرال /جوزيف ريد/ يتبع العمليات وهو داخل طائرته المروحية من طراز /MH-531 - MH/ فوق بحر /مرمرة/. وكان معه في الطائرة بعضُ من الضباط الإداريين.. وهم عميد وعقيد ونقيب ومعهم أثلياً عشر عنصراً من الكوماندو. وكانت هذه القوة الصغيرة من مرتقبات هذه الطائرة على الدوام.

أشار الجنرال بيده إلى جزيرة في الأسفل وتحدث مع العميد:

- "لنقيم فوق هذه الجزر قاعدة لطائرات الأباتشي".

كان ريد يتحدث صارخاً من كثرة الأصوات الموجودة داخل الطائرة. فوافقه العميد بهزة من رأسه. وطلب من النقيب أن يخبر القاعدة الموجودة في أزميت بهذا الخبر. كان بمقدورهم إرسال أحد الخبراء إلى تلك الجزر ومعه وحدة عسكرية صغيرة. لتعيين مكان.. تستطيع فيه المروحيات النزول براحة.

كانت الأخبار تصل تباعاً عبر اللاسلكي. كانت ثمة هجنة مضادة كبيرة قد شُنت على الجنود الموجودين على جوار /سيران تبة/.. كانت أصوات الجنود الأمريكية تذكر بأيام الحرب الفيتنامية. كانت هذه الحرب قد خرجت من الحرب السياسية إلى حرب البقاء على قيد الحياة.

قال جوزيف ريد وهو ينظر بالمنظار إلى الهجوم القائم على المطار في نفسه: "لقد بدؤوا الحرب الحقيقية: وكان يستطيع رؤية المروحيات التي كانت تطير فوق

البحر ثم تهجم على أهدافها في البر. كان عليهم إلا يقتربوا كثيراً. كان ثمة نيران أسلحة متعددة تتوجه نحو الطائرات. ومن ثم بدأت الأخبار تصل من منطقة /سيران تبة/ وكان قائد أحد الكتائب.. يرسل إشارات استفادة ونجد.. بأنهم قد وقفوا بين فكي الكمامشة وأن ثمة هجمات تشبه الهجمات الانتحارية... تضريهم. من الآن كان عدد الجنود الذين ماتوا قد وصل إلى اثنين عشر جندياً.. وكانوا قد انسحبوا نحو الخلف مسافة مئة متر تقريراً من أول موقع نزلوا فيه. غضب جوزيف ريد كثيراً بعد أن وصله هذا الخبر. في البداية لم يعرف ما الذي سيقوم به. كان عليه أن يقلب الموقف هناك رأساً على عقب لصالحهم. كانت الطلبات قد انهالت لمساعدة القوات المحاصرة هناك. وذلك من القوات الجوية.. حيث كانت طائرات /أف 150/ قد بدأت تتجه نحو تلك المنطقة وطائرات أخرى من طراز /A 10/. كانت ثمة حربٌ غريبة تدور رحاها هناك. كأن العالم قد توقف كلياً ليشاهد حرب إستانبول.

بحركة آنية مفاجئة قال جوزيف ريد للعميد بضع كلمات. لم يصدق العميد الذي سمعه. ولكنه كان مجبراً بتنفيذ الأمر. ذهب إلى عند الطيار وهمس بأذنه بعض الكلمات. التفت الطيار ونظر إلى قائد.. وكانت الإفاده الموجودة على وجه ريد تشرح أشياء كثيرة.. تحركت المروحية وقامت بمناورة فاسية واتجهت نحو المطار.. كانوا يعطون التعليمات عن طريق اللاسلكي بأن الجنرال شخصياً سيقوم بتعقب الجنود ويرى بنفسه جو المعركة.

في الوقت الذي كانت فيه المروحية تتقضي نحو المطار.. شاهدوا الرصاصات قد بدأت تتجه نحوهم. بعد عدة ثوانٍ سمعوا بأنها قد اصطدمت بخارج الطائرة المدرعة. في الوقت الذي كانت فيه المروحية تدور فوق المطار بعد أن خلصت نفسها من نيران الأسلحة. كان الجنود في الأسفل يلوحون بأيديهم لهم. حيث عمد الجنرال جوزيف ريد. برد التعية إلى جنوده عبر الرشاش الثقيل وذلك بإطلاقه النار نحو جنود الأتراك:

حيث زاحمت موجة من الانفعالات الشديدة صفوف جنود /٨٢/ وكثف إطلاق النار أكثر فأكثر.. كان جوزيف ريد يعرض نفسه في سماء

المطار وهو يلقي بنفسه إلى الخطر المحدق. كي يرفع معنويات جنوده. والحقيقة كانت هذه عملية إيجابية بالنسبة إليهم.

نظر الطيار بعينين شاكيتين إلى قائد حي ث هر ريد رأسه آمراً المتتابعة.. لم يكن الطيار قد أعجبه هذا الموقف.

غير مطلوب من المرء أن يكون بطلاً أكثر من اللازم عندما يتوجه نحو النيران. أما بقية العساكر داخل المروحية فكانوا فلقين جداً ولكنهم نظروا إلى قائهم بنظرات لا معنى لها. كانوا يفكرون لماذا يفعل هذا الشيء. بدأ الطيار يطير منخفضاً. واتجه بسرعة نحو سيران تبة / مع بزوج الصباح كانت الغارات الجوية قد بدأت ثانية.

عندما وصلوا إلى جوار سيران تبة / اهتزت أجسادهم من هول المنظر الذي شاهدوه. كانت الحرائق قد بدأت في منطقة الغابات.. وساحة المعركة اتسعت كثيراً.. كانت الأفواج الأمريكية قد أجبرت على إطالة خطوطها لمواجهة المقاومين الذين يهجمون من كل جهة وهذه العملية كانت تؤدي إلى ضعف بعض النقاط. عندما نظر ريد من المروحية فهم الوضع تماماً وأن الأمور ليست على ما يرام. طلب من الطيار أن يدور عدة مرات فوق ساحة المعركة... في الوقت الذي كانت فيه المروحية تدور هناك بدأت التيران الكثيفة تتجه نحوها. في هذه المرة تدخل عناصر الكوماندو الموجودون داخل الطائرة. حيث بدؤوا بإطلاق النار على النقاط التي كانت تخرج منها التيران. حتى الجندي الذي كان يعمل بالرشاش الثقيل. كان قد بدأ بإطلاق النار بشكل جنوني. كان عساكر الد ٨٢ وكأنهم في حالة من الحيرة والدهشة. كانوا يقولون في أنفسهم: "إن هذا الجنون هو قائمهم. بدأت ثمة حركة بين الجنود.. نزلت المروحية بسرعة نحو الأرض وحطت عليها. كانت عملية تشبه النزول والاصطدام. أسرع الجنود الذين نزلوا من المروحية ووجدوا لأنفسهم خنادق تقىهم من التيران. كانوا الآن آمنين لأنهم كانوا على سفح هضبة صغيرة.. بعد فترة وجيزه وجدوا العقيد قائد الكتيبة. كانت ثيابه مغطاة بالأوحال والدماء والشعار.

كان قد ساعد على نقل العساكر الجرحى. وهذا كان واضحاً من جملة

شخصيته. يجب أن نخرج من هنا فوراً يا سيدى.

- "نعم يا سيادة العقيد ولكن بعد أن ننطف هؤلاء الذين أمامنا".

هز العقيد رأسه وكأنه يقول: "يا إلهي". ثم دعا ضباطه وعمل خطأً جديداً: وساعدهم الجنرال أيضاً. طلب الجندي المقدم وصعد مكانه على قمة المضبة وألقى بنظره إلى الموقع بشكل عام. وضغط على إحداثيات الجهاز بنفسه وطلب مساعدة من القوات الجوية.

كان جوزيف ريد حزيناً لأنه أنزل جنوده في منطقة خطر ومغلقة بهذا الشكل. ولكن إذا استطاع إخراجهم من هنا. كانت المعركة ستتحول لصالحهم. حتى أن الأتراك كانوا قد فهموا هذا الأمر. بحيث أنهم كانوا يأتون بعساكر إضافية. ويشترون في القتال.

بعد دقائق ظهرت الطائرات.. والقنابل بدأت تتفجر فوق المضاب التي كانت أمامهم. وبعد أن حقق جوزيف ريد لفترة قصيرة وجد أن الفرقة ٨٢ لم تستعمل كامل قوتها. وبدأ شخصياً على إدارة المعركة. في الوقت الذي كانت فيه الغارات الجوية قائمة.. جاء الخبر عن طريق اللاسلكي من ريد بأن أرسلوا اللواء الثاني. كان يريد إزالة اللواء الثاني قريباً من المسلح والأراضي المحيطة بها. بعد عدة دقائق من إعطائه الأمر كانت الطائرات العملاقة من طراز CH-47 - CH / وطائرات بلاك هوك / وطائرات CH-53 - CH / ولكن كانت هذه الطائرات تتصل إلى تلك النقطة وهي متفرقة بعد أن تكبدت بخسائر عدّة من جراء التيران الأرضية التي توجهت لها.

كان الرئيس قد صار في حالة بحيث أنه لا يستطيع أن يفهم الأخبار الواردة إليه. الشيء الوحيد الذي كان يعرفه ويفهمه. أنه ثمة معارك ضارية تدور رحاها في إسطنبول.. وخاصة في مراكزها لم يكن يريد النظر إلى الشاشة كثيراً. لأن أخبار الخسائر كانت ترد فيها.. ربما تكون هذه الخسائر عادية.. ولكن عندما كان يفكر كسياسي.. كيف سيخاطب شعبه.. هل سيخبرهم عن أحزانه وخسائره؟

- هاي هوارد.. كيف هي الأحوال بالنسبة إليك؟

- بالنسبة إلى، يا سيد الرئيس الأموي، ليست حسنة، الفرقية ٨٢ للإنزال الجوي

تحارب ببسالة مطلقة. إذا انتصروا هناك.. معناه أنهينا هذا العمل. والفرقة الرابعة المشاة تسير سيراً حسناً ولكنها خسرت الكثير. وهذا بالأصل كان نتوقيمه.

- هل تعرف يا هودي أقول في نفسي. يا ليتا قذفنا المدينة لمدة أطول.

كان هو. الزعيم الكبير الذي تنتظره أمريكا. وكان شخصياً يصدق ظنه بذلك. وربما الرؤوساء الآخرون قاموا بواجباتهم على أكمل وجه.. ولكن شخصياً، كان سيدخل التاريخ عبر أبوابه الكبيرة لأنه أعطى لنفسه الشجاعة كي يقوم بأكبر المهام وأهمها.

كان وجه حكمت بارس متوراً. لم تكن الأخبار الواردة تعجبه أبداً.

كان عدد الشهداء من عناصر الشرطة الخاصة كبيراً في المعارك التي حصلت في المطار. ولكن الشرطة كانت قد مسحت وحدة أميركية ممتازة. دون أن يكون لهم علم بذلك. وبسبب الغارات الجوية المتتابعة. كانت لا تبقى مع بعضها أبداً. كانت قد توزعت إلى مجموعات صغيرة وحاربت بهذا الشكل وكان عددها سبعمئة عنصر. ولكنها تتضاعل باستمرار.

كان الكونترول بيد الأميركيين في المطار. ولكن ثمة دلائل وإشارات قد بدأت تظهر بأنهم سيفقدون السيطرة من أيديهم. كان العدو من الناحية اللوجستية في حالة مزرية.. كان لواء آخر قد وصل لمساعدتهم.. كان بعض منهم قد أنزل في يشيل كوي / لمساعدة الموجودين في المطار وضواحيه. أما القسم الأكبر منهم. فكانوا قد اتجهوا نحو الشمال إلى / سيران تبة / لمساعدة الجنود المحاصرين هناك. في هذه المرة كانوا قد رسموا قوساً كبيراً... حتى وصلوا إلى الأماكن السكنية في تلك المنطقة.

كان بارس والجنود الذين معه قد اقتنعوا كثيراً من أماكن تواجد الجنود الأميركيين القادمين من الشوارع الموازية لشارع / بريروس /.. وبرصاصة راجعة أصيب أحد الجنود الذين كانوا إلى جانبه.. وفي الوقت الذي بدأ فيه الطبيب. بتقديم العناية للجندي الجريح.. كان بارس وزملائه قد بدؤوا بالجري بسرعة متقدمين نحو مخرج أصوات الرصاصات التي كانت تصم آذانهم. وفي الوقت الذي كانوا يتقدمون. كانت المروحيات التي أنزلت قسماً من الجنود تبتعد عنهم.

كانت القوات الأمريكية قد أقامت عدداً من الحواجز بين /سيران تبة ولفنت/ بما فيها الطرق الرئيسة والفرعية.. بعد إقامة هذه الحواجز بفترة قصيرة كانت القوات التركية تضرب هذه النقاط وتمحوها عن سطح الأرض كان بارس على وشك أن يصاب بالجنون. كان عليه أن ينهي هذه العبثية خلال وقت قصير. كانت الفرقة الأمريكية قد بدأت تستقر داخل المدينة مع مضي كل دقيقة وساعة. ليس من حفهم أن يروا هذه العملية صغيرة وتأفهه. كانت أميركا قد استعملت عشر فرق كوماندو جبلية مكونة من عشرة آلاف جندي كي تسيطر على عموم أفغانستان. حتى لو لم تكن سيطرتهم كاملة بكل معنى الكلمة.

على الأقل كانوا قد شكلوا قوة تمنع استيلاء الطالبان على الحكم ثانية.. وهذا ما كانوا يريدون تطبيقه هنا.. ولكن الأمر كان مستحيلاً بالنسبة إليهم. عندما دار الزاوية وجد نفسه مقابل ثلاثة جنود أمريكيين فجأة في تلك اللحظة فكر بأنه سيموت. ولكن فجأة سمع صوت الرشاش من ناحية اليمين. كان الأمريكيون قد أصيروا اقرب منه جندي شاب وقدم له التحية العسكرية. فقال له حكمت باشا: "استرج أيها الجندي من أنت؟".

"أنا أسمى /عمر آلتين آل/ يا سيدى. عندما بدأت المعركة جئت متطوعاً.
- حلال عليك.. ابق معي على الدوام. ولا تتركني".

لم يكن أرسين يستطيع أن يعطي أي معنى للشرطى الذى كان متمدداً على الأرض.. الرجل الذى كان يحارب إلى جانبه كالأسد. وكأنه قد تحول إلى ولد صغير. كانت الدماء التى تنزف من رأسه قد شكلت بحيرة صغيرة... كانوا بعيدين عن باقى الرجال كثيراً. عندما جاءت الطائرات كان كل شيء قد تحول رأساً على عقب. كانوا قد قتلوا عدداً كبيراً من الجنود الأمريكيين. كان قد سمع أصواتهم وهم يتذحرجون على الأرض. والرصاصات تمزق أجسادهم.

كانت الطائرات قد صبّت عليهم نيراناً كثيفة.. بحيث أن أرسين لم يكن يصدق بأنه على قيد الحياة.. ولكن الشرطى الذى كان يحمل علبة سلاحه قد استشهد. كان لا يدرى ماذا يفعل وهو جاثم في زاوية إحدى البناءات. كان يستطيع رؤية الجنود الأمريكيين. وهم يُمشطون المنطقة. انزعج كثيراً لأنهم كانوا

يتحركون بحرية تامة. كانوا يتصرفون وكأنهم أنهم كل شيء وانتصروا في المعركة. كان أرسين قد تعلم كيفية استعمال الرشاش من كثرة مشاهدته له وهو يرمي به. أدخل أحد المخازن بالرشاش. وتمدد على الأرض مثل الشرطي تماماً. حيث تناسب الرشاش مع جسده. وأخذ النيشان. كان يستطيع رؤية الجنود الأميركيين من /مكان النيشان/. كانوا ثلاثة أو أربعة جنود مجتمعين حول كومة من التراب. لمل الزناد بيده وضفت عليه بقوه. في لحظة واحدة بدأ السلاح بإرسال الرصاصات واحدة إثر أخرى نحو الهدف. وكأنه يطلق النار من تلقاء ذاته. حيث بدأت الصرخات تعلو من مكان تواجد الجنود. لم يكن أرسين قد شاهد عدد المقتولين منهم. ولكن يجب أن يكون قد قتل أكثر من واحد. بعد مرور عدة ثوانٍ بدأت الرصاصات تتهمر حوله. قام من مكانه وغادر المكان مباشرة. كان قد ترك سلاحه هناك. فكر بالعودة ثانية. ولكنه كان قد رأى تعقب الجنود له. كانوا يتقدموه وهم يرمون نيران أسلحتهم. كانت الرصاصات تمر من جانبيه وتصطدم بأسطح المنازل وجدرانها. للحظة واحدة جمدت دماؤه.. كان يقف أمامه جندي أمريكي مخيف الطلعة. كان على وشك أن يطلق النار على أرسين. جمد في مكانه دون أن يصدر أي صوت. وأغمض عينيه.. نعم.. كان يُفكّر بأنه قاب قوسين أو أدنى من الموت.. قال في نفسه: "مرحباً بك فيها الموت". ولكن الموت ما كان يأتي والضرير المعدنية ما كانت تصيبه. عندما فتح عينيه وجد أن أطرافه محاصرة. من قبل أربعة جنود. كانوا يطلبون منه التمدد على الأرض.. فعل ما طلبوه منه مباشرة.. كان الغضب يحرق أعماقهم. أو هكذا كانوا يتراوون. ووضعوا أقدامهم على رأسه وشدو يديه خلف ظهره.. كان يتآلم كثيراً ولكنه لم يكن يخرج صوته. كان يظن بأنه لو صرخ متائماً لقتلوه مباشرة. كانوا ضخام الأجساد ومن المستحيل أن يستطيع التخلص من أيديهم. كانوا يصرخون على الدوام. رفعوا أرسين عن الأرض وبدؤوا بسحبه نحو مركزهم. عندما كان أرسين يمشي. رأى الجنود الذين أصابهم - كانوا ينتظرون مجيء الطبيب. شعر أرسين بجروح تترف من أعماقه عندما شاهد الجنود يتلوون من الألم. أنزل أحد الجنود على رأسه لفحة قوية. وكان قد قال شيئاً ما ولكنه لم يفهمه.

لم يكن بارس يستطيع تقبل هذه المقاومة التي تشبه المقاومة العراقية. نعم. حرب العصابات بعد الاحتلال تتزل الخسائر الفادحة بالعدو. ولكنها تؤدي في النهاية إلى انقسام الوطن.. كما هو الحال الآن في العراق. كانت كل الاختيارات تنتهي تباعاً في يديه. كان قد انتظر المقاومة من الشعب. ولكن حتى الآن لم يحصل هذا. لم يكن عندهم وقت كافٍ حتى يقوموا بتدريبهم وإعدادهم. وكان بعض الرجال المدربين قد ماتوا أو أصيبوا بجروح. فقرروا العودة إلى مقر العملية. وحاولوا نقل أكبر نسبة من الجرحى بقدر استطاعتهم. ولكن ليس بإمكانهم حمل الجميع. كان بعضهم سيترك للعدو. على الأقل كانوا يتداون. دخلوا بين الأزقة بسرعة واتجهوا نحو المنزل /المقر/ كان الجو قد صار خطراً جداً. كان الجنود الأميركيون يهاجمون الناس بشراسة أكبر. وكانوا قد بدأوا بالخروج إلى الطرق بعربات مدرعة خفيفة.

كان هوارد ستريك يرى بأن الأمور تسوء من سيء إلى أسوأ.. كانوا قد سيطروا على المطار وانتصروا في المعارك الشديدة الأولى. ولكن بقاء المطار في أيديهم كان يتراهى صعباً للغاية. كان قد مات أكثر من ألف جندي أميركي. كان عليهم بعد الآن أن يدعموا النقاط التي استولوا عليها. وإظهار حركات لها تأثيرات سياسية كبيرة. وكان عليهم الانتقال إلى المرحلة الثانية وإذا ما وُضعت المرحلة الثانية قيد التنفيذ فمقاومة إستانبول بعد ذلك كانت لا تجدي شيئاً. وإذا ما حركت تركيا الديناميكية والطاقات التي تملّكها. فلا تستطيع أية قوة فعل أي شيء مقابل ذلك.

حيث تقوم أحجار /الدومينو/ بتهديم بعضها بعضاً. ويعم المنطقة توتر شديد.. ولا يخرج من كل هذه التوترات رابح سوى أميركا.. ويجب أن تكون هي الرابحة على الدوام. ولكي يكونوا الرابحين الأول والأخير كان عليهم استعمال كروتهم بشكل ممتاز.

- "أنت رائع يا هوارد."

- "أدامك الله يا سيدتي. ولكن الأمور لا تتراهى حسنة أبداً. إما يبدأ الانفصاليون بالعمل وإما سنخسر. وكما أردت قمنا باحتلال إستانبول."

- "ماذا؟ هي تسمى هنا.. احتلاً لا تحرف.. نحن في الداخل فقط".
هذا ليس مهمًا. عندنا مطار نستطيع أن نريه للعالم. ولدينا مقر في قلب المدينة..
وهذا الشيئان يكفيان لنخطو بقية الخطوات".
نعم أجمعوا كل المشاهد وأرسلوا الخبر إلى /CNN/ أنا الذي سأقدم لهم
هذه التصريحات.

كانت التصريحات قد هزت العالم هزةً أكبر من الزلزال العادي.
كان الناس في جميع أنحاء العالم قد استمعوا إلى التصريحات من التلفاز..
وكانهم قد بلعوا لسانهم.. وبعد أن أنهى الرئيس تصريحاته. بدأت الشاشة تعرض
المطار في ييشيل كوي والجنود الأمريكيون يعطون صوراً وهم يضحكون.
وكانت طائرات /C-130/.. تتزل وتقطع على المطار دون توقف وتأتي بعربات
مدرعة. كانت عربات /ستريكر/ المدرعة تجتمع في إحدى زوايا المطار. وبعد فترة
قصيرة كان اللواء الأول من الفرقة ٨٢ سينتجول إلى وحدة مدرعة كاملة. عندها
يأمكّنهم الدخول إلى المدينة وإقامة عمليات بكل حرية.

هذه التصريحات كانت قد أنهت تردد الدول التي كانت روسيا تحاول
إقناعها. حيث تمأخذ القرارات. وبدأت الأذرع الدبلوماسية بعمل مكثف. وكانت
السرافيس السرية ترسل لحكومتها تقارير على الدوام. وكانت ثمة حركة
عسكرية مهمة قد بدأت تظهر في روسيا. كانت فرق الدبابات تتوجه بسرعة نحو
الحدود التركية.

وفي نيويورك كان ممثلو الدول الأربع قد عقدوا اجتماعاً سرياً مع ممثل
الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمم المتحدة. حيث استمع الممثل /كلارك
شانتون/ بحيرة إلى تهديدات الدول الأربع.

قال ممثل روسيا: "تحركت الآن الجيوش الأربع المشتركة نحو الحدود
التركية. إذا لم تنسحبوا وإذا قمتم بأية هجمة. فستجدون أمامكم جيوش أربعة
دول واحدة".

كان رئيس الوزراء طيب اردوغان يُحسن بأنه قوي ونشيط. مع أنه لم يكن قد
نام أكثر من ساعات قليلة طيلة هذه الأيام الطويلة. كان بوتين قد أخبره
بتحركهم. الآن قواتهم وصلت إلى الحدود الأرمينية. وعند أي طلب منهم سيقومون

بتقديم المساعدة للأتراك. وكانت كل من الصين وفرنسا وألمانيا ستبخرون معًا. كان قد أجابه:

- يكفي أن ينسحب الأميركيون من أرضنا. نحن نحمي بلادنا ثانية.

عندما أخبره مستشاره بأن حكمت بارس على الهاتف . قام من مكانه فوراً وصرخ بأعلى صوته: "لقد نجحنا يا سيدي".

قال رجب طيب أردوغان ضاحكاً: "توقف يا باشا. لنلتقي في /باغجلر/. لنعطي هذا الخبر إلى شعبنا بوساطة التلفاز. هذا الخبر يعطي القوة للمقاومين". كان العالم في حيرة تامة من توازن القوى العالمي الجديد. كانت التطورات تحصل بسرعة مذهلة. قال هوارد ستريك في نفسه:

- هذا هو المتوقع: هذه اللعبة التي كان يلعبها هذان الشخصان لم تكن لعبة شطرنج عادية. كانوا قد أخذوا بقية اللاعبين على الخفيف. كان الأتراك قد رکزوا أنفسهم جيداً في هذه المبارزة.

كان رئيس FBI روبرت مولر ومستشار CIA بورتر كاوس ووزير الخارجية /كونداليزا رايس/ ووزير الدفاع رونالد رامسفيلد: كانوا يعقدون اجتماعات فيما بينهم يناقشو التطورات الجديدة.. قالت /كونداليزا رايس/

- مستحيل.. حقيقة نحن قوة ضاربة /وسوبر/ ولكن إذا اتحد العالم كله ضدنا. فهذه الحرب تؤدي إلى الانهيار والانهدام.

لاحظ هوارد ستريك للحظة أن الرئيس غير موجود في الغرفة. حيث سأله:

- وماذا يقول الرئيس عن هذا الوضع؟

وحد رونالد رامسفيلد أصابعه وقال: "في هذه اللحظة الرئيس يستمع إلينا. نحن الذين سنعطي القرار. أنا والسيدة /رايس/ أخذنا قراراً من عضوين بارزين من المحكمة العليا اللذين تخلصا من الموت أثداء ضرب واشنطن.. إذا لم نستطع إقناع الرئيس على تقديم استقالته. كان هوارد ستريك قد احتار في أمره تماماً. كان الأسمان معروفين بالشدة كانوا يطلبان السلام حيث قال:

- يجب أن أعرف أمامكم حتى لو لم نجد أية قوة أخرى أمامنا. فنحن في موقف صعب أمام الأتراك.

٧ حزيران ٢٠٠٧ . الساعة ١٧:٠٠

- نيويورك -

في الوقت الذي كان فيه كوكهان يستمع إلى التصريحات المزعجة استند إلى عكاذه وقام على رجليه. وكان الجلوس في تلك اللحظة نوع من قلة الاحترام. كانت وزيرة الخارجية الأمريكية تقول: بأن الرئيس الأمريكي قد استقال من منصبه. وعين مكانه رونالد رامسفيلد الذي كان قد عُين بعد موافقة ديك تشيني / في اللحظة النووية، نائباً للرئيس.

لم يكن الخبر المهم والأساسى هذا: كانت الحرب قد انتهت. كان الجيش الأمريكي سيسحب من تركيا في أقرب فرصة ممكنة.

كان المعلقون يتحدثون عن اجتماعات دبلوماسية مكثفة وأن الدول الكبيرة قد أنذرت الولايات المتحدة الأمريكية. وخاصة الروس كانوا قد وصلوا حتى الحدود التركية. وصرحوا بأنهم سيراقبون انسحاب الأمريكيين من تركيا.

لحظة واحدة انتبه المعلم على الخبر الذي وصل إليه.

- في هذه اللحظة أيها المشاهدون الأعزاء يقيم رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان مؤتمراً صحيفياً.

غضست عيناً / كوكهان / في عيون الواقعين.. رجب طيب أردوغان وحكمت بارس وبقية أعضاء الحكومة الذين بقوا أحياء.

انتظر طيب أردوغان استقرار الصحفيين وانقطاع الأصوات من الصالة. بدأ حديثه: "كانت هذه مجادلة / معركة صعبة جداً.. معركة البقاء. لقد خاضت تركيا امتحاناً فريداً من نوعه: شعباً وجيشاً.. لقد خاضت حرباً.. ماذا حصل وماذا لم يحصل؟ ستفنف بالتفصيل حول كل ما حصل مستقبلاً.. أما الشيء الوحيد الذي سنقوله الآن: انتهت الحرب وجمهورية تركيا ما زالت واقفة على رجليها".

في الوقت الذي كان فيه خطاب طيب أردوغان يترجم إلى الإنجليزية دخل إلى الغرفة /جيرارد وارتشمان/. كان كوكهان يعرف هذا الشخص باسم /باي دادي/.

تذكر كوكهان لحظة تعارفهما الأولى.

في يوم الإغارة.. وعندما كان يحاول المرب من الفارة مكسور الذراع ومجرور الساق.. كان قد وقف إلى جانبه وبسرعة ميكرو باص صغير أسود اللون.. وبعد أن تم فتح الباب الخلفي.. كان قد نزل رجلان من السيارة وحملوا كوكهان بسرعة ووضعاه داخل /الميكرو/ دامت العملية مدة ثلاثة ثوان فقط.. كان كوكهان قد فهم أنهما من طرفه.

في الوقت الذي كان على وشك الموت من كثرة النزيف وإذا به يلاحظ وجه هذا الرجل وهو يبتسم له.. وبالأصل كان قد أغمى عليه بعد ذلك.. وعندما عاد إلى وعيه كان ذلك الرجل يجلس إلى جانب سريره.

كان جرحه قد عولج ولفت ذراعه المكسورة.

كان الرجل قد بدأ معه الكلام: "مرحباً.. أنت لا تعرفني ولكن أنا أعرفك جيداً يا كوكهان.. هل تريد أن أقول لك /جونسال/? لم يكن كوكهان قد قابله بالحديث.. من التعب ومن الوصايا التي أعطاها العم تيومان للولد الصغير لا ترد على الجمل التي لا تحوي أسئلة".

- "أكيد تريد أن تعرف عن شيء.. تستطيع أن تقول لي: "باي دادي" حتى هذا الاسم لا يُفيد بـأي شيء أليس كذلك؟ وإذا أردت الحقيقة أنا بترون عملك الأخير في /روتوردام/..

لمع عينا كوكهان إذن هذا هو الرجل الذي دخل /السيستام/ ووجهه.. ضحك الرجل وقال: "أستطيع أن أخمن بالذي تفكّر فيه الآن.. ولكن اسمح لي أن أحيرك أكثر..".

جلب الرجل الكرسي الموجود في نهاية الغرفة ووضعه قرب السرير وجلس عليه وقال: "أنا لم أوجهك من أجل ذلك العمل فقط.. أنا الذي أرشدتك إلى التقرير وفجرت سيارتك كي تعود إلى تركيا.. أردت أن يعرف الآتراك كل المخططات

الأمريكية بشكل غير مباشر. ولكن لم تنجح في ذلك".

أخرج غليناً وهم بإشعاعه ونظر إلى كوكهان.. ثم أعاده إلى جيده وكانه يقول: "المهم وأكمل". في تلك الأثناء كان على أن أعود إلى أمريكا.. وثم ضيغت إثرك. حتى عندما ظهرت صورتك على شاشة التلفاز.. والحقيقة كان وجودك خلف تلك القنبلة قد حيرني كثيراً. وفي وقت كنت أظن نفسي فاشلاً.. المهم لا أريد أن أزعجك أكثر من هذا. وعندما فهمت من عميلنا الموجود داخل الشرطة عن الإغارة من أجل القبض عليك. فكرت بأنني يجب أن أكون قريباً من هذه المناطق.. وهكذا عندما قفزت من النافذة - أنت رجل شجاع جداً - كنا موجودين هناك.. هذه هي كل الحكاية..

وهكذا كان باي دادي قد ساعد كوكهان في عودة صحته. كان /دادي/ قد دخل الفرقة عندما كان أردوغان يلقي تصريحه أو خطابه ولكنه لم يكن وحيداً. كان قد جاء مع فتاتين جميلتين تحملان ماكولات ومشروبات.

قال /باي دادي/: "لقد فكرت بالتهنئة لخبر جميل يا كوكهان".

ثم أخرج زجاجة مملوقة بعصير البرتقال وقال: "على مدى علاجك فإن الخمر منوعة عليك. ولهذا السبب سنشرب عصير البرتقال الذي هو مستودع للفيتامينات". طبعاً كان كوكهان سعيداً. ولكن ثمة انكسار كان ينام في أعماقه في الوقت الذي كانوا فيه يتداولون الطعام. كانوا يراقبون التصريحات أيضاً. كانت ثمة أخبار كثيرة تدور في الأوساط العالمية.

كانت كل من فرنسا وألمانيا وروسيا والصين توكل بأنها ستساعد تركيا في إعادة بنائها وإعمارها. وكان الرئيس الأمريكي الجديد دونالد رامسفورد يقول: بأن أميركا ستحاسب نفسها. مع أنه كان هو أحد المعمارين الرئيسيين في السياسة الأمريكية.

قال كوكهان: "الأمريكيون هكذا على الدوام. يرمون الذنب على أحدهم ويحاولون تخليص أنفسهم" قال ذلك وخرّب الصمت الذي لازمه طويلاً.

ابتسم باي دادي وقال: "لا تقلق. في هذه المرة بقيت أنوفهم محشورة في التراب. وخاصة عندما أقفيت واشنطن. لقد أریتهم بوضوح بأنهم قد ذاقوا ما اقترفت

أيديهم. وربما هذا صار أفضل.

تمت كوكهان: "هل تقول حصل خير.. ومئات الآلاف من البشر...".
هربت اللقمة الموجودة في فم /دادي/ إلى حنجرته ف قال وهو يسعل. "أرجو
المعذرة. ولكن أنا حاولت أن أمنع ذلك وأنت أيضاً."

كان يقول الصواب. هُزِّ كوكهان يده قائلًا: "حط بالخرج.. هل تعرف ماذا
حصل. وكيف قبلت أمريكا الانسحاب من تركيا؟ لم تكن للقنبلة أي تأثير
عليهم."

أرسل باي دادي قهقهة وهو يقول: "شيء غريب.. خلاص تركيا كان من تحت
رأس التقرير أيضاً. ولكن بشكل غير مباشر لم نستطع أن نمنع الحرب ولكن
استطعنا إنهاءها. رئيس وزرائكم إنسان عاقل جداً.. أرسل التقرير إلى الدول
الأخرى ليقطفهم من الموقف الذي سيقعون فيه. عندما تحتل أمريكا الأناضول
بعفردها. واتحدوا جميعاً ليصير جزء من بعض الحرب ولكنهم تحركوا. ربما لو
لم تقاوموا هذه الدولة الجباره.. ربما لم يجدوا الشجاعة في أنفسهم. حتى لو لم يتم
هذا الاتفاق كانت أمريكا سترضى للأمر الواقع وتتسحب من تركيا".

كانت فرحة في أعماق كوكهان. كان يحس بتأنيب الضمير وبالذنب لأنه لم
يستطع أن يمنع الحرب عن بلاده ولم يستطع الذهاب إليه منذ بدء الحرب وإلى
الآن. كان هذا الخبر قد أسعده كثيراً.. على الأقل صار قائد لهذا التقرير الذي
وصله إلى هناك.

- "أراك فرحاً ولأول مرة ومنذ أيام طويلة. في الوقت الذي كان فيه شعبك
يحترق من الهجمات.. ويحارب. وأنت هنا محصور بين الجدران الأربعه أليس صعباً؟
ما يكن لك أي فكر عندي لك هدية مهمة جداً".

شد كوكهان على عينيه ونظر. أشار /دادي/ إلى أسفل الصحن الذي أكل
منه الطعام. عندما رفع كوكهان الصحن لاحظ أن ظرفًا أصفر ملصوق بأسفله.
وعندما فتحه وفدت بعض الصور على يديه.

صورة طويلة لرجل ذي نظرات ظالمة. وفي بعض الصور صورة مزرعة وفيلا.

قال دادي: هذا أدريان الثالث لينام.. هو لك.

قذف كوكهان الظرف فوق الطاولة وقال غاضباً: "هل تريد مقابل الذي قدمته لي".

لم يكن باي دادى قد تأثر بما قاله.. ابتسם وهو يشعل غليونه ابتسامة ذات معنى وقال: "لقد فهمتني خطأ... هذا الرجل هو الوحيد الذى تريد البقاء معه على انفراد لفترة من الوقت"

كان كوكهان قد استقرّ بـ كثيراً نظر إلى الصورة مرة ثانية وقال: "من هذا أديريان الثالثلينام".

- "عائلة /لينام/ تشرى منذ الحرب الأهلية الأمريكية. كان بتريك لينام قد سرق مال الجنوبيين وأراضيهم وبعد الحرب الأهلية مع عصابته وصار غنياً. بعد ذلك دخل بشغل الحديد والفلاذ.. ها.. وأكثريه المقابر الموجودة في أمريكا له.. سحب نفساً من غليونه قاطعاً حديثه.. قال كوكهان وهو يفقد صبره "إيه طالباً منه إكمال حديثه.

"قلت لك شفل معدن.. ألم تفهموني؟ هذا الرجل هو صاحب شركة /اورينكرون/ والأهم من هذا، هو أول المخططين لاحتلال تركياً.
لم يكن هناك أية ضرورة ليتحدث أكثر.. أخذ كوكهان الصورة ونظر إليها مطولاً.

٨ حزيران ٢٠٠٧

- تركيا -

كانت الشمس قد أشرقت مختلفة في اليوم التالي للحرب فوق تركيا. كان الناس يشعرون ببعض الراحة بالرغم من تعرضهم للألام والخسائر والنكبات. هذه الأرضي كانت قلب العالم وستظل على الدوام كذلك. ولكن يملكونها الشعب. كان عليه اللعب بالنار والامتحان. وكل نسل كان عليه أن يعطي هذا الامتحان حتى تبقى الأرض عزيزة مكرمة.

كان حسن قد أخرج غنماته في ضحى ذلك اليوم وأخذها إلى المرعى في سهول /مالازغريت/ الخضراء. وقد أخذ معه المذيع الصغير الذي أرسله له عميه الذي يعمل في المملكة العربية السعودية.

كانت الإذاعة الأولى تبث الأخبار على الدوام. كان المعلقون يتحدثون عن أمريكا وقوتها وكيف نالت عقابها في تركيا. وأخذت الضربات المتالية. كانت تركيا قد صدت تهديداً كبيراً كما فعلت في بداية القرن الماضي.

في الوقت الذي كان فيه حسن يستمع إلى المذيع. كانت ثمة طاقة كبيرة. تشد على شرائينه تريد الخروج. تذكر مدرسته التي تركها في منتصف العام. حيث وجد نفسه فجأة وهو ينسج الخيالات الجميلة. هو ابن بارل الوطن غلب دولة عظيمة وتعد زعيمة العالم. كان عليه أن ينهي دراسته ويكون إنساناً مهماً في وطنه. لو تحدث مع عمه.. هو الآخر يستطيع إقناع والده. حتى إنه يساعد له ليدرس في المدينة. نظر حواليه. لأول مرة تذكر مكان هذه الأرض في التاريخ. كان آليساندرا /هو الذي انتصر في المعركة وأدخل الأتراك إلى هنا. كان الأتراك وما زالوا أسياد هذه الأرضي.

أكملت الشمس ارتفاعها فوق الأناضول مهد الحضارات. استقبل اليوم الجديد الجنود المتعبون والمجروحون الذين كانوا ينظفون قاعدة /أرهاج/ الجوية من

الأنقاض بمفاجأة سارة.. كان المدنيون قد استقلوا الباصات والشاحنات يأتون لمساعدة جيشهم في كل مكان من الصباح الباكر. ومع ألبسة توقي جنودهم من برودة الفجر والوسم وأشياء أخرى.

نزل من السيارة الصغيرة الأولى العم أحمد وهو يحمل فأسه بيده وله لحية بيضاء جميلة. وقف أمام النقيب الذي كان ينظر إليهم باستغراب وقدم له التحية العسكرية وهو يقول: "قل لنا يا ابن أخي من أين نبدأ؟"

كان الناس قد بدؤوا يومهم الجديد بفرح... يريدون تقديم أي شيء أي خدمة لوطنهم.

كان انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية قد قطع التوترات والفووضى القائمة في الجنوب الشرقي من البلاد. مثل السكين.. كان إلقاء القبض على المصاة والتمردین يتم بتعاون الدولة مع رؤساء العشائر.

والإرهابيون كانوا يهربون إلى شمال العراق في الوقت الذي كانت فيه القوات تعقب الفارين. كان بعض منهم يستسلم لقوات الأمن بفرح وسرور.

مرت الشمس من فوق لواء إسكندرية وأضنة وقوانيا. هذه المدن كانت تضم مد جراحها القانية.. كانت أنقرة قد تعرضت لأكبر الهجمات على الإطلاق ولكنها لم تعلن استسلامها. كانت وحدات الجيش والجندمة القادمة من منطقة البحر الأسود. توزع الأرذاق والخبز على الناس. ويساعدونهم على رفع الأنقاض. وكل المكنات والسيارات الضخمة كانت تتطف أنقرة التي ستظل عاصمة أبدية رافعة راية النصر على الدوام.

أما في أزمير فكان الناس يذهبون إلى ساحل البحر لتناول الفطور الصباغي وكأنهم قد تواعدوا على ذلك. كانت الآلام قد قرئت الناس من بعضهم.. وهم يتبادلون الابتسامة الصباحية.

أما إستبول فكانت أكثر المدن إحساساً بالخلاص والحرية. كان الجنود الأتراك قد وضعوا أيديهم على كل الأسلحة والأجهزة التي تركها الجيش الأمريكي أثناء انسحابه. منها الدبابات والمروحيات.. كانوا ينقلونها إلى القواعد العسكرية.

وكانت الخدمات قد بدأت تسهل نحو الشعب بتعاون البلديات مع الولاية: حيث كانوا قد بدؤوا بتعمير البنية التحتية المخربة وبالسرعة القصوى. كان الوطن قد تحول إلى مستودع لمواد البناء.

١٣ حزيران ٢٠٠٧ . الساعة ٠٢:٣٠

شيكاغو هييفانغيت . عمارة لينام

كانت العمارة داخل مجموعة من الظلال. استيقظ أديران الثالث لينام فجأة شدًّا على أذنيه. لماذا كان قد استيقظ يا ترى؟ لا يوجد أي شيء على الإطلاق. ولكن كان ثمة شيء ناقص. وهو الأنين الخافت.. كانت ترتيبات الأمان التي تلف المنزل.. الأسلاك الكهربائية والحواسيب. كانت هذه الأجهزة تخلق نوعاً من الأنين على الدوام، تماماً مثل نبض المنزل. هذا الذي كان ناقصاً.. كان هذا الرجل الذي يعيش داخل بيته على الدوام قد شعر بهذا النقص. ولكن ثمة صوت آخر يخيفه الآن وقريباً منه... وصوت نفس قريب جداً منه.. كانت غرفة النوم مظلمة مذًّيده وضفت على زر المصباح ولكن لم يحصل أي شيء.

تحرك الظلام من أمامه. جلس أحدهم على طرف السرير وهمس "سيد لينام".
كان /لينام/ خائفاً.. ولكن على الأقل كان هذا الصوت صوت إنسان.
فأجابه /نعم/ ولكن بصوت ممزوج بالمنطق على أمل بناء محادثة معه. ثم أضاف: "إذا كان طلبك مالاً في الخزانة محفظة.. وفيها ثلاثة مليون دولار.
كلمة المال لم تحن ذات اثر على صاحب الصوت. حيث أجابه الظلام: "جئت
كي آخذك معـي".

ارتجمف لينام فجأة وسأل بخوف: "إلى أين؟"
- "إلى جهنـم" ثم كبس على فمه قطعة قماش تحتوي على مادة: كلوروفوروم /

٢٠٠٧ حزيران

مكان غير معروف في الولايات المتحدة الأمريكية

عاد أدريان الثالث لينام إلى وعيه.. مع آلام في رأسه من تأثير /الكلور فورم/. كان داخل غرفة عادلة الأغراض والموبيليا. وفي وسطها تماماً. كان جسده ملفوفاً بقطعة معدنية وربما من دبابة بخارية قديمة معطوبة. كان رأسه يخرج من ذلك الثقب المدور وساعداه كانت تخرجان من الثقبين الجانبيين.. كان يشبه الفرسان في العصور الوسطى. أما جسده ورجلاه فكان داخل الدبابة. والخلاص من هنا كان يعد من رابع المستحيلات. كان يستطيع رؤية الأفقال أمام الدبابة عبر المرأة الموضوعة أمامه.

وكانه في حلم فوق الحقيقة. وأغرب جهة من هذا الحلم كان في المطبع: الرجل الذي كان يحضر الطعام يجب أن يكون هو الغريب الذي خطفه.. كان الآن قد بدأ يتذكر رويداً رويداً. بعد أن وضع الرجل الطعام فوق النار. نظر إليه. شيء ما أخاف لينام من هذه النظرة. وكان الرجل ينظر إلى شيء ما وليس لإنسان أحضر الغريب من الفرقة المجاورة كاميلا فيها أرجل ووضعها أمامه.. وشغلها لفترة كي يرى إن كانت تعمل أم لا.

هذا الوجه لم يكن غريباً على /لينام/. كان يتذكره بعض الشيء ولكنه ينسى ثانية.

بقيا صامتين لفترة طويلة. عندما نضج الطعام ملأ الغريب صحنًا إلى آخره وأتى به إليه عنده. قرر لينام أن يذهب مع الغريب حتى النهاية.

وبعد أن تناول عدة ملاعق.. قال: "هل تريد فدية؟"
هز الرجل رأسه بشكل سلبي. ثم قال و كانه تذكر: "أخذت المال الذي في الخزينة. أشكرك.. سأستفيد منه كثيراً أنا لم أخطفك من أجل فدية".

- طيب ولماذا؟

- "كما قلت لك.. كي آخذك إلى جهنم.. ستموت".

- "حسن.. ولماذا؟"

- "لوقلت /أوريينكرون/ أو العاصفة المعدنية..؟"

فجأة تذكر أدريان الثالث لينام هذا الوجه. كان قد ضعف بعض الشيء، وترك شاربه. ومع هذا عرفه قال: "أنت ذلك الإرهابي".

ثم تكلم وكأنه يبصق: "لقد قتلتآلاف البشر الأبرياء بتلك القبلة".

أدبار الرجل الملقة داخل الطبق للحظة واحدة. ثم تركها في طرف الصحن.

ثم ضرب وجه لينام بلحمة قوية وقال: "إذن أنا إرهابي ها؟ الرجل الذي يخطط من أجل إفقاء شعبي يحاسبني ها..؟" كان قد غضب كثيراً.. جعل من يده لحمة وشدها.. ذكر /لينام/ في نفسه: إن الرجل على وشك أن يضيع نفسه ويقتلها. قال: "لا.. لا.. موتك لن يكون سهلاً هكذا.. سأقص لك حكاية".

ومن جهة كان يطعمه بقوة.

"يقولون: إذا قام أحدهم بذنب عظيم في وسط آسيا.. يحضرون له موتاً ليكون له ولناس جميعاً عبرة. يأتون بجذع فارغ من وسطه. ويدخلون الرجل إلى داخل الجذع بحيث يبقى رأسه في الخارج. وبعد أن يغلقوا الثقوب كلها.. يبدؤون بإطعام المذنب وشريه..".

كان لينام يلاحظ أن هذه الحكاية تطابق حالته. حاول دفع الملعقة الداخلة إلى فمه برأسه. وعندما سحبه الرجل من شعره بقوة قال له صارخاً "اسمعني جيداً. إذا لم تتناول طعامك. سأقملك رويداً رويداً.. هل فهمت؟"

كان يشير بيده إلى ذراعي /لينام/ في الخارج.. لا تأمل أن يسمع أحد صراخك. نحن في كوخ جبلي".

فهم لينام دون قوة ولا أي شيء أمام هذا الرجل. فأكل الطعام الممدود إلى فمه دون اعتراض.

قال كوكهان: "المهم.. لاكملي لك الحكاية.. يقال: كل ما أكل الرجل وشرب.. يمتليء الجزء من الداخل بقاذوراته وبعد فترة يتعرفن جسد المذنب داخل الجذع. من وسخه.. موت بطيء.. مملوء بالألم.. وفيه عبرة لمن اعتبر".

نبذة قصيرة عن حياة المؤلفين

١. بوراق تورنا BURAK TURNA

ولد بوراق تورنا في إسطنبول في ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٥ م أكمل تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في /يشيل كوي/. نال الليسانس في إدارة الأعمال. من جامعة /غرنة الأمريكية/ في جزيرة قبرص التركية.

عمل مترجمًا في مجال وسائل الإعلام وترجم المجلات والكتب. وعمل محررًا اقتصاديًا. ثم عمل في عدة مجالات.. وما زال يعمل في عدد واسع من الأشغال والأعمال. بدأ حياته الكتابية.. مباشرة بالرواية.. دون المرور بكتابة القصة واليوميات. ولكن مغامراته الخيالية دامت معه منذ معرفته بنفسه. والعاصفة المعدنية هو العمل الإبداعي الأول للمؤلف. إلى جانب كتابة الرواية. يكتب النصوص الفلسفية والسيناريوهات بالتركية والإنجليزية.

وأنهى كتابة كتاب **A** /اسماء /النظام المطلق. (مدخل في البنية التحتية لماكينة الزمن المنطقية والنظرية). ولكن هذا الكتاب لم ينشر بعد. يعمل الآن في رواية "الحرب العالمية الثالثة".

٢. أوركون أوجار ORKUN UGAR

ولد أوركون أوجار في ناحية /عولجك/ التابعة لولاية /فوجة على/ في واحد حزيران من عام ١٩٦٩ ، وتخرج من كلية **IA** المعلوماتية. عمل لسنوات طويلة في الصحف والتلفازات. وعندما نال الجائزة الأولى التي نظمتها مجلة **NOSTONMO** /في عام ١٩٩٩. في القصة القصيرة... والقصة العلمية/.

قرر أن يعمل في الكتابة والتأليف. في عام ٢٠٠٠ شكل ناديًا بعنوان "نادي القصص الخالدة /XASIORK/ في مجال الإنترنت. وفي عام ٢٠٠٢ أصدر دار نشر بعنوان "دار نشر القصص الخالدة" بالاشتراك مع "سيبل أتاسوبي" ويعمل الآن في كتابة روايته: "الدجال"

نظر لينام نحو الكاميرا التي كانت أمامه وهو يحاول بلع اللقمة التي في فمه..
لاحظ وهو في حيرة من أمره.. أن أمعاءه قد بدأت تضيقه.

انتهت

14 حزيران 2007

مكان غير معروف في الولايات المتحدة الأمريكية.
عاد أديان الثالث لينام إلى وعيه.. مع آلام في رأسه من
تأثير / الكلور فورم/.

كان داخل غرفة عادية قليلة الأغراض والموبيليا وفي
وسطها تماماً، كان جسده ملوفاً بقطعة معدنية وربما
من دبابة تجارية قديمة معطوبة. كان رأسه يخرج من
ذلك الثقب المدور وساعداه كانت تخرجان من الثقبين
الجانبين.. كان يشبه الفرسان في العصور الوسطى..
أما جسده ورجليه كانت داخل الدبابة. والخلاص من
هنا كان يعد من رابع المستحيلات. كان يستطيع رؤية
الأقوال أمام الدبابة عبر المرأة الموضوعة أمامه..

من الرواية

هكذا أنهى الكاتبان روایتهما كأنه حلم فوق
الحقيقة على خطى جورج أوروول، أقبل عليها الجمهور
بشكل منقطع النظير وبينما بدأت الرواية تترجم إلى
ثلاثة عشر لغة خلال ستة أشهر يشغل الكاتبان الآن
بكتابة رواية (الحرب

العاصفة المعدنية

رواية A 5

S.P350



1 3 4 4 9 2

